دكتور بهاء الأمير

أول الآتين من الخلف





٢٠٢٠م

دكتور بهاء الأمير

بلاليص ستان ١

أول الآتين من الخلف



٢٠٢٠م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر، إعداد إدارة الشؤون الفنية

الأمير، بهاء

أول الآتين من الخلف

المؤلف: دكتور بهاء الأمير

القاهرة، بهاء الأمير، ٢٠٢٠م

٤٦٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

١- مصر، تاريخ
٢- الحملة الفرنسية (١٧٩٨م- ١٨٠١م)

أ – العنوان

٩٦٢,٠٢

تدمك ٩٧٨.٩٧٧.٩٠.٦٩٧٢.٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٢٠/٤٩٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خلق كل شيء بقدر، ويسر كل امرئ لما خُلق له، واصطفى من شاء لما شاء، وفضل بعضهم على بعض، فأعمى وأعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمامة، واختص عز وجل عباداً من عباده باختراق القرون والرؤية من خلال الغيوم والنفاذ إلى ما هو مكنون في الأذهان ومطوي في النفوس، والصلاة والسلام على سيد الثقلين، والمصطفى فوق المصطفين، وتلقى علمه من الملأ الأعلى، فانكشفت له الأزمنة، واجتمعت عنده الأمكنة، وتجلى أمام بصيرته الخبئ في الأذهان والأفئدة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

هذا هو الجزء الأول من كتاب: بلاليص ستان، وهو نهر كبير غزير المياه، وهذا الكتاب مع الجزء الثاني، وهو كتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام، الجسم الرئيسي لهذا النهر، ورغم أن كتاب: أول الآتين من الخلف هو الأول في نهر بلاليص ستان الكبير، وبدايته زمنياً وتاريخياً، إلا أنه ليس منبعه، ولا البؤرة التي انفجر منها وتدفقت مياهه.

ومنابع نهر بلاليص ستان والبؤرة التي انفجر منها، كانت رسالة من أحد الأفاضل، واسمه الرمزي الذي وقع به رسالته: Palestinianfromsafad، وصلتني في شهر مايو ٢١٠٧م، وينتقد فيها مقاطع الفيديو التي عنوانها: مصر الماسونية، خصوصاً المقطع الخاص بجمال عبد الناصر، ويدافع في رسالته دفاعاً حاراً عن: "**ما تمثله حالة عبد الناصر من ما يسمى بالناصرية والوحدوية وغيره، حتى لو كانت مبطنة بالإشتراكية**"، ويتساءل، وفي سؤاله اتهام ضمني: "**لم أقتنع بما أوردت من معلومات في حلقة عبد الناصر، فأنت كما نعلم عنك موضوعي عادل باحث عن الحقيقة بإخلاص ونية طيبة، أما المعلومات لم يكن فيها تأكيد علمي بحثي، وجميعها كانت تخمينات مرتبطة بأحداث، سؤالي أو أسئلتي: هل ما أوردت عن عبد الناصر معلومات مؤكدة سليمة أم تخمينات؟**".

وبدأت في الرد على الأستاذ الفاضل صاحب الرسالة والنقد من عند جمال عبد الناصر، فظهرت مياه النهر وبدأت في الجريان رويداً، فلما وصل إلى الإخوان وجمال الدين الأفغاني، انفجر وتدفقت مياهه، وعند هندسة المعيار والميزان، ودور جمال الدين الأفغاني في كسرها من أسفل بالعوام وكتلهم، كان لابد من العودة إلى الخطوة الأولى وكسرها من أعلى بالسلطة ونفوذها، وهي الخطوة التي بطلها ورائدها بلا منازع أول الآتين من الخلف.

وهاهنا ازدادت مياه النهر غزارة، وصارت أمواجاً متلاطمة، وشقت فروعاً أخرى وقنوات جانبية، فكان مما تفرع منها كتاب: ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، وكتاب: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية وشركة الهند الشرية البريطانية.

وأما نقطة انفجار نهر بلاليص ستان الكبير، فهي جزء من جسمه الرئيسي، ونرجو من الله عز وجل أن نعود إليه، ليكون الجزء الثالث في هذه السلسلة، ولنجيب فيه على أسئلة الأستاذ الفاضل واتهاماته، ونعرفه بحقيقة عبد الناصر، وهو ثاني الآتين من الخلف، ونكشف له ما لا يعلمه من خفايا سيرته، ولكي نقوم فيه بحل لغز جمال الدين الأفغاني وما يحيط بشخصه وأفكاره وما فعله في مصر من غرائب ومتناقضات، وهو جُب مظلم عميق الأغوار، وكل من كتبوا عنه مادحين أو ناقدين، لم يسبروا أغوار هذا الجُب، ولم تتكشف لهم حقيقته.

وكتاب: أول الآتين من الخلف، الذي بين يديك، يعالج الحملة الفرنسية على مصر، وما تلاها من وصول محمد علي باشا إلى السلطة فيها وحكمها، وتغيير مسار مصر والشرق كله من المسار الإسلامي إلى المسار اليهودي، وتحويله إلى محضن لليهود ومشروعهم الساري عبر التاريخ في الغرب، والحملة الفرنسية ووصول أول الآتين من الخلف إلى حكم مصر، لم تكن سوى نقلة كبرى في هذا المشروع، وزحف به من الغرب إلى الشرق.

ولأن هذا الكتاب هو الجزء الأول من نهر بلاليص ستان تاريخياً وزمنياً، ويعالج الفترة التي تم فيها تغيير مسار الشرق واتجاهه، وانتقال المشروع اليهودي من الغرب إليه وتوطينه فيه، وبداية مساره اليهودي، فبعد أن سرنا فيه واستبانت ملامحه، أزلنا حواجز الحجم والمساحة وكم ستكون، والزمن وكم سيستغرق.

وباستثناء آخر أبواب الكتاب: الماسونية في عهد أول الآتين من الخلف، ومقدمته، التي كتبناها في شهر يناير ٢٠٢٠م، فجميع أبوابه تمت كتابتها خلال الشهور الأخيرة من سنة ٢٠١٧م، والشهور الأولى من سنة ٢٠١٨م، ثم تركناه إلى كتاب: ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، وكتاب: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وكتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام، قبل أن نعود إليه لكتابة بابه الأخير ومقدمته، ولذا ستجد أن تاريخ مقدمة كتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام، وهو الجزء الثاني، سابق على تاريخ مقدمة كتاب: أول الآتين من الخلف، رغم أنه الجزء الأول.

وأول الآتين من الخلف، يبدأ بحملة نابليون على مصر، وبيان دوافعها المحجوبة في كتب التاريخ في بلاليص ستان وعند مؤرخيها الأميين، وهوية نابليون الماسونية، وعلاقة حملته على مصر، وعلاقته هو نفسه، باليهود وغاياتهم ومشروعهم.

ثم ينتقل الكتاب إلى محمد علي باشا، وهو ليس سوى نابليون آخر يتخفى في ثياب شرقية، وما فعله في مصر والشام ليس إلا تكرار وإعادة إنتاج لما فعله نابليون، أو أراد فعله ولم يتمكن منه.

والباب الأول من سيرة أول الآتين من الخلف، عن بلدة قولة في اليونان التي وُلد ونشأ فيها، وعلاقتها وعلاقة تجار التبغ فيها باليهود، يتلوه باب: أول الآتين من الخلف، وطريقة وصوله إلى السلطة وحكم مصر وهي كما سترى طريقة جميع الآتين من الخلف في تاريخها، ثم باب: مذبحة القلعة، وكشف أن الهدف منها، ومن الطريقة التي نفذت بها، لم يكن مجرد القضاء على خصومه ومنافسيه على السلطة من المماليك، غاية أخرى ستعلمها حين تصل إليها.

ثم باب: إزاحة الأزهر وأهل الحل والعقد من تركيب السلطة وتكوينها، ومن صدارة المجتمع وقيادة عموم الناس، وهي مسألة تبدو بسيطة بميزان الأميين، وتكاد تختفي وسط ما فعله أول الآتين من الخلف من أعمال يحتفل بها هذا الميزان الأمي، ولكنها في الحقيقة المسألة المركزية التي يدور حولها كل ما فعله، لأن المشروع اليهودي، كما ستعلم من هذا الكتاب ومن جزئه الثاني عن بذور المشروع اليهودي في الشام، ما كان له أن يبدأ ولا أن يسير ثم يكتمل إلا

بتهيئة الشرق له، عبر إزاحة الإسلام، وكسر هندسة المعيار والميزان، والإطاحة بالطبقة القوامة عليه ولا تبادل به من السلطة وصدارة المجتمع، وتحويلهم إلى طبقات من المنتفعين والموظفين وحفظة الأكلشيهات، لكي تكون وظيفتهم الوحيدة هي الترويج لما تريده السلطة، أياً كان، وإحلال أبناء الغرب ومن تكونوا في مدارسه وجامعاته، وصاروا يرون الوجود ويفهمون الحياة بمنظاره وميزانه، محل الأزهر وأهل الحل والعقد، في تركيب السلطة وصدارة المجتمع وقيادته.

وبعد ذلك باب: البعثات العلمية إلى فرنسا وصاحب فكرتها، وغرضه الحقيقي منها، ألا وهو صناعة هوية أخرى لمصر غير هويتها المسلمة وإلحاقها بالغرب وتحويلها إلى تابع له وإحدى أدواته في الشرق، وباب: المدارس، وهوية السان السيمونيين، ولماذا جاؤوا إلى مصر، وكيف كانت المدارس والمشروعات الهندسية وسيلتهم للوصول إلى غايتهم وليست الغاية نفسها.

ثم باب: قناة السويس والديون، وبيان أن حفرها عبر التاريخ مشروع يهودي ماسوني، هدفه فتح الشرق أمام تجار الغرب وأساطيله، وتسهيل السيطرة عليه، ثم باب: حروب أول الآتين من الخلف، وحملته على الشام، كما ستعلم، هي حربه الحقيقية التي أرادها، وكل حروبه قبلها كانت تمهيداً لها وإعداداً من أجلها.

وآخر أبواب الكتاب، هو كتاب: الماسونية في عهد أول الآتين من الخلف، وقد جعلناه آخر أبواب الكتاب، لأن الماسونية والحركات السرية، ليست هي الدائرة من دوائر عالم السر والخفاء الفاعلة في تكوين أول الآتين من الخلف، وفي فهم دوافعه وتفسير سياساته وما فعله في مصر والشام، بل دائرة أخرى ستعرفها وأنت ترتحل مع الكتاب.

ولله الحمد أولاً وآخراً

دكتور بهاء الامير

القاهرة

٢٠ جمادى الأولى ١٤٤١هـ/٢٠ يناير ٢٠٢٠م

نابليون وحملة الماسون



نابليون الماسوني

تاريخ الماسونية في مصر ومسارها اليهودي الماسوني يبدأ من فرنسا وحملتها عليها، ولذا لا يمكن فهمه وإدراك حقيقته من غير معرفة المسار اليهودي الماسوني لفرنسا نفسها، وموقع هذه الحملة منه، وصلة من شنوها على مصر باليهود والماسونية وأغراضهم الحقيقية.

إذا ذهبت إلى كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، ستعرف أن الثورة في فرنسا كانت ثمرة مسار طويل من كفاح الحركات السرية لقرون من الزمان قبلها، وبدأت فكرتها والعمل من أجلها منذ سقطت منظمة فرسان الهيكل في القرن الرابع عشر، وأن إزاحة العقائد والإطاحة بالكنيسة وإسقاط العروش الكاثوليكية بالثورة عمل تعاضدت على التدبير له الحركات السرية في أوروبا بمختلف أنواعها، منظمة الإليوميناتي والماسونية بمختلف مذاهبها وطقوسها وحركة الروزيكروشيان وحركة المارتينيز وأخوية سويدنبرج، وكان الاتفاق النهائي بين قادة هذه الحركات على ترتيبات الثورة في المؤتمر الذي عقدوه في محفل فرانكفورت الأعظم سنة ١٧٨٦م، وستعرف من الكتاب وترى البراهين على كيف تحولت فرنسا بعد الثورة إلى دولة الماسونية والحركات السرية، وبؤرة بثها في أوروبا وفي كل مكان يصل إليه نفوذها، لتصبح إحدى آلات إتمام المسار الماسوني للعالم كله.

ومن الثورة في فرنسا إلى نابليون بونابرت وصلته بالماسونية، والمتفق عليه بين مؤرخي الماسونية جميعاً، أن نابليون كان حامياً للماسونية وراعياً لها بعد أن وضع مقاليد فرنسا في يده وصار إمبراطوراً متوجاً عليها، وأن أركان دولته وقادة جيشه كانوا جميعاً من الماسون، وكذلك إخوته وزوجته جوزفين، وأنه تم تنصيبهم على رأس محافل فرنسا بموافقته وتحت رعايته.

فيتفق الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي ألبرت ماك كي Albert Mackey في الموسوعة الماسونية، مع روبرت فريك جولد Robert Freke Gould، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ رسمي للماسونية، في كتابه: تاريخ الماسونية في العالم، على أن:

"نـابليون كـان مـن أسـرة ماسـونية، فـأبوه كارلو/شـارل بونـابرت Carlo/Charles Buonaparte، ممثل كورسيكا في بلاط الملك لويس السادس عشر كان ماسونياً، وكذلك إخوته الأربعة، جوزيف ولويس ولوسيان وجيروم، كانوا من الماسون، وبعد أن صار نابليون الإمبراطور وضـع محافل الماسـونية فـي فرنسـا تحـت حمايتـه، وبمباركتـه تـم تنصـيب أخيـه جوزيف أستاذاً أعظم للشرق الأعظم الفرنسي، وتنصيب أخيه لويس نائباً له، وعهد نـابليون هو العصر الذهبي للماسونية في فرنسا[1]، [2].

وفي عدد سنة ١٩١٤م من مجلة: أعمال محفل المُتَوجين الأربعة Transactions Of Quatuor Coronati Lodge، وهي مجلته الدورية التي يصدرها سنوياً، وهو محفل خاص ببحوث الماسونية وتاريخها، أسسه في لندن سنة ١٨٨٤م تسعة من الماسون الإنجليز، وكان فريك جولد أحدهم، في المجلة دراسة طويلة تستغرق نحو أربعين صفحة من المجلة، كتبها مؤرخ الماسونية الأخ توكيت Brother J. E. S. Tuckett، وعنوان الدراسة: نابليون الأول والماسونية Napoleon I And Freemasonry.

وفي دراسة توكيت تفاصيل دقيقة عن علاقة نابليون وأسرته بالماسونية مع أدلتها من وثائق الماسونية، يقول توكيت إن:

"كـل مـن اختـارهم نـابليون ليصـنع بهـم دولتـه ووضـعهم فـي المناصـب العليـا كـانوا مـن الأخوية، وفي الدرجات العليا منها، فمن بين الستة الذين كون منهم نابليون المجلس الأعلى للإمبراطورية، بالإضافة إلي الإمبراطور نفسـه، كـان خمسـة مـنهم من الماسـون، وعلـى رأس هـؤلاء مستشـار الإمبراطـور ويـده اليمنـى جـان جـاك كامباسِـرس Jean Jacque Cambaceres، وهو إذ ذاك أكثر أعضاء الماسونية نشاطاً وحماسة في فرنسا، وستة من بين التسعة الذين كانوا تحتهم وينفذون سياسات الإمبراطوريـة كـانوا مـن الماسـون، واثنـان وعشرون من بين المارشـالات الثلاثين الأوائل في جيش نـابليون كـانوا أعضـاء في الشرق

---

1) Albert Mackey: Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, A New And Revised Edition, Vol. II, P507, Puplished By The Masonic History Company, New York and London, 1914.
2) Robert Freke Gould: History Of FreemasonryThroughout The World, Vol. III, P54, Revised By Duddley Wright, Charles Scribner's Sons, New York, 1936.

الأعظم الفرنسي، وتقريباً كل ضباط الجيش كانوا من الماسون، وقلباً وروحاً مع نابليون "Heart And Soul With Napolion"[١].

وما لم يذكره توكيت أن الماسونية هي قلب الجيش في فرنسا وقادته جميعاً من الماسون من قبل نابليون، بل من قبل الثورة في فرنسا، وفي سنة ١٧٨١م تواطأ الماسون في فرنسا على انتخاب فيليب دوق أورليانز Philipe Duc D'Orleans أستاذاً أعظمGrand Master للشرق الأعظم ، رغم أنه كان قبل انتخابه قيما Warden في محفل العقد الاجتماعي في باريس Loge Du Contrat Social، ولم يكن من قادة الشرق الأعظم، فقط لأنه ابن عم الملك لويس السادس عشر، وقائد الجيش والحرس الفرنسي.

وتمكن دوق أورليانز من جذب أعداد غفيرة وإدخالها في المحافل، وملأ المحافل بالعديد من أفراد الحرس الخاص ومن الضباط الصغار، وكان يغري الضباط والجنود للانضمام للماسونية بإغداق المال عليهم ومنحهم الامتيازات داخل فرقهم وتقديمهم في الترقي إلى الدرجات الأعلى.

والجيوش في العالم كله جبهة رئيسية للماسون، واختراق أدمغة قادتها وضباطها بالشعارات وتحويلهم إلى أدوات لدفع البلدان شرقاً وغرباً في المسار الماسوني استراتيجية ماسونية عريقة ومتجددة، وما تركيا وبلاليص ستان منك ببعيد.

ويقول توكيت إنه مع تنصيب نابليون القنصل الأول لفرنسا شهدت الماسونية والجمعيات المتحالفة معها رواجاً كبيراً، وبعد أن صار نابليون الإمبراطور وحاكم فرنسا المطلق سنة ١٨٠٤م:

"وبناءًا على طلب من كامباسِرس، وضع نابليون الماسونية في فرنسا تحت حمايته، وبرعايته تم توحيد طقوس الماسونية المختلفة في فرنسا سنة ١٨٠٥م، وصار الشرق الأعظم Grand Orient هو المسيطر على جسم الماسونية ومحافلها في الإمبراطورية كلها، وفي السنة نفسها تم انتخاب جوزيف بونابرت Joseph Bonaparte وتنصيبه

---

1) Brother J. E. S. Tuckett: Napoleon I And Freemasonry, A.R.C.Transactions Of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P99, 1914.

أستاذاً أعظم للشرق الفرنسي في حضور الإمبراطور، وانتُخِب أخوه لويس بونابرت Louis Bonaparte نائباً له، وأصبح كومباسِرس الأستاذ الاعظم المساعد ومدير محافل الشرق الأعظم، وصدرت توجيهات للجنرالات ورجال البلاط والموظفين العموميين بالانضمام للمحافل، فازدهرت ازدهاراً كبيراً، وتم تنشيط المحافل الخاملة، وبلغ عدد المحافل الجديدة التي تم إنشاؤها ١٢٠٠ محفل، وتضاعف عدد أعضاء الشرق الأعظم، وأُنشأت محافل باسم: القديس نابليون Saint Napoleon، وأخرى باسم: القديسة جوزفين Sainte Josephine، وأضافت بعض محافل الشرق الأعظم درجة باسم: فارس القديس نابليون Chevalier De Saint Napoleon، وصدر سنة ١٨٠٥م مرسوم من الشرق الأعظم إلى جميع المحافل في الإمبراطورية بافتتاح جلسات المحافل بعبارة: تحيا نابليون Vive Napoleon، ووصل عدد محافل العسكريين في الجيش الإمبراطوري إلى ٤٠٠ محفل، وجميعها كانت تفتح جلساتها بعبارة: تحيا الإمبراطورVive L'Empereur، ووضعت محافل الشرق الأعظم في إيطاليا شعاراً على رأس أوراقها ووثائقها، هو عبارة: نابليون العظيم، الأخ والإمبراطور وراعينا Napoleone Il Grand, Fate, Imperadore, E Re, Protettore"[١].

وهاك صورة أحد الشعارات، التي كانت تضعها المحافل الماسونية على منشوراتها ووثائقها في عهد نابليون.



الشعار الذي كانت تضعه المحافل الماسونية على منشوراتها ووثائقها في عهد نابليون.

1) Napoleon I And Freemasonry: A.R.C. Transactions of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P100-102.

وجوزيف بونابرت، الذي تم تنصيبه الأستاذ الأعظم للماسونية في فرنسا في حضور الإمبراطور نابليون، هو الأخ الاكبر لنابليون، وقد نصبه ملكاً على إسبانيا بعد غزوها، ولويس بونابرت، نائب الأستاذ الأعظم، هو أخوه الأصغر، وقد نصبه ملكاً على هولندا.

والإمبراطورة جوزفين هي زوجة نابليون، ويقول توكيت إن الإمبراطورة انضمت سنة ١٨٠٤م مع مجموعة من نساء البلاط إلى محفل فرسان فرنسا Francs Chevalier، وصارت عضواً في طقس التبني La Maçonnerie d'Adoption، وراعية له، وهو طقس تكون في فرنسا في القرن الثامن عشر، ويقبل عضوية النساء، ويتفق معه في ذلك ماك كي وفريك جولد.

أما نابليون نفسه، فيقول ماك كي في موسوعته الماسونية وفريك جولد في تاريخه للماسونية، إنه انضم إلى الماسونية وتم تكريسه في الدرجة الأولى، درجة المبتدئ L'Apprenti، في مالطا في ١٢ يونيو سنة ١٧٩٨م.

وأما توكيت فدراسته أصلاً عن صلة نابليون بالماسونية، وقد تعقب هذه الصلة في وثائق الماسونية ومضابط محافلها ومذكرات قادتها والمراسلات بين أعضائها، وأورد نصوصاً واقتباسات طويلة ومتعددة من هذه الوثائق والمذكرات والرسائل لإثبات ما وصل إليه، وما وصل إليه أن صلة نابليون بالماسونية قديمة، وأنه انضم إليها وكان عضواً في محافلها قبل أن يتم تنصيبه إمبراطوراً ويصبح راعياً للماسونية وموحداً لمذاهبها.

وخلاصة نتائج تنقيب توكيت للإجابة عن السؤال: متى وأين انضم نابليون للماسونية، وإلى أي درجة وصل فيها، أن أول علاقة موثقة لنابليون مع الحركات السرية، لم تكن مع الماسونية، بل مع منظمة الإليوميناتي، وكانت سنة ١٧٩٥م، ففي هذه السنة:

"انضم نابليون إلى تنظيم حكماء فرنسا Francs Juges، وتم قبوله في الأخوية بعد إجراء طقوس التكريس وأدائه للقسم أمام الجمعية العمومية للأخوية في اجتماعها في غابة فونتنبلو Fontainebleau Forest"[١].

ويقول توكيت إن جمعية حكماء فرنسا هي إحدى فروع منظمة الإليوميناتي في فرنسا The Illuminati Of Weishaupt.

وفي سنة ١٧٩٥م التي بدأت فيها علاقته بالحركات السرية، كان نابليون في السادسة والعشرين من عمره، وهو إذ ذاك وفي هذه السن جنرال في الجيش الفرنسي، لإخماده الثورة التي قام بها أنصار الملكية في منطقة فِندي غرب فرنسا Vendée.

وأما الماسونية، فيقول توكيت إن:

"نابليون تم تكريسه، وحاز الدرجة الأولى في المرتبة الرمزية للأخوية Symbolic Craft Degrees، في إيطاليا، سنة ١٧٩٦م إبان انتصاراته العسكرية فيها ... وقد كان أغلب المحيطين به من أصدقائه وقادة جيشه من الماسون"[٢].

وفي سنة ١٧٩٦م هذه، كان نابليون يقود جيش الثورة الفرنسية في حملته على إيطاليا، وقد تمكن من إخضاع الجزيرة الإيطالية وضمها لفرنسا خلال سنة واحدة.

وبعد ذلك بعامين:

"ارتقى نابليون إلى الدرجة الثانية في مالطا في شهر يونيو سنة ١٧٩٨م"[٣].

---

1) Napoleon I And Freemasonry: A.R.C. Transactions of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P108.
2) Napoleon I And Freemasonry: A.R.C. Transactions of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P108, 110.
3) Napoleon I And Freemasonry: A.R.C. Transactions of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P110.

وتاريخياً كان وصول نابليون إلى مالطا في يوم ٩ يونيو سنة ١٧٩٨م، وكانت تحت سيطرة منظمة فرسان القديس يوحنا الأورشليميKnights Of Saint John Of Jerusalem، وكان نابليون في طريقه إلى مصر، قائداً للحملة الفرنسية عليها، وهي الحملة التي كان نابليون نفسه هو الذي اقترحها على حكومة الديركتوار Directoire، وهي الحكومة الإدارية التي أنشأتها الجمهورية الفرنسية سنة ١٧٩٥م، وكانت تتكون من رؤساء الهيئات الخمس التي تمثل الحكومة أو السلطة التنفيذية.

ونابليون أيضاً هو الذي وضع للحملة الغلاف الذي تقرأه في كتب التاريخ من الطراز الأمبريقي في بلاليص ستان، وهو أن الهدف منها قطع طريق إنجلترا إلى الهند، والوصول إليها لعقد حلف مع أمرائها في مواجهة بريطانيا، وهو الغلاف الذي لا يوجد أي شيء في سيرة الحملة ووجهتها وسياساتها وما تلاها من آثار يدل عليه، لأن ثمة هدفاً آخر حقيقياً تم تخبئته في هذا الغلاف، وسوف نحيطك به علماً عما قليل.

يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في الجزء الأول من كتابه: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، إن فكرة غزو مصر اختمرت في ذهن نابليون إبان حملته على إيطاليا، فأرسل رسالة في يوم ١٦ أغسطس سنة ١٧٩٧م، وهو ما زال في إيطاليا، إلى حكومة الديركتوار، يقول فيها:

"إن المواقع التي نحتلها على شواطئ البحر المتوسط تجعل لنا السيادة على هذا البحر ... ويمكننا أن نحرم إنجلترا مزايا سيادتها في الأوقيانوس الأعظم، فإذا كانت تنازعنا طريق رأس الرجاء الصالح في مفاوضات ليبل، فلنتجاوز عنه ونحتل مصر، فسيكون لنا فيها الطريق المفضي إلى الهند، ويسهل علينا أن ننشئ فيها مستعمرة من أجمل مستعمرات الدنيا، فإذا أردنا أن نهاجم إنجلترا فلنهاجمها في مصر"[١].

---

١) المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج١، ص٦٧، مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

ونذكرك أن حملة نابليون على إيطاليا هي التي تم تكريسه في أثنائها في الماسونية لأول مرة، وأن من يحيطون به من قادة الحملة وأصدقائه كانوا جميعاً من الماسون، وطريق انجلترا إلى الهند إبان الحملة الفرنسية، لم يكن يمر بمصر ولا علاقة له بالبحر المتوسط، فلم تكن قناة السويس قد حُفرت بعدُ، وطريق انجلترا البحري إلى الهند كان يدور حول سواحل إفريقيا، فيمر بالمحيط الأطلبطي ورأس الرجاء الصالح والمحيط الهندي، وفرنسا لم يكن لها قوة بحرية ولا قواعد تمركز للأساطيل في الشرق تمكنها من منازعة أساطيل بريطانيا في هذه المحيطات والبحار الشاسعة، ولو كانت تملكها لكان أولى بها أن تقطع طريق رأس الرجاء الصالح الذي تمر به سفن شركة الهند الشرقية البريطانية من بدايته في المحيط الأطلنطي الذي تطل عليه فرنسا.

فهاك المؤرخ الفرنسي هنري لورنس يخبرك باستراتيجية نابليون وهدفه الحقيقي، في كتابه: الحملة الفرنسية على مصر:

"ظل بونابرت يزعم طوال حياته، أنه كان يستهدف إما الهند، أو إمبراطورية الشرق، أو العودة إلى فرنسا عن طريق القسطنطينية/إسطنبول ... والهدف الأول، علاوة على القضاء على خطر الجيوش العثمانية، هو تمزيق الإمبراطورية نفسها، على الأقل في جزئها الآسيوي"(١).

وإخفاء الأهدف والغايات الحقيقية في أغلفة وتمويهها في أهداف أخرى، وتسجيلها في الأوامر والقرارات، وتصديرها لعموم الناس وللتاريخ ومن يدونونه، بل ولأتباعهم وأعوانهم ومن تحت إمرتهم من الماسون وغير الماسون، هو شأن قادة الماسون ورجال الحركات السرية في كل ما يدبرونه في كل الأماكن والأزمان، لكي يظل ما يفعلونه غير مرصود، ولكي يتمكنوا من الحفاظ على المسار الذي يكافحون ويتوارثون الكفاح من أجل إتمامه.

---

١) هنري لورنس وآخرون، المؤرخ: الحملة الفرنسية في مصر، ص٣٣٣، ٣٣٦، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

وفي سنة ١٧٩٩م، حصل نابليون على الدرجة الثالثة في الماسونية، درجة الأستاذ، وكان حصوله عليها في مصر، وفي مسجد!

يقول توكيت إن معظم قادة الحملة الفرنسية على مصر كانوا أعضاء في المحافل العسكرية لتنظيم فيلادلفي أو جمعية الإخوة المتحابين Philadelphes Of The Army.

وأخوية فيلادلفي منظمة ماسونية أنشأها الكونت فرانسوا أني دي أرميزان François Anne De D'Armissan، سنة ١٧٧٩م في مدينة ناربون Narbonne، وكانت إحدى الحركات التي اشتركت في الثورة الفرنسية، ولم تكن تابعة للشرق الأعظمGrand Orient De France ، بل لمحفل فرنسا الأعظم Grande Loge De France، وتنتمي للماسونية الإيكوسية Rit Ecossais، أو الطقس الاسكتلندي القديم Primitive Scottish Rite.

ويقول توكيت إن:

"تنظيم فيلادلفي انتشر بسرعة هائلة بين ضباط الجيش الفرنسي بعد الثورة، وصار قوة كبيرة فيه، ومعظم ضباط الحملة على مصر وقادتها كانوا من أعضاء المحافل العسكرية للتنظيم، وكليبر Kleber كان واحداً منهم، وفي ١٠ فبراير سنة ١٧٩٩م حصل نابليون المبجل على الدرجة الثالثة، وقد منحه إياها رئيس محافل فيلادلفي العسكرية Chief Of Philadelphes، وتم التكريس في اجتماع احتفالي عقده المحفل في مسجد شهير في القاهرة Celebrated Mosque In Cairo"(١).

ولم يذكر توكيت اسم المسجد الشهير الذي تم تكريس نابليون فيه، وهو في الغالب مسجد الظاهر بيبرس، لأن الفرنسيين نصبوا فيه مدافع بعد احتلال القاهرة وحولوه إلى قلعة ومقر لقيادة الحملة، وأطلقوا عليه اسم: حصن سولكفسكي، وهو أكبر مسجد في القاهرة بعد مسجد أحمد بن طولون، ويقع على مساحة ثلاثة أفدنة.

---

1) Napoleon I And Freemasonry: A.R.C. Transactions of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P110-111.

وتصف الوثائق رئيس محافل فيلادلفي العسكرية، الذي قام بتكريس نابليون ومنحه الدرجة، دون أن تحدد اسمه ومن يكون بالضبط، ويُرجح توكيت أنه الجنرال جاك جوزيف أوديه Jacques Joseph Oudet، لأنه كان أحد قادة الحملة على مصر، وهو في الوقت نفسه الأستاذ الأعظم للمحافل العسكرية.

وينقل توكيت عن كتاب: تاريخ الحركات السرية في الجيش تحت حكم نابليون Une Histoire Des Sociétés Secrètes Dans L'Armée Sous Napoléon، للماسوني شارل نوديه Charles Nodier، والذي طبع سنة ١٨١٥م، أن تنظيم فيلادلفي العسكري هو الذي كان خلف عودة نابليون من مصر إلى فرنسا، بعد عدة هزائم للجيوش الفرنسية في أوروبا، للاستفادة من قدراته العسكرية والتنظيمية الكبيرة، ولكي يسهم بشهرته ونفوذه بين الضباط في الانقلاب الذي كانت تدبر له محافل فيلادلفي للإطاحة بحكومة الديركتوار، والمعروف تاريخياً بانقلاب ١٨ بروميه Coup D'Etat De 18 Brumaire، ويوافق ٩ نوفمبر سنة ١٧٩٩م، وانتهى بتصعيد نابليون ليصبح قنصل فرنسا الأول وحاكمهاالمطلق والقائد العام لجيوشها، والقنصل الثاني هو جان جاك دي كامباسِرس، الأستاذ الأعظم للشرق الأعظم الفرنسي، ثم مستشار نابليون ويده اليمنى بعد أن صار الإمبراطور.

وفي مذكرات الإمبراطورة جوزفين Memoires De L'Imperatricce Josphine أن نابليون انضم وهو في القاهرة أيضاً إلى طقس المصريين Secte Des Egyptiens.

والطقس المصري في الماسونية Rite Of Misraim أنشأه في ثمانينيات القرن الثامن عشر كاجليو سترو Cagliostro، وبعض مؤرخي الماسونية يرى أن الطقس كان خاملاً وكاجليو سترو أحياه، وكاجليو سترو هو الاسم المستعار لليهودي جوزيف بلسامو Joseph Balssamo، وكان عضواً في جميع المنظمات السرية في وقت واحد، منظمة فرسان مالطا والإليوميناتي ومحفل انجلترا الأعظم والشرق الأعظم الفرنسي.

وبعد قدوم الحملة تحالف الطقس المصري مع محافل تنظيم فيلادلفي العسكرية، وصار عوناً وعيناً لها في مصر، وقاموا بتكوين محافل مشتركة فيها، لأن الطقس المصري، كما يقول توكيت، كان موجوداً في مصر وعاملاً فيها وله محافل من قبل قدوم حملة نابليون إليها!

وفي رسالة للجنرال بيرون Pyron، وهو أحد قادة الماسون في جيش نابليون، أن:

"رغبة نابليون بعد أن صار إمبراطور فرنسا كانت هي الدافع نحو الاتحاد بين الشرق الأعظم الفرنسي، وهو جسم الماسونية الرئيسي فيها، وبين محفل فرنسا الأعظم الذي تتبعه محافل فيلادلفي التي كان نابليون وقادة جيشه من أعضائها"[١].

وبعد أن صار الإمبراطور، ووضع الماسونية في الإمبراطورية تحت حمايته، وتم تنصيب أخيه جوزيف أستاذاً أعظم للشرق الأعظم، منح الشرق الأعظم نابليون الدرجة الثالثة والثلاثين الشرفية، في محفل مارسيليا.

وللماسوني الفرنسي فولتير Voltaire عبارة على لسان بطل روايته الفلسفية: جانو وكُولا Jeannot et Colin، يقول فيها إن التاريخ ليس سوى أكاذيب تم الاتفاق عليها L'Histoire n'est qu'une Fables Convenue، وكان نابليون يردد هذه العبارة كثيراً ويقول إن التاريخ مجموعة من الأكاذيب الملفقة.

ونابليون نفسه هو أكبر نموذج على ذلك، فنابليون الماسوني هذا، وراعي الماسونية وحاميها، والماسون عماد جيشه ومستشاروه، وأخوته قادة الماسونية بمباركته، إذا ذهبت إلى أي كتاب من كتب التاريخ من الطراز الأمبريقي، ستجد أن نابليون يُصنف فيها على أنه من أعداء الماسونية!

1)Napoleon I And Freemasonry: A.R.C. Transactions of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P104.

نابليون واليهود

ومن نابليون الماسوني إلى نابليون واليهود.

ومرة أخرى، إذا رجعت إلى كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، ستعرف أن إعلان حقوق الإنسان والمواطن، وقوانين المواطنة التي أصدرتها الجمعية الوطنية عقب ثورة الماسون في فرنسا، كان هدفها الحقيقي تحرير اليهود في فرنسا.

ثم جاء نابليون ليخطو الخطوة التالية في المسار اليهودي والماسوني لفرنسا، وفي كل مكان وصل إليه نابليون بجيوشه، كانت إحدى الرسائل التي تحملها تحرير اليهود من القيود التي تقيدهم بها الكنيسة، وإخراجهم من الجيتو، وفتح المجتمعات أمام حركتهم، فقام بإصدار مراسيم بإلغاء الجيتو اليهودي في أنكونا وروما وفينيسيا وفيرونا وجنوا وبادوا، وفي مدن ألمانيا وإسبانيا، وكان أول عمل يقوم به بعد استيلائه على أي مدينة هو فتح الجيتو وتحرير اليهود ووضعهم تحت حمايته.

وفي دراسته: نابليون واليهود Napoleon And The Jews، التي عرضها في المؤتمر الدولي لجمعية نابليون الدولية، في أليساندريا/الإسكندرية Allessandria في إيطاليا، في يونيو سنة ١٩٩٧م، يقول المؤرخ اليهودي بن فيدر Ben Weider، إن:

اليهود في الجيتو كانوا يستقبلون جيش نابليون بابتهاج شديد Overjoyed، لأنه كان يختار الجنود الذين يرسلهم لفتح الجيتو من اليهود"[١].

وفي سنة ١٨٠٤م أمر نابليون بتشكيل لجنة لوضع القانون المدني الفرنسي Code Civil Des Français، والذي يُنسب لنابليون: قانون نابليون Code Napoléon، وهو أيضاً القانون الذي استلهمه من أنتجهم المسار اليهودي الماسوني لمصر من المشرعين ورجال

---

1) Ben Weider: Napoleon And The Jews, P7, Conference Given At International Congress Of The International Napoleonic Society Allessandria, Italy, June 21-26, 1997.

القانون، وقاموا بوضع القانون المدني/العلماني بمحاكاته، وهو القانون الذي يدرس في جامعات بلاليص ستان ويحكمها إلى يومك هذا.

واللجنة التي اختارها نابليون ووضعت القانون المدني الفرنسي، الذي استلهمه القانون المدني في بلاليص ستان، كان يرأسها مستشار نابليون ويده اليمنى، ورأس الماسون في فرنسا والأستاذ الأعظم للشرق الأعظم الفرنسي، جان جاك كومباسِرس!

فهلا أدركت من يكون الماسوني الحقيقي والأصيل في بلاليص ستان!

وقانون نابليون انتقل بتحرير اليهود خطوة أخرى، ويقول بن فيدر إنه كان نقطة تحول Turning Point في حياة اليهود والمجتمعات اليهودية في أوروبا، إذ بناءًا عليه تساوى اليهود مع الكاثوليك كمواطنين مساواة تامة، وصار لهم الحق في العمل السياسي، وفي التملك وحرية التنقل والعمل، وتم الاعتراف باليهودية كديانة رسمية في فرنسا.

وقد تقول ببراءتك منقطعة النظير: وماذا في ذلك، أليست المساواة بين البشر وعدم التمييز بينهم في الحقوق بسبب العقائد غاية نبيلة، والإسلام نفسه منح أهل الكتاب حقوقهم ومنع ظلمهم؟

ونذكرك بما أخبرناك به سابقاً، وهو أن الهندسة الإسلامية للمجتمعات وعلاقتها بالسلطة، هندسة المعيار والميزان، تحمي اليهود وغير اليهود، وتحفظ لهم حقوقهم، ولكنها في الوقت نفسه تقيدهم، وهي سد منيع أمام امتطائهم للمجتمعات والسيطرة عليها.

أما في ظلال هندسة الكتل والأعداد، فتحرير اليهود وإطلاقهم في المجتمعات باسم الحرية والمساواة يعني استيطانهم لأذهان عموم الناس بالاقتصاد والإعلام، ووضع المجتمعات والسلطة معاً تحت سرجهم، وهو ما حدث فعلاً في مصر، وقبلها في فرنسا وأوروبا كلها.

وحين أصدر نابليون قوانينه المدنية، واجهته معارضة عنيفة، وبعض من عارضوه دعوا إلى إخراج اليهود من فرنسا، لأن جُل اليهود، وهم مقيدون ومن قبل إطلاقهم، كانوا يتحكمون في

المجتمع الفرنسي من خلال البنوك وبيوت المال والقروض بالربا، وجُل الطبقات الوسطى في المدن، والمزارعون في القرى، خصوصاً في مناطق الألزاس واللورين التي يتركز فيها اليهود، كانوا مدينين للمرابين اليهود، والحكومة الفرنسية ونابليون نفسه كان يدير الدولة ويمول حروبه بالاقتراض من البنوك وبيوت المال اليهودية.

وكان رد نابليون على هذه المعارضة والدعوات تصريحاً يقول فيه:

"لن أقبل أي اقتراح بإجبار الشعب اليهودي على ترك فرنسا I will Never Accept Any proposals That Will Obligate The Jewish People To Leave France، وبالنسبة لي اليهود مواطنون، ولهم من الحقوق مثل ما لأي مواطن في فرنسا"[1].

وفي سنة ١٨٠٧م، وبدعوة من نابليون وتحت رعايته، انعقد السنهدرين الأعظم أو مجمع الربانيين اليهود Grand Sanhedrin، لأول مرة في التاريخ منذ سقوط الهيكل الثاني سنة ٧٠م.

ويقول مؤرخ اليهود اليهودي الألماني هينريش جريتز Heinrich Graetz، في الجزء الخامس من كتابه: تاريخ اليهود History Of The Jews، إنه في ٣٠ مايو سنة ١٨٠٦م أصدر نابليون مرسوماً بتكوين جمعية من وجهاء اليهود في فرنسا وإيطاليا Assembly Of Notables، لكي يجتمعوا في باريس من أجل مناقشة وضع اليهود في فرنسا، ومعرفة موقفهم من القوانين المدنية، وتكوين مجلس أعلى لليهود يمثلهم عند الدولة وتكون قراراته ملزمة لجميع اليهود في الإمبراطورية.

وفي ٢٦ يوليو سنة ١٨٠٦م اجتمع ثمانية وأربعون من الربانيين وثلاثة وعشرون من وجهاء اليهود في باريس، وتكونت باجتماعهم الجمعية التمثيلية لليهود، برئاسة أكبر الربانيين سناً، الحاخام سولومون ليبمان Solomon Lipmann، وتم منحها مقراً في دار البلديةDe Ville Hotel.

---

1) Napoleon And The Jews, P11.

ويقول جريتز إنه مع بدء جلسات الجمعية التمثيلية لليهود:

"وصلت إلى الجمعية رسالة مذهلة من نابليون Surprising Message، ملأت قلوب المجتمعين بالبهجة الممزوجة بالدهشة Joyful Astonishment، فقد اقترح الإمبراطور في رسالته أن تقوم الجمعية بالدعوة لإحياء السنهدرين العظيم وانعقاده، وهو الذي كان يملك وحده السلطة العليا على شعب إسرائيل، وانهار ولم ينعقد منذ سقوط الهيكل، وأن تقوم الجمعية بإعلام المجامع اليهودية Synagogues بانعقاد السنهدرين، لتكون قراراته ملزمة لها ولجميع اليهود في أوروبا"(١).

وبناءًا على اقتراح نابليون ورسالته المذهلة، وفي ٦ أكتوبر سنة ١٨٠٦م، نشرت الجمعية التمثيلية العليا لليهود الدعوة التي صاغتها بعدة لغات، العبرية والفرنسية والإيطالية والألمانية، ووجهتها للتجمعات اليهودية في كل مكان من الإمبراطورية، تدعوها لاختيار ممثليها من الربانيين ورؤوس اليهود، من أجل عقد السنهدرين العظيم تحت رعاية نابليون العظيم.

واستقبل اليهود في كل مكان من فرنسا وإمبراطورية نابليون أنباء تكوين الجمعية التمثيلية لليهود، والدعوة لإحياء سنهدرين أورشليم العظيم وانعقاده، بابتهاج وفرح غامر، وتحول نابليون إلى بطل لليهود، ويقول المؤرخ اليهودي المجري فرانز كوبلر Franz Kobler، في كتابه: نابليون واليهود Napoleon And The Jews، إن مترنيخ Metternich، وزير خارجية النمسا ثم مستشارها الشهير، وصل إلى باريس في يونيو سنة ١٨٠٦م، قنصلاً للنمسا، فسجل في أول تقرير له لوزير الخارجية الكونت ستانديون Count Standion، عن أحوال فرنسا، في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٠٦م، أن:

"جميع اليهود في فرنسا يتطلعون لنابليون على أنه مسيحهم المخلص/الهامشيحاه As Their Messiah، ويقرنونه بقورش العظيم Cyrus The Great"(٢).

---

1) Heinrich Graetz: History Of The Jews, Vol.5, P493 , Jewish Publication Society Of America, Philadelphia, 1895.
2) Franz Kobler: Napoleon And The Jews, P164, Schocken Books, Prague, 1976.

وقورش العظيم هو ملك فارس الذي حرر اليهود من السبي، وفي سفر عزرا أنه أصدر مرسوماً سمح فيه لعزرا ونحميا بجمع اليهود والعودة بهم إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل، وزودهم بالمال والجنود لإتمام ذلك.

"١وَفِي السَّنَةِ الأُولَى لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ عِنْدَ تَمَامِ كَلاَمِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا، نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَبِالْكِتَابَةِ أَيْضًا قَائِلاً: ٢«هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: جَمِيعُ مَمَالِكِ الأَرْضِ دَفَعَهَا لِي الرَّبُّ إِلهُ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا. ٣مَنْ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبِهِ، لِيَكُنْ إِلهُهُ مَعَهُ، وَيَصْعَدْ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا فَيَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ"(١).

واعترافاً بفضل نابليون على اليهود، وابتهاجاً بالعمل الدؤوب من أجل الترتيب لانعقاد السنهدرين، والاعتراف باليهودية ديانة رسمية، رسم الرسام اليهودي الفرنسي فرانسوا كوشيه Francois Couchet، لوحة يخلد فيها تاريخ صدور مرسوم نابليون بتكوين جمعية تمثيلية لليهود، ويصور فيها امتنان اليهود لنابليون وتعظيمهم له في وجود المينوراه أو الشمعدان اليهودي، فهاك هي:

NAPOLÉON LE GRAND,
rétablit le culte des Israélites, le 30 Mai 1806.

لوحة نابليون العظيم يعيد سنهدرين بني إسرائيل للرسام اليهودي الفرنسي فرانسوا كوشيه.

---

١) عزرا: ١: ١-٣.

وانعقد السنهدرين العظيم، بحضور مائة وأحد عشر من الربانيين وزعماء اليهود في فرنسا وإيطاليا والمانيا وإسبانيا، برئاسة الرباني التلمودي جوزيف دافيد سنزهايم Joseph David Sinzheim، حاخام ستراسبورج، وظل منعقداً شهراً كاملاً، من ٩ فبراير إلى ٩ مارس سنة ١٨٠٧م.

وافتتح الربانيون الجلسة الأخيرة للسنهدرين العظيم بسيدور סדור Siddur، وهي صلاة عبرية نظموها في تمجيد نابليون، ثم طبعت في المطبعة الإمبراطورية لتتم تلاوتها في معابد اليهود في فرنسا وإيطاليا، وكان عنوانها: صلاة بني إسرائيل من أجل مجد قائد جيشنا، الإمبراطور نابليون العظيم Prayer Of The Children Of Israel For The success And Prosperity Of Our Mater's Army The Emperor, Napoleon The Great، فهاك فقرات منها:

"نتوسل إليك يا خالق السموات والكون ومن فيها ... كم كان فضلك علينا عميماً حين وضعت نابليون العظيم على عرش فرنسا وإيطاليا، فلا أحد غيره كان يستحق هذا المجد والشرف، فهو يرعى شعبه بعطف وإخلاص، فأنعم عليه بعطفك، واحمه في المعارك من أعدائه، وانصره على من يعارضونه، حتى يعم السلام ... نتوسل إليك يا إلهنا العظيم أن تُعينه وتكون معه بيدك الرحيمة، وأن تحميه من الشرور، وترسل له نوراً يهديه إلى الحق، ويخبره أنك أنت خلاصه Tell him I Am Your Salvation"[1].

وبمناسبة انعقاد السنهدرين تم ضرب ميدالية فضية تذكارية حكومية، على أحد وجهيها نابليون، وعلى الآخر اثنان من الربانيين وعبارة السنهدرين العظيم، فهاك هي:

---

1) Napoleon And The Jews, P16.



الميدالية التذكارية التي تم ضربها في عهد نابليون بمناسبة انعقاد السنهدرين اليهودي لأول مرة منذ سقوط الهيكل سنة ٧٠م.

وفي سنة ١٨٠٨م أصدر نابليون مرسومين، أحدهما بإنشاء الكونسيستوار المركزي لليهود Consistoire Central Des Israélites، وهو مجموعة من المجالس الكنسية في فرنسا، تتكون من الربانيين ووجهاء اليهود، لها الولاية على اليهود والشئون اليهودية، تحت إشراف مجلس كنسي مركزي، يمثل اليهود عند الدولة، والمرسوم الثاني لتحديد وضع اليهود في الإمبراطورية.

ويقول المؤرخ اليهودي جريتز إن مراسيم نابليون التي استكملت تحديد علاقة اليهود بالدولة:

"صاغها نابليون بمساعدة رجال الدولة بينو Beugnot، ويوهان فون ميللر Johannes Von Mliller، ودوهم Dohm، ولكونهم أصدقاء لليهود Being Friends Of The Jews جعلوا تحريرهم محور هذه المراسيم"[1].

ومراسيم نابليون التي صاغها أصدقاء اليهود، واستندوا فيها إلى قوانين نابليون التي وضعتها اللجنة التي كان يرأسها رأس الماسون في فرنسا كامباسِرس، هي التي استكملت تحرير اليهود، ومنحتهم حرية التنقل والتجارة وممارسة العمل السياسي، وصارت بها اليهودية ديانة رسمية في فرنسا.

---

1) History Of The Jews, Vol.5, P500.

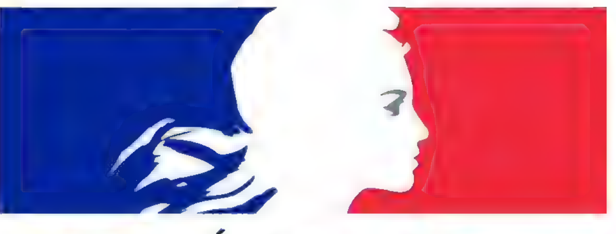
وفي الوقت نفسه كان يتم استكمال تحرير اليهود ميدانياً في كل بلدان أوروبا الواقعة تحت نفوذ نابليون، ويحكمها إخوته ونوابه، ومنحهم الحقوق التي تم إقرارها لهم في فرنسا.

ويوجز لك ما فعله نابليون لليهود عبارة لموسوعة ويكيبيديا اليهودية، في دراسة لها عن: نابليون واليهود Napoleon And The Jews، تقول فيها:

"وآثار نابليون على اليهود تتجاوز كثيراً ما هو مدون في مراسيمه بشأنهم، إذ بتطبيقه لمبدأ المساواة الذي أرسته الثورة الفرنسية، في كل بلد تصل إليه جيوشه، أسهم في تحرير اليهود بما لم يفعله أحد في القرون الثلاثة السابقة عليه Achieved More For Jewish Emancipation Than Had Been Accomplished During The Three Preceding Centuries"(١).

والحرية والمساواة والإخاء Liberté, Egalité, Fraternité، شعار الثورة الفرنسية، مقصودها الحقيقي، لم يكن الحرية لجميع البشر ولا المساواة بينهم، كما يتوهم البقر في بلاليص ستان، بل أن تكون غلافاً لتحرير اليهود وإطلاقهم في المجتمعات ووضعها بين أنيابهم ومخالبهم الناعمة غير المرئية.

وشعار الثورة الفرنسية، الذي هو محور قوانين نابليون ومراسيمه، هو نفسه الشعار الرسمي للجمهورية الفرنسية Emblème Officiel، وهو نفسه شعار الماسونية، فهاك هو على علم فرنسا:



الشعار الرسمي للجمهورية الفرنسية، حرية، مساواة، إخاء، وهو نفسه شعار الماسونية.

---

1) Wikipedia, The Free Encyclopedia: Napoleon And The Jews.

ونابليون، مثل كل الماسون ومن نشأوا في حواري اليهود، دجال، وما يرفعه من شعارات غير ما يريده فعلاً، فليست سوى أغلفة يخبئ فيها غاياته، فقد زعم في قوانينه أن جميع الديانات سواء، وأن أتباعها مواطنون ليس بينهم تفرقة، ليجعل ذلك غلافاً لتحرير اليهود وإطلاقهم في المجتمعات الأوروبية، ثم وفي الوقت نفسه الذي كان يجمع فيه الربانيين اليهود ويقوم بإحياء السنهدرين الأعظم، كانت جيوشه تغزو الفاتيكان وتعتقل البابا.

في سنة ١٨٠١م أجبر نابليون، وهو إذ ذاك القنصل الأول لفرنسا، البابا بيوس السابع Pius VII على قبول اتفاق ينص على أن الكاثوليكية هي ديانة معظم مواطني فرنسا، لكنها ليست ديانة رسمية للدولة، ويمنح البابا حق تعيين الأساقفة، وأن تمنحهم الدولة رواتب في مقابل أن يقسموا على الطاعة لها.

وفي سنة ١٨٠٥م، إبان حملة اوسترليتز Austerlitz، في المجر، والتي شنها في مواجهة تحالف بين جيشي بريطانيا والنمسا، أرسل نابليون قائده المركيز جوفيو دي سان سيرGouvion de St. Cyr، على رأس جيش لاحتلال ميناء أنكونا Ancona على الشاطئ الإيطالي لبحر الأدرياتيك شمال روما، تحسباً لوصول الأسطول البريطاني إليها، وكانت تابعة للدولة البابوية، وهي أول مدينة يحرر نابليون يهودها ويخرجهم من الجيتو.

وأرسل البابا بيوس السابع رسالة غاضبة إلى نابليون يطالبه فيها بسحب قواته من أنكونا، وإعادة الأوضاع فيها إلى ما قبل غزوها، فرد عليه نابليون برسالة أعنف، يقول له فيها إن البابا له السيادة على روما روحياً، لكنه الإمبراطور، وإيطاليا جزء من إمبراطوريته، وله السيادة عليها سياسياً وعسكرياً، وطالب نابليون البابا بعدم استقبال مبعوثي بريطانيا وروسيا، وكان رد البابا رسالة يقول فيها إن البابا له السيادة المطلقة في دولته والمناطق التابعة لها، وأنه لا توجد قوة أعلى منه فيها، وليس لأي إمبراطور سلطة عليها.

وبعد سنوات من الرسائل الغاضبة، وبعد امتناع البابا عن رسم الأساقفة الذين يختارهم نابليون، أرسل نابليون قواته في شهر أبريل سنة ١٨٠٨م لاحتلال جميع المدن والمناطق التابعة للبابا، وإعلان ضمها لمملكة إيطاليا التابعة لفرنسا، وفي شهر مايو سنة ١٨٠٩م أصدر

نابليون مرسوماً بضم روما إلى الإمبراطورية، وقصر سلطة البابا على قصور الفاتيكان، وفي ١٠ يونيو سنة ١٨٠٩م رد البابا على مرسوم نابليون بمرسوم بابوي بحرمان كل من يتطاول على البابا ويتمرد على سلطته المقدسة، وفي ١٩ يونيو سنة ١٨٠٩م أرسل نابليون رسالة إلى الجنرال مورا Murat، قائد قواته في روما، باعتقال كل من يتمرد على قوانينه ويمتنع عن تنفيذها ولو كان في القصر البابوي.

وبالفعل، وفي ليلة ٦ يوليو سنة ١٨٠٩م، اقتحمت قوة فرنسية بقيادة الجنرال راديه Radet قصر البابا واعتقلته مع اثنين من الكاردينالات، وأُرسل البابا بيوس السابع إلى فرنسا، فظل معتقلاً في سافونا Savona إلى سنة ١٨١٢م، ثم نُقل منها إلى فونتنبلو Fontainebleau، وظل فيها إلى أن سقط نابليون وإمبراطوريته سنة ١٨١٤م، فعاد إلى بابويته، وكان أول ما فعله أن أصدر مرسوماً بإعادة الجيتو وإعادة اليهود إليه، وأن تغلق أبوابه عليهم مع غروب الشمس!

ومرة أخرى، نابليون محرر اليهود ومسيحهم المخلص، والذي فعل لهم ما لم يفعله أحد لهم منذ عصر النهضة، الذي وضعت بذوره أسرة دي مديتشي، وهي من اليهود الأخفياء، والذي نقلهم من الجيتو إلى أنسجة المجتمعات الأوروبية، نابليون هذا ستجده في الأكاذيب الملفقة التي يكتبها المؤرخون من الطراز الأمبريقي من أعداء اليهود!

وما رأيته في سيرة نابليون من علاقته باليهود والماسونية، وما فعله لهم ولها، والخطوة الكبرى التي خطاها بالمسار اليهودي الماسوني، ثم تصنيفه في كتب التاريخ من الطراز الأمبريقي على أنه من أعداء اليهود والماسون، وأنهم هم من كانوا خلف الإطاحة به وإسقاط عرشه، ستجد نسخة منه في سيرة هتلر في كتابنا: النازية واليهود والحركات السرية، وسيرة بطلك، ثاني الآتين من الخلف، وموحد التنظيمات الشيوعية، ليست سوى نسخة ثالثة من سيرة هذا وذاك.

فنابليون، في موقعه من المسار اليهودي الماسوني، وما يبدو في علاقته باليهود والماسون من غرائب ومتناقضات، هو نفسه هتلر وأتاتورك، وهو نفسه الآتين من الخلف في بلاليص ستان.

فهم جميعاً إما من اليهود الأخفياء، أو نشأوا وتكون بناؤهم الذهني والنفسي في معامل اليهود لاستكشاف النابهين وذوي الطموح والطاقات وصناعة الآتين من الخلف، ومنهم من جمع بين السيئتين، فنابليون نشأ في كورسيكا، وهي إحدى حواري اليهود في إيطاليا ثم صارت تابعة لفرنسا، وهتلر يهودي الأب، وأتاتورك يهودي دونمي وابن سالونيكا حارة اليهود في الدولة العثمانية، وأول الآتين من الخلف وثانيهم وثالثهم يهود الأم ونبتوا في حواري اليهود.

وجميعهم تخرجوا من حواري اليهود إلى أحضان الحركات السرية التي قلبها ونواتها اليهود، ليستكملوا تعبئة أدمغتهم وصناعة نفوسهم طبقاً لمواصفاتهم القياسية، فنابليون كان عضواً في إحدى فروع منظمة الإليوميناتي في فرنسا، ثم في الماسونية، وهتلر كان عضواً في جمعية تول Thull الماسونية، وأتاتورك كان عضواً في محفل فريتاس، وثاني الآتين من الخلف كان حِذاءًا في تنظيم حدتو الشيوعي.

وكلهم صعدوا إلى السلطة في أتون أزمات عارمة وفوضى هائلة، كان اليهود والماسون من دبروا لها ودفعوا الأحداث إليها، لتكون قنطرة تصعيدهم إلى رأس السلطة ووضع المقاليد في أيديهم، فنابليون صعد إلى رأس السلطة في فرنسا بتدبر من محافل فيلادلفي العسكرية، وهتلر اشترك في تمكينه من الوصول إلى رأس السلطة في ألمانيا اليهود والماسون في ألمانيا والولايات المتحدة، وتفصيل ذلك تجده في كتابنا: النازية واليهود والحركات السرية، وأتاتورك وثاني الآتين من الخلف، قصتهما في كتابنا: الوحي ونقيضه، وهذا الكتاب الذي بين يديك هو كله عن أول الآتين من الخلف.

وجميعهم بعد أن صاروا في السلطة خاضوا معارك مع كل ما في المجتمع من قوى وتيارات وجماعات وجمعيات، لكي يحوزوا السلطة حيازة مطلقة، ويسيطروا على أنسجة المجتمع سيطرة تامة، ويحتلوا وعي كتل العوام، ويَحلوا فيها محل العقائد، ويكونوا بتوله العوام فيهم أداة إزاحة المعايير والموازين.

وكلهم بعد أن تحققت هذه الحيازة والسيطرة والاحتلال والإزاحة، توجه نحو الماسونية والجمعيات السرية، فحلها أو قيدها، فتم تدوين سيرتهم عند المؤرخين من الطراز الأمبريقي على

أنهم من أعداء اليهود أو الماسون أو من أعدائهما معاً، فنابليون الماسوني قيد الماسونية في أواخر عهده الإمبراطوري ومنعها من الانخراط في الأعمال السياسية، وهتلر الماسوني ما إن وصل إلى السلطة حل الماسونية والجمعيات السرية التي كانت تجتاح ألمانيا، وأتاتورك الماسوني حل الشرق الأعظم التركي سنة ١٩٣٥م، وثاني الآتين من الخلف الماسوني وموحد التنظيمات الشيوعية حل الجمعيات الماسونية في مصر سنة ١٩٦٤م.

وما ينبغي أن تعلمه أنه من المألوف في تاريخ الحركات السرية، ومن النهج التقليدي لمن يصلون إلى سدة السلطة في أي مكان من العالم من أبنائها، أن يتم طمس صلة هؤلاء الزعماء بهذه الحركات التي أوصلتهم تدبيراتها وأموالها وكفاحها إلى السلطة، وأن يُنسب ما وصلوا إليه في تاريخهم الرسمي إلى قوى أخرى علنية ومقبولة وقابلة للتدوين في الوثائق وكتب التاريخ، وكلها تدور حول الشعب، أو ممثليه، أو جيشه، أو عماله وطبقاته الكادحة.

وذلك لتكون هذه القوى العلنية والهلامية ساتراً للفاعل الحقيقي، لأن هذا الستر وبقاء الفاعل بعيداً عن مسارح الأحداث وما يدونه من عاصروها هو مصدر قوته وما يمكنه من مواصلة المسيرة وإتمام مهمته، وأيضاً لتكون هذه القوى الهلامية وكتلها التي يتغلف بها من وصل إلى السلطة من أبناء الحركات السرية مصدر شرعيته، ويكون ركوبه لها والخطابة الرنانة باسمها ذريعته للقضاء على خصومه وخصوم هذه الحركات.

ومن المألوف في تاريخ الحركات السرية أن تقوم بحل نفسها تلقائياً عند نجاح تدبيراتها ووصولها إلى السلطة، وتتحول إلى جمعيات علنية تحت حماية من وصلوا إلى السلطة من أبنائها.

وعلى أعتاب الثورة كان في فرنسا حوالي ألفي محفل ماسوني، وفي كل محفل لجنة ثورية سرية، وهذه اللجان الثورية هي الفاعل والمدبر الحقيقي لثورة الماسون في فرنسا، وما إن نجحت الثورة واستولى الماسون على السلطة، انحلت اللجان الثورية السرية في المحافل من تلقاء نفسها، وتحولت إلى لجان شعبية علنية تقود كتل العوام وتتكلم باسمهم وتنوب عنهم في الجمعية الوطنية.

وقد يحدث أيضاً أن يختلف من وصل إلى السلطة مع الحركات السرية التي أوصلته لهذه السلطة ويصطدم بها، خصوصاً إذا نازعته هذه الحركات سلطته أو انتابته الهواجس والوساوس أن تطيح به كما أطاحت بغيره وأتت به، مع ما يعلم من سطوتها ونفوذها الذي لا تراه ولا تدركه كتل العوام العمياء، أو لأنه كما أخبرناك من قبل ينتمي إلى دائرة أخرى من دوائر عالم السر والخفاء غير الماسونية، وكان يوظف وجوده في هذه من أجل تلك.

واختلاف أحد هؤلاء مع الحركات السرية وصدامه معها لا يعني أنه ليس منها، لأن المسألة الحقيقية هي أن وعيه وفهمه وموازينه وما يسعى إليه، هو كله من آثارها فيه وثمار التكوين الذي تكونه فيها.

والتكوين الذي كونته الحركات السرية لهم جميعاً، والرسالة التي تملأ بها كل من ينشأ بين أحضانها، ليكونوا بمواهبهم وطاقاتهم أداة بثها وترجمتها في ما ينجزونه من أعمال، محورها زعزعة العقائد والعداء لمسألة الألوهية وإزالة آثارها من النفوس، وطمس ما يرتبط بها من معايير وموازين من المجتمعات، ثم تقديس بني إسرائيل ومحاكاة سيرتهم المقدسة التي حلت فيها الأرض والدماء محل الرابطة العقائدية، وقبل ذلك وبعده القدرة الفائقة على تمويه ما يريدونه، ومزج دوافعهم العميقة وغاياتهم المستقرة في تكوينهم مع أهداف أخرى حقيقية وظاهرية تناسب ما يحيط بهم من ملابسات زمانهم وظروف مكانهم.

فهاك نموذجاً مثالياً في نابليون، الذي يخبرك هو نفسه بما كان يموج في عقله ونفسه مع بداية تكون وعيه بالوجود والحياة.

في دراسته: آراء نابليون عن الدين Napoleon's Views Of Religion، التي نشرها، سنة ١٨٩١م، في دورية شمال أمريكا The North American Review، التي تصدرها جامعة أيوا الشمالية Northern Iowa، ينقل المؤرخ الفرنسي هيبوليت أدولف تين Hippolyte Adolphe Taine، عن مذكرات نابليون:

"من أين أتيتُ، وماذا أكون، وإلى أين سأذهب، مسائل فوق إدراكي، فأنا الساعة التي تدور دون أن تعي نفسها I Am The Watch That Runs, But Unconscious

Of Itself، وهذه الأسئلة التي لا يمكننا الإجابة عليها تقودنا إلى الدين، ونحن نندفع إليه تلقائياً من أجل ذلك، لكن المعرفة تأتي وتُوقفنا، كانت لي عقيدة، ولكن اهتز إيماني عندما بدأت أعقل، وكان ذلك في بواكير حياتي، وأنا في سن الثالثة عشرة، قيل إنني بابوي/كاثوليكي Papist، لكنني لا شئ I Am Nothing، في مصر كنت مسلماً، وهنا سأكون كاثوليكياً، من أجل الشعب، أنا لا أومن بالأديان، ولا في فكرة الإله The Idea Of A God، الخيال هو الذي رسم هذا الاسم العظيم بأساطيره، ورغم ذلك فهي جزء من طبيعة البشر، وعلينا أن نقبلها بشرط أن تبقى في سريرها In Their Own Beds"[1].

وما يخبرك به نابليون عن نفسه في مذكراته، معناه أنه لا يؤمن بالألوهية كحقيقة، بل كوسيلة يوظفها للوصول إلى غاياته، ومن أجل ذلك لا توجد في ذهنه ولا في نفسه أي عوائق أن يرفع راية المسيحية بين المسيحيين، وأن يبدو مسلماً أمام المسلمين، وهذا هو التكوين التقليدي والنموذجي لكل من ينشأ في حارة اليهود أو بين أحضان الحركات السرية.

فإليك فقرات من نص المنشور الذي كتبه نابليون، بعد أن وصل إلى الشواطئ المصرية، وترجمه من يرافقونه من المستشرقين، ثم طبعه ووزعه في أرجاء مصر، مخاطباً شعبها على أنه مسلم، وقاتل البابا من أجل الإسلام، وجاء إلى مصر نصرة للسلطان والخلافة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له ولا شريك له في ملكه، من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية، السرعسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته ... يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم ... أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية وأعيان البلد، قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها

---

1) Hippolyte Adolphe Taine: Napoleon's Views Of Religion, The North American Review, Vol. 152, No. 414, May, P567-568, Published by: University of Northern Iowa, 1891.

الكواللرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء اعدائه أدام الله ملكه"[1].

وقد تسأل: ولماذا تهادن الماسونية نابليون وهتلر وأتاتورك وثاني الآتين من الخلف وهم يحلونها أو يقيدوها؟

والإجابة فيما أخبرناك به آنفاً، فنواة الماسونية والحركات السرية ومن في قلبها، لهم مسار يريدون دفع المجتمعات البشرية فيه، وغاية كل ما يدبرونه من أجل الوصول إليها، ولا يعنيهم فيمن يدفع المسار ويقترب بهم خطوة من غايتهم أن يكون من أعدائهم أو من أوليائهم، وهؤلاء بتكوينهم وبنائهم الذهني والنفسي، وما ملأوهم به من شعارات وغايات وأساليب، ينوبون عنهم في دفع المسار والاقتراب من الغاية.

وإذا أردت معرفة تفسير ما في العلاقة بين صنائع اليهود والماسون وبين اليهود، وما في العلاقة بين اليهود أنفسهم، من متناقضات وغرائب، والتي لا تفسير لها عند المؤرخين من الطراز الأمبريقي، فارجع إلى دراستنا: شفرة سورة يوسف، وهي مقدمة كتابنا: النازية واليهود والحركات السرية.

---

١) المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٤-٥، عن طبعة بولاق، تحقيق: دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.



حملة الماسون على مصر

والآن إلى ما جئناك بسيرة نابليون الماسوني وصلته باليهود من أجله، وهو حملته على مصر، فأنت إذا ذهبت إلى ما كتبه الأميون من المؤرخين من الطراز الأمبريقي غرباً وشرقاً، ستجدهم يغرقون ويُغرقونك في ما رصدوه من تفاصيل مثيرة وسفاسف صغيرة ، تذهلهم ويُذهلونك بها عن فهم حقيقتها والغاية منها، وهي الغاية التي لا يمكن معرفتها وفهمها إلا بإدراك موقع هذه الحملة من المسار اليهودي الماسوني لفرنسا والغرب، ومن المسار اليهودي الماسوني لمصر والشرق، وبمعرفة تكوين نابليون نفسه وموقعه من هذا المسار الماسوني.

وكما أخبرناك من قبل(•)، الطبقة الدنيا من البشر ذهنياً ونفسياً، يتعلقون بالأشخاص، فهم عندهم المعيار والميزان، والتاريخ هو رصد ما يفعلونه وما يقولونه، ومن هم أرقى منهم درجة من الأميين يرصدون الأحداث ويدونون تفاصيلها ويفسرون كل حادثة أو مرحلة بما واكبها من ملابسات وظروف دون انتباه لما حولها، ولا إدراك لصلتها بما كان قبلها وما أتى بعدها.

وأما الصفوة الذهنية والنفسية من البشر، فيرصدون الأشخاص، ويدونون الأحداث، ولكن وعيهم لا يغيب عن المسار الذي يسير فيه الأشخاص ويصنعونه أو يُصنع بهم، وعن الأفكار التي تسري في الأحداث، وهي الروابط غير المرئية بين الأحداث التي تتصل بها ويتكون من خلالها مسار التاريخ، ولا يذهلهم شيء عن المعيار والميزان وعلاقة المسار الذي يتكون به اقتراباً أو ابتعاداً.

وحملة نابليون على مصر لم تكن سوى الخطوة الأولى لشق مسار يهودي ماسوني لمصر وللشرق كله، ودفعها فيه، وهو كما تعلم الآن المسار الذي تحل فيه عقيدة بني إسرائيل القومية محل العقيدة الإلهية، ويُغيِّب المعيار والميزان بالشعارات الجوفاء الرنانة، ويمتطي كتلَ العوام مَن يملك أدوات بثها، وتتحول العلاقات بين البشر إلى مواجهات.

•) راجع كتابنا: ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان.

فحملة نابليون هي الوصلة بين المسار اليهودي الماسوني في الغرب والمسار اليهودي الماسوني في الشرق، وهدفها استكمال إزاحة مسألة الألوهية من العالم وإزالة آثارها من المجتمعات، واستيطان اليهود والحركات السرية لوعي البشر، وسريانهم في أنسجتهم الأخلاقية والاجتماعية، ثم ليكون ذلك أداة تفكيك الشرق وحل روابطه وتحويله إلى محضن لليهود ودولتهم، وصناعة بلاليص ستان التي يتمددون على حسابها، وساستها ونخبها ليسوا سوى حمير يستوطنون رأسها ويصلون إلى غايتهم على ظهورها.

أخبرناك من قبل أن نابليون هو صاحب فكرة الحملة على مصر، وهو أحد رأيين عند المؤرخين التقليديين، والرأي الآخر أن صاحبها شارل موريس دي تاليران Charles Maurice De Talleyrand، وهو إذ ذاك وزير خارجية حكومة الديركتوار، ويصفه هؤلاء المؤرخون بأنه مهندس الحملة على مصر.

وتاليران أعرق في الماسونية من نابليون، وهو من أسرة نبيلة، وإبان حكم الملك لويس السادس عشر كان أسقفاً Autumn، وممثل الكنيسة الكاثوليكية في بلاط الملك، ثم وزير خارجية حكومة الديركتوار، ثم أحد الذين اشتركوا في الإطاحة بها والصعود بنابليون إلى منصب القنصل الأول لفرنسا، وبالماسوني كامباسِرس إلى منصب القنصل الثاني، ثم وزير خارجية نابليون الإمبراطور ورئيس الديوان الإمبراطوري Grand Chambellan في عهده.

والأسقف وممثل الكنيسة في بلاط الملك كان في الوقت نفسه صديقاً لدوق أورليانز، الأستاذ الأعظم للشرق الأعظم الفرنسي، وكان عضواً في محفل الفيلاليتس أو محبي الحق Les Philalethes في باريس، وفي محفل الأصدقاء المتحدين Les Amis Reunis، وهو بؤرة الثورة والمحفل الذي يضم النخبة الثورية، ثم عضو المحفل الإمبراطوريLoge Impérial في عهد نابليون.

وأول ما يجب أن تعلمه بعد ذلك لكي تدرك حقيقة حملة الماسون نابليون وتاليران، أو حملة محافل فيلادلفي الماسونية، أن تمويل الحملة، بل وتمويل جميع حروب حكومة الديركتوار التي خرجت الحملة باسمها، كان قروضاً من بيوت المال والبنوك السويسرية والفرنسية.

والتمويل ومصدر الأموال التي تُصنع بها الثورات، ومن أين تأتي الحكومات المفلسة بالأموال التي تنفق منها على الجيوش والحملات الحربية، أحد الأسئلة التي لا يَرِد على المؤرخين من الطراز الأمبريقي البحث عنها، وما يوجد منها في ما يكتبونه إشارات لا تفهم منها هوية من يمول ولماذا يمول، وهو الفاعل الحقيقي والمستفيد الأول.

إذا رجعت إلى كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، ستجد تفاصيل تمويل الثورة والثوار في فرنسا، وستعرف أنه جاء عبر مجموعة من بيوت المال هي: دنيال إتزج Daniel Itzig في ألمانيا، وديفيد فريدلاندر David Friedlander وهرتز سيرف بير Hertz Cerfbeer في الألزاس في فرنسا، وبنجامين وأبراهام جولد شميت Benjamin And Abraham Goldsmidt ، وموشيه موكاتا Moses Mocatta، وموشيه مونتفيوري Moses Montfiori، وفتيل إفرايم Veitel Ephraim، في إنجلترا، وكلها بيوت مال يهودية.

وبعد الثورة، ثم مع دخول فرنسا ما يسميه المؤرخون عصر الإرهاب سنة ١٧٩٣م، وقيام روبسبير Robespierre وباري Barère بإعدام آلاف الأشخاص في محاكمهم الثورية، انهار اقتصاد فرنسا، وخرجت بيوت المال والبنوك منها إلى سويسرا.

وتسلمت حكومة الديركتوار فرنسا سنة ١٧٩٥م وهي شبه مفلسة، وتعاني من تضخم شديد وفقدان أوراق النقد لقيمتها، وتوقف الإنتاج الزراعي والصناعي، وبطالة مرتفعة، وعدم قدرة على دفع رواتب الموظفين، ومنهم جنود الجيش الذين توقفت رواتبهم منذ عودة نابليون من حملته على إيطاليا سنة ١٧٩٦م، فسمحت حكومة الديركتوار لبيوت المال والبنوك بالعودة إلى باريس والمدن الكبرى، مثل ليون وبوردو ومارسيليا، ليصبح الاقتراض منها هو مصدر الحكومة الوحيد في إدارة الدولة وتمويل جميع أنشطتها المدنية وحملاتها الحربية، فهذه البنوك وبيوت المال هي التي مولت حروب حكومة الديركتوار، ومنها الحملة الفرنسية على مصر.

وفي كتابهما: عالم البنوك الخاصة The World Of Private Banking، الذي تعقبا فيه تاريخ هذه البنوك وأنشطتها، يقول البروفسور يوسف قسيس Youssef Cassis، أستاذ تاريخ

الاقتصـاد في جامعـة جنيـف، وفيليب كوتريـل Philip Cottrell، استاذ تـاريخ التمويـل فـي جامعة ليسستر Leicester، إن:

"أغلب هذه البنوك وبيوت المـال غير فرنسية، وتملكها أسر بروتستانتية، وتقع أصولها في سويسرا، وأكبرها بنك هوتينجر في زيوريخ Hottinger Et Cie، وبنك الإخوة ماليه في جنيـف Mallet Frères Et Cie، وبنـك برّيجـو Perregaux، فـي نيوشـاتل Neuchatel، وبنك ديلسيرت Delessert، في مقاطعة فود Vaud Canton، بالإضافة إلى بعض البنوك التي تملكها أسر يهودية في فرنسا، مثل بنك أسرة فولد Fould، وبنك أسـرة وورم Warm، وكلاهمـا مـن لـورين Lorraine، وأسـرة بيريـر Pereire فــي باريس"[١].

وبعد انقلاب برومييه، الذي أطاح بحكومة الديركتوار، وصار به نابليون قنصل فرنسا الأول، تحالف نابليون مع هذه البنوك من أجل إنقاذ الاقتصاد الفرنسي، وفي سنة ١٨٠٠م تُوج التحالف بينهما بتأسيس بنك فرنسا المركزي Banque De France، الذي تكون باتحاد هذه البنوك، وأصحابها هم الذين وقعوا على قرار إنشائه مع نابليون، ومنحها نابليون حق إصدار النقد في فرنسا، في مقابل تمويل دولته وحروبه، وهي النهاية التقليدية والقصة المكررة في كل أمة تقع بين أنياب اليهود والحركات السرية.

وبالإضافة إلى كتاب قسيس وكوتريل، يمكنك الاطلاع على تفاصيل إنشاء بنك فرنسا، والبنوك المؤسسة له، ومحاضر اجتماعات تأسيسه ومن وقعوا عليها، في الفصل الخاص بأصول بنك فرنسا، في الجزء الثالث، الخاص بتاريخ البنوك في فرنسا، من كتاب: تاريخ البنوك في جميع الأمم الرائدة A History Of Banking In All The Leading Nations، الذي قام على وضعه ثلاثون من خبراء المال والاقتصاد، وأشرفت على تحريره

1) Youssef Cassis, Philip Cottrell: The World Of Private Banking, P244, Routledge Publishing, London, November 28, 2009.

وأصدرته مجلة التجارة والبيانات التجارية The Journal Of Commerce And Commercial Bulletin، في أربعة مجلدات سنة ١٨٩٦م(١).

وما لم يخبرك به قسيس وكوتريل وموسوعة مجلة التجارة عن تاريخ البنوك، أن الأسر التي تملك البنوك السويسرية التي استوطنت مدن فرنسا في عهد حكومة الديركتوار، ثم تحالفت مع نابليون، وتكون بها بنك فرنسا المركزي، والتي وصفوها بأنها بروتستانتية، هي جميعها من أسر الميليشيات السويسرية، وأن رؤوس أموال بنوكها وبنوك سويسرا كلها هي ما تراكم عبر القرون من غنائم هذه الميليشيات.

والميليشيات السويسرية Reisläufer، قوات منظمة من المرتزقة ذوي المهارة الفائقة في القتال، ظهرت في المقاطعات السويسرية أوائل القرن الرابع عشر، وعند بدء ظهورها كانت حكومات المقاطعات تستأجرها للقتال معها في مقابل الغنائم، وبسبب كفاءتها وأسلوبها الفريد في القتال، اشتهرت في القارة الأوروبية كلها، فاستعانت بها حكومات الدول في إيطاليا، ووظفت منها فرقاً كاملة بصفة دائمة بأجور باهظة، وصارت عماد جيوش هذه الحكومات في عصر النهضة، وفي كتاب: الأمير Il Principe ، لميكيافيللي، وهو أحد آثار أسرة دي مديتشي ومن رعاياها، وكتابه كان موجهاً لملكها لورنزو دي مديتشيLorenzo De Medici، في الكتاب باب عن الميليشيات السويسرية ومزاياها وعيوبها وإشارات إلى دورها في المدن الدول الإيطالية، خصوصاً جنوة وفينيسيا/البندقية(٢).

وفي القرون التالية توسع نشاط الميليشيات السويسرية، وتعاقدت معها جيوش إسبانيا وألمانيا وهولندا، وكونت منها فرقاً مستقلة داخلها، وفي فرنسا وصل عدد الميليشيات السويسرية في الجيش عند منتصف القرن الثامن عشر إلى اثني عشر ألف مقاتل، وبعد الثورة زاد عددهم إلى

---

1) Pierre Des Essars: Banking In France, In: A History of Banking In All The Leading Nations, Vol. III, P50-65, Published BY The Journal Of Commerce And Commercial Bulletin, In 4 volumes, Beaver Street, New York, 1896.
2) Niccolò Machiavelli: The Prince, P47-53, Translated Into English By: Luigi Ricci, Humphery Milford, Oxford University Press, London, Glasgow, Edinburgh, New York, Toronto, 1921.

ثمانيــة عشـر ألفـاً، واسـتعانت بهـم حكومـة الـديركتوار فـي حروبهـا، ثـم وقـع معهـم نـابليون الإمبراطور اتفاقية وكانوا ضمن حملاته على إيطاليا وإسبانيا وروسيا.

ومـن الطريـف أنـه فـي الوقـت الـذي كانـت بعـض الميليشـيات السويسـرية تقاتـل فـي جـيش نـابليون، كانـت بريطانيا تسـتأجر بعضـها الآخـر للقتـال ضـده، فاسـتأجرت فرقـاً منـهم للقتـال مـع جيش النمسا ضد قوات نابليون إبان حملة أوسترليتز، وكانوا أيضاً جزءًا من حملة نيلسون على مصـر لمواجهة جيش فرنسـا، ووطَّنت بريطانيا جزءًا منـهم على نفقتها في مالطا بالاتفاق مع منظمة فرسان مالطا.

ومنـذ ظـهورهـا اشـتهرت الميليشـيات السويسـرية بتكتيكـات فـي القتـال تشـبه أسـاليب قـوات الصـاعقة فـي الجيـوش الحديثـة، وتقـوم علـى الانقضـاض والسـرعة والمباغتـة، وتطـوير أسـلحة للقتال لم تكن معروفة من قبل، مثل الرماح Pike والبلطة الطويلة Halberd، فإذا رجعت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية ستعرف أن هذه هي نفسها التكتيكات التي ابتكرتها منظمة فرسان الهيكل، وأن هذا هو أسلوبها في القتال.

ومنظمة فرسان الهيكل كانت أكبر قوة حربية في أوروبا إبان الحروب الصليبية، وأنشأت في مقراتها وكاتدرائياتها أول نظام بنكي وشبكة للإقراض والتمويل في تاريخ الغرب، وسيطرت من خلالها على مقاليد أوروبا، وبعد صدامها مع الملك فيليب الرابع Philipe IV، وحين أمر البابا كليمنت الخامس Clement V بحل المنظمة في ١٣ أكتوبر سنة ١٣٠٧م، كان قد فر جُل فرسانها واختفى أسطولها ووثائقها والثروات التي كنزتها في مقراتها عبر قرنين من الزمان.

وبعـض فرسـان الهيكـل فـي فرنسـا انضـموا إلـى منظمـة فرسـان إسـعاف القـديس يوحنـا Knights Hospitellars Of St.Jhone، وهي المنظمة العسكرية الشبيهة بفرسان الهيكل التي أحال إليها البابا أملاك فرسان الهيكل ومقراتهم، وكثير منهم فروا من معقلهم في فرنسا إلى جبال الألب في سويسرا المتاخمة لفرنسا، وكونوا جماعات مقاتلة في بعض القرى السويسرية.

وفي سنة ١٣٨٦م قاد ليوبولد الأول Leopold I ملك النمسا حملة قوامها خمسة آلاف فارس للاستيلاء على بعض المقاطعات السويسرية، فواجهته مقاومة مسلحة عنيفة من القرويين

السويسريين، وانتهت المواجهة بإبادة الحملة النمساوية على يد ألف وخمسمائة قروي سويسري، في معركة سيمباخ Sempach، وقبل هذه المواجهة لم يكن للسويسريين أي خبرة في القتال ولا معرفة بفنون الحرب وخطط المعارك.

وبعض القصص الشعبية التي شاعت في سويسرا بعد ذلك عن ملحمة مواجهة القرويين لحملة ليوبولد الأول تحكي عن فرسان مسلحين يرتدون البياض وصليباً أحمر يقاتلون مع القرويين، والزى الأبيض ذو الصليب الأحمر المتساوي الأذرع هو رداء فرسان الهيكل، وهو شعارهم وأحد رايات معاركهم، وهو نفسه الذي صار بعد ذلك شعار منظمة الصليب الأحمر الدولية التي أنشأها في سويسرا الماسوني جان هنري دونانت Jean Henri Dunant سنة ١٨٦٣م، وهو أيضاً مقلوب علم اتحاد المقاطعات السويسرية منذ تكوين الاتحاد في القرن الرابع عشر الميلادي، فعلم دولة سويسرا صليب أبيض على أرضية حمراء.

فسويسرا كما يقول مؤرخ الماسونية والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين كرستوفر نايت Christopher Knight، في كتابه: عودة لمفتاح حيرام The Hiram Key Revisited، الذي ألفه بالاشتراك مع الماسوني ألان بتلر Alan Butler:

"سويسرا تدين بوجودها كله لفرسان الهيكل الذين بدأوا في الفرار إليها من فرنسا، من قبل أن يوجه إليهم فيليب الرابع ضربته Switzerland Ultimately Owes its Existance To The Templar Knights Who Fled There"[١].

والميليشيات الحربية المرتزقة التي ظهرت في مقاطعات سويسرا وأريافها في أعقاب حل فرسان الهيكل، ليست سوى أحد فروعها وامتداداتها، وأصول أموالها هي ثروات فرسان الهيكل، وبنوكها التي كونتها بهذه الأموال وبما جمعته من الغنائم ومقابل استئجارها، هي أحد وريثين لثروات فرسان الهيكل ونظامها البنكي وشبكتها للتمويل والإقراض، والوريث الثاني هو سلسلة بيوت المال والبنوك التي كونتها مجموعة من الأسر اليهودية، في إيطاليا قبيل عصر النهضة،

---

1) Christopher Knight and Alan Butler: The Hiram Key Revisited, Freemasonry: A Plan For A New World Order, P261, Watkins Publishing, 1999.

ومنها أسرة اليهود الأخفياء من آل دي مديتشي، وكانت أداتها في تحويل أفكار أوروبا ومسارها، بالاشتراك مع يهود القبالاه المهاجرين من الأندلس وإسبانيا الكاثوليكية.

وأول بنك في تاريخ سويسرا هو الذي أنشأه رأس أسرة دي مديتشي وحاكم فلورنسا كوزيمو دي مديتشي Cosimo De Medici، في بازل Basle سنة ١٤٦٤م، كأحد فروع بنك الأسرة في فلورنسا، الذي هو رئيسه.

وأسر الميليشيات والبنوك السويسرية التي نص على أسمائها البروفسور قسيس والبروفسور كوتريل، هي نفسها أسر الماسونية في سويسرا، وفي عهد حكومة الديركتوار ونابليون كانت محافل سويسرا تابعة للشرق الأعظم الفرنسي، ثم:

"في يوم ٢٢ يوليو سنة ١٨٤٤م، تم توحيد محافل سويسرا المختلفة ليتكون باتحادها محفل الألب الأعظم Grande Loge Suisse Alpina، في زيوريخ، وفي يوم ٢٤ يوليو سنة ١٨٤٤م تم انتخاب يوهان ياكوب هوتنجرJohann Jakob Hottinger، أستاذاً أعظم للمحفل، وكان قبلها أستاذاً أعظم لمحفل موديستيا كوم ليبرتاتي/محفل الفضيلة والحرية، في زيوريخ Modestia Cum Libertate"[1].

وزيوريخ هي عاصمة المال والبنوك في سويسرا، ومحفل الألب الأعظم منذ تأسيسه هو محفل رجال المال والبنوك في سويسرا ووسط أوروبا، ويوهان هوتنجر أول أستاذ أعظم له هو عميد أسرة هوتنجر، أول اسم من أسماء الأسر المؤسسة لبنك فرنسا، والتي مولت حروب حكومة الديركتوار ونابليون، ومنها الحملة على مصر.

فالبنوك السويسرية التي تحالف معها نابليون ووضع اقتصاد فرنسا بين أيديها، وأقام بها بنك فرنسا المركزي، ومنحها حق إصدار النقد في مقابل تمويل دولته وحروبه، هذه البنوك أصحابها هم الماسون وورثة فرسان الهيكل وخلفاؤهم في سويسرا، وهي التي مولت حملة فرنسا الماسونية على مصر، وغايتهم هي غاية الحملة الحقيقية.

---

1) The History Of freemasonry, Vol.III, P240.

ويقول المؤرخ البريطاني جون ريفيز John Reeves، في كتابه: آل روتشيلد، سادة الأمم بالمالThe Rostschilds, The Financial Rulers Of Nations، عن تمويل حكومة الديركتوار وتمويل نابليون:

"**الجزء الأكبر من القروض الحكومية جاء عبر وكلاء البنوك وبيوت المال الكبرى ... وآل روتشيلد لا ينتمون إلى أي قومية، فهم عالميون Cosmopolitan، فمن جهة كانوا يمولون جيوش نابليون، ومن جهة أخرى كانوا يقدمون القروض لأعدائه ومن يحاربونه**"(١).

وغاية اليهود والماسون من أصحاب البنوك والتجار، وتمويلهم للحملة على مصر، هو تفسير تلك العبارة التي تجدها في منشور نابليون الأول، الذي كتبه عند وصوله لشواطئ مصر، ووزعه في بلدانها، وأتيناك بفقرات منه سابقاً:

"**يعرف أهالي مصر جميعهم، أن من زمان مديد السناجق (المماليك) الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي**"(٢).

فغاية من غايات حملة الماسون على مصر، فتح الشرق أمام هؤلاء التجار الذين مولوا الحملة، وهي الغاية التي تلتقي مع بقية الغايات، وتفضي كلٌّ منها إلى الأخرى، لأن التجارة وغايات من يسيطرون عليها في الغرب، كما ستعلم، لا تنفصل عن السياسة، بل تتواءم معها وتوظفها، وهما وجهان لشيء واحد.

وثاني ما يجب أن تعلمه لكي تدرك حقيقة حملة الماسون على مصر، وموقعها من المسار اليهودي الماسوني للغرب، وأنها لم تكن سوى خطوة للانتقال بهذا المسار إلى الشرق، من أجل الوصول إلى غاية اليهود التاريخية والمستقرة في أعماق الماسون ورجال الحركات السرية في كل العصور، ويتم تغليفها في كل مرحلة في أغلفة من ظروف المكان وملابسات الزمان، ثم

---

1) John Reeves: The Rothschilds,The Financial Rulers Of Nations, P70, 86, A. C. McClueg & Co., Chicago, 1887.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٤.

يُصَدِرونها للوثائق والمؤرخين من الطراز الأمبريقي، لكي يظل المسار مجهولاً ومحفوظاً، ثاني ما يجب أن تعلمه هو نداء نابليون لليهود بالعودة لوطن آبائهم فلسطين واستعادة دولتهم وهيكلهم.

في الفصل الذي عنوانه: حملة بونابرت في الشرق Napoleon's Campaign In The East، في الجزء الأول من كتابه: تاريخ الصهيونية History Of Zionism، الصادر سنة ١٩١٩م، يقول المؤرخ الصهيوني البولندي والسكرتير العام للمؤتمر الصهيوني العالمي ناحوم سوكولوف Nahum Sokolow، إنه في سنة ١٧٩٩م، إبان حملة نابليون على الشام:

"وجه نابليون دعوة لليهود في آسيا وإفريقيا لكي ينضموا إلى حملته ويسيروا تحت رايته، واعداً إياهم بمنحهم أرضهم المقدسة Promising To Give Them The Holy Land، وإعادة أورشليم إلى مجدها وروعتها القديمة"[١].

ولكي يوثق سوكولوف ما يقوله، أورد ضمن ملاحق كتابه التي استغرقت أكثر من نصف المجلد الثاني من الكتاب، خبراً وتعليقاً من صحيفة فرنسية معاصرة للحملة الفرنسية، عن دعوة نابليون أو ندائه لليهود.

فأما الخبر، فقد نشرته صحيفة لومونيتور إنفرساي، أو المراقب العالمي Le Moniteur Universel، في يوم ٣ من شهر بريريال Prairial من السنة السابعة من تقويم الجمهورية الفرنسية/٢٢ مايو ١٧٩٩م، ونصه:

"Bonaparte a fait publier une proclamation, dans laquelle il invite tons les juifs de I'Asie et de l'Afrique a enir se ranger sous ses drapeaux pour retablir I'ancienne Jerusalem. II en a deja arme un grand nombre, et leurs bataillons menacent Alep"[2].

---

1) Nahum Sokolow: History Of Zionism 1600-1918 , Vol. I, P63, Longmans, Green & Co., New York, Calutta And Madras, 1919.
2) History Of Zionism, Vol. II, P220.

وترجمته:

"نشر بونابرت بياناً يدعو فيه اليهود في آسيا وإفريقيا إلى الاصطفاف تحت رايته، من أجل استعادة أورشليم القديمة، وقد قام بتسليح أعداد كبيرة منهم، وكتائبهم تهدد حلب".

وأما التعليق فنشرته الصحيفة نفسها في يوم ٩ من شهر مسيدور Messidor من السنة نفسها، ٢٧ يونيو ١٧٩٩م، ونصه:

"De la conquete probable de Vempire ottoman par Bonaparte, Attendons la confirmation de ces heureuses nouvelles. Si elles sont prematurees, nous aimons a croire qu'elles se realiseront un jour. Ce n'est pas seulement pour rendre aux juifs leur Jerusalem que Bonaparte a conquis la Syrie"[(1)].

وترجمته:

"بخصوص الفتح الوشيك للإمبراطورية العثمانية، نترقب تأكيد هذه الأخبار السعيدة، وأن تتحقق يوماً ما، لكي نصدق أن غزو نابليون لسوريا لم يكن فقط من أجل أن يعيد لليهود أورشليمهم"!!

فتنبه أن الصحيفة المعاصرة لنابليون وتعرف موقعه من اليهود وموقعهم منه، ولم يكن قد صعد إلى رأس السلطة بعدُ وحاز القوة المطلقة، الصحيفة كشفت خبيئة نفسه، وأن كل ما يرفعه من أهداف لحملته ليس سوى أغلفة للهدف الآخر الحقيقي الراسخ في تكوينه، والملفوف في هذه الأغلفة.

وفي كتابه: نابليون واليهود Napoleon And The Jews، الصادر سنة ١٩٥٧م، كان المؤرخ اليهودي المجري فرانز كوبلر، أول من نشر النص الكامل لنداء نابليون لورثة فلسطين الشرعيين أن ينضموا إلى جيشه لكي يستعيدوا أورشليم، والصادر من مقر القيادة العامة للجيش الفرنسي، باسم القائد العام لجيش الجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا، نابليون بونابرت، بتاريخ ١ فلوريال من السنة الجمهورية السابعة/٢٠ أبريل ١٧٩٩م، فهاك هو:

---

1) History Of Zionism, Vol.II, P220.

"Israelites, unique nation, whom, in thousands of years, lust of conquest and tyranny have been able to be deprived of their ancestral lands, but not of name and national existence!

Attentive and impartial observers of the destinies of nations, even though not endowed with the gifts of seers like Isaiah and Joel, have long since also felt what these, with beautiful and uplifting faith, have foretold when they saw the approaching destruction of their kingdom and fatherland: "And the ransomed of the Lord shall return, and come to Zion with songs and everlasting joy upon their heads; they shall obtain joy and gladness and sorrow and sighing shall flee away" (Isaiah 35:10).

Arise then, with gladness, ye exiled ! A war unexampled In the annals of history, waged in self defense by a nation whose hereditary lands were regarded by its enemies as plunder to be divided, arbitrarily and at their convenience, by a stroke of the pen of Cabinets, avenges its own shame and the shame of the remotest nations, long forgotten under the yoke of slavery, and also, the almost two thousand year old ignominy put upon you.

And, while time and circumstances would seem to be least favourable to a restatement of your claims or even to their expression ,and indeed to be compelling their complet abandonment, it offers to you at this very time, and contrary to all expectations, Israel's patrimony.

The undefilled army with which Providence has sent me hither, let by justice and accompanied by victory, has made Jerusalem my head-quarters and will, within a few days, transfer them to Damascus, a proximity which is no longer terrifying to David's city. Rightful heirs of Palestine!

The great nation which does not trade in men and countries as did those which sold your ancestors unto all people (Joel: 4: 6) herewith calls on you not indeed to conquer your patrimony ;nay, only to take over that which has been conquered and, with that nation's warranty and support, to remain master of it to maintain it against all comers.

Arise! Show that the former overwhelming might of your oppressors has but repressed the courage of the descendants of those heroes who alliance of brothers would have done honour even to Sparta and Rome (Maccabees:12:15) but that the two thousand years of treatment as slaves have not succeeded in stifling it.

Hasten!, Now is the moment, which may not return for thousands of years, to claim the restoration of civic rights among the population of the universe

which had been shamefully withheld from you for thousands of years, your political existence as a nation among the nations, and the unlimited natural right to worship Jehovah in accordance with your faith, publicly and most probably forever (JoeI: 4: 20)"[(1)].

"أيها الإسرائيليون، الأمة/القومية الفريدة التي لم تتمكن آلاف السنين من الغزو والطغيان من محو اسمهم ووجودهم القومي، وإن تمكنت من سلبهم أرض أجدادهم، إن المراقبين الواعين لمصائر الأمم، وإن لم تكن لهم مواهب المتنبئين مثل إشعياء ويوئيل، قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الخالص حين رأوا الدمار الوشيك لمملكتهم وأرض آبائهم من أن: "مَفْدِيُّو الرَّبِّ يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِتَرَنُّمٍ، وَفَرَحٌ أَبَدِيٌّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. ابْتِهَاجٌ وَفَرَحٌ يُدْرِكَانِهِمْ. وَيَهْرُبُ الْحُزْنُ وَالتَّنَهُّدُ"(إشعياء: ٣٥: ١٠)، فانهضوا مبتهجين أيها المنفيون، فثمة أمة تخوض حرباً لا مثيل لها في التاريخ، من أجل الدفاع عن نفسها، بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التي ورثوها غنيمة يقسمونها بينهم حسب أهوائهم، وها هي بجرة قلم من حكومتها تمحو عارها وعار أبعد الأمم التي نُسيت وظلت ترزح في أغلال العبودية لألفي سنة، ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمة للتصريح بمطالبكم أو التعبير عنها، بل وترغمكم على التخلي عنها، فإن فرنسا في هذا الوقت، وخلافاً لكل التوقعات، تعرض عليكم إرث إسرائيل، إن الجيش المقدس الذي أرسلتني به العناية الإلهية، سائراً بالعدل ومحفوفاً بالنصر، قد جعل أورشليم مقر قيادتي، وخلال أيام سننتقل إلى دمشق القريبة، والتي لم تعد مصدر فزع لمدينة داوود، أيها الورثة الشرعيون لفلسطين، إن الأمة العظيمة التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم لجميع الأمم (يوئيل٤: ٦)[(•)]، تدعوكم لا إلى الاستيلاء على إرثكم، بل لاستعادة ما أُخذ منكم قهراً تحت رعايتها وحمايتها لكم من الدخلاء، انهضوا وأظهروا أن جبروت الطغاة لم يتمكن من إخماد شجاعة أحفاد أولئك الأبطال الذين جلب تحالفهم ومؤاخاتهم الشرف لإسبرطة وروما (مكابيين: ١٢:١٥)[(•)]، وأن

---

1) Franz Kobler: Napoleon And The Jews, P55-57.

•) هذه إشارة إلى عبارة في سفر يوئيل نصها: "وَبِعْتُمْ بَنِي يَهُوذَا وَبَنِي أُورُشَلِيمَ لِبَنِي الْيَاوَانِيِّينَ لِكَيْ تُبْعِدُوهُمْ عَنْ تُخُومِهِمْ"، وموضعها الصحيح: (يوئيل: ٣: ٦).

•) إشارة إلى عبارة في سفر المكابيين الأول نصها: "مِنْ أَرِيُوسَ مَلِكِ الإِسْبَرْطِيِّينَ إِلَى أُونِيَّا الْكَاهِنِ الأَعْظَمِ سَلاَمٌ. وَبَعْدُ، فَقَدْ وُجِدَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ الإِسْبَرْطِيِّينَ وَالْيَهُودَ إِخْوَةٌ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ"، وصحة موضعها: (المكابيين الأول: ١٢: ٢٠-٢١).

ألفي سنة من الاستعباد لم تفلح في تغييبها، سارعوا فهذه هي اللحظة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين، طالبوا باستعادة حقوقكم بين شعوب العالم، والتي سُلبت منكم لآلاف السنين، حقكم في الوجود السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي والمطلق في عبادة يهوه، طبقاً لعقيدتكم، علناً ودائماً (يوئيل: ٤: ٢٠)"[•]

وقد شكك بعض المؤرخين في صحة هذا البيان أو النداء، وأشهرهم المؤرخ هنري لورنس، فيقول في دراسته: بونابرت والدولة اليهودية، بعد أن أورد مقتطفات من البيان:

"ماذا عن صحة البيان الذي اكتشفه كوبلر؟، إن التناقض الأول مع الحقائق إنما ينبع من المكان المزعوم لصدور البيان، وهو القدس، فبونابرت لم يدخل قط هذه المدينة، والمقاومة القوية التي أبداها الفلاحون أرغمت الجيش الفرنسي على البقاء في السهل الساحلي ... وهل كان لنابليون مصلحة في كسب عون يهود الشام؟ الواقع إن إجمالي السكان اليهود في بلاد الشام في أوائل القرن التاسع عشر لا يتجاو خمسة وعشرين ألفاً، نصفهم في المدن الأربع: القدس والخليل وصفد وطبرية، وبونابرت يسيطر على هاتين المدينتين الأخيرتين ... ومعروف أنه لا يوجد في الأرشيفات الفرنسية مؤشر على هذا البيان"[١].

فأولاً، لن يغيب عن فطنتك أن المؤرخ الفرنسي الهائم بنابليون، إنما يريد في الحقيقة أن يحافظ على صورة نابليون البطل الفرنسي نقية، ويخفي ما بها من شروخ وخدوش، وأنه لم يكن سوى البطل الذي ظهر غلى الشاشة وتوله به عموم الناس، في فيلم من تأليف اليهود وإخراجهم ومن أجل غايتهم.

فهنري لورنس يتكأ في نفيه لصحة البيان، على أن نابليون وجهه لكي يكسب يهود الشام وهم قليلون ولا يشكلون، كما يقول، سوى ٢% فقط من تعداد الشام، وهو في ذلك يضلل من يكتب لهم، لأنه ضرب عُرض الحائط بما كان بين نابليون واليهود في أوروبا من علاقات

•) العبارة نصها: "فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ، سَاكِنًا فِي صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي. وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مُقَدَّسَةً وَلاَ يَجْتَازُ فِيهَا الأَعَاجِمُ فِي مَا بَعْدُ"، وصحة موضعها: (يوئيل: ٣: ١٧).

١) المؤرخ هنري لورنس: بونابرت والإسلام، بونابرت والدولة اليهودية، ص٥٢-٥٤، ترجمة: بشير السباعي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م

وثيقة، ورعايته لهم، وعقده للسنهدرين لأول مرة في التاريخ الحديث، وتمويل البنوك اليهودية والماسونية لحملته، فنابليون لم يكن يخاطب ببيانه يهود الشام، كما يتوهم هنري لورنس، أو كما يتعمد أن يوهم قارئه، بل يخاطب يهود أوروبا الذين يمتزج مشروعهم بمشروعه.

فإذا رجعت إلى ما أتيناك به من موقع يهود فرنسا وأوروبا من ذهن نابليون ونفسه، وعلاقته بهم، وأنهم صاروا يرون فيه قورش الجديد الذي سيعيدهم إلى أورشليم/القدس، فلن تحتاج إلى كبير ذكاء لتفهم لماذا نص في بيانه إليهم على أنه يصدره من أورشليم، وفلسطين والشام كلها، عند كل من غزوها أو تسللوا إليها من الإمبراطوريات الماسونية، لم تكن تعني سوى أورشليم/القدس، وهو ما ستتيقن منه حين تصل إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام.

وثانياً: إليك ما يؤكد لك صحة بيان نابليون لليهود بخصوص فلسطين، ويزيدك يقيناً بموقع نابليون وفرنسا في عهده من اليهود ومشروعهم، ومعرفة اليهود أن نابليون ليس سوى أحد الحاملين لمشروعهم، وأن غايتهم جزء من حملته، وأنها ستنتهي باستعادتهم لفلسطين وإقامة الدولة الموعودة في التوراة.

في ملاحق كتابه: تاريخ الصهيونية، التي استغرقت معظم الجزء الثاني من الكتاب، أورد الزعيم والمؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف، النص الكامل لخطبة ألقاها أحد زعماء اليهود في فرنسا في إخوته من اليهود، سنة ١٧٩٨م، مع بداية حملة الماسوني نابليون على مصر، وقبل أن يدخل الشام، وقد ترجم الخطبة بلغة عربية فصيحة مبينة المؤرخ اليهودي المصري إيلي ليفي أبو عسل، في كتابه: يقظة العالم اليهودي، الذي أصدره سنة ١٩٣٤م، فإليك نصها من الكتابين معاً:

"... قد آن الأوان لنهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين أمم العالم، فهيا بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل أورشليم Let Us Rebuild The Temple Of Jerusalem، إن أمة لا تقهر، ويشهد العالم مجدها وفخارها محوطة بسياج منيع من الإيمان، قد أظهرت لنا جيداً ماذا تفعل محبة الوطن من المعجزات، فلنناشد هذه الأمة السخاء والكرم، طالبين إليها

المساعدة والعون، ويمكن أن نكون واثقين من أن الحكمة التي يسترشد بها قادتها وزعماؤها تدفعهم إلى التفكير في مقابلة طلبنا بالارتياح والقبول، إن عددنا ستة ملايين منتشرة في جميع أقطار العالم، وفي حوزتنا ثروات واسعة، وممتلكات عظيمة شاسعة، فيجب أن نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا، إن الفرضة لسانحة ومن واجبنا أن نغتنمها، إنه يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس، وهي إقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في الخمسة عشر بلداً التالية: ... ومقر المجلس وعقد مؤتمراته سيكون في باريس، فاللجنة الممثلة لليهود في هذه البلدان كلها تتخذ ما تراه من قرارات، ويكون من الواجب على جميع اليهود أن يقبلوا هذه القرارات ويجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة لهم من الخضوع له، ويعين المجلس المشار إليه وكيلاً يتولى تبليغ جميع قراراته واقتراحاته للجنة التنفيذية في فرنسا، التي تتولى بعد ذلك تبليغها للحكومة الفرنسية(!)، أما البلاد التي ننوي قبولها بالاتفاق مع فرنسا **As Shall Be Agreeable To France**، فهي إقليم الوجه البحري من مصر، مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر، فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز آخر في العالم يجعلنا واسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر، قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب، ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا، وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها من بلدان أوروبا، أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى الخاصة باقتراحاتنا على الباب العالي، فلا يسوغ نشرها علناً وعلى رؤوس الأشهاد، وسنكون مضطرين لإبقاء هذه المسألة منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية(!) **The Good Faith Of The French Nation**، وسوف يعرض المجلس على الحكومة الفرنسية في مقابل معاونتها لنا في العودة إلى بلادنا وامتلاكها: ١- تعويضاً مالياً كبيراً **Pecuniary Indemnification**، ٢- أن نُشرك معنا في تجارة الهند تُجار فرنسا فقط **To Share The Commerce Of India With The Merchants Of France Only**، أيها الإخوان يجب أن لا تدخروا وسيلة أو تضحية في سبيل الوصول إلى هذه الغاية، أي الرجوع إلى بلادنا، حيث يمكن أن نعيش في ظل شرائعنا الخاصة، وأن

نجدد البلاد المقدسة التي اشتهر أجدادنا بما بذلوه في سبيلها من التضحية، وما أظهروه من الشجاعة والشهامة"[١]، [٢].

وربما تقول: نابليون لا يؤمن بأي ديانة، وربما كان نداؤه لليهود دهاءًا سياسياً للاستعانة بهم وتوظيفهم في أهدافه، كما هو ديدن الساسة في كل البلاد والأزمان؟

ونقول لك: بل إن إعادة اليهود إلى أورشليم وإعادة هيكلهم هو غاية الماسون وأبناء الحركات السرية جميعاً، وهو العقيدة الراسخة في بنائهم الذهني والنفسي التي يتم تكوينهم بها وتربيتهم عليها، والتي يمزجون كل غاية أخرى بها ويوظفونها من أجل الوصول إليها أو الاقتراب منها.

يقول الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي ألبرت ماك كي في موسوعته الماسونية:

"**هيكل سليمان هو روح الماسونية، ومصدر رموزها وطقوسها، وكل رموز الماسونية تدور حول بيت الرب في أورشليم ومستوحاة منه، وهو واسطة العقد الذي تلتقى عنده الماسونية المهنية العملية Operative والماسونية الرمزية التأملية Speculative، وهو الذي يمنح الماسونية صبغتها العقائدية والدينية Religious Character، فلو أُخذ من الماسونية وأزيل منها ما يرتبط به من أفكار ورموز وطقوس لذبلت من فورها وماتت، وكل محفل Lodge هو في حقيقته، وكما يجب أن يكون، رمز لهيكل اليهود Gewish Temple، وكل أستاذ على كرسيه هو ممثل لملك اليهود، وكل ماسوني هو تجسيد للعامل اليهودي**"[٣].

ولكي تتيقن إليك نموذجاً لا علاقة له بالسياسة ولا بالحروب والغزو، من عصر نابليون والثورة الفرنسية، وهو في تكوينه وموقع اليهود وأورشليم والهيكل من ذهنه ونفسه وسعيه

---

1) History of Zionism, Vol.II, P220-222.

٢) المؤرخ اليهودي إيلي ليفي أبو عسل: يقظة العالم اليهودي، ص١٠١-١٠٣، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، طبع بمطبعة النظام بمصر، ١٩٣٤م.

3) Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, A new And Revised Edition, Vol. II, P804.

لاستعادته ليس سوى نسخة من نابليون، وهو فولتير الذي يتوله به البقر في بلاليص ستان، وهو عندهم من آباء الليبرالية والعلمانية.

نقلاً عن مراسلات فولتير، يقول الأب أوجستين باروبل Augastin Barruel، في الجزء الأول من كتابه: مذكرات عن تاريخ اليعاقبة Memoirs Illustrating The History Of Jacobism، إن الماسوني دالامبير D'Alambert، أحد الذين أشرفوا على تحرير الموسوعة Ecyclopede، التي كانت إحدى مقدمات ثورة الماسون في فرنسا، أرسل رسالة إلى فولتير مؤرخة بيوم ٨ ديسمبر سنة ١٧٦٣م يقول له فيها:

"أنت تعلم أنه يوجد في برلين الآن أحد هؤلاء المختونين One Of The Cercumcised الذين ينتظرون جنة محمد (السلطان العثماني مصطفي الثالث)، فهل يمكنك أن تخاطب صفيك Disciple أن ينتهز الفرصة ويفاتحه في أمر إعادة بناء هيكل أورشليم"[١].

وصفي فولتير هو ملك بروسيا الماسوني فردريك العظيم Frederick The Grea.

وفي يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٧٦٣م أتبع دالامبير رسالته لفولتير بأخرى يقول فيها:

"لا شك عندي أنه كان ينبغي أن ننجح في مفاوضاتنا من أجل إعادة بناء هيكل اليهود، غير أن صفيك لم يفاتح السلطان وضيع الفرصة لخشيته أن يخسر صداقة المختونين"[٢].

وبعد ثمانية أعوام من فشل المحاولة مع فردريك العظيم لم تكن غاية اليهود والماسون الخالدة قد خبت جذوتها في عقل فولتير ونفسه، فأرسل في ٦ يوليو سنة ١٧٧١م رسالة إلى كاترينا Catherina، إمبراطورة روسيا، وكان يتردد عليها في بلاطها، يطلب منها أن تسدي إليه معروفاً، هذا نصه:

---

1) Abbé Augastin Barruel: Memoirs Illustrating The History Of Jacobism , Vol. I, P193, Translated Into English By The Hon. Robert Clifford, Printed For The Translator By T. Burton No. 11, Gate Street, Lincolin's Inn Fields, London, 1798.
2) Memoirs Illustrating The History Of Jacobism , Vol. I, P193.

"إذا كنت جلالتك على تواصل مع علي بك Ali Bay، فأنا ألتمس منك معروفاً صغيراً، وهو أن تكاتبيه في شأن بناء هيكل أورشليم وإعادة اليهود إلى أرضهم المقدسة، وسوف يقدم له اليهود هدية عظيمة Large Tribute، وينال بذلك شرفاً كبيراً ومجداً عظيماً"[١].

وكان رد الإمبراطورة:

"لا يمكن أن أفاتحه في أمر كهذا، فأنا أعلم أن السلطان لن يوافق عليه أبداً"[٢].

ويقول الأب بارويل إن فولتير كان شديد الولع بالهيكل، إلى درجة أنه كتب قبل موته، وهو في الثمانين من عمره، يقول إنه يتمنى ألا يموت حتى يرى هيكل أورشليم قائماً!

وفولتير كان عضواً في محفل كارلوتنبرج Charlottenberg، في برلين، وهو المحفل الذي كان أستاذه الأعظم صفيه فردريك العظيم ملك بروسيا، وقبل وفاته انضم فولتير إلى محفل الأخوات التسع في باريس Loge Des Neuf Soeurs، ومن الطريف أن انضمامه إليه كان تلبية لدعوة صديقه وعضو المحفل بنجامين فرانكلين Bejamin Franklin، المبعوث الأمريكي في فرنسا!

والآن جاء أوان أن تعلم صلة الغاية الحقيقية والعميقة لحملة الماسون في فرنسا على مصر، بالمسار الذي شقوه لها ودفعوها فيه، وكيف كان وسيلتهم لتحقيقها، وأن تدرك أن الحملة العسكرية لم تكن في حقيقتها سوى أداة لشق هذا المسار، لأنه ما كان لهذه الغاية أن تكون، وإذا كانت ما كان لها أن تستقر إلا من خلال هذا المسار وفي وجوده.

في ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٩م، وهو يتأهب للعودة إلى فرنسا بعد استدعاء محافل فيلادلفي له، أرسل نابليون رسالة إلى كليبر خليفته في قيادة الحملة الفرنسية وجيشها في مصر، يرسم له فيها الاستراتيجية التي يجب أن يسير عليها في مصر، والسياسات التي ينبغي اتباعها في إدارة شؤونها، وقد نشر المؤرخ أحمد حافظ عوض، في كتابه: فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت

---

1) Memoirs Illustrating The History Of Jacobism , Vol. I, P194.
2) Memoirs Illustrating The History Of Jacobism , Vol. I, P194.

في مصر، الذي أصدره في نهاية سنة ١٩٢٥م، نص الرسالة كاملاً، نقلاً عن أصلها المحفوظ في وزارة الحربية الفرنسية، تحت رقم: ٤٣٧٤، فهاك فقرات منها:

"إنك تعرف أيها القائد المواطن ما هي نظريتي في سياسة مصر الداخلية، فإنك مهما تفعل فستجد المسيحيين دائمًا أصدقاءنا، إنما يجب منعهم على كل حال من الاستخفاف بمواطنيهم حتى لا يتعصب الأتراك ضدنا ... إذا حزت ثقة كبار مشايخ القاهرة فإنك تجمع حولك أفكار مصر بأجمعها، وأفكار كل زعيم من زعماء الشعب، لا شيء أشد خطراً علينا من المشايخ الذين يرهبون القتال ولا يعرفون طرقه، ولكنهم مثل القسيسين يوحون بالتعصب دون أن يكونوا هم أنفسهم متعصبين ... ستظهر السفن الحربية الفرنسية بلا ريب في هذا الشتاء أمام الإسكندرية أو البرلس أو دمياط، يجب أن تبنى برجاً في البرلس، اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخصًا من المماليك حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم في القاهرة أو الأرياف وتسفرهم إلى فرنسا، وإذا لم تجد عدداً كافياً من المماليك فاستعض عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يُحجزون مدة سنة أو سنتين يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة، ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم، كنت قد طلبت مراراً جوقة تمثيلية وسأهتم اهتماماً خاصاً بإرسالها لك لأنها ضرورية للجيش وللبدء في تغيير تقاليد البلاد"[١].

فتنبه أن استراتيجية نابليون وما في رسالته من سياسات لا علاقة لها بإنجلترا ولا الهند، بل وأنها لا تتعلق أصلاً بالسياسة والأهداف العسكرية المحض، وما تحويه من تعليمات وإرشادات ليس غايته احتلال مصر أو استعمارها، كما تقرأ في كتب التاريخ التي يكتبها الأميون في بلاليص ستان.

غاية حملة الماسون على مصر، كما نص نابليون نفسه، تغيير تكوينها وتقاليدها، وشق مسار آخر لها، يقطع صلتها بمسارها العربي الإسلامي، ويصلها بمسار فرنسا والغرب الذي صنعه اليهود والماسون، عبر إزاحة أهل الحل والعقد وتحويلهم إلى موظفين، وصناعة نخب

---

١) المؤرخ أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر، ص٣٦١، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٢٥م.

جديدة لها لا علاقة لها بعقائدها وتاريخها، وتعبئة أذهانها ونفوسها طبقاً للمواصفات اليهودية الماسونية، لكي تخبو فيها مسألة الألوهية، ويذوب المعيار والميزان، ويحل الغرب وما ينتجه اليهود والماسون فيه من أحدث خطوط الموضة في السياسات والمناهج والقيم والعلاقات والأخلاق والأزياء، محل المعيار والميزان، فتسير هذه النخب المزورة طواعية خلف الغرب الماسوني، وترى الوجود وتفهم الحياة وتعيشها مثله، وتكون هي أداة تحقيق ما يريده هو، وما يريده هو تغيير بلاليص ستان كلها وتفكيكها ونسف معاييرها وموازينها وإفقادها الاتجاه والبوصلة، من أجل استكمال المسار الذي تم شقه حتى يصل إلى تمامه، وتمامه دولة اليهود والهيكل.

فرسالة نابليون واستراتيجيته، كما ترى، هي نواة تحوي جميع العناصر والمكونات التي يدور تاريخ بلاليص ستان حولها، وكل ما شهده هذا التاريخ من أحداث وأشخاص ليس سوى وسائل ترجمة هذه العناصر والمكونات في الحياة والواقع، وإعادة صناعتها بها، وضخها في أنسجتها ورؤوس أهلها، إذابة أهل الحل والعقد والطبقة القوامة على المعيار والميزان، وأن يُستبدل بهم الموظفون الدواجن في حظيرة السلطة، ومن على رأس السلطة دواجن في حظيرة الغرب، وهو الذي يصنعهم ويُمكِّنهم منها ويمدهم بما يجعلها حكراً عليهم، وإزاحة الوحي وإذابة معياره وميزانه بصناعة المشخصاتية والمغنواتية والجورنالجية والأدباتية، وتصعيد الأقليات في غلاف المواطنة والمساواة وتوظيفهم في صناعة المسار الماسوني.

فالآن تأمل بلاليص ستان من محيطها الهائم إلى خليجها السائم، وقد تمزقت وانقطع ما بين مِزقها، وصارت كلها عبيداً عند الغرب، والسلطة فيها لا قرار لها إلا به، ولا تخطو خطوة إلا بإذنه، ونخبها تدور حوله وتستلهمه في كل شيء، ودولة اليهود في قلبها وتتأهب للتمدد على حسابها، وسوف تدرك أن حملة نابليون والماسون على مصر التي يقول لك البقر إنها فشلت، قد نجحت نجاحاً لا نظير له، وحققت جميع غاياتها، وبلاليص ستان كلها والمسار الذي تسير فيه وكل ما يحدث فيها أمامك من نتاجها، والذي فشل هو اللفافة التي لفوها فيها، والغلاف الذي موهوا فيه هذه الغايات وصدروه لهؤلاء البقر.

وإدخال الماسونية إلى مصر لم يكن سوى أحد وسائل شق مسارها اليهودي الماسوني، وكليبر خليفة نابليون على حملة الماسون وفي شق المسار اليهودي الماسوني لمصر، هو نفسه من الماسون، وهو الرجل الذي به ومن عنده يبدأ تاريخ مصر الماسوني الرسمي، فكليبر هو مؤسس أول محفل ماسوني في مصر، وأول أستاذ أعظم في تاريخها.

أخبرناك من قبل أن محافل الطقس المصري من الماسونية كانت توجد في مصر من قبل قدوم حملة نابليون والماسون اليها، بل ويقول المؤرخ الماسوني توكيت في دراسته: نابليون والماسونية، إنه:

"كان يوجد في مصر من قبل قدوم الحملة جمعية سرية يرأسها مصري يعيش بين بكوات المماليك، وأدخل كليبر فيها، وتصف الوثائق هذا المصري بأنه الأستاذ الأعظم للعمل الكبير Le Supreme Matre Du Grand Auvre"[١].

ويقول المؤرخ الماسوني الرسمي فريك جولد، في الفصل الذي خصصه لتاريخ الماسونية في مصر، في الجزء الرابع من كتابه: تاريخ الماسونية في العالم، إنه:

"طبقاً للوثائق، فإن الماسونية من طقس ممفيس Rite Of Memphis أُدخلت إلى مصر سنة ١٧٩٨م بواسطة نابليون وكليبر وعدد آخر من قادة الجيش الفرنسي"[٢].

ويقول الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، ومؤسس محفل الهلال وأستاذه الأعظم، ومؤسس دار الهلال المصرية ومجلتها، جورجي زيدان، في كتابه: تاريخ الماسونية العام، الذي أصدره سنة ١٨٨٩م، وهو أول كتاب عربي عن الماسونية، والمصدر العربي الوحيد لنشأة الماسونية في مصر، يقول زيدان:

"أما الماسونية الرمزية فلم تظهر في مصر قبل سنة ١٧٩٨م، أي أثناء الحملة الفرنساوية، وتفصيل ذلك أن نابليون بونابرت لما جاء الديار المصرية وافتتحها كان في

---

1) Napoleon I And Freemasonry, In: A.R.C. Transactions Of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P108.
2) History Of FreemasonryThroughout The World, Vol. IV, P232.

معيته نخبة من رجال فرنسا، وفيهم الجنرال كلابر/كليبر المشهور، فلما وصلوا القاهرة اتفق بونابرت والجنرال كلابر وعدة من الضباط، وكانوا من الإخوة الماسونيين، على تأسيس محفل يجتمعون إليه، فأسسوه في أغسطس من تلك السنة في القاهرة، ودَعَوه محفل إيزيس، وهو يشتغل على طريقة دعاها نابليون طريقة ممفيس، ولعلهم قصدوا بذلك مقصداً سياسياً، لأنهم أدخلوا فيه كثيراً من عُمد البلاد ورجالها ... ومما يليق ذكره أن احد اعضاء هذا المحفل من الوطنيين، ويدعى صموئيل جِنس لما انفصمت عُرى محفل إيزيس ما زال ميالاً إلى نشر المبادئ الماسونية مغرماً بها، ففي سنة ١٨١٤م سافر إلى فرنسا، وأنشأ في مونت أمبو محفلاً على الطريقة الممفيسية، في ١٣ أفريل سنة ١٨١٥م، بمساعدة الأخ جبرائيل متى مركونيس، والبارون دوماس، والماركيس دي لاروك، وهيبوليت لابرونيه، دَعَوه محفل تلامذة ممفيس، وقد تفرع من هذا المحفل في فرنسا محافل أخرى كثيرة تعمل على الطريقة الممفيسية"[١].

وما ذكره جورجي زيدان عن انضمام بعض الأقباط، الذين سماهم الوطنيين، طواعية إلى محفل إيزيس الذي أنشأه قادة حملة الماسون على مصر، وما أخبرك به من حماسة صموئيل جِنس للماسونية وسفره لفرنسا ونشره لمحافل طقس ممفيس فيها، وهي في الأصل مهدها، يؤكد لك المعلومتين التي انفرد بهما توكيت من بين جميع مؤرخي الماسونية، وهي أن محافل الطقس المصري كانت موجودة وعاملة في مصر، وأنه كان ثمة جمعيات سرية تعمل في أوساط الأقباط، من قبل قدوم الحملة إليها.

ومن الطريف أن تعلم أن مؤسس الطقس المصري، اليهودي القبالي كاجليو سترو، أنشأ عدة محافل للطقس في اماكن مختلفة في أوروبا، وكان يسميها بأسماء مصر وآلهتها القديمة، مثل المحفل المصري في ستراسبورج، ومحفل إيزيس في وارسو، ومحفل أوزيريس في باريس، وباعتباره مؤسس الطقس والأستاذ الأعظم لجميع محافله، أطلق كاجليو سترو على نفسه لقب: القبطي الأعظم Grand Cophte!!

---

١) الماسوني: جورجي زيدان: تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى هذا اليوم، ص٢١١-٢١٢، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، طبع بمطبعة المحروسة بمصر، سنة ١٨٨٩م.

وتحريراً لما قاله فريك جولد وجورجي زيدان، ينبغي أن تعلم أمرين، أولاً: أن طقس ممفيس غير الطقس المصري، وقد بدأ كل منهما منفصلاً عن الآخر، ولكن كثيراً من مؤرخي الماسونية يستخدمون اسم احدهما للدلالة على الآخر، لأنهما قريبان، ولأنه تم التوحيد بينهما واندمجا في طقس واحد أُطلق عليه: طقس ممفيس مصرايم The Rite Of Memphis-Misraïm، وكان اندماجهما سنة ١٨٨٢م، على يد الجنرال الماسوني جاريبالدي Garibaldi، أحد أبطال الوحدة الإيطالية.

وثانياً: أن كليبر كان عضواً في محافل فيلادلفي العسكرية، ومحافل فيلادلفي كانت على علاقة وثيقة بالطقس المصري في فرنسا وفي مصر، وبينهما محافل مشتركة، ومن ثَم فمحافل فيلادلفي تُصنف على أنها جزء من الطقس المصري أو فرع منه.

وثمة شروط لكي يكون إنشاء أي محفل في أي طقس من طقوس الماسونية قانونياً ومعترفاً به، ولكي يمكنه ممارسة الطقوس وقبول الأعضاء وتكريسهم في أول درجة في الماسونية، درجة الصبي أو المبتدئ The Apprentice، وأول هذه الشروط، كما يقول الماسوني ومؤرخ الماسونية الرسمي ألبرت ماك كي، في كتابه: مبادئ القانون الماسوني The Principles Of Masonic Law، هي:

"**أن يحصل المحفل على تصريح بإنشائه من محفل أعظم أو أستاذ أعظم، وأن يشترك في تكوينه سبعة على الأقل من الماسون حائزي درجة الأستاذ Master Masons, Not Under Seven**"[1].

ومحفل إيزيس La Loge Isis أنشأه كليبر مع مجموعة من قادة الحملة الفرنسية وعلمائها، وكان كليبر أستاذه الأعظم، وهو ما يعني أن كليبر ومن اشتركوا معه في تكوين المحفل، كانوا جميعاً من حائزي درجة الأستاذ على الأقل، ودرجة الأستاذ Master هي بداية الماسونية الحقيقية، وهي الدرجة الثالثة والأخيرة في المرتبة الرمزية Symbplic، أو مرتبة المحافل الزرقاء Blue Lodges، وهي المرتبة المشتركة بين جميع مذاهب الماسونية وطقوسها.

---

1) Albert Mackey: The Principles of Masonic Law, P78, Published At The Masonic Depot, New York, 1859.

والذين اشتركوا مع كليبر في تكوين محفل إيزيس هم الجنرال جواكيم مورا Joachim Murat، وهو زوج كارولين بونابرت أخت نابليون، وفي سنة ١٨٠٨م نصبه نابليون ملكاً على نابولي، والجنرال أوجست دي مارمون Auguste De Marmont، والجنرال لويس ألكساندر بِرتييه Louis Alexandre Berthier، والجنرال أندريه مسينا André Masséna، والمهندس جاسبار مونج Gaspard Monge، رئيس المجمع العلمي المصري Institut D'Égypte، الذي أنشاه نابليون في ٢٤ أغسطس سنة ١٧٩٨م، والكيميائي كلود بِرتوليه Claude Berthollet، أحد أعضاء المجمع العلمي، وعالم الآثار فيفان دينو Vivant Denon، أحد أعضاء المجمع العلمي.

وحملة نابليون والماسون في فرنسا، والماسونية التي جلبتها لمصر، كانت الخطوة الأولى في شق المسار اليهودي الماسوني لمصر، وبداية تفكيك الشرق كله بالعلمانية والعقيدة القومية والرابطة الوطنية، رابطة بني إسرائيل وعقيدة التوراة وميزانها، وتحويله إلى محضن للمشروع اليهودي ورحم لدولة اليهود، وأول الآتين من الخلف ودولته كان الخطوة الثانية.

أول الآتين من الخلف

قَوَلَة/قبالاه

يقول أنطوان بارتلمي، الشهير بكلوت بك، طبيب محمد علي باشا ومؤسس مدرسة الطب، في كتابه: لمحة عامة إلى مصر، الذي كتبه سنة ١٨٤٠م، وترجمه محمد مسعود، المحرر الفني بوزارة الداخلية سنة ١٩٢٣م، إن:

"فرنسا ونابليون كانا سبب حركة الحضارة التي ظهرت في الشرق، وتولى محمد علي غراسها في مصر، وتعهدها بعنايته حتى أينعت ثمارها على ما هو مشاهد اليوم"[١].

وما قاله كلوت بك هو خلاصة أول الآتين من الخلف وما فعله في مصر، فهو حملة فرنسية عليها من داخلها، تستكمل نتائج الحملة التي شنها عليها الماسون من خارجها، وهو في تكوينه وغاياته وأساليبه ومغايرة غلافه لحقيقته وموقع اليهود من نفسه وغاياته، ليس سوى نابليون آخر مموه في اسم عربي وثياب شرقية.

وهنا نذكرك بفلسفة صناعة الآتين من الخلف في كل أمة، ألا وهي تكوين ناشئتها وصناعة أذهانهم ونفوسهم في الحركات السرية، أو احتضانهم في حواري اليهود، واستكشاف النابهين وذوي الطاقات منهم، ودفعهم في المسارات التي تسري بهم في أعصاب الأمة وشرايينها، وفتح الطرق أمامهم للوصول إلى مناطق القوة والنفوذ، خصوصاً الجيوش وكواليس السلطة غير المرئية لعموم الناس، حتى إذا سنحت فرصة، أو تم تصنيع أزمة، صعدوا بهم إلى رأس السلطة، فيَكونون بوعيهم وما صُب فيه من فهم للوجود والحياة والتاريخ، وبأذهانهم وما تم تعبئتها به من أفكار وغايات ومقاييس، وبنفوسهم وما تم تربيتهم عليه من سلوك وقيم وأخلاق، وبوجدانهم وما استقر فيه من حب وكره، ثم بما يملكونه من قدرات ومواهب، أداة تسيير الأمة في المسار الذي يريده من كونوهم وربوهم ودفعوا بهم في مسارات السلطة وصعدوا بهم إلى رأسها، سواءًا أحاطوا بهم بعد ذلك وكانوا حولهم أو لم يكونوا.

---

١) أنطون برتلمي كلوت، ،كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ص٤٧٢، ترجمة: محمد مسعود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

وكما أخبرناك في كتبنا كلهامن قبل، اليهود والحركات السرية التي يصنعونها ويستقرون في قلبها، ما يعنيهم هو التحكم في المسار وليس العمل في تفاصيل ما يحدث داخله، ووجودهم الرئيسي يكون في الأحداث المفصلية والمحورية التي توجه المسار في الاتجاه الذي يريدونه، وإذا أردت أن تعثر عليهم في هذه الأحداث، فالمكان الذي يجب أن تنقب عنهم فيه ليس مسارح الأحداث ومن يتصدرون واجهاتها، بل في كواليس الأحداث وداخل أدمغة من يتصدرونها.

فاليهود والحركات السرية، في كل الأمم وعبر التاريخ كله، تكافح، ليس من أجل صناعة الأحداث بنفسها، بل من أجل صناعة من يصنعون الأحداث واستيطان وعيهم ونفوسهم وأذهانهم، لكي يكونوا ركائب يكمنون في رؤوسها ويصلون على ظهورها إلى ما يريدون.

فإذا أدركت ذلك ووعيته، سينكشف لك مسار بلاليص ستان، وحقيقة من تصدروا مشاهدها في كل ما شهده تاريخها منذ حملة ماسون فرنسا عليها.

وثاني ما نذكرك به وننبهك إليه، هو آفة الأميين والمؤرخين من الطراز الأمبريقي في تقييم الأشخاص والأحداث والحكم عليها، فهؤلاء الأميون يدورون مع الأشخاص ويحكمون عليهم بالأسماء التي يرتدونها والأردية التي يتغلفون بها والشعارات التي يرفعونها، وليس بهوياتهم ولا بحقيقة ما يفعلونه، وتكون الأفعال واحدة وما يدبره هذا هو ما يخطط له ذاك وأغراضهم هي هي والمسار الذين يسيرون فيه هو نفسه، ثم إذا كان الفاعل اسمه بونابرت أو كورييل فما فعله عندهم احتلال وتخريب، وإذا كان بونابرت أو كورييل هذا يتغلف باسم محمد علي أو عبد الناصر فهو نهضة وتقدم.

ولكي لا تكون كهؤلاء البقر، ولكي تفهم تاريخ بلاليص ستان والمسار الذي سارت وما زالت تسير فيه، ينبغي أن تعي وأنت تفحص الأشخاص وترصد الأحداث، أن الحكم على الأشخاص بهوياتهم الحقيقية وليس بأسمائهم ولا سِحنتهم وما يلبسونه، والحكم على الأفعال والأحداث بحقائقها، وبما تفضي إليه، وليس بما يُرفع فوقها من شعارات، ولا ما يؤلف فيها من أغانٍ ويُنشد حولها من أناشيد.

ومفتاح ذلك كله، أن تنتبه إلى المعيار والميزان، ولا يذهلك عنه بريق الأشخاص، ولا زخرف الشعارات، ولا ما يؤلفون فيه الأغاني على أنه إنجازات، والمعيار والميزان هو وحي الإله فقط، فمَن كان فِعْله والمسار الذي يسير فيه مخالفاً للمعيار والميزان فهو فاسد مفسد وعلى باطل، كائناً ما كان بريق ما يرفعه من شعارات، وما ينشدونه في بطولاته من أناشيد، وما يؤلفونه في إنجازاته من أغانٍ.

اما إذا غاب عنك الميزان، وذُهلت عن المعيار، فستنتهي بأن تكون كغيرك من الأميين في بلاليص ستان، كل من دبر له اليهود والماسون تدبيراً يستغفل به العوام ويمتطي أعناقهم وهو يصرخ بسب الغرب، يصير عندك من الزعماء، وهو لهم من العملاء، ومن زعق في الصحف والشاشات برمي اليهود في البحر تراه بطلاً، وهو من تربية حواريهم وخرج من بين أحضانهم، وتُغني مع الأميين الأغاني وتنشد الأناشيد في إنجازات من يقولون إنه من المصلحين، وهو من المفسدين.

وإذا لم يغب عنك المعيار والميزان، وإذا كنت ممن يرى الأشخاص ويحكم عليهم بتكوينهم وبنائهم الذهني والنفسي وحقيقة ما يفعلونه، وليس بالشعارات التي يرفعونها، وإذا لم يذهلك اختلاف الأسماء عن أن صاحبها واحد، ولا اختلاف الألبسة عن إدراك أن من في داخلها هو هو، فستدرك أن الآتين من الخلف في بلاليص ستان، من أول أولهم وصولاً إلى ثالثهم، ليسوا سوى شخص واحد يتم استنساخه على أعتاب كل مرحلة أو نقلة كبرى في مسارها اليهودي الماسوني، وأن مسارهم جميعاً، من أول استنباتهم في حواري اليهود، مروراً باندساسهم أو دسهم في الجيوش وصعودهم فيها، وصولاً إلى وصولهم في أتون الأزمات تلقائية أو مدبرة إلى رأس السلطة، في غلاف أن كلاً منهم هو المخلص الذي سوف ينقذ بلاليص ستان من هذه الأزمات، ثم سفكهم لدماء من غرر بهم هذا الغلاف وسحقهم لكل قوة في المجتمع تحفظ مساره، لكي يتمكنوا من الانحراف به، وليكونوا بعد الانفراد التام بالسلطة أداة النقلة الكبرى في بلاليص ستان واقتراب المشروع اليهودي من غايته خطوة جديدة، مسار الآتين من الخلف جميعاً ليس سوى السيناريو نفسه، ومن يؤلفونه ويخرجونه ويمولونه هم أنفسهم، وهؤلاء لا تراهم ولا ترصدهم كاميرات التاريخ، لأنها لا ترى المؤلفين والمخرجين والمنتجين، والذي يختلف في هذا السيناريو هم فقط من يقومون بتمثيله ويظهرون على شاشة التاريخ.

ومرة أخرى، وكما أخبرناك من قبل مع جمال الدين الأفغاني، لن تفهم حقيقة أي حدث في بلاليص ستان، منذ حملة الماسون في فرنسا عليها، ولن تدرك خبئية من تصدروا هذه الأحداث، إلا إذا علمتَ صلتهم وصلة ما يفعلونه بالمشروع اليهودي الذي يدور كل شيء فيها حوله ويدار من أجله.

يقول كلوت بك عن نشأة أول الآتين من الخلف:

"**ولد محمد علي سنة ١٧٦٩م بقَوَلة من الثغور الصغيرة في الروملّلي**"[١].

وقَوَلة، بفتح القاف واللام، وتنطق قَفَلة، بقلب الواو الشفوية فاءًا، هو النطق التركي لاسم بلدة كافالا Kavala، وهي مدينة صغيرة في إقليم مقدونيا Macedonia شمال اليونان، وهي ثاني مواني الإقليم على بحر إيجه، وتوأم مدينة سالونيكا، مدينة الدونمة وعاصمة الإقليم وميناؤها الأول، وبينهما مائة وخمسون كيلومتراً، وفي سنة ١٣٨٧م صارت جزءًا من الدولة العثمانية بعد ضم اليونان إليها.

ويقول المؤرخ إلياس الأيوبي، في كتابه: محمد علي سيرته وآثاره، في معنى اسم قَوَلة:

"**على تلك الصخرة الفرسية الشكل أقيمت منذ القدم مدينة صغيرة ... حتى وردها البندقيون، فينيقيو الأعصر الوسطى، وهم يجولون رايتهم التجارية الاستعمارية على سواحل بحر الأرخبيل، فلما رأوا هم أيضاً شكلها أطلقوا عليها اسم لاكافالا، أي الفرس باللغة الإيطالية، وجعلوها مستودعاً لبضائعهم، فلما آلت إلى حكم الأ تراك حرفوا الاسم وجعلوها قَوَلة**"[٢].

وما قاله إلياس الأيوبي هو أحد وجهين في تفسير اسم كافالا/ قَوَلة، فإليك الوجه الثاني من دراسة موسوعة ويكيبيديا اليهودية عن المدينة بالإنجليزية:

---

١) لمحة عامة إلى مصر، ص٥٧.

٢) المؤرخ إلياس الأيوبي: محمد علي سيرته وآثاره، ص٦، عنيت بنشره إدارة الهلال بمصر، ١٩٢٣م.

"واسم مدينة كافالا مأخوذ من كافالو الإيطالية Cavallo، أي الفرس، أو من قبالاه العبرية Hebrew Kabbalah، بسبب الكثافة الكبيرة لليهود في المدينة قديماً"[١].

فإليك من أين جاءت كثافة اليهود الكبيرة بقَوَلة، وكيف صارت مستوطنة يهودية، من الموسوعة اليهودية المطبوعة في إسرائيل Encyclopedia Judaica، في دراستها عن مدينة كافالا:

"بعد غزو الأتراك لبودابست سنة ١٥٢٦م، انتقل يهود المجر إلى صوفيا Sofia، ثم إلى كافالا/ قَوَلة سنة ١٥٢٩م، ثم استوطنها السفارديم والأشكناز معاً، ولكن غلب عليها السفارديم، وفي القرن السادس عشر صار فيها أربعة كنيسات Synagogues، وفي سنة ١٦٧٦م صار اليهود يشكلون ثلث تعداد المدينة"[٢].

وما يعضد أن اسم كافالا/قَوَلة مأخوذ من القبالاه، أو أنه من آثار اليهود، أن الموقع الرسمي لمدينة كافالا على الإنترنت يقول إن اسمها قبل المسيحية كان: نيبوليس Neapolis، أو المدينة الجديدة، وبعد المسيحية صار: كريستوبوليس Christoupolis Χριστούπολη، أو مدينة المسيح، والتحول في اسمها إلى كافالا حدث في القرن السادس عشر، بالتزامن مع انتقال يهود المجر إليها واستيطانهم لها.

وفي أول ظهور لأول الآتين من الخلف في كتبه، يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، في الجزء الثاني من كتابه: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم:

"نشأ محمد علي بمدينة قَوَلة من ثغور مقدونيا ... وكان أبوه إبراهيم أغا رئيس الحرس المنوط به خفارة الطريق ببلده، وكان له سبعة عشر ولداً لم يعش منهم سوى محمد علي،

---

1) Wikipedia, The Free Encyclopedia: Kavala.
2) Simon Marcus And Yitzchak Kerem: Kavalla, Encyclopedia Judaica, Vol. XII, P38, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

ومات عنه صغير السن يتيم الأبوين لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فكفله عمه طوسون، ثم توفى عمه بعد ذلك بمدة يسيرة، فكفله حاكم المدينة، الشوربجي، وكان صديقاً لوالده"[١].

ولأن أباه مات وهو صغير، فأمه هي محضنه ومعمل تكوينه الأول، كما يقول المؤرخ إلياس الأيوبي في سيرته لأول الآتين من الخلف:

"**وأما اسم والدته، فإن التاريخ، بفضل العادات الشرقية التي كانت ولا تزال تأبى على المرأة أن يُعرف اسمها خارج بيتها، جهّله فلم يعرفنا به، على أننا كنا نود معرفته، لأننا موقنون أن محمد علي مدين لتلك الأم أكثر مما هو مدين لأبيه ... فقد كانت أمه هذه حادة الشعور، حماء الخيال، يدل على ذلك المنام الذي يقال إنها رأته وهي حامل بابنها المجيد، وفسره بعض العرافين لها، فأكد لها أنه يبشر بمستقبل عظيم لثمرة بطنها، فلما بلغ ولدها في أول صباه من السن ما جعله قادراً على التفهم، فإنها ما فتئت تخبره بذلك المنام، لتوجد في فؤاده الميل إلى عظائم الأمور ... وأخذ المنام الذي رأته أمه وقصته عليه في أوائل صبوته يتردد كثيراً على مخيلته ويوقظ فيها أوهاماً غريبة، جعلته يحلم ذات ليلة أنه ظمِئ ظمأً شديداً فشرب كل ماء النيل ولم يرتوِ، فلما كان الصباح قص منامه على الشيخ الذي يفسر الأحلام وتعرف به عند الشوربجي، فقال هذا له: "أبشر يا بني، فإن منامك يعني أنك ستملك وادي النيل بأسره ولن تكتفي به، بل ستسعى إلى امتلاك أقطار غيره"[٢].**

فهل يذكرك كلام المؤرخ إلياس الأيوبي عن أم أول الآتين من الخلف، ودورها في غرس بذور التطلع إلى السلطة في نفسه وقدح شرارة السعي إليها والتسلل إلى ما يوصل لها، وعن الرؤى التي تبشره بالحكم وملك مصر، بالصورة طبق الأصل منها التي تراها في كلام ثالث الآتين من الخلف عن أمه وما رآه ورأته له من رؤى؟

---

١) المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم، الجزء الثاني، ص٢٥٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢) محمد علي سيرته وآثاره، ص٨-٩، ١٣.

فإذا ذكرك هذا بذاك، فستكون قد وضعت يدك على مفتاح بنائهما الذهني والنفسي، وخَطَوتَ الخطوة الأولى نحو إدراك أنهما في هذا البناء وما فيه من غايات وما يصدر عنه من أساليب، ليسا سوى نبتين من بذرةٍ واحدة، ومحضنهما وتربتها والماء الذي كونها هو هو، وأن المعمل الذي تم تصنيعهما فيه وتعبئتهما وتقفيلهما هو نفسه، وكذلك ثاني الآتين من الخلف.

وصدق إلياس الأيوبي، فالآتون من الخلف في بلاليص ستان هم جميعاً أمهاتهم وليسوا آباءهم، فأمهم هي الهوية والتكوين والغاية والسلوك وما يحبونه وما يكرهونه، وآباؤهم ليسوا سوى الرداء الذي يتخفون فيه ويُصدِّرونه لمن يحيطون بهم، لكي يكون الغلاف الذي يتحركون به في المجتمع، والقناة التي يتسللون من خلالها إلى الجيوش ويصعدون فيها، ثم يثبون منها إلى السلطة ويمسكون بزمام الدولة والمجتمع، لكي يحولوا مسارها في اتجاه الغايات التي أرضعتها لهم أمهاتهم، فأسماء آبائهم ليست سوى مطايا يصلون عليها إلى ما أرادته أمهاتهم.

فإليك المؤرخ روبرت ستيفنز في سيرته لثاني الآتين من الخلف، يخبرك بنسخة مطابقة لما أخبرك به إلياس الأيوبي عن أول الآتين من الخلف:

"وأم عبد الناصر، كانت أقوى أثراً فيه من أبيه، وقد نقلت إليه بعضاً من دهاء أسرتها "Her Family' Shrewd Buissenes Acumen"[1].

وأما ما قاله إلياس الأيوبي عن تجهيل التاريخ لاسم أم أول الآتين من الخلف وهويتها، وتفسيره لذلك بالعادات الشرقية، فليس صحيحاً على إطلاقه، بل عند العوام وفي الطبقات الدنيا فقط، وإذا ذهبت إلى تاريخ الجبرتي المعاصر لأول الآتين من الخلف، فستجد فيه عشرات النماذج من الأشراف والعلماء والأعيان، يذكر نسبهم من جهة أمهاتهم، وسيرة هؤلاء الأمهات، إن لم يكن بأسمائهن فبآبائهن وإخوانهن وإلى من ينتسبن من الأسر.

أما أمهات الآتين من الخلف، فليس التاريخ هو الذي يُجهّل أسماءهن وهوياتهن، بل يتم هذا التجهيل عمداً وقصداً، ليس فقط لأسمائهن، بل ولنسبهن ولكل من كان له صلة قرابة بهن، لأن

---

1) Robert Henry Stephens: Nasser: A Political Biography, P23, Simon And Schuster, New York, 1972.

هذا التجهيل هو ما يحفظ الهوية الغلاف للآتي من الخلف، ومن غيره تنكشف هويته الأخرى والحقيقية، وتنسد الطرق التي يتسلل فيها إلى الجيش والسلطة، ويتعرقل المسار الذي يريد أن ينحرف ببلاليص ستان إليه، وتنكشف حقيقته وصلته بالمشروع اليهودي.

ففي سيرة جميع الآتين من الخلف، ستجد كتب التاريخ في بلاليص ستان ومن يكتبون سيرتهم من الأميين، يحدثونك عن آباء الآتين من الخلف وأقاربهم من جهة الأب، ولكنك لن تجد إجابة عن السؤال: من تكون أم الآتي من الخلف، وأين نشأت أو من أين أتت، ومن يكون أبوها وجده، ومن هم إخوتها وأخواله، أو ستجد معلومات ملفقة ومبتورة، لكي لا يكون في مقدور أحد أن يتتبعها ويصل إلى الأصول الحقيقية للآتي من الخلف من جهة أمه.

أما المؤرخ وأستاذ التاريخ في جامعة لندن هنري دودويل Henry Dodwell، فيقول في دراسته الأكاديمية عن أول الآتين من الخلف، والتي صدرت سنة ١٩٣١م عن مطبعة جامعة كمبردج، بعنوان: مؤسس مصر الحديثة The Founder of Modern Egypt، إن أصول محمد علي وعائلته مجهولة من جهة أمه وأبيه معاً، ومنه تدرك أن ما كتبه مؤرخو بلاليص ستان عن أبيه هو سيرة لفقوها للرجل الذي يعيشون في كنف خلفائه والدولة التي أسسها، ولأنهم هم أنفسهم من نتاج ما فعله في مصر ويريدون تمجيده.

يقول أستاذ التاريخ والمؤرخ البريطاني هنري دودويل:

"وهناك دعاوى بأن أصول أسرته تركية أو ألبانية أو فارسية، ولكن لا توجد أي معلومات عنها، فأصول أسرته مجهولة وغير محددة Unknown And Undistinguished"[١].

ويقول كلوت بك إن الأغا الذي كفل محمد علي بعد وفاة أبيه وعمه:

"زوَّجه من قريبة له ذات ثروة وخصب من العيش، فتفرغ للتجارة وبرع فيها، وربح من المال ما شرف به قدره وعظم خطره ... ومن محاسن الاتفاق أنه تلقى من فرنسي يدعى المسيو ليون عبارات التشجيع التي نبهت في نفسه الآمال وأيقظت المطامع من نومتها"[١].

---

1) The Founder of Modern Egyp,P9.

فأما من يكون المسيو ليون الذي نبه في نفس محمد علي الآمال وأيقظ المطامع، فيقول إلياس الأيوبي:

"وتعرف به فرنسي يقال له المسيو ليون، وكان على رأس محل تجاري في قَولة منذ سنة ١٧٧١م ... فأحبه كثيراً، وزوده بالنصائح والإرشادات الثمينة، فكان لحب هذا الفرنساوي الأبوي أثر عميق في قلب محمد علي جعله منذ ذلك الحين ميالاً إلى الفرنساويين أكثر منه إلى كل جنسية غربية أخرى"[٢].

فتعرف من إلياس الأيوبي أن المسيو ليون كان تاجراً أو صاحب محل تجاري في كافالا/قَولة، وأهم من ذلك تفهم منه أثر الوسط الذي ينشا فيه أي إنسان والأشخاص المحيطين به في تكوين ذهنه ونفسه وطبعه بطباعه التي تلازمه طوال حياته، وبها يحب تلقائياً ويكره، ويميل إلى هذا الشيء أو النمط من الحياة وينفر من ذاك، فالذي ينشأ في حواري اليهود وبين أحضانهم يهودي بالتكوين والبناء الذهني والنفسي وما تَكوّن فيه من غايات وما يصدر عنه من سلوك، ولو كان عربي الاسم قرشي الأب.

وأما التجارة التي كان يعمل بها المسيو ليون، وأدخل إليها أول الآتين من الخلف دلالاً، ثم ارتقى فيها وبرع، إلى أن صارت هي سبب ارتفاع شأنه وعظم خطره، فتعرفها من المؤرخ عبد الرحمن الرافعي:

"وتفرغ لتجارة الدخان فربح منها، وكان لممارسته التجارة دخل كبير في تثقيف ذهنه ومرانه على الشؤون المالية، وقد لازمه الميل إلى ممارسة التجارة والتطلع إلى أرباحها الوفيرة حتى انه احتكر تجارة القطن المصري بأجمعها ... وكان في المدينة تاجر فرنسي يدعى المسيو ليون ،عرف محمد علي في صباه وأخلصه الود والعطف، وأفاده بخبرته في

١) لمحة عامة إلى مصر، ص٥٧، ٤٦٩.

٢) محمد علي سيرته وآثاره، ص١٢.

التجارة ... مارس محمد علي تجارة الدخان، وكانت تجارته ولم تزل من أهم موارد مقدونيا ومن أعظم صادراتها"[١].

وستعرف مَن الذين ثقفوا محمد علي ومرنوه، إذا تذكرت ما علمته مِن أن بين اليهود وكافالا/قَوَلة علاقة وثيقة، وهي مستوطنة لهم منذ أوائل القرن السادس عشر، ثم إذا علمت أن بين اليهود وتجارة الدخان أو التبغ علاقة أوثق، ليس في كافالا/قَوَلة وحدها، فقد كانوا يحتكرون تجارة التبغ وصناعته وكل ما يرتبط بها، في كافالا/قَوَلة، وفي إقليم مقدونيا اليوناني، وفي اليونان العثمانية كلها.

اليهود والتبغ والتدخين:

وبين اليهود، خصوصاً الأخفياء منهم، وتجارة التبغ وصناعته في الغرب كله علاقة تاريخية عريقة، تبدأ من اكتشافه في القارة الأمريكية الجديدة وجلْبه منها إلى أوروبا، فالذي لاحظ إحراق رجال قبائل الشواطئ التي رست عليها سفنهم لأوراق التبغ واستنشاق دخانها واستمتاعهم بذلك، ثم نقلها إلى القارة الأوروبية، لويس دي توريز، وهو أحد المترجمين المصاحبين لكرستوفر كولومبوس في أول رحلة له، والتي رسا فيها على شاطئ كوبا، ودي توريز هو الآخر، ولا تستعجب، من اليهود الأخفياء، واسمه الأصلي جوزيف بن ليفيYosef Ben Levi.

في دراسته: اليهود والتدخين Jews And Smaking، والتي وضعها في كتابه: الدخان، التاريخ العالمي للتدخين Smoke,A Global History Of Smoking، الذي ألفه بالاشتراك مع البروفسور زون زهو Xun Zhou، ينقل المؤرخ اليهودي الأمريكي وأستاذ التاريخ في جامعة شيكاغو ساندر جيلمان Sander Gilman، عن كتاب: تاريخ جزر الهند Historia De Las Indias، لبارتولومي دي لاس كازاس Bartolomé De Las Casas، الذي صاحب كولومبوس في رحلاته ودون يومياتها، أنه:

١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم، ج٢، ص٢٥٨.

"في يوم ٢ نوفمبر سنة ١٤٩٢م رسا كولمبس على ما عرف بعد ذلك باسم كوبا، وأرسل اثنين من طاقم سفينته للاستطلاع، فعادا في يوم ٦ نوفمبر سنة ١٤٩٢م، وأخبراه أنهما وجدا قرية يشرب أهلها الدخان، فيشعلون أحد طرفي ورقة التبغ ويمتصون الدخان من الطرف الآخر، وأحد هذين الرجلين هو لويس دي توريز Luis De Torres مترجم كولومبوس، وكان يجيد الإسبانية والبرتغالية والعربية والعبرية، وقد كان هو الذي نقل التبغ وتدخينه إلى أوروبا"(١).

ثم كان هذا هو تعقيب البروفسور جيلمان على رواية دي لاس كازاس:

"وتوريز هو أحد اليهود الاخفياء Hidden Jews الذين ظلوا في إسبانيا بعد طرد اليهود والمغاربة منها"(٢).

ويقول جيلمان إن يهود السفارديم الذين هاجروا من إسبانيا واستوطنوا مدن هولندا وألمانيا، قاموا بدور محوري Substantial Role، في نقل زراعة التبغ وصناعة الدخان إلى أوروبا في مطلع العصر الحديث، وتزيد الموسوعة اليهودية عليه، أن:

"قسماً كبيراً من اليهود الذين نقلوا التبغ وطوروا ما يرتبط به من صناعة الدخان ووسائل التدخين كانوا من يهود المارانو Marranos"(٣).

والمارانو هم اليهود الذين تحولوا إلى الكاثوليكية ظاهراً وظلوا على يهوديتهم في الحقيقة بعد استيلاء الإسبان على الأندلس، وهم إحدى أكبر طوائف اليهود الأخفياء في تاريخ العالم، ويناظرون يهود الدونمة في تركيا العثمانية، وأثرهم في أوروبا المسيحية بعد انتشارهم فيها نظير أثر الدونمة في بلاد الإسلام.

ويقول جيلمان والموسوعة اليهودية إنه:

---

1) Sander Gilman And Xun Zhou: Smoke, A Global History Of Smoking, P278, Reaktion Books, November 4, 2004.
2) A Global History Of Smoking, P278.
3) Henry Wasserman: Tobbacco Trade And Industries: Encyclopedia Judaica, Vol. XX, P6.

" في اوائل القرن السابع عشر أسس اليهودي إزاك إتاليانـدر Isak Italiaander أول مركز لاستيراد التبغ وصناعته في أمستردام، وأول عشرة من تجار التبغ وأصحاب مراكز صناعته في هولندا كانوا من يهود السفارديم، وفي سنة ١٦١٢م سمح مجلس مدينة هامبورج ليهود السفارديم القادمين من البرتغال أن يقيموا فيها، ولم يكن يُسمح قبلها لليهود أن يعيشوا في داخل المدينة، لأن هؤلاء القادمين كانوا تجاراً ويجلبون إلى المدينة الكماليات والسلع غير المألوفة Exotic Wares، مثل التبغ والقهوة والكاكاو والبهارات، فصارت هامبورج مركز صناعة التبغ وتجارته في وسط أوروبا، وفي سنة ١٦٤٨م استوطن تجار التبغ السفارديم مدينة جرونَنجن Groningen في هولندا، وفي سنة ١٧٤٣م أسس اليهودي السفاردي دييجو دي أجويلار Diego D'Aguilar شركة احتكرت تجارة التبغ وما يرتبط بها من صناعات في النمسا والولايات الجنوبية في ألمانيا، ثم ورثها عنه إسرائيل هونج Israel Honig سنة ١٧٨٨م، وفي أواخر القرن السابع عشر كان أول من استوطن ميكلنبرج Mecklenburg من اليهود تجار التبغ، فقاموا بتنظيم التجارة، ولعب ميشائيل هنريشن Michael Hinrichsen دوراً كبيراً في وضع قواعد للتجارة وصياغة العقود في ألمانيا كلها، وفي القرن الثامن عشر صارت تجارة التبغ وصناعاته في المجر وبوهيميا احتكاراً في يد أسرة بوبر Popper في دوبروشكا Dobruschka، وأسرة هونج Honig، وكان اليهود يملكون ٤٠% من مصانع التبغ وما يرتبط بها من صناعات في مانهايم Mannheim رغم أنهم لا يمثلون سوى ٤% من تعداد المدينة"[1]، [2].

أما في الدولة العثمانية، وفي إقليم مقدونيا اليوناني تحديداً، فتقول الموسوعة اليهودية:

"لعب يهود السفارديم دوراً فعالاً وكبيراً في تجارة التبغ في الدولة العثمانية منذ بداية ظهور هذه التجارة، وأفراد أسرة ريكاناتي البنكية Recanati Banking Family بدأوا نشاطهم كتجار للتبغ في سالونيكا، ثم احتكروا تجارة التبغ وصناعاته في تريس Thrace ومقدونيا Macedonia، وصاروا مع أسرة ألاتينو Alatino الموردين الوحيدين للتبغ"[3].

---

1) A Global History Of Smoking, P278.
2) Tobbacco Trade And Industries: Encyclopedia Judaica, Vol. XX, P6.
3) Tobbacco Trade And Industries: Encyclopedia Judaica, Vol. XX, P7.

وسيطرة اليهود، خصوصاً أسرة ألاتيني، على صناعة التبغ وتجارته في إقليم مقدونيا، ودوران جميع من يعملون في الأنشطة الخاصة بها حولهم، يؤكدها المؤرخ التركي سوروك إليكاك Suruk Ilicak، في دراسته التي نشرها في عدد شهر سبتمبر سنة ٢٠٠٢م، من مجلة: دراسات جنوب شرق أوروبا والبحر الأسود South East Europpean And Black Sea Studies، وكان عنوان دراسته: الاشتراكية اليهودية في سالونيكا العثمانية Jewish Socialism In Ottoman Salonica:

"**بنت أسرة ألاتيني ثروتها من التجارة والتصدير، وكان أفراد الأسرة يملكون أكبر مصانع التبغ في البلقان كلها، ويحتكرون تجارة التبغ ويجلبونه من جميع مناطق مقدونيا إلى سالونيكا لتصديره من مينائها، وكان لهم وكالات وعملاء في كل مكان من البلقان، حتى في البلدات الصغيرة Even In Small Towns**"[١].

وسوف تدرك أن التجارة ترتبط بغايات من يسيطرون عليها، ولا تنفصل عن السياسة والثورات والانقلابات التي شهدها عالم الإسلام كله من أجل تغيير مساره، حين تعلم أن أسرة ألاتينو/ألاتيني مالكة بنوك سالونيكا، والتي كانت تحتكر تجارة التبغ وصناعات الدخان في مقدونيا واليونان العثمانية، هي الأسرة التي اعتقلت حركة الاتحاد والترقي اليهودية الماسونية السلطان عبد الحميد الثاني في أحد قصورها بعد خلعه ونفيه إلى سالونيكا، وهي مستوطنة الدونمة وأكبر حواري اليهود في الدولة العثمانية وأورشليم البلقان، كما يقول سوروك إليكاك:

"**كانت سالونيكا عقل البلقان العثمانية وقلبها في وقت واحد، وأورشليم البلقان Jerusalem Of Balkans، وعند منتصف القرن التاسع عشر كان يوجد في سالونيكا خمسة عشر ألف أسرة يهودية، وكان اليهود يشكلون أكثر من نصف تعداد المدينة، وثلثي القوة العاملة فيها، ويسيطرون على الأنشطة الصناعية والتجارية والمالية فيها سيطرة تامة،**

---

1) Suruk Ilicak: Jewish Socialism In Ottoman Salonica, Journal Of South East Europpean And Black Sea Studies,Vol.2,No.3, September, 2002, P119.

وكانت اللغة اليهودية الإسبانية JudeoSpanish هي لغة التعامل في الحياة اليومية في المدينة"[1].

وسالونيكا كانت ميناء تصدير التبغ الرئيسي في مقدونيا وشمال اليونان، أما: "**أكبر مركز لزراعة التبغ وصناعته، والميناء الثاني لتصديره، فهي كافالا/قَوَلة**"، ثاني حواري اليهود في اليونان العثمانية بعد سالونيكا، ومحضن أول الآتين من الخلف، كما يقول ديمتريوس سترجيوبولوسDimitrios Stergiopoulos، في دراسته: زراعة التبغ وتجارته في كافالا/قَوَلة والسياسة المالية للدولة العثمانية، نموذج على التطور المالي في أواخر الإمبراطورية العثمانية Tobacco Cultivation And Trade In Kavalla And The Ottoman Financial Policy, A Case Of Financial Growth In The Late Ottoman Empire، والتي نشرها في عدد شهر مايو سنة ٢٠١٦م، من مجلة التقدم في الدراسات التاريخية Advances In Historical Studies، التي يصدرها قسم التاريخ في جامعة كاليفورنيا[2].

وبسبب موقعها من زراعة التبغ وصناعته وتصديره، تخبرك الموسوعة اليهودية في دراستها عن كافالا أنه:

"منذ القرن الثامن عشر بدأ تيار Influx من الأسر اليهودية التي تعمل في تجارة التبغ وصناعته يتدفق على كافالا/قَوَلة، وعند نهاية القرن التاسع عشر كان نصف يهود المدينة يعملون في صناعة التبغ، وأغلب الباقين كانوا يعملون في تخزينه وتجارته"[3].

وفي بلاليص ستان، أول مصنع للسجائر في تاريخها، تم تأسيسه في عشرينيات القرن التاسع عشر، في عهد أول الآتين من الخلف، والذي:

"أسسه اليهوديان مندلباوم وهوروفيتس، في الإسكندرية، بعد مجيئهما إلى مصر"[1].

---

1) Jewish Socialism In Ottoman Salonica, Journal Of South East Europpean And Black Sea Studies,Vol.2,No.3, September, 2002, P116.
2) Dimitrios Stergiopoulos: Tobacco Cultivation And Trade In Kavalla And The Ottoman Financial Policy, A Case Of Financial Growth In The Late Ottoman Empire, Journal Of Advances In Historical Studies, 2016, 5, P92-101.
3) Encyclopedia Judaica, Vol. XII, P38. : Kavalla.

وثمة سؤال نريدك أن تفكر فيه الآن بروية وتجيب عليه وأنت تواصل معنا سيرة أول الآتين من الخلف، أول الآتين من الخلف في بلاليص ستان خرج من كافالا/قَوَلة، ثاني حواري اليهود في اليونان العثمانية، وأتاتورك الآتي من الخلف في تركيا خرج من سالونيكا، كبرى حواري اليهود فيها، وثاني الآتين من الخلف وثالثهم في بلاليص ستان نبتوا وخرجوا من حارة اليهود في قاهرتها.

والسؤال الذي نريدك أن تفكر فيه وتجيب عليه هو: هل هي مصادفة أن يكون كل من أتوا من الخلف إلى رأس السلطة في تاريخ بلاليص ستان عبر الفوضى والأزمات ليغيروا مسارها وملامحها، من مجهولي الهوية والأصل، خصوصاً من جهة أمهاتهم، وأن يكونوا جميعاً من خريجي حواري اليهود، وهل مسارهم الذي يبدأ بتسللهم من حواري اليهود إلى الجيوش وصعودهم فيها، إلى أن تأتي الأزمة أو تُصنع الفوضى التي تطفو بهم على سطح الأحداث وتصل بهم إلى السلطة، حتى إذا تمكنوا منها وصاروا ولي الأمر المتغلب سفكوا الدماء واصطدموا بالأزهر وأزاحوا العلماء وكتفوا عموم الناس وقضوا على كل قوة في المجتمع تحفظ مساره وتعرقل طريقهم، ثم انحرافهم بمسار مصر لكي يسيروا بها خلف الغرب ويقربوها من غاية اليهود، ويواكب ذلك مظاهر من العمران والتمدين الزائف والإنجازات المؤقتة يمدهم بها الغرب، لكي يجعلوها مبادلة مع العقائد والشرائع التي يزيحونها من الدولة والمجتمع والتعليم والإعلام، هل مسار الآتين من الخلف هذا، والذي هو نسخة واحدة تتكرر في بلاليص ستان كل حين من الزمان، هل هو مسار عشوائي يحدث وحده وتلقائياً دون أن يريده او يدبر له أحد؟

فإذا انتبهت إلى أن جميع من صعدت بهم الفوضى والأزمات، أو صعدوا بالثورات والانقلابات إلى رأس السلطة في بلاليص ستان، خرجوا من حواري اليهود، وأن ذلك لا يمكن

---

١) المؤرخ اليهودي يعقوب لانداو: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص١٦٥، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

أن يكون من قبيل المصادفات العشوائية، وإذا فطنت أن مسارهم الواحد والمرسوم بدقة، منذ خروجهم من هذه الحواري وتسللهم إلى الجيوش إلى أن يصلوا إلى السلطة في بلاليص ستان ويغيروا مسارها ويقربوه من المشروع اليهودي، لا يمكن أن يحدث وحده ولا من تلقاء نفسه، وأن ثمة من يرسم هذا المسار ويدبر له، إذا انتبهت وفطنت فستكون قد وضعت قدمك على أول درجة في سُلم أن تفهم مسار بلاليص ستان وما شهدته وما زالت تشهده من أحداث، منذ أول الآتين من الخلف وحتى زمانك، زمان ثالث الآتين من الخلف.

أما إذا لم تنتبه ولم تفطن وواصلت السير خلف المرتزقة وقطعان الأميين من المؤرخين، ليكون تفسير ذلك كله عندك في المصادفات غير المقصودة والأحداث التلقائية التي تحدث وترتب نفسها وحدها دون إرادة ولا تدبير من أحد من البشر، فنهنئك بدخولك عضواً في نادي البقر في بلاليص ستان.

ونعود بك إلى أول الآتين من الخلف، لنسألك سؤالاً آخر: ما الذي جعل تاجر التبغ يترك تجارته التي يربح منها وارتفع بها قدره وسما خطره، وما الذي جاء به إلى مصر وهي في مواجهة حملة عسكرية وتشهد صراعاً عنيفاً معها؟

يقول طبيب أول الآتين من الخلف، الفرنسي كلوت بك:

"لما أغار الفرنسيون على مصر، وهمَّ الباب العالي بالتعبئة وتسيير الجيوش لدفع عادية هؤلاء المغيرين عنها صدر الأمر بأن تقدم بلدة قَوَلة من أهلها فصيلة مؤلفة من ثلاثمائة مقاتل، فاندرج محمد علي في سلكها، وحضر واقعة أبي قير فامتاز فيها بالبسالة والإقدام"[١].

فتفهم من عبارة كلوت بك أن أول الآتين من الخلف، تاجر التبغ الموسر، وقد تخطى الثلاثين من عمره، انضم إلى الفصيلة الذاهبة لمواجهة الفرنسيين في مصر برغبته، وهو ما تؤكده عبارة المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي:

---

١) لمحة عامة إلى مصر، ص٥٧.

"صدر الأمر إلى متصرف قَوَلة بتقديم ما لديه من الجنود، فألف كتيبة من ثلاثمائة جندي انتظم محمد علي في سلكها، وكان ابن الحاكم علي أغا رئيساً لها ومحمد علي معاوناً له"[1].

ويزيدك تأكداً، أن تعلم أن الفصيلة الذاهبة إلى مصر من قَوَلة، والتي تطوع أول الآتين من الخلف للانضمام إليها، كانت نوعاً من المتطوعين يطلق عليهم في الدولة العثمانية الباشي بوزوق Başıbozuklar، ومعناها الحرفي: قوات بلا رأس أو بلا رئيس، وهي قوات غير نظامية، وأغلب فصائل الباشي بوزوق كانت من غير الأتراك والعرب، ويغلب فيها المغامرون من الأروام والألبان والشركس، وكانت فصائلهم أشبه بالمرتزقة، وتتكون من أفراد متطوعين تستعين بهم الدولة للقتال في مناطق التمرد والعصيان في مقابل المال، وهو ما جعل كلمة: باشي بوزوق تدخل اللغات والآداب الأوروبية بمعنى آخر غير المقاتلين، وهذا المعنى الآخر هو القتلة وقطاع الطرق!

وتنبه أن هؤلاء الأميين يخبرونك أن أول الآتين من الخلف اندرج أو انتظم من تلقاء نفسه في قوة آتية إلى مصر لمواجهة الفرنسيين وإجلائهم عنها، مع أنهم هم أنفسهم قد أخبروك من قبل أنه كان متيماً بالفرنسيين وهواه معهم، وأنه كان ربيباً لتاجر دخان فرنسي يعيش في قَوَلة، وحين انخرط أول الآتين من الخلف في الحملة العثمانية القادمة لمواجهة الفرنسيين في مصر كان ربيبه الفرنسي ليون ما زال حياً، تعرف ذلك من أنه بعد أن وصل إلى حكم مصر أرسل إلى ليون يستدعيه إليها، ولم يكن يعرف أنه مات، ولما علم أرسل هدايا وعطايا إلى ابنته!

فهل علمتَ أن رجلاً يترك تجارته وثروته وبلده، ويتطوع من أجل السفر عبر البحار إلى بلد لا علاقة له بها، لكي يقاتل قوماً يهواهم وقلبه معلق بهم، ثم هو موسر وليس بحاجة إلى المال لكي يتطوع في قوة من قطاع الطريق؟!

فتفهم من هذه المفارقة التي لم ينتبه إليها الأميون الذين يرصدون ويسجلون دون فهم ولا وعي بمعنى ما يدونونه، أن مواجهة الفرنسيين الذين يهواهم لا يمكن أن تكون هي غاية أول

---

١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم، ج٢، ص٢٥٨.

الآتين من الخلف من قدومه إلى مصر، وأنه لابد له بالضرورة من غاية أخرى لم تكن معلنة، وأنه قد غلف هذه في تلك.

والغاية الأخرى والحقيقية التي دفعت تاجر التبغ الموسر أن يترك تجارته، تعرفها من المؤرخ إلياس الأيوبي، وقد وُلد وعاش في كنف خلفاء أول الآتين من الخلف، إذ ولد سنة ١٨٧٤م، في عهد الخديو إسماعيل، ومات سنة ١٩٢٧م، وكتابه عن أول الآتين من الخلف قصيدة في مدحه والتغني به، وهو يخبرك أن ثَمة مَن دفع أول الآتين من الخلف للدخول في الحملة القادمة إلى مصر، لأنها أول خطوة في طريق أن يملكها.

فالذي دفع أول الآتين من الخلف أن يترك تجارته ويتجه إلى مصر هو الشيخ الذي كان يلتقيه في قصر متصرف قَوَلة وعند التاجر ليون، وأخبره انه سيملك وادي النيل، والذي لم يحدد أحد هويته.

يقول إلياس الأيوبي:

"**بينما محمد علي عائد إلى محل تجارته، اقترب الشيخ منه، وأخذ من يده شبكهُ، ودخن به قليلاً، ومحمد علي لا يرى في ذلك حرجاً لما بينهما من الألفة، ثم تفرس في وجهه وقال له: ما بالك، فكأني أراك مضطرباً؟ أجاب محمد علي: إنهم يريدون إرسالي لقتال الكفار، فقال الشيخ: وبما أجبت؟ قال محمد علي: بالرفض طبعاً، قال الشيخ وقد اكتست ملامحه كلها بالجد: أنت غلطان، أجل إن الطريق طويلة ولكنها توصل إلى العلا، فرنت كلماته في آذان محمد علي وفتحت أمام عينيه آفاقاً زاهرة، وقد قال هو نفسه فيما بعد: إن كلام ذلك الشيخ الذي كنت أثق به وثوقاً كبيراً أقنعني، فعدت إلى الشوربجي ووضعت نفسي تحت تصرفه**"[١].

فأول الآتين من الخلف جاء إلى مصر، لا لمواجهة الفرنسيين، بل ككل الآتين من الخلف، جاء ليعيد سيرة يوسف التوراتي ويبحث عن الطريق التي يتسلل من خلالها إلى السلطة والوسائل التي توصله إلى عرشها.

---

١) محمد علي سيرته وآثاره، ص١٨-١٩.

وما يجعلك على يقين أن المسار المرسوم لأول الآتين من الخلف، أن يأتي إلى مصر لامتلاك زمامها هي تحديداً، لا مجرد أن يكون حاكماً على أي بلد، أنه في شهر ربيع الثاني ١٢٢١هـ/يونيو ١٨٠٦م، وهو في أول سنة من ولايته على مصر، وقبل أن ينفرد بالسلطة فيها، بقتل المماليك والإطاحة بالعلماء وتكوين جيشه الضال، جاء مرسوم من الأستانة مع قبطان باشا وفيه، كما يخبرك الجبرتي:

"**ولاية موسى باشا على مصر، وانفصال محمد علي باشا عن الولاية، والباشا المتولي يستقر بالقلعة كعادته، وأن محمد علي باشا يخرج من مصر إلى ولايته التي تقلدها، وهي ولاية سلانيك**"[١].

ولما وصل المرسوم احتال أول الآتين من الخلف على قبطان باشا وتودد إليه، وتمسح في أهل الحل والعقد من العلماء واحتمى بهم لكي يوقفوا تنفيذ مرسوم السلطان ويظل والياً على مصر، ولم يكن مرسوم ليسري إلا بموافقتهم ولو كان من السلطان نفسه، فكتبوا في جمادى الثانية ١٢٢١هـ/سبتمبر ١٨٠٦م عرضحال وقعه المشايخ والأعيان بأسمائهم وأختامهم، ومما كتبوه فيه أن:

"**محمد علي باشا كافل الإقليم، وحافظ ثغوره، ومؤمن سبله، وقاطع المعتدين، والكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته وأحكامه وعدله، والشريعة مقامة في أيامه، ولا يرتضون خلافه، لما رأوا فيه من عدم الظلم والرفق بالضعفاء وأهل القرى والأرياف ... وجميع أهل البلاد في غاية الراحة والأمن بحسن سياسته وعدله، وامتثاله للأحكام الشرعية، ومحبته للعلماء وأهل الفضائل والإذعان لقولهم ونصحهم**"[٢].

وفي ٩ رجب ١٢٢١هـ/٢٢ سبتمبر ١٨٠٦م وصل مرسوم من الأستانة مضمونه:

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٨.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢٩-٣٠.

"إبقاء محمد علي باشا واستمراره على ولاية مصر، حيث إن الخاصة والعامة راضية بأحكامه وعدله بشهادة العلماء وأشراف الناس، وقبلنا رجاءهم وشهادتهم"[1].

وستعرف وأنت تواصل سيرة أول الآتين من الخلف، أن كل ما انحاز أهل الحل والعقد من العلماء إليه من أجله، وهو في طريقه إلى السلطة وقبل أن يستقر فيها، كان غلافاً يتخفى فيه، ثم خلعه وأطاح به وبهم بعد أن تمكن منها.

وولاية سلانيك/سالونيكا التي جاء المرسوم بنقل أول الآتين من الخلف إليها، هي ولاية مقدونيا التي تقع فيها قَوَلة، موطنه وبلد أهله ومحل تجارته، وبين قَوَلة وسالونيكا مقر الولاية مائة وخمسون كيلومتراً فقط.

ومرة أخرى، هل يمكنك أن تفسر بطرق المؤرخين الأميين التقليدية كيف ولماذا يترك رجلاً الولاية على موطنه وبلد أهله من أجل خوض صراعات عنيفة ومسلحة للوصول إلى السلطة في بلد أخرى من المفترض أنه لا علاقة له بها وجاءها رغماً عنه؟!

وسيكون التفسير أيسر وأسهل، ويتناسق مع ما قابلته من سيرة أول الآتين من الخلف، ومع ما ستقابله من فِعْله في مصر، إذا تركت هؤلاء الأميين، ووضعت فرضية أخرى بسيطة، هي أن مصر هدفه الحقيقي وأنه جاءها قصداً وتدبيراً، وأنه لا يربطه بقَوَلة شيء، لأنها في الحقيقة ليست بلده ولا موقع لها في نفسه وذهنه، وبلد الإنسان ليست كما يفهم الأميون هي التي وُلد أو عاش فيها، بل التي يتعلق بها ذهنه وتدور حولها أفكاره ويعتقد في قراره نفسه أنها بلده.

وطريق الآتين من الخلف جميعاً ووسائلهم إلى ملك مصر، ليست البسالة والإقدام كما قال كلوت بك، بل الدسائس والمكائد وضرب جميع الأطراف ببعضها، كما يخبرك إلياس الأيوبي في فخر وزهو:

"ولكن بطلنا ما لبث أن أدرك أن البسالة والإقدام قد ينفعان، أما التقدم السريع فلا يدرك إلا بالتقرب من الرؤساء، فأخذ من وقته يبحث عن سند ينفعه لدى ذوي الأمر ... ودخل

---

1) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٣.

بسفينته بحر تلك الفوضى العجاج بجانب قوارب الضاربين، وكانوا يمخرون حيثما تذهب بهم ريح تصرفات الأيام، وبينما هم غافلون ربط سفينة مطامعه بحبال خفية بكل قارب من تلك القوارب، وربط دفات الجميع بدفة سفينته من حيث لا يشعر أحد ويظن أنه يجدف لنفسه وفي مصلحتها، بينما هو في الحقيقة يجدف ليوصل إلى الفرضة الأمينة سفينة ذلك الربان الحاذق الذي كان يدير الدفات كلها في الخفاء وهو على ظهر سفينته"![١].

ويقول المؤرخ محمد صبري السوربوني في كتابه الذي كتبه بالفرنسية وصدر في باريس سنة ١٩٣٠م: الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي، وفي فخر وزهو هو الآخر:

"ولم يكن هناك من هو امهر منه ليقوم بتطبيق المقولة الشهيرة: فرق تسد، كما طبقها هو بأقصى درجة من المهارة والشجاعة والدهاء، ويعلق المسيو جوان قائلاً: "لقد كان ثعلباً أحياناً وأسداً على الدوام، فقد استخدم المماليك للتخلص من العثمانيين، وتخلص من المماليك على يد الألبان، ثم تخلص من الألبان بواسطة المصريين، وأثار إعجاب أربعة ولاة ثم دمرهم جميعاً، ولم يتورع عن الجلوس على العرش بعدهم"[٢].

وكل آت من الخلف لابد من معركة مزورة ومتفق عليها يُلبَس فيها رداء البطولة، ليصعد في الجيش ويتوله به العوام، وتكون العتبة التي يعبر منها ويدخل إلى كواليس السلطة، ويبدأ رحلته في سراديبها بحثاً عن طريق الوصول إلى رأسها.

فإليك المعركة التي أُلبس بها أول الآتين من الخلف رداء البطولة، وبدأت من عندها سيناريو صناعة البطل المزور، فصعد من خلالها إلى مسرح الأحداث وظهر اسمه في التاريخ، وهو السيناريو الذي يتكرر بحذافيره مع كل من يتسلل من حواري اليهود إلى الجيوش في بلاليص ستان.

---

١) محمد علي سيرته وآثاره، ص٢٠، ٢٦.

٢) المؤرخ محمد صبري السوربوني: الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي، ج١، ص٥٩، ترجمة: ناجي مضان عطيه، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م.

إليك أول معركة يخوضها محمد علي بعد قدومه إلى مصر، ليتحول ككل الآتين من الخلف بسرعة البرق، من فرد متطوع في فصيلة الباشي بوزوق التي جاء فيها إلى أومباشي/عريف، ثم ليقفز بعد المعركة المزورة إلى صفوف الضباط برتبة بكباشي/مقدم، ثم إلى سرجشمه/ لواء، كل ذلك خلال سنة واحدة(•):

"**واشترك محمد علي في المعارك الأخيرة التي دارت رحاها بين الإنجليز والأتراك من جانب والفرنسيين من جانب آخر، وظهر اسمه في هجوم الجيش التركي على الرحمانية، إذ كان يدافع عنها الجنرال لاجرانج، وناط به حسين قبطان باشا مهاجمة القلعة واحتلالها، فساعده الحظ في مهمته بانسحاب الفرنسيين من قلعة الرحمانية، فاحتلها محمد علي دون عناء**"(١).

أرأيت إلى مؤرخي بلاليص ستان الأميين الذين يفسرون أحداثها والتاريخ الذي تكَوَّن منها بالصدف والحظ، فالصدف عندهم الفاعل، والحظ هو القوى المحركة للتاريخ؟!

وإليك نسخة أخرى من هذا الحظ الذي لا يساعد إلا الآتين من حواري اليهود، فيجبر الأعداء على الانسحاب من أمامهم، ويحسم لهم المعارك، لكي يصيروا أبطالاً، ويفعلوا في رداء البطولة ما أُلبسوه من أجله.

في نهاية الحرب العالمية الأولى احتلت قوات الحلفاء إزمير وتراقيا وحاصرت الأستانة عاصمة الخلافة، فأعلنت الدولة العثمانية الاستسلام، ولكن الدونمي وربيب مدارس الدونمة والقادم من سالونيكا حارة اليهود أتاتورك رفضه، وهو يرفع شعارات الموت فداء لتركيا، ويتهم من قبلوا الاستسلام بالخيانة والتآمر على تركيا، ويخطب هاتفاً ضد الإنجليز في الجمعية الوطنية أو برلمانه الخاص الذي كونه لينازع به السلطان وينتزع به السلطة:

•) الأومباشي وصحتها بالتركية: الأونباشي، معناها الأصلي: رأس العشرة، والبكباشي معناها: رأس الألف، وسرجشمه: قائد الأربعة آلاف.

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٥٨.

"سنقف ضدهم حتى آخر نسمة، حتى نحطم حضارتهم فوق رؤوسهم"[١].

وفي شهر يوليو سنة ١٩٢٠م شنت القوات اليونانية بدعم من حليفتها بريطانيا هجوماً شاملاً على الأناضول، أو تركيا الآسيوية، فاكتسحتها واحتلت أجزاءًا كبيرة منها، وتمكنت القوات التي كونها أتاتورك من رد القوات اليونانية عن الأناضول في معركة إزمير، في شهر أغسطس سنة ١٩٢١م.

وأعادت القوات اليونانية تنظيمها وتجمعت في تريس في تراقيا أو تركيا الأوروبية، ولكي يواجه أتاتورك بالقوات التي تتبعه القوات اليونانية كان لابد له أولاً أن يواجه حليفتها القوات البريطانية ويعبرها، فإليك الكابتن أرمسترونج مؤرخ أتاتورك يخبرك في كتابه: الذئب الأغبر كيف عبرها:

"وهناك في جناق التقت قواته بجيش الاحتلال الإنجليزي الذي أبى أن يسمح لها بالمرور إلى أوروبا، ووقف حائلاً بينها وبين العدو، وكان جنوده ما زالوا خائري القوى، تنقصهم الثياب والذخيرة والأسلحة الميكانيكية الحديثة، بحيث لو أزمع الإنجليز مقاتلتهم حقاً لِمنْعهم من اللحاق باليونانيين لهزموهم شر هزيمة، بفضل خبرة ضباطهم وأسطولهم العظيم وطائراتهم ... وكانت الأوامر لدى القوات الإنجليزية مائعة، تقضي بمنع مرور الأتراك وفي الوقت نفسه بعدم إطلاق النار أو استخدام العنف، وهؤلاء هم الأتراك يتقدمون دون أن يتوقفوا أو يقاتلوا ... وكانت معركة صحراء سقاريا نقطة التحول في حظه، فقد كانت معركة إزمير نجاحاً كبيراً، أما هذا فهو النصر الحقيقي"[٢]!

وهكذا خرج أتاتورك من معركة سقاريا بطلاً قومياً والمخلص التركي.

فإذا تساءلت: ولماذا فتح السير تشارلز هارينجتون قائد القوات البريطانية الطريق أمام قوات أتاتورك الخائرة القوى وتفتقد السلاح والذخيرة والثياب لكي تهاجم قوات اليونان حليفتها، وما هو

١) الكابتن هـ.س. أرمسترونج: الذئب الأغبر مصطفى كمال، ص١٣٤، كتاب الهلال رقم: ١٦، دار الهلال، القاهرة، شوال ١٣٧١هـ/يوليو ١٩٥٢م.

٢) الذئب الأغبر مصطفى كمال، ص١٧٣، ١٧٥.

تفسير هذه الأوامر المائعة في أتون حرب عالمية ضروس، وما تفسير أن تتراجع جيوش عدة دول أوروبية قبلها، إنجلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا، أمام قوات أتاتورك التي جمعها على عجل وهذه هي صفتها، أو كما يصفهم أرمسترونج في موضع آخر: "**حفنة من الأتراك مهلهلي الثياب**"، إذا تساءلت فإليك إجابة مؤرخ الآتي من الخلف في تركيا:

"كان يملك الصفة الرئيسية من صفات القائد العظيم، صفة الحظ"[(١)]!

وستدرك الإجابة الحقيقية وحدك، وتفهم ما حدث حقاً، وما يضللك المؤرخون الأميون عنه، حين تعرف أن تراجع القوات الأوروبية أمام أتاتورك كان يواكبه بزوغ نجمه وصعوده في الجيش والتفاف ضباطه حوله، ليُكوِّن بهم جيشاً موازياً لجيش الدولة ومنفصلاً عنها، وتكوينه للجمعية الوطنية أو برلمانه الخاص، ليكونا معاً أدواته في سرقة السلطة وانتزاعها خطوة خطوة.

فهذا التراجع وهذه الأوامر المائعة، كانت سيناريو صناعته وفتح الطريق له، حتى إذا صار ولي الأمر المتغلب ألغى السلطنة ثم أسقط الخلافة، وسبق الآتين من الخلف في مصر إلى الجمهورية العلمانية، وأبطل الشعائر والشرائع، وحول تركيا إلى دولة بلا دين، وقهر أهلها بالحديد والنار على السير خلف الإنجليز الذين كان يهتف أمام البقر أنه سيحطم حضارتهم على رؤوسهم.

والإجابة على سؤال الآتي من الخلف في تركيا، أتاتورك، هي نفسها الإجابة على سؤال أول الآتين من الخلف في بلاليص ستان، ثم ها هو كلوت بك يخبرك صراحة أن الحظ الذي كان يساعد محمد علي ويكسب له المعارك مع الفرنسيين دون قتال، وفتح له الطريق لينتقل من الجنود إلى الضباط ثم القادة، هذا الحظ ليس سوى الفرنسيين أنفسهم الذين يقول لك المؤرخون الأميون البقر إنه جاء من كافالا/قَوَلة حارة اليهود اليونانية متطوعاً لقتالهم!

---

١) الذئب الأغبر مصطفى كمال، ص١٠٩.

يقول كلوت بك:

"والحقيقة التي لا مراء فيها أن نابليون، أو بعبارة أخرى فرنسا، هي التي أخذت بيده في الطريق، وفتحت له مغاليق الأبواب، فنابليون وفرنسا كانا يعدلان في ما أصاب من النجاح نصف طالعه السعيد"[١]!

وفي الوقت نفسه الذي كان الفرنسيون ينهزمون أمامه بالحظ ويخلون له مواقعهم، كان أول الآتين من الخلف يهزم القوات التركية بالخيانة، وهو قد جاء متطوعاً للقتال معها وباسمها، وجاء إلى مصر مع فصيلته على متن أسطولها.

بعد جلاء القوات الفرنسية عن مصر، اندلع نزاع بين المماليك والقوات العثمانية، وتحصن المماليك بقيادة عثمان البرديسي ومحمد الألفي في دمنهور، فأرسل خسرو باشا، وهو أول والٍ على مصر من قِبل الأستانة بعد جلاء الفرنسيين، وهو أيضاً الذي رفع أول الآتين من الخلف إلى رتبة سرجشمه، أرسل خسرو باشا جيشين لملاقاة جيش المماليك المرابط في دمنهور، أحدهما بقيادة وكيله يوسف باشا كتخدا، والثاني بقيادة أول الآتين من الخلف، وفي ٢٥ رجب ١٢١٧هـ/٢٠ نوفمبر ١٨٠٢م التقى جيش يوسف باشا بجيش البرديسي بك في معركة هائلة، انتهت بهزيمة القوات العثمانية ومقتل خمسة آلاف من جنودها.

فإذا تساءلت: وأين الجيش الثاني الذي يقوده أول الآتين من الخلف، فإليك المؤرخون الأميون يخبرونك في تيه وفخر بخيانته للقوات العثمانية التي يقود جيشها ويقاتل باسمها، ولخسرو باشا الذي ائتمنه ورقاه وجعله قائداً.

يقول إلياس الأيوبي:

"ومن المؤكد أن محمد علي كان يستطيع لو شاء الإسراع بجنده والاشتباك مع يوسف بك في القتال"[١].

---

١) لمحة عامة إلى مصر، ص٤٦٩.

ويقول عبد الرحمن الرافعي:

"كان جيش محمد علي على مقربة من الواقعة، لكنه لم يحرك ساكناً لنجدة يوسف كتخدا قائد الجيش الآخر، ذلك أنه رأى أن من مصلحته أن يدع المماليك والترك يتطاحنان فيفني بعضهما بعضاً، وبذلك تَخلص البلاد من الفريقين معاً ويتوصل هو بإرادة زعماء الشعب إلى الاستيلاء على الحكم"[٢].

فتنبه أن المؤرخ الأمي، لأنه لا معيار عنده ولا ميزان له، ولأن هواه مع أول الآتين من الخلف، ويريد أن يفلسف خيانته، يخبرك أنه رأى من مصلحته أن يترك الترك والمماليك يفني بعضهم بعضاً، ولم يحرك ساكناً لمعاونة جيش يوسف باشا، وكأنه طرف ثالث غير هؤلاء وأولئك، بينما هو يقود جيش الأتراك، وخرج يقاتل باسمهم وبأمر منهم، وجيشه والجيش الآخر الذي خذله وخانه في ميدان القتال ليسا سوى جيش واحد انقسم لضرورة القتال إلى فرقتين.

وتنبه أن المؤرخ الأمي، الذي هو نفسه في تكوينه وعقله من نتاج ما فعله أول الآتين من الخلف في مصر، ويرى كل شيء ويفهمه من خلاله، يخبرك أن أول الآتين من الخلف أراد بخيانته تخليص مصر من الترك والمماليك معاً، وكأنه وُلد وترعرع على شاطيء ترعة في قرية في دلتاها أو نجع في صعيدها، وليس على شاطيء بحر إيجه في كافالا/قَوَلة حارة اليهود في اليونان.

ثم إليك الطريقة التي تخلص بها أول الآتين من الخلف من ولي نعمته خسرو باشا، وكيف استولى على السلطة في مصر بالمسكنة والتمسح في العلماء، ليطيح بهم بعد أن استولى عليها وصار ولي الأمر المتغلب، لكي يتمكن من الانحراف بمصر وشق مسار يهودي ماسوني لها ودفعها فيه، بتكوين هوية لها تفصلها عن محيطها العربي الإسلامي وتُفقدها الاتجاه والبوصلة، وتُحوِّلها إلى مطية للغرب اليهودي الماسوني، ليلقي بذلك البذرة الأولى في المشروع اليهودي ويضع أساساته غير المرئية، والتي ما كان له أن ينبت ولا أن يقوم إلا بها وعليها.

---

١) **محمد علي سيرته وآثاره، ص٢٤.**

٢) **تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٦٩.**

والمشروع اليهودي هو الهدف الحقيقي الذي تسلل أول الآتين من الخلف، وكل الآتين من الخلف، من حارة اليهود إلى الجيوش من أجله، كما سترى وأنت تواصل معنا سيرة أول الآتين من الخلف، وليس الترهات ولا الأناشيد التي يتغنى بها بقر بلاليص ستان.

فأما خسرو باشا، فبعد معركة دمنهور زحف عثمان البرديسي بقواته إلى الصعيد فاتحد بقوات إبراهيم بك في المنيا، فاستدعى خسرو باشا القوات التي يقودها طاهر باشا وأول الآتين من الخلف إلى القاهرة، وأمرهما بالتوجه لملاقاة جيش المماليك في المنيا.

يقول المؤرخ الأمي إلياس الأيوبي:

"ولكن محمد علي رأى أن الوقت حان لإزالة خسرو عن المسرح، فحرك عليه في الخفاء العساكر، فأبوا الزحف إلا إذا دُفعت لهم متأخراتهم، فأحالهم خسرو على الدفتردار، وهذا أحالهم على محمد علي"[١].

ويقول أخوه في الأمية عبد الرحمن الرافعي:

"فذهب الجند، وكان معظمهم من الأرناؤود، إلى محمد علي، وكان قد وعدهم بدفع رواتبهم في ذلك اليوم، لكنه اعتذر إليهم بأنه لم يقبض شيئاً، فثار الجند أمام بيت محمد علي، ولم يخش شرهم لأنه يعلم ان هذه الفتنة ليست موجهة ضده، وإنما وقعت بإيعاز منه"[٢].

فتنبه أن المؤرخين الأميين، رغم أميتهم وغرامهم بأول الآتين من الخلف، لا يجدون ما يفسرون به أفعاله وما يحدث سوى التحريك في الخفاء والإيعاز بالفتن دون الظهور فيها.

---

١) محمد علي سيرته وآثاره، ص٢٨.

٢) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٧٥.

ومن عند محمد علي:

"تدفق الجنود إلى سراي الوالي يهاجمونها، فرأى طاهر باشا بإيعاز من محمد علي أن يتوسط بينهم وبين الوالي، ولكن خسرو لم يخيب رأي محمد علي فيه، وأبى بغلظة مقابلة طاهر، فانقلب طاهر عدواً صريحاً"[1].

وفي يوم السبت ٩ محرم ١٢١٨هـ/٣٠ أبريل ١٨٠٣م:

"تمكن طاهر باشا وجنوده من الاستيلاء على القلعة، وأخذوا يضربون قصر خسرو باشا بالمدافع، وأصبحت المدينة في قبضتهم، فأُسقط في يد الباشا، واستولى الجنود الأرناؤود على أهم مواقع المدينة، وأضرموا النار في قصر الوالي وحاصروه، فلم يسع خسرو باشا إلا أن يلوذ بالهرب، وفر هو وعائلته وحاشيته وبقية جنوده"[2].

واضطر قاضي القضاة بالديار المصرية، بحضور أهل الحل والعقد من العلماء، إلى إعلان طاهر باشا قائم مقام، إلى أن تاتي الأوامر من الأستانة بولايته أو بتعيين غيره، وما حدث مع خسرو باشا من إيعاز وتحريك في الخفاء وإثارة للفتن، تكرر مع طاهر باشا بحذافيره.

يقول إلياس الأيوبي:

"ولم يكن الجند العثمانيون قد اشتركوا مع الألبانيين في ثورتهم على خسرو، ولو أنه كانت لهم رواتب متأخرات هم أيضاً، فاستعملهم محمد علي من وراء ستار لإزاحة طاهر من السبيل، وحمل من أوعز إليهم مطالبته بتلك المتأخرات، المرة بعد المرة، فماطلهم طاهر بادئ الأمر، ولكنه صرح لهم في النهاية بأنه غير مسؤول عن مرتبات الجند إلا منذ يوم قيامه على سُدة الأحكام"[3].

---

١) محمد علي سيرته وآثاره، ص٢٨.

٢) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٧٦.

٣) محمد علي سيرته وآثاره، ص٣٠.

وانتهت الفتنة الثانية بمقتل طاهر باشا على يد اثنين من الضباط الأرناؤود/الألبان، ليتلوه أحمد باشا والفتنة الثالثة، ثم علي باشا الجزائرلي والفتنة الرابعة.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"كان محمد علي هو الرأس المدبر للحملة على خسرو باشا، ثم على أحمد باشا، ثم على علي باشا الجزائرلي"(١).

فهل يذكرك ما رواه لك المؤرخون الأميون من سيرة أول الآتين من الخلف وابن حارة اليهود اليونانية، وما واكب صعوده إلى السلطة من أحداث، هل يذكرك بمشاهد رأيتها وعشتها، تصطدم فيها المنظمات العلمانية بالحركات الإسلامية، وشباب الثورة بالمجلس العسكري، ثم اصطدامهم جميعاً معاً، واستدراج جماعة الإخوان الحمقاء إلى السلطة، وتنصيبها غرضاً للعوام، وتهييجهم لمطالبتها بحقوقهم المهدورة عبر عشرات السنين، لتنتهي الفوضى التي نشبت بالإطاحة بالجميع ووقوع مصر بين يدي ثالث الآتين من الخلف، القادم إلى رأس السلطة من حارة اليهود في بلاليص ستان؟

وهل تنبهت مما سجله هؤلاء الأميون أنه لابد أن يكون ثمة من يعمل في الخفاء، ويدبر للأحداث من وراء ستار ويحرك هذا الطرف أو ذاك، ويضرب ذاك بهذا، لإحداث موجات من الفوضى، تكون هي الرافعة التي تصعد بالآتي من الخلف إلى رأس السلطة، وهل توقن الآن أن هذا العمل والتدبير والتحريك غير المرئي في شاشات التاريخ هو الحظ الذي لا يساعد ولا يفتح الطريق إلى السلطة إلا للآتين من الخلف وأبناء حواري اليهود؟

والقاعدة العامة في كل الآتين من الخلف، وعلى خلاف غيرهم من الأميين، أنهم يكونون في كواليس الأحداث، ويحركون الفتن من وراء ستار، كما أخبرك المؤرخون التقليديون الأميون أنفسهم، ويضربون كل قوة يلمحون فيها القدرة على منازعتهم السلطة بالأخرى، ولا يتقدمون إلى السلطة، بل يُظهرون العزوف عنها وعدم الرغبة فيها، إلى أن تُنضجها لهم الفتن وتخلوا الساحة

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٨٥.

إلا منهم، وتسقط بين أيديهم وحدها، فيصعدون إلى عرشها متمنعين محمولين على أكتاف العوام التي تهتف بالمخلص الذي أنقذهم من الفوضى وظلم السابقين.

حتى إذا صار الآتون من الخلف في السلطة فعلاً وتمكنوا فيها أسفرت حقيقتهم وظهرت صفاتهم وغاياتهم الحقيقية، فيسفكون الدماء من أجل البقاء في السلطة التي كانوا يتظاهرون بالتمنع عنها، ويطيحون بمن توهموا فيهم الصلاح وأصعدوهم على أكتافهم إليها، ويدوسون على عموم الناس وقد كانوا يتوددون إليهم من قبل ويظهرون لهم الشفقة والرحمة، ويثقلونهم بالضرائب وما يبتكرونه من وسائل جباية الأموال، وينهبون منهم أضعاف أضعاف ما كانوا يثيرون الفتن على سابقيهم من أجله.

وقبل أن نعرفك كيف واصل أول الآتين من الخلف طريقه إلى السلطة في مصر، إليك لمحة من الآتي من الخلف في تركيا، هي نسخة مكررة ستجدها في سيرة جميع الآتين من الخلف في بلاليص ستان، مِن أولهم إلى ثالثهم.

طوال كتابه عن الآتي من الخلف في تركيا، والمؤرخ أرمسترونج يتهم السلطان عبد الحميد بالاستبداد ويصفه بالسلطان الأحمر، وفي الوقت نفسه يتغنى بأتاتورك، وقد كان أتاتورك ضمن قادة الجيش الثالث الذين أعلنوا من سالونيكا الثورة على السلطان عبد الحميد في شهر يوليو سنة ١٩٠٨م رافعين شعار: "**الحرية أو الموت**"، وأجبروا السلطان على قبول المشروطية/الدستور الذي يريدونه، ثم كان ضمن قوات الجيش التابعة لحركة الاتحاد والترقي بقيادة محمود شوكت باشا، والتي قدِمت في شهر أبريل سنة ١٩٠٩م من سالونيكا مستوطنة اليهود والدونمة لتحاصر قصر السلطان عبد الحميد في الأستانة وتجبره باسم الديمقراطية على قبول قرار خلعه، الذي أصدره مجلس المبعوثان/البرلمان الذي أنتجته المشروطية ويسيطر عليه اليهود والماسون والأقليات.

فإليك المؤرخ الدجال هو نفسه يخبرك بما فعله أتاتورك بعد أن كون الجمعية الوطنية ونصَّب نفسه رئيساً لها لتكون من أدواته في اغتصاب السلطة من السلطان محمد وحيد الدين،

ويخبرك به في فخر بعد أن أخفى شعارات الحرية والديمقراطية وأحل مكانها رايات الحزم وقوة الشكيمة:

"وكان النواب الجدد من الوجهة النظرية هم حكام البلاد المتصرفين في أمورها، فلم يكن مصطفى كمال يجد بداً من حضور اجتماعاتهم ومناقشتهم ليقنعهم بالموافقة على مطالبه، وفي ذات ليلة عاد متأخراً إلى المزرعة النموذجية عقب اجتماع للجمعية الوطنية، فلم يكد يدخل إلى البهو الذي اجتمع فيه أعوانه حتى انفجر يسب رجال السياسة ويحمل على الديمقراطية التي سماها حكم الرؤوس المتعددة المشوشة أو حكم الحمقى، ثم صاح وهو يستدير ليسأل الكاتبة خالدة أديب، وكان يعلم تأييدها النظري للديمقراطية ومعارضتها لجميع الطغاة: ما رأيك أنت؟ فأجابته: لست أفهم ماذا تريد أن تقول بالضبط يا باشا، فانفجر فيها صائحاً وقد صارت عينيه في لون الرماد من شدة الغضب وزوى ما بين حاجبيه واختلج فكه مهدداً: "إليك ما أريد أن أقوله، سوف أجعل كل إنسان ينفذ رغباتي ويطيع أوامري، ولن أقبل نقداً أو نصيحة، وسأسير في طريقي، وسوف تنفذون جميعاً ما أريد دون مناقشة"[1].

فهل تذكرك محاصرة أتاتورك للسلطان عبد الحميد وخلعه باسم الحرية والدستور، ثم ما فعَله بعد أن حاز القوة وصار على عتبة السلطة، هل تذكرك بثالث الآتين من الخلف، الذي تقدم إلى السلطة وهو يتمنع ويقول إنه لا رغبة له فيها ويريد تخليص بلاليص ستان ممن يتخذون الديمقراطية سُلماً للوصول إلى السلطة وهم لا يؤمنون بها، ثم بعد أن صار في السلطة كان هو الذي نسف سُلم الديمقراطية هذا، وأطاح بمن عارضوه ومن ناصروه، وصار خطابه لعموم الناس أنه لن يتكلم إلا هو، وأنه لا ينبغي أن يسمعوا لأحد سواه.

ونعود بك من ثالث الآتين من الخلف إلى أولهم، بعد الفتنة الرابعة ومقتل علي باشا الجزائرلي ممثل الدولة العثمانية، لم يبق في ساحة الصراع على السلطة في مصر سوى المماليك وأول الآتين من الخلف، وكانت قيادة المماليك لعثمان البرديسي ومحمد الألفي، يقول إلياس الأيوبي:

---

١) الذئب الأغبر مصطفى كمال، ص١٤٩-١٥٠.

"وأدرك محمد علي أنه إذا انضم الألفي إلى البرديسي، فقد خسر هو الصفقة وهلك واضطر إلى مغادرة القطر، فعزم في الحال على منع حدوث ذلك، وما أتاه البرديسي مسترشداً إلا وأشار عليه بوجوب القضاء على الألفي"[1].

وما إن أزاح البرديسي الألفي حتى ثارت من جديد فتنة الجند ورواتبهم المتأخرة، ومرة أخرى يؤكد لك عبد الرحمن الرافعي أن:

"الجند ذهبوا إلى دار عثمان بك البرديسي يضجون ويتوعدون، ولم يكن محمد علي بعيداً عن تدبير هذه الحركة"[2].

ولأول مرة يظهر أول الآتين من الخلف بنفسه مع جنوده الألبان ليطالب برواتبهم المتأخرة هم أيضاً، ثم انصرف وهدَّأ الجنود بعد أن وعد البرديسي بتدبير المال اللازم خلال بضعة أيام.

ولم يجد البرديسي وسيلة لتوفير المال الذي يمنع ثورة الجنود سوى فرض فِردة أو ضرائب على العقارات والبيوت والمحلات، فتذمر التجار والملاك والمستأجرون، وفي يوم ٢٥ ذو القعدة ١٢١٨هـ/٧ مارس ١٨٠٤م، كما يصف الجبرتي:

"ضج الفقراء والعامة والنساء، وخرجوا طوائف يصرخون وبأيديهم دفوف يضربون عليها ويندبن وينعين ويقلن كلاماً على الأمراء، مثل: "إيش تأخذ من تفليسي يا برديسي"، وصبغن أيديهن بالنيلة، وخرجوا أيضاً ومعهم طبول وبيارق، وأغلقوا الدكاكين، وحضر الجمع الكثير إلى الجامع الأزهر، وذهبوا إلى المشايخ، فركبوا معهم إلى الأمراء"[3].

وإليك الجبرتي، ويكاد يكون الوحيد في مصر الذي رأى أول الآتين من الخلف على حقيقته، وكان يدرك حقيقة ما يحدث في حينه، يخبرك بدسائس أول الآتين من الخلف الشيطانية وما

---

١) محمد علي سيرته وآثاره، ص٤١.

٢) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٨٩.

٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٤٤٤.

أمر عساكره بفعله بعد أن اندلعت بتدبيره الفتنة وهاج العوام، ويعرفك بخُلاصة الطريق التي سلكها إلى أن وصل للسلطة:

"وفي وقت قيام العامة كان كثير من العسكر منتشرين في الأسواق، فداخلهم الخوف، وصاروا يقولون لهم: نحن معكم سوا سوا، أنتم رعية ونحن عسكر، ولم نرض بهذه الفِردة، وعلوفتنا على الميري ليست عليكم، أنتم أناس فقراء، فلم يتعرض لهم أحد، وحضر كتخدا (وكيل) محمد علي مرسولاً من جهته إلى الجامع الأزهر، وقال مثل ذلك ونادى به في الأسواق، ففرح الناس وانحرفت طباعهم عن الأمراء ومالوا إلى العسكر، وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس الشيطانية، فإن محمد علي لما حرَّش العساكر على محمد خسرو باشا وأزال دولته، وأوقع به ما تقدم بمعونة طاهر باشا والأرناؤود، ثم بالأتراك عليه (على طاهر باشا) حتى أوقع به أيضاً، وظهر أمر أحمد باشا وعرف محمد علي أنه إن تم له الأمر ونما أمر الأتراك لا يبقون عليه، فعاجله وازاله بمعونة الأمراء المصرلية (المماليك)، واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتخدا، ثم التَحيل على علي باشا الطرابلسي (الجزائرلي) حتى أوقعوه في فخهم وقتلوه ونهبوه، كل ذلك وهو يُظهر المصافاة والمصادقة للمصريين ... واغتر به البرديسي وصدقه وتعضد به واصطفاه دون خشداشيته، وتحصن بعساكره (عساكر محمد علي)، وأقامهم حوله في الأبراج، وفعل بمعونتهم ما فعله بالألفي وأتباعه، فعند ذلك فتحوا باب الشر بطلب العلوفة (الرواتب)، فاضطروهم إلى عمل هذه الفِردة، ونسب فعلها للبرديسي، فثارت العامة وحصل ما حصل، وعند ذلك تبرأ محمد علي والعسكر من ذلك، وساعدوهم في رفعها، فمالت قلوبهم إليهم ونسوا قبائحهم، وابتهلوا إلى الله في إزالة الأمراء وجهروا بالدعاء عليهم"[1].

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة!

وننبهك أنّا لا نخبرك بما نخبرك به من سيرة أول الآتين من الخلف، لكي نسري عنك بقصص وحكايات، كما يفعل المؤرخون الأميون، ولا لنسرد لك وقائع حدثت في الماضي

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٤٤٤.

وانتهى أمرها، بل لأن هذه السيرة والوقائع هي التي صنعت المسار الذي تسير فيه بلاليص ستان والوجهة التي تتجه إليها إلى يومك هذا، ولا أحد غيَّر هذا المسار، بل ولا أحد يدرك أن ثمة مساراً يجب تغييره، لأن وعي كل جيل في بلاليص ستان محصور فقط في اللحظة التي هو فيها وما يواكبها من أحداث وصراعات، ولا يدرك صلتها بما قبلها وما حولها.

والأهم أنَّا نسرد لك سيرة أول الآتين من الخلف، وما صاحب وصوله إلى السلطة من وقائع، لكي تفهم من خلالها حقيقة ما حدث ويحدث في زمانك، وخبيئة ما شهدته وما زلت تشهده أمامك، لأن الآتين من الخلف في تكوينهم وأهدافهم وأساليبهم، هم جميعاً نسخة واحدة.

يقول عبد الرحمن الرافعي إن أول الآتين من الخلف:

"**انتهز فرصة غضب الشعب على المماليك وثورته عليهم وتوزع جنود المماليك في الأقاليم ليتخلص منهم، فأمر جنوده فهاجموا المماليك الموجودين في القاهرة يوم ٢٨ ذو القعدة ١٢١٨هـ/١١ مارس ١٨٠٤م، وحاصروا بيت إبراهيم بك ببركة الفيل وبيت عثمان بك البرديسي بالناصرية وبيوت باقي المماليك في أنحاء العاصمة، واستمر الحصار إلى اليوم التالي**"[١].

وانتهت فتنة الفِردة أو الضرائب بمقتل ثلاثمائة وخمسين من المماليك، وفرار عثمان البرديسي إلى الصعيد، ووقوع القلعة مقر الحكم في يد أول الآتين من الخلف.

وقبل أن تعرف الخطوة التالية في مسيرة الدسائس الشيطانية لأول الآتين من الخلف نحو السلطة في مصر، إليك هذا المشهد من تاريخ الجبرتي، ترى فيه ما الذي فعله هذا الذي دبر فتنة الضرائب وثورة العوام عليها، ثم ظهر فيها يتودد إلى العلماء والتجار والأهالي ويظهر لهم عدم رضاه عنها ومعونته لهم في رفعها بجنده وسلاحه، إليك ما فعله بعد أن وقعت مصر بين يديه ولم يعد فيها من ينازعه أو يوقفه.

يقول الجبرتي في حوادث شهر رجب ١٢٢٠هـ/يوليو ١٨٠٩م، إن:

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٩٢.

"محمد علي باشا أمر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة، وهي الأربعة آلاف كيس، ويذكر فيه أنها صُرفت في المهمات، منها ما صرف في سد ترعة الفرعونية، وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الأمراء المصرية حتى دخلوا في الطاعة، وما صرف في عمارة القلعة والمجراة التي تنقل المياه إليها، وكذلك في حفر الخلجان والترع، ونقص المال الميري بسبب شراقي البلاد، وأرسله إلى السيد عمر مكرم ليضع خَطه وختمه عليه، فامتنع وقال: "أما ما صرفه على سد الترعة فإن الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه أضعافاً كثيرة، وأما غير ذلك فكله كذب لا أصل له، ولو وُجد مَن يحاسبه على ما أخذه مِن القطر المصري من الفرض والمظالم لما وسعته الدفاتر"، فلما ردوا على الباشا وأخبروه بهذا الكلام حنق واغتاظ في نفسه وطلبه للاجتماع به، فامتنع ... وأمر الباشا بكتابة فرمان بخروج السيد عمر مكرم ونفيه من مصر في يوم تاريخه"[١].

فهل أيقنت الآن أن أول الآتين من الخلف هو حقاً ابن حارة اليهود؟!

والخطوة التالية بعد البرديسي بك كانت خورشيد باشا، يقول إلياس الأيوبي مفتخراً بدهاء أول الآتين من الخلف:

"وكان همه أن تبقى مقاصده تحت ستار، وأن يؤمن الباب العالي بولائه، ويزداد تعلق العلماء به لاعتداله، فانضم إلى المشايخ وزعماء الجند في اجتماعهم للتداول فيمن ينتخبونه للولاية، فأجمعت آراؤهم على تعيين خورشيد باشا محافظ الإسكندرية، وكان خورشيد آخر من تبقى في القطر ممن يصح أن تتجه إليه الأبصار، فإذا لم يفلح هو أيضاً أصبح من السهل حمل القوم على انتخاب محمد علي"[٢].

وفي يوم ١٤ ذو الحجة ١٢١٨هـ/٢٦ مارس ١٨٠٤م، وصل خورشيد باشا إلى القاهرة، وما إن استقر في القلعة حتى أدرك أن أول الآتين من الخلف هو مصدر ما شهده من سبقوه من قلاقل، فاستصدر مرسوماً من الأستانة بعودة الجنود الألبان ورؤسائهم إلى بلادهم، فتظاهر

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٦٠-١٦١.

٢) محمد علي سيرته وآثاره، ص٤٥.

أول الآتين من الخلف، كما يتفق الأيوبي والرافعي، بقبول الأمر والاستعداد للرحيل، وفي الوقت نفسه رفع يده عن جنوده، فانطلقوا في الأسواق ينهبون ويروعون أصحاب المتاجر، فأقفلت الأسواق والدكاكين، وانطلق العلماء والمشايخ إلى أول الآتين من الخلف يطالبونه بالبقاء في مصر، فأوقفوا بذلك الفرمان القادم من الأستانة.

ولكي يتخلص من أول الآتين من الخلف، أرسله خورشيد باشا لقتال المماليك الفارين إلى الصعيد، وفي الوقت نفسه طلب من الأستانة إمداده بقوات أخرى، فأرسلت إليه جيشاً من ثلاثة آلاف من الدُلاة أو الأكراد، كان في سوريا، فوصلوا إلى مصر في شهر ذي الحجة ١٢١٩هـ/مارس ١٨٠٥م.

ولما وصل إلى أول الآتين من الخلف خبر قدوم العساكر الدُلاة، رجع من حملته في الصعيد، وقد فهم المراد من مجيئهم، ولما وصل بجيشه إلى طُرة واجهه عساكر الدُلاة، فإليك الجبرتي يصف لك ما فعله، وكيف حولهم في اتجاه خورشيد باشا:

"**وكاد لهم محمد علي كيداً، منها أنه أرسل إليهم يقول: إنما جئنا في طلب العلائف، ولسنا مخالفين ولا معاندين، فقال الدلاتية لبعضهم: إذا كان الأمر كذلك فلا وجه للتعرض لهم وأخلوا طريقهم ... ونزل كتخدا الباشا وعمر بك الأرنؤودي فتكلما مع الدلاتية، فقالوا: إن القوم لم يكن عندهم خلاف ولا تعد، وإذا كنتم تمنعون وتحاربون من يطلب حقه، فكذلك تفعلون معنا إذا خدمناكم زمناً ثم طلبنا علائفنا**"[1].

ومع قدوم العساكر الدلاتية فرض خورشيد باشا فِردة/ضريبة على البلاد المصرية للإنفاق عليهم، تلاها بفرض ضريبة أخرى في شهر صفر ١٢٢٠هـ/مايو ١٨٠٥م، وكان العساكر الدلاة كما يقول عبد الرحمن الرافعي: "**أردأ عناصر السلطنة العثمانية**"، فقسوا على الأهالي ونهبوا دورهم ومتاعهم، فاجتمع على عموم الناس ثقل الضرائب مع قسوة العساكر الدلاة، فهاج الناس وأغلقت الأسواق والدكاكين وترك العلماء والمشايخ الحضور إلى الجامع الأزهر.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٥١٧.

وفي يوم ١٢ صفر ١٢٢٠هـ/١٢ مايو ١٨٠٥م، ركب المشايخ والعلماء يتقدمهم نقيب الأشراف عمر مكر إلى بيت القاضي، وحولهم كثير من المتعممين ويحيط بهم العامة، وطلبوا من القاضي أن يرسل لإحضار المتكلمين في الدولة لمجلس الشرع، فأرسل إلى سعيد أغا محافظ القاهرة، وبشير أغا، وعثمان أغا كتخدا، والدفتردار، والشمعدانجي، فلما حضروا اتفق المشايخ معهم، كما يقول الجبرتي، على كتابة عرضحال بالمطلوبات، وذكروا المظالم ومنها تعدي طوائف العسكر والإيذاء منهم لناس، والفِرَد، ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك، ووعد المتكلمون في الدولة بتلبية المطلوبات.

وأما أول الآتين من الخلف الذي لا يظهر في تاريخ الجبرتي في مشهد الصدام بين أهل الحل والعقد من العلماء والمشايخ وبين خورشيد باشا، فإليك عبد الرحمن الرافعي يخبرك أين كان في هذا المشهد نقلاً عن كتاب المسيو فولايل: مصر الحديثة، وكان فولايل معاصراً للأحداث وشاهداً عليها:

"واتبع محمد علي في هذه الظروف الخطة التي سلكها منذ حين، ذلك أنه لم ينفك يتردد على كبار الشيوخ ويضم صوته إلى شكواهم ويعدهم ببذل جهوده ووساطته لتأييدهم"[١].

وإليك المؤرخ وأستاذ التاريخ هنري دودويل، ينقل في دراسته الأكاديمية: مؤسس مصر الحديثة، عن تقرير مرفوع من قنصل فرنسا دروفيتي Drovetti، إلى الحكومة الفرنسية، تفسيره لتودد محمد علي إلى المشايخ والعلماء وتمسحه بهم وسط الأزمة الناشبة:

"وكل أفعاله تكشف عن عقلية ميكيافيلية Mechiavellian Mind، وأعتقد أنه يسعى للوصول إلى السلطة من خلال المشايخ وعموم الناس"[٢].

وبدسائسه وضربه لجميع الأطراف ببعضها، وبمسكنته وتمسحه في العلماء والمشايخ، كان هذا المشهد الذي انتهى به المسار الإسلامي لمصر وبدأ من عنده مسارها اليهودي الماسوني، بوصول أول الآتين من الخلف وابن حارة اليهود اليونانية إلى السلطة فيها، ولينتقل المشروع

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٣٠٠.

2) The Founder Of Modern Egyp,P20.

اليهودي بوصوله من كواليس السلطة وأدمغة الساسة في الغرب إلى كواليسها وأدمغتهم في الشرق، وليخرج مفتاح التصنيف القومي للبشر من بطن التوراة إلى أرضه وخرائطه، ويزيح به رابطة العقائد الإلهية، ويلقي أول جرثومة في تفكيك الشرق وتحويله إلى محضن للمشروع اليهودي، ويضع أول لبنة في بناء دولة بني إسرائيل:

"فلما أصبحوا يوم الاثنين ١٣ صفر ١٢٢٠هـ/١٣ مايو ١٨٠٥م، اجتمعوا ببيت القاضي وقفلوا بابَيْه، وحضر إليهم سعيد أغا والجماعة، وركب الجميع إلى محمد علي، وقالوا له: إنا لا نريد هذا الباشا حاكماً علينا ولابد من عزله من الولاية، فقال: ومن تريدونه يكون والياً؟ قالوا: لا نرضى إلا بك، وتكون والياً علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير، فامتنع أولاً ثم رضي، وأحضروا له كركاً وعليه قفطان، وقام السيد عمر والشيخ الشرقاوي فألبساه له، وذلك في وقت العصر، ونادوا بذلك في تلك الليلة في المدينة"[١].

وفي موضع آخر يقول الجبرتي، إن:

"السيد عمر مكرم عقد مجلساً عند محمد علي، وأحضر المشايخ والأعيان ... فقال الجميع له: الرأي ما تراه، فأشار إلى محمد علي، فاظهر التمنع وقال: "أنا لا أصلح لذلك، ولست من الوزراء ولا من الأمراء ولا من أكابر الدولة، فقالوا جميعاً: قد اخترناك لذلك"[٢].

واندلعت ثورة شعبية وحرب حقيقية بين عموم الناس في القاهرة بقيادة العلماء والمشايخ وبين جنود خورشيد باشا، من يوم أن عزلوه واختاروا محمد علي، فحاصروا القلعة وظل السجال بينهما حتى جاء مرسوم من الأستانة يوم ١١ ربيع الثاني ١٢٢٠هـ/١٠ يوليو ١٨٠٥م، وفيه:

"محمد علي والي مصر حالاً من ابتداء عشرين أول، حيث رضي بذلك العلماء والرعية، وأن أحمد باشا خورشيد معزول عن مصر، وأن يتوجه إلى سكندرية بالإعزاز والإكرام، حتى يأتيه الأمر بالتوجه لبعض الولايات"[١].

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٥٢١.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٥٦.

فهذه الدولة التي عزلت واليها في ولاية من ولاياتها وعينت آخر، فقط لأن العلماء والرعية رضوا به، ودون أن تجد غضاضة في إعلان ذلك، هي التي يصمها بقر بلاليص ستان بالتخلف والرجعية، في الوقت الذي يتغنون فيه بالحرية والديمقراطية والمدنية وهم يلعقون الأحذية في دولة أمراء المخبرين.

ثم إليك مشهداً آخر واكب تولية العلماء والمشايخ لأول الآتين من الخلف، لترى فيه آخر جيل من أهل الحل والعقد الحقيقيين، والطبقة القوامة على المعيار والميزان وتدور معه، ولتعرف منه الفرق بينهم وبين حفظة الأكليشيهات وطبقة الموظفين، الدواجن في حظيرة ولي الأمر، والتي لا تدرك أنها هي نفسها من نتاج سياسات الآتين من الخلف، ومن آثار المسار اليهودي الماسوني، الذي أطاح بالعلماء من تكوين السلطة وصدارة المجتمعات إلى هوامشها، وعزلهم عن الحياة، وأفقدهم القدرة على فهم الواقع والتعامل مع مشاكله، وحولهم من قادة للمجتمع إلى خطباء بلا فعل، ووعاظ بلا حول ولا طول.

يقول الجبرتي إنه في يوم ٢٦ صفر ١٢٢٠هـ/٢٦ مايو ١٨٠٥م، والسجال دائر على أشده بين عموم الناس بقيادة العلماء والمشايخ وعلى رأسهم السيد عمر مكرم وبين عساكر خورشيد باشا، نزل عمر بك وكيل خورشيد باشا من القلعة المحاصرة، فالتقى السيد عمر مكرم ودار بينهما الحوار التالي:

"قال عمر بك: "كيف تعزلون من ولّاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟، فقال له السيد عمر مكرم:"أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل، وهذا رجل ظالم، وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة، وهذا شيء من زمان، حتى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونه"، فقال عمر بك: "وكيف تحصروننا وتمنعون عنَّا الماء والأكل وتقاتلوننا، نحن كفرة حتى تفعلوا

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٥٣٢.

معنا ذلك؟"، قال عمر مكرم: "نعم أفتى العلماء والقاضي بجواز قتالكم ومحاربتكم لأنكم عصاة"[1].

وبقي أن تعلم أن سيناريو وصول جميع الآتين من الخلف إلى السلطة مسألة من مسائل الهندسة الفراغية، وليس من مسائل الهندسة التقليدية، فلا يمكنك حل هذه المسألة، ولا فهم ما حدث حقاً في هذا السيناريو من غير إضافة أبعاده وأطرافه غير الظاهرة ووصل الخطوط غير المرئية بين هذه الأبعاد والأطراف، ولذا كما أخبرناك من قبل مراراً هي مسألة لا يصلح لفهمها وإدراك حقائقها الأميون والمؤرخون من الطراز الأمبريقي، وإن رصدوا أحداثها ودونوها.

وأول الآتين من الخلف إلى السلطة في مصر، ككل الآتين من الخلف في تاريخها، لم يصل إلى السلطة فقط بدهائه ودسائسه وضربه لهذا بذاك، ولا بخداعه لعموم الناس وتقربه إليهم وركوبه لهم، ولا بانخداعهم بمسكنته وحملهم له على أكتافهم، بل بوجود طرف غير مرئي في المشهد ولا يظهر في أحداثه ولا يشترك في صراعاته، ويملك من القوة والنفوذ والقدرة على الضغط على جميع أطرافه، ما يُمكِّنه من تمهيد السبل للآتي من الخلف، وإزالة العقبات من طريقه، وإعانته في ضرب جميع أطراف المشهد والقوى المتصارعة فيه ببعضها، وتوجيه موجات الأحداث في الاتجاه الذي يرفعه إلى السلطة.

فإذا كنت جلداً صبوراً وقرأت الكتاب الذي بين يديك من أوله، ستكون قد علمتَ هذا الطرف غير المرئي في سيناريو وصول ثاني الآتين من الخلف إلى السلطة، وقد ألمعنا إليك بهذا الطرف غير المنظور في مشهد وصول ثالث الآتين من الخلف إلى السلطة، والذي فتح إشاراته الخضراء لجميع أطراف المشهد، لكي يضعها في خلاط تصطدم جميعها فيه معاً، لينتهي صدامها وطحن بعضها لبعض بطفو ثالث الآتين من الخلف على سطحها جميعاً ووقوع بلاليص ستان بين يديه، ثم تغييره لوجهة دولتها وعقيدة جيشها، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في المسار اليهودي الماسوني لها وللشرق كله، ويتقدم المشروع اليهودي خطوة أخرى.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٥٢٤.

أما أول الآتين من الخلف إلى السلطة في مصر، فإليك ما تعرف منه الطرف غير المرئي في مسيرة صعوده إليها، يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"وهنا لابد ان نعرض لرواية ذكرها بعض المؤلفين الفرنسيين، وإليها يُرجعون صعود نجم محمد علي وتقلده ولاية مصر، فيقولون إن المسيو ماتيو دليسبس لما عُين قنصلاً لفرنسا في مصر أخذ يبحث عن رجل تؤيده فرنسا وتشد أزره وتساعده على تقلد حكم مصر ... فكتب دليسبس إلى حكومته يوصيها بشد أزر محمد علي ومساعدته على تقلد ولاية مصر، ويقيناً هذه رواية خيالية لا أصل لها ولا يؤيدها منطق الحوادث"[١].

والمؤرخون الفرنسيون الذين وصفهم الرافعي بالمؤلفين هم فيلكس منجان وفولايل، اللذان أقام ما كتبه عن حوادث هذه الفترة على كتاباتهم بالإضافة إلى الجبرتي، وهم من معاصري الأحداث وشهودها.

والرواية التي شكك فيها الرافعي، لكي يحافظ على الصورة النقية التي يريدها لأول الآتين من الخلف كمؤسس للهوية القومية لمصر، يؤكدها المؤرخ إلياس الأيوبي، وهو سابق للرافعي، ومثله من الأميين ومغرم بأول الآتين من الخلف، ويزيد الأيوبي على الرافعي بيان دور سفير فرنسا في الأستانة في إقناع السلطة العثمانية بتولية أول الآتين من الخلف:

"وبعد أن تردد الديوان كثيراً وماطل كثيراً، انقاد في نهاية الأمر إلى نصائح السفير الفرنساوي هناك، وكان قد أوصاه بمحمد علي خيراً القنصل الفرنساوي بمصر، واسمه ماتتيه ديليسبس، وهو أبو فردينان ديليسبس صاحب قناة السويس ... وبلغ من التحيز الفرنساوي لبطلنا أن السفير الفرنساوي في الأستانة، بتأثير كتابات القنصليْن الفرنساويين في القطر المصري، ماتتيه ديليسبس ودروفيتي، ما فتئ يلح على رجال الديوان بوجوب عدم التعرض لمحمد علي بسوء"[٢].

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٩٣.

٢) محمد علي سيرته وآثاره، ص٦٠، ٦٥.

وما ذكره الأيوبي يؤكده مرة أخرى محمد صبري السربوني في كتابه: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ويزيد عليه التصريح باسم السفير الفرنسي في الأستانة، والسوربوني أكاديمي وحاصل على الدكتوراة في التاريخ من السوربون، ومصادره فرنسية:

"وقد أرسلت فرنسا عقب صلح أميان (٢٧ مارس ١٨٠٢م) ماتييه دليسبس ممثلاً لها في مصر، فكتب إلى حكومته يقول: "إنه يعتقد أن البمباشي محمد علي هو أقدر الزعماء الحاليين في مصر على التغلب على الفوضى الضاربة أطنابها في البلاد"، ويؤكد كثير من الثقاة أن هذا الرأي الذي بلغ إلى الكولونيل سبستياني سفير فرنسا في الأستانة كان من العوامل التي ساعدت على توطئة الأمر لولاية محمد علي في مصر"(١).

وقد نقلنا لك من قبل عن طبيب محمد علي الفرنسي كلوت بك أن:

" فرنسا هي التي أخذت بيده في الطريق، وفتحت له مغاليق الأبواب"(٢).

والأهم من ذلك، أنه على عكس ما قاله المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، فإن منطق الحوادث وما تلا وصول أول الآتين من الخلف إلى السلطة، وموقع فرنسا وقناصلها ورجالها من دولته ومشاريعه، يؤكد دورها في التدبير لهذا الوصول.

وعبد الرحمن الرافعي أمي لا معيار له ولا ميزان، وهو يشكل التاريخ ويعيد كتابة أحداثه بما يوافق هواه وتكوينه، وهو يفهم التاريخ فهماً مزوراً، ويمجد أول الآتين من الخلف لأنه يراه ويحكم عليه بعقله الذي كان من نتاج ما فعله، ومن إفرازات المسار اليهودي الماسوني الذي بدأه.

---

١) المؤرخ محمد صبري السربوني: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ص٣٤، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٢٦م.

٢) لمحة عامة إلى مصر: ص٤٦٩.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"أما محمد علي فهو أول من استعان بالعامل القومي الذي ظهر على مسرح الحوادث السياسية، فهو من هذه الناحية ثمرة من ثمرات الحركة القومية، اقترن ظهوره بظهور العامل القومي، وكانت ولايته نتيجة اختيار وكلاء الشعب ومناداتهم به والياً مختاراً على مصر، ولقد برهن بعد أن تولى الحكم على أنه أكبر بنَّاء في صرح القومية المصرية"[١].

والعلماء والمشايخ وعموم أهل مصر الذين اختاروا محمد علي وقاتلوا حتى صار بهم والياً على مصر، لم يفعلوا ذلك من أجل الحركة القومية والعامل القومي، كما يفتري عليهم المؤرخ الأمي، بل من أجل ضبط الميزان وإعادة الولاة إليه، وضبط ما بينهم وبين عموم الناس به، كما كان يفعل أهل الحل والعقد من العلماء في جميع الدول التي مرت على مصر، في كل العصور.

وحين اختار العلماء والمشايخ محمد علي، وفي المجلس الذي اختاروه وبايعوه فيه، كانت هذه شروطهم عليه، كما أوردها الجبرتي:

"ومحمد علي يداهن السيد عمر سراً، ويتملق إليه ويأتيه ويراسله، ويأتي إليه في أواخر الليل وفي أواسطه، متردداً عليه في غالب أوقاته، حتى تم الأمر بعد المعاهدة والمعاقدة والأيمان الكاذبة على سيره بالعدل وإقامة الأحكام والشرائع، والإقلاع عن المظالم، وألا يفعل أمراً إلا بمشورته ومشورة العلماء، وإنه متى خالف الشروط عزلوه وأخرجوه وهم قادرون على ذلك"[٢].

والجبرتي لأنه أمين وليس أمياً، فقد وصف محمد علي بأن أيمانه كاذبة، أما الرافعي فلأنه ليس فقط أمياً، بل وأيضاً مزور، فقد نقل عبارة الجبرتي في كتابه: تاريخ الحركة القومية، بين علامات تنصيص على أنها اقتباس، بعد أن حذف منها وصف الجبرتي لأيمان أول الآتين من الخلف بأنها كاذبة، وهذا نص عبارة الرافعي:

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٥٩.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار: ج٤ ص٥٦.

"وفي ذلك يقول الجبرتي عن ولاية محمد علي: "تم الأمر بعد المعاهدة والمعاقدة على سيره بالعدل، وإقامة الأحكام والشرائع، والإقلاع عن المظالم، وألا يفعل أمراً إلا بمشورته ومشورة العلماء، وأنه متى خالف الشروط عزلوه"[1].

فأهل الحل والعقد من العلماء والمشايخ وأعيان القاهرة وعموم أهلها ثاروا وقاتلوا من أجل إقرار العدل وإقامة الأحكام والشرائع، لا من أجل الإطاحة بها، ولا من أجل تغيير هوية مصر العربية المسلمة، ولا لضرب الخلافة أو الانفصال عن محيطها، ولا للانحراف بمسارها في اتجاه مشروع اليهود وتحويلها إلى مطية يصلون على ظهرها إلى غايتهم، كما فعل أول الآتين من الخلف، ثم يتغنى بما فعله البقر في بلاليص ستان.

فلاتدع هؤلاء البقر يوهمونك بما يتوهمونه، وانظر حولك، وتأمل بلاليص ستان من محيطها إلى خليجها وقد تفككت، وصارت دولاً ودويلات يأكل بعضها بعضاً، وأهلها مستعبدون عند حكامها، وحكامها عبيد عند الغرب، والغرب تحت سرج اليهود، ودولة اليهود قائمة في وسطها، وتتهيأ للتمدد على حسابها، وستعرف أن الذي يصفه المؤرخ الأمي بأنه ثمرة الحركة القومية وأكبر بنَّاء في صرح القومية المصرية، ليس في حقيقته سوى صنيعة من صنائع اليهود والماسون وأكبر بنَّاء في صرح دولة بني إسرائيل.

وما دار بخلد العلماء والمشايخ وعموم الناس أن الذي اختاروه وقاتلوا من أجله، سينحرف بمصر ويطيح بالمعيار والميزان، ويتعدى على عقائدها وشرائعها، ويطمس هويتها العربية المسلمة، ولا أنه سيحولها إلى خنجر في ظهر الخلافة والدولة الجامعة لشعوب الإسلام، وحين بدت منه بوادر ذلك كانوا أول من اصطدم به، وأطاح هو بهم ليصنع ما يريده، وما كانوا يعلمون أنه ليس سوى آتٍ من الخلف، وجرثومة من الجراثيم التي تُكوِّنها وتطلقها حواري اليهود.

والكولونيل سباستياني، سفير فرنسا في الأستانة، الذي كان قوة ضغط غير مرئية على السلطة العثمانية، وأقنعها بقبول ولاية أول الآتين من الخلف، كان وثيق الصلة بمصر وخبيراً

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٣٠٤.

بشؤونها، فقد كان أحد قادة جيش نابليون في حملته على مصر، وبعد رحيل الحملة قدِم إليها، في شهر جمادى الثانية ١٢١٧هـ/أكتوبر ١٨٠٢م، مبعوثاً من نابليون وقد صار القنصل الأول لفرنسا، وبتوافق مع الدولة العثمانية، بعد أن صارت فرنسا حليفاً لها في مواجهة إنجلترا، من أجل التنسيق مع الوالي خسرو باشا لإجبار القوات البريطانية على الانسحاب من مصر، وعند قدومه استقبله خسرو باشا والمشايخ بالإكرام والترحاب، ثم تركها إلى الأستانة ليصبح سفير فرنسا فيها.

أما ماتيو ديليسبس ودروفيتي، قنصلا فرنسا في مصر، فهما العامل غير المرئي الحقيقي في سيناريو وصول أول الآتين من الخلف إلى السلطة في مصر، ثم مستشاروه بعد وصوله إليها، فهاك من يكونون.

أما ماتيو ديليسبس Mathieu De Lesseps، فأصول أسرته تقع في إسبانيا، وقد هاجرت منها إلى فرنسا في القرن الخامس عشر، وكانت هجرتها مواكبة لحركة يهود المارانو الأخفياء من إسبانيا وانتشارهم في أوروبا.

وماتيو ديليسبس وُلد في هامبورج في ألمانيا سنة ١٧٧٤م، وقضى أغلب حياته مبعوثاً دبلوماسياً لفرنسا بعد الثورة، وكانت كل مهامه الدبلوماسية في بلاد البحر المتوسط، وأغلبها كانت بلاداً عربية، فكان ممثلاً دبلوماسياً وقنصلاً لفرنسا في المغرب وتونس وإسبانيا وإيطاليا، وكان مقرباً من نابليون، وصاحَبَ الحملة على مصر، كوكيل تجاري للجيش الفرنسي، وبعد أن صار نابليون القنصل الأول لفرنسا وحاكمها الحقيقي، عَيَّنه بعد انسحاب الحملة الفرنسية من مصر ممثلاً شخصياً له وقنصلاً عاماً فيها ومسؤولاً عن العلاقات التجارية معها، فوصلها في شهر مارس سنة ١٨٠٢م.

وفي عددها رقم: ٧٢، لسنة ٢٠٠٦م، والذي خصصته لموضوع: الماسونية في البحر المتوسط من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين La Franc-Maçonnerie En Méditerranée XVIIIe - XXe Siècle، نشرت مجلة: دراسات البحر المتوسط Cahiers De La Méditerranée، التي يصدرها مركز دراسات البحر المتوسط في جامعة

صوفيا أنتيبوليس Université De Nice Sophia Antipolis، في نيس في فرنسا، نشرت دراسة لجيرار جالتييه Gérard Galtier، أستاذ التاريخ والديانات في الجامعة، وكان عنوان الدراسة: جمعية دروفيتي المصرية السرية La Société Secrète Egyptienne De B. Drovetti.[١]

وفي دراسته يقول جالتييه، وهو أيضاً ماسوني وعضو في الشرق الأعظم الفرنسي وباحث في تاريخ الماسونية، إن:

"ماتيو ديليسبس وبرناردينو دروفيتي ساعدا محمد علي في الوصول للسلطة، وكان هدفهم من ذلك العمل على استقلال مصر عن الإمبراطورية العثمانية وإضعافها Mathieu De Lesseps Et Bernardino Drovetti Avaient Soutenu La Montée Au Pouvoir De Méhémet Ali, Visant à Rendre L'Egypte Autonome à L'Intérieur De L'Empire Ottoman"[٢].

وفي دراسته تعرض جالتييه لسيرة ديليسبس في الماسونية، فيقول إن ديليسبس:

"كان ذا مكانة سامية في الماسونية، فكان عضواً في الطقس المصري، من قبل أن يأتي إلى مصر، وحين انتقل من مصر مفوضاً عاماً لفرنسا في ليفورنو Livorno في إيطاليا، أسس فيها محفلاً يتبع الشرق الأعظم الفرنسي، وسماه: محفل نابليون La Loge Napoléon، ومن ليفورنو انتقل إلى كورفو Corfu، أكبر جزر البحر الأيوني في اليونان، سنة ١٨١٠م، وكانت معقلاً من معاقل الماسونية، فقام بتنظيم المحافل فيها، وتم تنصيبه قائداً لتنظيم الفرسان حماة الماسونية العالمية Commandeur De L'Ordre Des Chevaliers Défenseurs De La Franc-Maçonnerie Universelle، وفي سنة

---

1) Gérard Galtier: La Société Secrète Egyptienne De B. Drovetti, Cahiers De La Méditerranée, 72, 2006, P285-305.
2) La Société Secrète Egyptienne De B. Drovetti, Cahiers De La Méditerranée, 72, 2006, P295.

١٨٢٢م صار الرئيس الشرفي لتنظيم أتباع الحقيقة Les Sectateurs De La Vérité، في بيزانسو Besançon، شرق فرنسا"[١].

وأما برناردينو دروفيتي Bernardino Drovetti، وهو من أصل إيطالي مثل نابليون، ونائب ديليسبس في مصر منذ سنة ١٨٠٣م، ثم خلفه في منصب قنصل فرنسا في مصر، ومستشار أول الآتين من الخلف لأكثر من عشرين سنة، ومرشده وقائد خطواته، فدراسة جالتييه كانت عن جمعيته السرية التي أسسها في مصر، ويقول جالتييه إن دروفيتي كان ماسونياً ومن أتباع الطقس المصري أيضاً.

وقد كانت هذه الجمعية المصرية السرية، كما يقول جالتييه، إحدى أدوات دروفيتي، في تحقيق الهدف الذي من أجله ساعد هو وديليسبس أول الآتين من الخلف، وأزالا العقبات من طريقه إلى السلطة، ألا وهو عزل مصر وتحويلها إلى مطية وأداة لضرب الدولة العثمانية وتفكيك بلاد الإسلام.

وأما من يكون أعضاء هذه الجمعية السرية التي أسسها دروفيتي في مصر، وأقام لها محفلين، أحدهما في الإسكندرية والثاني في القاهرة، وكيف كانت إحدى أدوات الماسون في تحقيق أهدافهم، فسنعرفك به لاحقاً، عندما نعرفك بالماسونية في دولة أول الآتين من الخلف وأول الواصلين إلى حكم مصر من خريجي حواري اليهود.

---

1) La Société Secrète Egyptienne De B. Drovetti, Cahiers De La Méditerranée, 72, 2006, P302.



مذبحة القلعة

والآن ننتقل بك إلى إلى مذبحة القلعة، لا لمجرد أن نعرفك بها، بل لتعرف منها شيمة أخرى من شيم أول الآتين من الخلف وجميع الآتين من الخلف، من خريجي حواري اليهود، ألا وهي الغدر والخيانة، وأيضاً لأن مذبحة القلعة، على هولها وما فيها من غدر وخيانة، يمكن قبولها على أنها من ضرورات التغلب وصفات ولي الأمر المتغلب، وكل ما سنعرفك به بعدها يخرج بمحمد علي من دائرة ولي الأمر المتغلب إلى دائرة أخرى، هي دائرة الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود.

بعد وصول أول الآتين من الخلف إلى السلطة في القاهرة، تحصن المماليك بالصعيد، فاعتصم محمد بك الألفي بقواته في الفيوم، وإبراهيم بك وعثمان بك البرديسي في المنيا، وعثمان بك حسن في إسنا، فأرسل أول الآتين من الخلف جيشاً من الأرناؤود والدلاة الذين دخلوا في طاعته، بقيادة حسن باشا، لقتال المماليك وإخضاعهم لسلطته.

وانتهى صراع أول الآتين من الخلف مع المماليك، وحملاته عليهم، بكسر شوكتهم، وإخضاع الصعيد لسلطته، فدخل المماليك في طاعته، يقول عبد الرحمن الرافعي في كتابه: عصر محمد علي:

"**وطلب كثير من البكوات والكُشاف والمماليك الأمان من محمد علي، فأمَّنهم على أنفسهم وعفا عنهم، وأذن لهم في العودة إلى القاهرة والإقامة فيها ... وأخذوا ينصرفون إلى أسباب الرفاهية والرغد، وأغدق عليهم من خزانة الحكومة ما جعلهم يستطيبون الإقامة في القاهرة، ويؤثرونها على عيشة الكفاح والقتال، وانصرفوا إلى ترتيب عيشتهم الجديدة، وتجميل بيوتهم وتأسيسها بفاخر الرياش والأثاث، وشرع معظمهم في التزاوج وإعداد الأفراح والمسرات ... ولم يدروا ما خبأ لهم القدر من خاتمة رهيبة**"[١].

---

١) **المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، ص١٠٧، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.**

والذي خبأ الخاتمة الرهيبة للمماليك هو أول الآتين من الخلف، بعد أن أمَّنهم، وبعد أن دخلوا في طاعته وانصرفوا عن القتال، واستقروا في القاهرة وصاروا من الأهالي، ودُورهم وسط دُور المصريين.

فإليك وصف هذه الخاتمة الرهيبة، لتعرف كيف وبأي طريقة تأسست مصر العلمانية، التي يغني لك بقرها عن الحرية والديمقراطية، ولتدرك ان ما عشته ورأيته من مشاهد يُطلق فيها الرصاص على العزل وتدوسهم المدرعات في الميادين والشوارع وتُحرق جثثهم في الساحات والجوامع، ليس جديداً ولا فريداً، بل هي مشاهد معتادة وتتكرر مع كل مَن يصل إلى السلطة في بلاليص ستان مِن الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود.

في أوائل شهر صفر ١٢٢٦هـ/مارس ١٨٠١١م، وبناءًا على أوامر من الحكومة العثمانية، بدأ أول الآتين من الخلف في تجهيز حملة إلى الحجاز بقيادة ابنه طوسون، لمواجهة الحركة الوهابية، التي بدأت كحركة انفصالية عن الدولة العثمانية في الجزيرة العربية.

وعيَّن أول الآتين من الخلف يوم الجمعة ٦ صفر ١٢٢٦هـ/٢ مارس ١٨٠١١م لإقامة احتفال كبير في القلعة، لعقد لواء القيادة لطوسون وانطلاق الحملة من القلعة، ودعا إليه الأعيان وأمراء المماليك، فعدوا ذلك علامة على رضاه عنهم، فلبى جميع من كان في القاهرة من المماليك الدعوة، وذهبوا إلى القلعة في أفخر ثيابهم على جيادهم دون سلاح سوى سيوفهم.

وهذا هو وصف الجبرتي لما حدث:

"دخل الأمراء عند الباشا وصبَّحوا عليه، وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحك معهم، ثم انجر الموكب على الوضع الذي رتبوه، فانجر طائفة الدُلاة وأميرهم المسمى أوزون علي، ومن خلفهم الوالي والمحتسب والأغا والوجاقلية والألداشات المصرية ومن تزيا بزيهم، ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبكباشيات، وأرباب المناصب منهم، وكان الباشا قد بيَّت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية (المماليك) وقتلهم، فلما انجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والألداشات المصرية

وانفصلوا من باب العزب(•)، فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب، وعرَّف طائفته بالمراد، فالتفتوا ضاربين بالمصرية، وقد انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدِر الحجر المقطوع في أعلى باب العزب، بين الباب الأعلى الذي يتوصل منه إلى رحبة سوق القلعة إلى الباب الأسفل، وقد أعدوا عدة من العساكر أوقفوهم على علاوي النُقر الحجر(النوافذ الحجرية العليا) والحيطان التي به، فلما حصل الضرب من التحتانيين أراد الأمراء الرجوع القهقرى، فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول في مضيق النقر، وأخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم أيضاً، وعلم العسكر الواقفون بالأعالي المراد فضربوا أيضاً، فلما نظروا ما حل بهم سُقط في أيديهم، وارتبكوا في أنفسهم وتحيروا في أمرهم، ووقع منهم أشخاص كثيرون، فنزلوا عن الخيول، واقتحم شاهين بيك وسليمان بيك البواب وآخرون في عدة من مماليكهم راجعين إلى فوق، والرصاص نازل عليهم من كل ناحية، ونزعوا ما عليهم من الفراوي والثياب الثقيلة، ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا إلى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة وقد سقط أكثرهم، وأصيب شاهيب بيك وسقط إلى الأرض، فقطعوا رأسه وأسرعوا بها إلى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش، وأما سليمان بيك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد إلى حائط البرج الكبير، فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه أيضاً، وهرب كثير إلى بيت طوسون باشا، يظن الالتجاء به والاحتماء فيه فقتلوهم، وأسرف العسكر في قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب، ولم يرحموا أحداً، وأظهروا كامن حقدهم، وضبَّعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملاً معهم من أولاد الناس (الأعيان من أهل مصر) وأهل البلد(العوام من أهل مصر) الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب، وهم يصرخون ويستغيثون، ومنهم من يقول: "أنا لست جندياً ولا مملوكاً"، فلم يرِقّوا لصارخٍ ولا شاكٍ ولا مستغيث، وتتبعوا المتشتتين والهربانين في نواحي القلعة وزواياها ... ثم أحضروا أيضاً المشاعلي لرمي أعناقهم في حوش الديوان واحداً بعد واحد، مِن ضحوة النهار إلى أن مضى حصة من الليل في المشاعل، حتى امتلأ الحوش من القتلى"(١).

•) باب العزب هو باب القلعة من الجهة الغربية، ويطل على ميدان، كان اسمه وقتها ميدان الرميلة، وهو الآن ميدان صلاح الدين، الذي توجد به مدرسة ومسجد السلطان حسن وجامع الرفاعي.

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢٠٧-٢٠٨.

ولكـي تـرى مـا حـدث رأي العـين، هـاك لوحـة علـى الخشـب عنوانهـا: مذبحـة المماليـك Masacre De Los Mamelucos، وهـي من مجموعة أعمال الرسام البلجيكي: أدولف فرانسـوا بـانِميكر Adolphe François Pannemaker، عـن مصـر، وقـد رسـمها سـنة ١٨٦٠م، وهي تصور المذبحة، ويظهر فيها الممر الحجري الذي وقعت فيه، والنوافذ العليا في جدرانه، وباب العزب من الداخل.



لوحة مذبحة المماليك، للرسام البلجيكي: أدولف فرانسوا بانِميكر.

وقُتل غدراً فـي هذه المذبحـة جميـع من دخلوا القلعـة من المماليك، وكـان عددهم أربعمائـة وسبعين، ٤٧٠ أميراً، ولم ينج منهم سوى واحد فقط، هو أمين بك، وفي رواية أنه وصل متأخراً بعد أن بدأت المذبحة ففر هارباً دون أن يدخل القلعة، وفي رواية اخرى أنـه كان داخلها ولما بـدأ إطـلاق الرصـاص انطلـق بجواده وقفـز بـه مـن فـوق سـور القلعـة الـذي يبلـغ ارتفاعـه نحـو عشرين متراً، فمات جواده وفر هو إلى أن وصل الشام ومنها إلى الأستانة.

أما أول الآتين من الخلف، فهاك وصف حالته إبان المذبحة، وقد نقلـه عبد الرحمن الرافعي عن المؤرخ الفرنسي فولايل، وهو من معاصري الأحداث:

"وبينما كان صالح قوش/قوج يتأهب لتنفيذ المؤامرة كان محمد علي باشا جالساً في قاعة الاستقبال ومعه أمناؤه الثلاثة، وقد ظل في مكانه هادئاً إلى أن بدأ الموكب يتحرك وإقتربت اللحظة الرهيبة، فساوره القلق والاضطراب، وساد القاعة صمت عميق، إلى أن سمع إطلاق أول رصاصة، وكانت إيذاناً ببدء المذبحة، فوقف محمد علي وامتقع لونه وعلا وجهه الاصفرار وتنازعته الانفعالات المختلفة، وأخذ يسمع دوي الرصاص وصيحات الذعر والاستغاثة وهو صامت لا ينبس بكلمة، إلى أن حصد الموت معظم المماليك وأخذ صوت الرصاص يتضاءل، وكان ذلك إعلاناً بانتهاء المؤامرة، وعندئذ دخل عليه المسيو ماندريشي طبيبه الإيطالي، وقال له: "لقد قضي الأمر واليوم يوم سعيد لسموكم"(١).

وإليك الجبرتي يخبرك ببقية ما فعله عساكر أول الآتين من الخلف في القاهرة خارج القلعة:

"وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الأمراء، انبثوا كالجراد المنتشر إلى بيوت الأمراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة، فولجوها بغتة ونهبوها نهباً ذريعاً، وهتكوا الحرائر والحريم، وسحبوا النساء والجواري والخوندات والستات، وسلبوا ما عليهن من الحلي والجواهر والثياب، ولم يجدوا مانعاً ولا رادعاً، وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المرأة، وحل بالناس في بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف، لأن المماليك والأجناد تداخلوا وسكنوا في جميع الحواري والنواحي، وكل أمير له دار كبيرة فيها عياله وأتباعه ومماليكه وخيوله وجماله، وله دار أو داران صغار في داخل العطف ونواحي الأزهر والمشهد الحسيني ... وانتُهبت دور كثيرة من المجاورين لهم أو لدور أتباعهم بأدنى شبهة وبغير شبهة، أو بحجة التفتيش، ونهب في هذه الحادثة من الأموال والأمتعة ما لا يقدر قدره ويحصيه إلا الله سبحانه وتعالى"(٢).

---

١) عصر محمد علي، ص١١٢.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢٠٨-٢٠٩.

وهذا هو ما فعلوه في الأقاليم والأرياف:

"وأما كتخدا بيك، فإنه لشدة بغضه فيهم، صار لا يرحم منهم أحداً، فكان كل من أحضروه ولو فقيراً هرماً من مماليك الأمراء الأقدمين يأمر بضرب عنقه، وأرسل أوراقاً إلى كشاف النواحي والأقاليم (حكام الأقاليم) بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان ... فعندما وصلت الأوامر إلى كشاف الأقاليم بقتل الكائنين بالبلاد، بادروا بقتل من يمكنهم قتله، ومن بَعُدَ عنهم أرسلوا لهم العساكر في محلاتهم، فيدهمونهم على حين غفلة، ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال، فصار يصل في كل يوم العدد من الرؤوس من قبلي وبحري، ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة، ولم يقبلوا شفاعة في أحد أبداً، ويعطون الأمان للبعض، فإذا حضروا قبضوا عليهم وشلحوا ثيابهم وقتلوهم، والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك ففوض له الأمر فيهم"[1].

ومرة أخرى، ما أشبه الليلة بالبارحة، ولا جديد كما ترى تحت شمس بلاليص ستان، وما فعله ثالث الآتين من الخلف هو صورة طبق الأصل مما فعله أول الآتين من الخلف قبله بمائتي سنة، لأن المحضن الذي أخرج هذا هو نفسه الذي أنبت ذاك.

والآن إليك تفسير الأميين لماذا دبر أول الآتين مذبحة القلعة، ولماذا أباد المماليك غدراً وخيانة؟

يقول المؤرخان الأمِّيان إلياس الأيوبي وعبد الرحمن الرافعي، إن:

"محمد علي باشا لم يكن مطمئناً البتة من جهة المماليك، فهل يوجه الآن جميع قواه أو معظمها إلى قتال الوهابيين ويبقى القطر بلا حماة وسيف الأمراء مسلول فوق رأسه"[2] ... "وخشي إذا غادر الجيش مصر وضعفت قوته الحربية أن يعودوا لمنازعته وانتزاع السلطة من

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢١١.

٢) محمد علي سيرته وآثاره، ص٩٤.

يده، فرأى أن لا وسيلة للاحتفاظ بسلطانه وانفراده بالحكم سوى أن يتخلص من البقية الباقية من المماليك"[1].

فتنبه أولاً أن الجبرتي يصف أمراء المماليك الذين أبادهم أول الآتين من الخلف بأنهم الأمراء المصرية والمصرلية، ويُعرفك أن عساكر أول الآتين من الخلف الذين نفذوا المذبحة أرناؤود ودُلاة، بينما المؤرخون الأميون، لأنهم من نتاج دولة أول الآتين من الخلف، وما فعله في مصر يوافق هواهم الأمي، يصفون هؤلاء المرتزقة الذين أتوا من خارج مصر ولا علاقة لهم بأهلها ولا يتكلمون العربية ولا المصرية، يصفونهم بأنهم حماة مصر!

وما قاله المؤرخون الأميون لا يكفي لتفسير مذبحة أول الآتين من الخلف، بالضبط كما أن الإطاحة بالحركات الإسلامية من السلطة في بلاليص ستان لا تكفي لتفسير مذابح ثالث الآتين من الخلف، لأنه كان يمكن الإطاحة بهم وفض اعتصامات من يناصرونهم بأيسر من ذلك ودون هذه المذابح، وهم لا حول لهم ولا قوة، ولا شرطة معهم ولا جيش.

فالمماليك الذين أبادهم أول الآتين من الخلف في القلعة لم تعد لهم شوكة ولا خشية منهم على سلطانه، وقد دخلوا في طاعته، وتركوا القتال، ومالوا إلى الدعة والترف، فاستقروا في القاهرة، ودُورهم صارت في قلبها ووسط دُور أهل مصر، كما رأيت من وصف الجبرتي، فلا هم متحصنون خارج القاهرة، ولا لهم فيها قلعة يعتصمون بها.

ومن بقي من أمراء المماليك في الوجه القبلي، ممن لهم شوكة ولم يقدم إلى القاهرة، تركوا الصعيد بعد حملات أول الآتين من الخلف عليهم، وخرجوا إلى النوبة خارج حدود مصر الطبيعية، فبسط أول الآتين من الخلف سلطته على الصعيد وصار تحت يد عساكره، كما ترى في وصف الجبرتي أيضاً.

وقد كان مماليك الوجه القبلي الذين أبوا الدخول في طاعة أول الآتين من الخلف والاطمئنان إلى أيمانه الكاذبة، وتركوا له مصر كلها، أكثر حصافة وأبعد نظراً، وحين أتاهم العلماء

---

١) عصر محمد علي، ص١٠٨.

والمشايخ، إبان حملة فريزر، قبل المذبحة بأربعة سنوات، يذكرونهم بحق الإسلام، ويطلبون منهم، كما ستعلم، ترك مقاتلة أول الآتين من الخلف والتعاون معه، كان ردهم على العلماء والمشايخ:

"كل ما قلتموه وأبديتموه نعلمه، ولو تحققنا الأمن والصدق من مُرسِلكم ما حصل منا خلاف، ولحاربنا وقاتلنا بين يديه، ولكنه غدار لا يفي بعهد ولا بوعد، ولا يبر في يمين، ولا يصدق في قول، وقد تقدم أنه قد يصطلح معنا وفي أثر ذلك يأتي لحربنا ويقتلنا"[1].

وإليك تفسيرنا لمذبحة أول الآتين من الخلف، وثقة منَّا في فطنتك نترك لك أن تستشف منه تفسير مذابح ثالث الآتين من الخلف.

وتفسيرنا يبدأ بسؤال: مَن صاحب فكرة إبادة المماليك، وبهذه المذبحة، بعد أن لم تعد لهم شوكة، وصاروا في كنف أول الآتين من الخلف وتحت يده، أو بصيغة أخرى: من الذي أشار على أول الآتين من الخلف بذلك، أو هل استشار أحداً في هذه المذبحة؟

والجبرتي يقول إن أول الآتين من الخلف لم يخبر أحداً بالمذبحة التي دبرها للمماليك في الاحتفال الذي أقامه في القلعة سوى أربعة أشخاص، والمؤرخون الأميون يتفقون معه في ذلك نقلاً عن مصادرهم الفرنسية، وهؤلاء الأربعة هم: وكيله الكتخدا محمد لاظ أوغلي، وحسن باشا قائد العساكر الأرناؤود/الألبان، وصالح قوش الضابط الذي يقود عساكر الأرناؤود وبدأ إطلاق الرصاص، وإبراهيم أغا حارس بوابة باب العزب، والذي كان مكلفاً بإغلاقها بعد عبور موكب طوسون منها، وقبل خروج المماليك الذين يتبعون الموكب، لكي يعزلهم ويحصرهم في الممر الحجري المنحدِر قبل البوابة.

وهؤلاء جميعاً تحت يد أول الآتين من الخلف، وأدواته في تنفيذ المذبحة، والسؤال الذي لم يتطرق إليه أحد هو: من أين أتته فكرة إبادة المماليك، ومن الذي أشار عليه بها، وبهذه الطريقة، ولماذا؟

---

١) **عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨١.**

وثاني خطوة لكي تستوعب تفسيرنا هي أن تدرك أنه حتى هذه اللحظة كان مصدر قوة محمد علي الحقيقي ونفوذه، ليس عساكره ولا ما حققه من انتصارات عسكرية على خصومه ومنافسيه في السلطة، بل انخداع العلماء والمشايخ بالغلاف الذي يرتديه، والتفافهم حوله والتفاف عموم الناس من حولهم، وقد أوقفوا بهذا الالتفاف مراسيم عزله من ولاية مصر الآتية من الأستانة أكثر من مرة، ورغم ما حدث بينه وبين السيد عمر مكرم من جفوة، ظل كثير من المشايخ والعلماء حوله، لما يرونه فيه من الشكيمة والعزم والقدرة على ضبط أمور البلاد وحفظ الأمن، والعقائد والشرائع محفوظة، ومسار مصر كما هو منذ دخلها الإسلام ودخلت فيه.

وهاهنا مفتاح مذبحة القلعة وفهم موقع إبادة المماليك من سيرة أول الآتين من الخلف، فلأن غايته الحقيقية من الوصول للسلطة في مصر هي الانحراف بمسارها، والإطاحة بعقائدها وشرائعها، وإذابة معاييرها وموازينها، وتغيير هويتها لفصلها عن محيطها العربي الإسلامي وتحويلها إلى دولة مستقلة ظاهراً وتابعة في حقيقتها للغرب اليهودي الماسوني ومقاليدها فيه، ولأنه يعلم ويوقن أن خلعه للغلاف الذي يرتديه، وظهور ما يضمره إلى العلن، سيجعله يصطدم بالعلماء والمشايخ، ويفقد رضاهم ورضا عموم الناس عنه، ولا وسيلة لتحقيقه سوى إزاحة العلماء وتكتيف عموم الناس وقهرهم على ما يريده، ولأنه يدرك أنه لو كانت في مصر قوة عسكرية واتحد بها العلماء والمشايخ لفقد سلطته على مصر وخرج من حكمها كما دخل، كانت الخطوة الأخيرة التي لابد أن يخطوها قبل أن يبدأ في إخراج مصر من مسارها الذي تسير فيه منذ دخلت الإسلام، وقبل أن ينحرف بها إلى المسار اليهودي الماسوني، هي أن يُبيد المماليك، لأنهم القوة العسكرية الوحيدة الباقية في مصر، وهم إنما فقدوا شوكتهم وخضعوا له بالتفاف المشايخ والعلماء حوله، ولو انفضوا عنه وعادوا إليهم لعادت لهم قوتهم.

وتكتيف عموم أهل مصر وإرهابهم بمذبحة المماليك، لا مجرد التخلص من المماليك، هو ما فطن إليه المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، وإن لم يدرك صلته بمسار مصر الذي سار فيه أول الآتين من الخلف وما كان يدبر له بعد ذلك، أو أدركه وأسقطه، لأن هذا المسار وهذا التدبير يوافق تكوينه وهواه الأمي.

يقول الرافعي:

"الفتك بالمماليك على هذه الصورة الرهيبة كان له أثر عميق في حالة الشعب النفسية، لأن مذبحة القلعة أدخلت الرعب في قلوب الناس، وكان من نتائجها أن استولت الرهبة على القلوب، فلم يعد ممكناً إلى زمن طويل أن تعود الشجاعة والطمأنينة إلى نفوس الناس ... أضف إلى ذلك أن هذه الحادثة وقعت في الوقت الذي كانت فيه النفوس قد تطلعت إلى مراقبة أولياء الأمور ودبت فيها روح الحياة والديمقراطية، وتعددت مظاهر هذه الروح بما رأيت من اجتماعات الشعب واحتجاجه على المظالم، فنحسب أن مذبحة القلعة قد قضت على هذه الروح إلى زمن طويل، وأحلت في مكانها روح الرهبة من الحكام، فلم يَبدُ من الشعب في خلال السبعة وثلاثين سنة التي قضاها في الحكم بعد تلك الحادثة روح معارضة أو محاسبة أو انتقاد"[١].

ومما قاله الرافعي في تفسير مذبحة أول الآتين من الخلف، ومما زدناه عليه، تكون قد وضعت يدك على أول الخيط الذي تدرك به تفسير مذابح ثالث الآتين من الخلف؟

وغاية أول الآتين من الخلف، التي يضمرها منذ هبط على مصر من كافالا/قَوَلة، حارة اليهود اليونانية، هي نفسها، كما علمت من قبل، غاية نابليون والماسون في فرنسا والهدف الحقيقي من حملتهم على مصر، وفي منشور نابليون الأول الذي كتبه وهو على مشارف الشواطئ المصرية ووزعه على أهلها، والذي أتيناك بنصوص منه سابقاً، أنه:

" يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا، من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في

---

١) عصر محمد علي، ص١١٥-١١٦.

كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم"[1].

وغاية أول الآتين من الخلف هي نفسها غاية الماسوني دروفيتي، قنصل فرنسا في مصر، وصديق أول الآتين من الخلف ومستشاره الذي ترى آثاره في أفعاله دون أن يظهر اسمه في القرارات وبين من ينفذونها، ولا فيما يكتبه المؤرخون الأميون، وقد جاء دروفيتي إلى مصر مع جيش نابليون، وهو يحلم، كما يقول المؤرخ والماسوني جيرار جالتييه، بفصلها عن الدولة العثمانية وتحويلها إلى دولة مستقلة.

ويقول كلوت بك، طبيب أول الآتين من الخلف، في كتابه: لمحة إلى مصر:

"ولا يزال محمد علي مؤيد الجانب من الفرنسيين، فكأن لفظة الفرنسي أصبحت حرزه الحريز وطلسمه للخير والدافع للشر، وكان في القطر المصري للحكومة الفرنسية قنصل اسمه ديليسبس، كان أول من وافاه بنصائحه ومشوراته، وجاء من بعده المسيو دروفيتي الذي أحرز عنده نفوذاً كبيراً ومكانة عالية، ليس فقط باعتباره وكيلاً لأمتنا، بل أيضاً باعتبار أنه من البارعين الماهرين في الفنون العسكرية"[2].

ولذا فتمام تفسيرنا، هو أن إبادة المماليك وقتلهم جميعاً بمذبحة القلعة، ليست من بنات أفكار أول الآتين من الخلف، بل أشار عليه بها الماسون في فرنسا، وتحديداً الماسوني دروفيتي، أو على الأقل أنه استشاره فيها وحصل على ضوئه الأخضر وموافقة الإمبراطور نابليون، بالضبط كما أن ثالث الآتين من الخلف ما كان في مقدوره أن يقوم بمذابحه دون موافقة الولايات المتحدة الأمية مملكة اليهود والماسون وضوئها الأخضر، وجيشه الذي سينفذ المذبحة أمريكي التسليح والتدريب والتمويل، وبلاليص ستان عالة عليها ومقاليدها الحقيقية في أيديها.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٤.

٢) لمحة عامة إلى مصر، ص٤٦٩.

وهذا هو تعليق الماسوني دروفيتي على مذبحة القلعة، بعد يومين من حدوثها، وبحيرات الدماء، كما يقول المؤرخ هنري دودويل، ما زالت تملأها، وهو أنها:

"**طريقة فظيعة للإعدام Exécution Terrible**"(١)

فتنبه أن الماسوني الإبليس وصف المذبحة بأنها عملية إعدام Exécution، وهو ما يعني أن إبادة المماليك وقتلهم جميعاً عمل قانوني وشرعي، والفظيع هو طريقة تنفيذه، تماماً مثلما أن مذابح ثالث الآتين من الخلف كانت تنفذ على الأرض بضوء أخضر أمريكي، بينما الأمريكان يدينون ما يحدث في تصريحاتهم لإعلامهم، وبقر الصحف والشاشات وضعاف العقول من حفظة الأكلشيهات في بلاليص ستان يؤلفون الأغاني وينشدون الأناشيد عن عرقلة ثالث الآتين من الخلف للمؤامرة الأمريكية!

وإليك مشهداً تعرف منه الفرق بين المماليك ومحمد علي، وترى به الحد الفاصل بين ولي الأمر المتغلب وبين الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود، وتزداد به يقيناً من صحة تفسيرنا، وأن إبادة المماليك في مذبحة القلعة كانت إحدى الخطوات التمهيدية في المسار اليهودي الماسوني المرسوم لمصر في رأس أول الآتين من الخلف وملهميه من ماسون فرنسا.

حين قدِمت الحملة الإنجليزية بقيادة الجنرال فريزر إلى مصر واستولت على الإسكندرية في ٩ محرم ١٢٢٢هـ/١٩مارس ١٨٠٧م، أراد الإنجليز استمالة أمراء المماليك وإغراءهم للتعاون معهم في مواجهة أول الآتين من الخلف، فأرسلوا إلى عثمان بك حسن، وكان له جيش كبير، فكان رده على من أحضروا له الرسالة، كما يقول الجبرتي:

"**أنا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت في الفرنساوية، والآن أختم عملي وألتجئ إلى الإفرنج وأنتصر بهم على المسلمين، أنا لا أفعل ذلك**"(٢).

---

1) The Founder Of Modern Egypt, P36.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٧٧.

ورد أمير المماليك عثمان بك حسن على دعوة الإنجليز للقتال معهم الذي قرأته، كان وأول الآتين من الخلف، كما يقول الجبرتي، على رأس جيشه في الصعيد:

"يحارب المماليك الذين بناحية أسيوط، وهم المرادية والإبراهيمية والألفي، والتقى معهم وانكسروا منه، وقتل منهم أشخاصاً"[١].

وذهب المشايخ مع مصطفى أفندي كتخدا، قاضي العسكر، إلى أمراء المماليك في الوجه القبلي الذين يقاتلهم أول الآتين من الخلف، إبراهيم بك الكبير وشاهين بك المرادي وشاهين بك الألفي، فاجتمعوا بهم وطلبوا منهم التوقف عن القتال والعمل على الصلح مع الباشا واجتماع الكلمة لمواجهة الإنجليز، فكان مما قاله المشايخ لأمراء المماليك:

"لا يصح ولا ينبغي منكم الانتصار بالكفار على المسلمين، ولا الالتجاء إليهم، ووعظوهم وذكروا لهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن الله هداهم في طفوليتهم، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد نشأوا في كفالة أسيادهم، وتربوا في حجور العلماء وبين أظهر الفقهاء، وقرأوا القرآن وتعلموا الشرائع، وقطعوا ما مضى من أعمارهم في دين الإسلام، وإقامة الصلوات والحج والجهاد"[٢].

فيمكنك أن تصف عثمان بك، وأياً من أضرابه من المماليك، بأنه ظالم أو فاسد، وقد يكون له مع إنجلترا أو فرنسا مصالح ومنافع، وقد يتحالف مع هذه أو تلك، أو تكون بينه وبين أي منهما اتفاقات ومعاهدات، ولكنه ليس من الآتين من الخلف، ولا من خريجي حواري اليهود، لأنه لا يعرف ولا يرتضي نظاماً للمجتمع ومصدراً لأفكاره وقيمه وأخلاقه وضابطاً لوجهته ومساره ومحدداً لأوليائه وأعدائه سوى الإسلام.

وهاهنا نذكرك بما فصلناه لك من قبل تفصيلاً، من الفروق بين ولي الأمر المتغلب في تاريخ مصر الإسلامية والآتين من الخلف في بلاليص ستان.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٧٧.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨١.

ولي الأمر المتغلب، صراعه ومعاركه مع منافسيه في السلطة فقط، وهو الذي يتغلب على خصومه ومناوئيه من ذوي الشوكة ثم يقف، وبعد أن يتغلب ويصل إلى السلطة يحافظ على مسار مصر الذي بدأ مع دخولها الاسلام، وعلى الوحي ميزانها ومعيارها، وعلى هندسة مجتمعها واجتماعها وقيمها وأخلاقها وشرائعها، التي محورها وضابطها المعيار والميزان، وعلى أهل الحل والعقد والطبقة القوامة على هذه الهندسة وعلى هذا المحور وعلى هذه القيم والشرائع، وأعداؤه، بعد أن يتغلب على خصومه، في الخارج وليس في الداخل، وهم أعداء الأمة وتاريخها وعقائدها الذين يعرفهم ولا يخطئهم أحد فيها.

أما الآتون من الخلف في بلاليص ستان عبر تاريخها، ومن تسللوا إلى جيوشها من حواري اليهود، ووصلوا إلى السلطة في غمار الفوضى التي تُصنع لهم أو تُصنع بهم، فصراعهم ومعاركهم مع الأمة كلها، عقائدها وشرائعها وموازينها ومعاييرها وتاريخها وأهل حلها وعقدها وعموم أهلها، والآتي من الخلف هو الذي يتعدى الإطاحة بخصومه ومن يَعُوقون وصوله للسلطة، إلى الإطاحة بأهل حلها وعقدها والطبقة القوامة على معيارها وميزانها، وينحرف بمسارها، ويكون أولياؤه في خارجها وأعداؤه في داخلها، وسيفه وجيشه عليها لا على أعدائها.

ونريدك أن ترجع لما أوردناه لك من قبل من سيرة الظاهر بيبرس، أعظم ولاة الأمر المتغلبين وأشدهم بأساً، ومؤسس دولة المماليك، وقارنه بما فعله أول الآتين من الخلف ومؤسس بلاليص ستان، وعندها سترى الفرق بين ولي الأمر المتغلب وبين الآتين من الخلف رأي العين[1].

فبيبرس بعد أن تغلب على قطز ووصل إلى السلطة، وصار جيش مصر تحت إمرته، انصاع لأهل الحل والعقد، وكان لا يخرج عن مشورة العز بن عبد السلام، ثم أتم ما بدأه قطز، فقضى حياته كلها في توحيد بلاد الإسلام، وجهاد أعداء الأمة من التتار والصليبيين وإجلائهم عنها، وفي قتال الطوائف الضالة، وأحيا العقائد والشرائع، وأعاد الخلافة العباسية بعد أن أسقطها التتار في بغداد، وأقام الخليفة في القاهرة، ودخل في طاعته رغم أنه هو صاحب الشوكة، والمقدام المغوار المقاتل بنفسه على رأس جيشه.

---

١) **في كتاب: ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان.**

أما أول الآتين من الخلف، وجميع الآتين من الخلف من خريجي حواري اليهود، فإنه ما إن أطاح بخصومه ومنافسيه على السلطة في مصر، وتمكن منها وأنشب أنيابه وأظفاره فيها، حتى نزع غلافه، فأطاح بمشايخها وعلمائها، وقضى حياته في التدبير للانحراف بمسارها، ولإذابة معاييرها وموازينها، وفي توجيه الضربات للخلافة والعمل على فصلها عنها، وفي الاحتيال لتوطئتها لأعدائها، وتسليمها للماسون، وفي تكوين هوية لها بديلة عن الإسلام وتحولها إلى محضن للمشروع اليهودي، وتبذور بذور دولة بني إسرائيل فيها.



إزاحة الأزهر وأهل الحل والعقد

وحتى لحظة مذبحة القلعة، ورغم الغدر والخيانة، يمكن وصف محمد علي بأنه متغلب وظف القوة والعساكر التي تحت يده، واستخدم دهاءه والحيل والدسائس، ولم يتورع عن الغدر والخيانة، من أجل القضاء على خصومه ومنافسيه من ذوي القوة والشوكة، أما ما بعد ذلك، وما فعله بمصر بعد أن أباد المماليك ولم تعد فيها قوة توقفه أو تردعه، ما بعد ذلك يُخرجه من دائرة ولي الأمر المتغلب الى دائرة الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود.

فأما العلماء والمشايخ، فنذكرك أولاً بموقعهم من هندسة المجتمع وما فعلوه لأول الآتين من الخلف، قبل أن نعرفك بما فعله بهم ومبلغ دناءته وانحطاطه، ككل الآتين من الخلف، فقد كان العلماء والمشايخ قادة المجتمع ويسرون في جميع أنسجته، وعموم أهل مصر يثقون بهم ثقة مطلقة، فيلتفون حولهم ولا يتقدمون عليهم ولا يخرجون عن أمرهم، والولاة يوقرونهم ويفعلون أي شيء إلا أن يفقدوا رضاهم، والدولة العثمانية نفسها تبجلهم وتحرص على هذا الرضا.

وهؤلاء العلماء والمشايخ، كما رأيت، هم من أوصلوا أول الآتين من الخلف إلى السلطة، وقد خدعهم بغلاف المسكنة والامتثال للشرع والعدالة والشفقة بعموم الناس الذي كان يرتديه، وهو غلاف كان أول الآتين من الخلف أول من يرتديه في الشرق كله، ولم يكن للعلماء والمشايخ عهد بمثل هذا الغلاف وسيلة للوصول إلى السلطة، فالذي يريد السلطة كان يطلبها ولا يُخفي ذلك، ويسعى إليها علناً، ويحوزها بالتغلب على خصومه، وأهل الحل والعقد وعموم الناس لا يشغلهم من يكون هذا المتغلب، لأن صراعه وتغلبه مع منافسيه في السلطة، لا مع الأمة، وبعد أن يتغلب ويصير في السلطة يظل ما يعني أهل الحل والعقد والصفوة الذهنية والنفسية محفوظاً كما هو، ألا وهو المسار والتاريخ والعقائد والشرائع والأولياء والأعداء.

وبموقع العلماء والمشايخ من المجتمع وقيادتهم لعموم الناس، والتفاف الناس حولهم، نصَّب السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي أول الآتين من الخلف والياً على مصر، بعد أن اشترطوا عليه العدالة والامتثال للشرع ومشاورة العلماء في الأمر، ثم قادوا الثورة ضد خورشيد باشا،

وخاضوا حرباً حقيقية ضد عساكره، حتى أتى مرسوم الأستانة بإقرار ولاية محمد علي: "**حيث رضي بذلك العلماء والرعية**".

والعلماء والمشايخ، والتفاف عموم أهل مصر من حولهم، هم من أوقفوا مرسوم الأستانة بعزل أول الآتين من الخلف عن ولاية مصر، ولم يكن قد مر عليه في السلطة سنة واحدة، فإليك الجبرتي يخبرك بما فعله أول الآتين من الخلف حين وصله المرسوم:

"**فلما قرأ الدفتردار الورقة أرسل إلى السيد عمر النقيب، فحضر إليه وركب صحبته للباشا واختليا معه ساعة ثم فارقاه**"[1].

وفي هذه الساعة، كما يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، واصفاً عزل السلطة الشرعية في الأستانة لوالٍ من قِبلها على إحدى ولاياتها بأنه مؤامرة:

"**أفضى محمد علي إلى السيد عمر مكرم بمؤامرة الأستانة، وطلب منه المعونة والنجدة، فكان عمر مكرم عند ظنه، وكان له نعم العضد الأمين**"[2].

وظل العلماء والمشايخ في اجتماعات ويرسلون العرضحالات إلى قبطان باشا القادم بمرسوم العزل، وإلى السلطان نفسه في الأستانة، حتى جاء مرسوم آخر نصه:

"**إبقاء محمد علي باشا، واستمراره على ولاية مصر، حيث إن الخاصة والعامة راضية بأحكامه وعدله، بشهادة العلماء وأشراف الناس، وقبلنا رجاءهم وشهادتهم**"[3].

ولم يغفر الجبرتي، وهو زرقاء اليمامة في عصره، وزرقاء اليمامة هو الذي لا تخدعه الأغلفة، وينفذ منها إلى ما خلفها، ويرى الأشياء والأشخاص من بعيد على حقيقتهم، ولا تذهله الشعارات واللافتات عن المعيار والميزان، وزرقاء اليمامة في كل عصر واحدٌ فقط وسط كُتل العُمي والعُمش، لم يغفر الجبرتي للعلماء والمشايخ انخداعهم بغلاف أول الآتين من الخلف،

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٨.

٢) عصر محمد علي، ص٣٩.

٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٣.

فيعقب على العرضحال الذي كتبوه إلى الأستانة يطلبون إبقاء أول الآتين من الخلف في ولاية مصر، ويمدحون عدالته وامتثاله للشرع وحفظه للأمن، بقوله:

" **... ونحو ذلك من الكلمات التي عنها يُسألون، ولا يُؤذن لهم فيعتذرون**"[1].

فليتَ الجبرتي كان حياً في زمانك هذا، ليرى ويصف ما يقوله حفظة الأكليشيهات من خطب وأناشيد في ثالث الآتين من الخلف.

ولم يكن العلماء والمشايخ هُم مَن أوصلوا أول الآتين من الخلف إلى السلطة، والقوة المعنوية الهائلة التي تسانده وتمنحه شرعية حكم مصر وفقط، بل وكانوا أيضاً القوة المادية والشوكة التي تواجه له أعداءه وخصومه ومن يناوئون حكمه في داخل مصر ومن خارجها.

ومرسوم عزل أول الآتين من الخلف الآتي من الأستانة، كان أحد بنوده أن:

"**مولانا السلطان عفا عن الأمراء المصريين (المماليك)، وأن يكونوا كعادتهم على إمارة مصر وأحكامها، والباشا المتولي يستقر بالقلعة كعادته**"[2].

وحين وصل المرسوم مع قبطان باشا إلى الإسكندرية، ووصل خبره إلى محمد بك الألفي، أقوى المماليك وأشدهم بأساً، انتقل من حوش عيسى بالبحيرة حيث يعسكر بقواته إلى دمنهور ليتحصن بها، فحاصرها وقاومه أهلها، ومنعوه من دخولها، وأرسلوا إلى السيد عمر مكرم يخبرونه، فأخبر أول الآتين من الخلف، فأرسل جيشاً من الأرناؤود والدُلاة إلى قلعة الرحمانية، بقيادة ابن أخته طاهر باشا، والتقى الجيشان في معركة النجيلة قرب كوم حمادة، يوم ١٢ جمادى الأولى ١٢٢١هـ/٢٨ يوليو ١٨٠٦م، وانجلت المعركة عن:

"**نصرة الألفي وانهزام العسكر، وقُتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة، ولم يزالوا في هزيمتهم في البحر، وألقوا بأنفسهم فيه، وامتلأ البحر من طراطير الدلاتية، وهرب كتخدا بيك**

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٠.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٨.

وطاهر باشا إلى بر المنوفية، واستولى الألفي وجيوشه على خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجبخاناتهم ... وانزعج الباشا والعسكر انزعاجاً عظيماً"[1].

وبعد انتصاره الساحق على عساكر أول الآتين من الخلف في معركة النجيلة، عاد الألفي بك لمحاصرة دمنهور، فحاصرها شهراً فوق الشهرين السابقين على معركة النجيلة، وأهلها بقيادة مشايخها يقاتلونه دون أن يستطيع دخولها، واضطر في النهاية للانسحاب عنها، ولولا ذلك لانفتح طريقه إلى القاهرة، ولسقطت دولة أول الآتين من الخلف من قبل أن تقوم.

وإبان هذا الحصار ومقاتلة أهل دمنهور لقوات الألفي، لم يكن في مقدور أول الآتين من الخلف أن يفعل شيئاً لنجدتهم بعد هزيمة عساكره، وكان السيد عمر مكرم نقيب الأشراف هو القائد الحقيقي، كما ترى في عبارة الجبرتي:

"وأرسلوا إلى السيد عمر مكرم والباشا، فرجع إليهم الجواب يأمرونهم باستمرارهم على الممانعة ومحاربة من يأتي لحربهم، فامتثلوا لذلك ... والسيد عمر مكرم يقويهم ويمدهم ويرسل إليهم البارود وغيره من الاحتياجات"[٢].

وما حدث مع الماليك تكرر مع حملة الإنجليز بقيادة فريزر، فلولا العلماء والمشايخ لسقط أول الآتين من الخلف وعاد إلى حارة اليهود التي جاء منها من قبل أن تتكشف أنيابه ومخالبه.

في يوم ٩ محرم ١٢٢٢هـ/١٩ مارس ١٨٠٧م، وفي اثنتين وأربعين قطعة بحرية، وصل أسطول الإنجليز إلى الإسكندرية، وكانت تابعة للسلطة العثمانية مباشرة وخارج سلطة أول الآتين من الخلف، وطلب الإنجليز من حاكمها العثماني أمين أغا الطلوع إلى الثغر، فقال لهم:

"لا نمكنكم من الطلوع إلا بمرسوم سلطاني"[٣].

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢٦.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢٨، ٥٧.

٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٧٣.

وفي اليوم التالي، الجمعة ١٠ محرم ١٢٢٢هـ/٢٠ مارس ١٨٠٧م، وبعد انتهاء اليوم الذي أمهل الإنجليز فيه أهل الإسكندرية لتسليمها، ضربت مدافع أسطولهم الإسكندرية، فهدموا أبراجها، واضطر أهل المدينة إلى تسليمها لهم.

وإبان المهلة أرسل حاكم الإسكندرية وأعيانها إلى القاهرة خبراً بوصول الإنجليز، وكان أول الآتين من الخلف على رأس عساكره من الأرناؤود والدلاة في الصعيد يقاتل المماليك، ووصل الخبر إلى القاهرة في يوم وصول الإنجليز الإسكندرية بعد الغروب، فاجتمع أعوان الباشا، كتخدا بك/وكيله وحسن باشا وطاهر باشا والخازندار والدفتردار والروزنامجي، ورأوا بعد المشاورة أن يرسلوا إلى أول الآتين من الخلف في الصعيد يطلبونه للحضور مع عساكره، وأرسلوا إليه مكتوباً في صباح اليوم التالي.

فإليك وصف الجبرتي لأول الآتين من الخلف، وما فعله حين جاءه في الصعيد خبر وصول الإنجليز إلى الإسكندرية:

"لما بلغ محمد علي باشا حصولهم بالإسكندرية، وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم، فعند ذلك انحلت عزائمه، وثبت في يقينه استيلاء الإنكليز على الديار المصرية، وعزم على العودة متلكئاً في السير، يظن سرعة وصولهم إلى المدينة، فيسير مشرفاً على طريق الشام، ويكون له عذر بغيبته في الحملة"(١)!

وهذا ما فعله عساكر أول الآتين من الخلف في القاهرة:

"وعزم أكثر العسكر على الفرار إلى جهة الشام، وشرعوا في قضاء أشغالهم واستخلاص أموالهم التي أعطوها للمتضايقين والمتقرضين بالربا، وإبدال ما بأيديهم من الدراهم والقروش والفرانسة التي يثقل حملها بالذهب البندقي والمحبوب الزر لخفة حملها ... وسعوا في مشترى أدوات الارتحال والأمور اللازمة لسفر البر"(٢).

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٩١.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٩٠.

وبينما أول الآتين من الخلف منحلة عزيمته، ويتلكأ في الرجوع من الصعيد حتى يصل الإنجليز إلى القاهرة، فيفر هو بعساكره إلى الشام، وبينما عساكره من الأرناؤود والدلاة في القاهرة يتأهبون للفرار مثله، كان أهل مصر يرفعون راية الجهاد ويواجهون حملة الإنجليز يقودهم العلماء والمشايخ، ليس من أجل الوطنية والقومية، كما يزعم المؤرخ الأمي المزور عبد الرحمن الرافعي، بل من أجل أن هذه بلاد الإسلام، ومن يغزونها من الإنجليز، كالفرنسيين قبلهم، من الكفار.

وبعد أن استقرت الحملة الإنجليزية في الإسكندرية، سيَّر الجنرال فريزر جيشاً من ألفي جندي بقيادة الجنرال ويكوب إلى رشيد، لاحتلالها وتحويلها إلى قاعدة حربية، فوصلها يوم الثلاثاء ٢١ محرم ١٢٢٢هـ/٣١ مارس ١٨٠٧م، وكانت حامية المدينة تتكون من سبعمائة جندي ولا يمكنها مواجهة الجيش الإنجليزي، فاتفق محافظ المدينة علي بك السلانكي مع السيد حسن كريت، نقيب الأشراف وفقيه المالكية وقائد المجتمع في رشيد، على خطة أخرى تبدأ بإخلاء شوارع المدينة الضيقة والتظاهر بتسليمها دون مقاومة، فهاك وصف الجبرتي لما أعقب هذا الإخلاء:

"**دخل الإنجليز إلى البلد، وكان أهل البلدة ومن معهم من العساكر متنبهين ومستعدين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت، فلما حصلوا بداخل البلدة ضربوا عليهم من كل ناحية، فألقوا ما بأيديهم من الأسلحة وطلبوا الأمان، فلم يلتفتوا لذلك، وقبضوا عليهم، وذبحوا منهم جملة كثيرة، وأسروا الباقين ... فلما كان يوم الأحد (٢٦ محرم ١٢٢٢هـ/٥ أبريل ١٨٠٧م) أُشيع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من الأسرى إلى ساحل بولاق، فهُرع الناس بالذهاب للفرجة**"[١].

فتنبه إلى وصف الجبرتي الدقيق، أن الذي واجه الإنجليز وقاتلهم في شوارع رشيد هم أهل البلدة وقائدهم الفقيه السيد حسن كريت المالكي، وأن العساكر وقائدهم علي السلانكي كانوا معهم!

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٧٨.

أما في القاهرة، وفي اليوم نفسه الذي وصل فيه أسرى الإنجليز ورؤوس قتلاهم إلى ساحل بولاق:

"نبه السيد عمر النقيب (عمر مكرم) على الناس، وأمرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد في الإنجليز، حتى مجاوري الأزهر، وأمرهم بترك حضور الدروس، وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك إلقاء الدروس"[١].

وفي يوم الثلاثاء ٢٨ محرم ١٢٢٢هـ/٧ أبريل ١٨٠٧م:

"حصلت جمعية ببيت القاضي، وحضر حسن باشا وعمر بيك والدفتردار وكتخدا بيك والسيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير وباقي المشايخ، فتكلموا في شأن حادثة الإنجليز والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم، فإنهم أعداء الدين والملة، وقد صاروا أخصاماً للسلطان، فيجب على المسلمين دفعهم ... ثم تشاوروا في تحصين المدينة وحفر خنادق ... وفي يوم الأربعاء (٢٩محرم/٨ أبريل) ركب السيد عمر النقيب والقاضي والأعيان المتقدم ذكرهم، ونزلوا إلى بولاق لترتيب أمر الخندق المذكور ... ووزعوا حفره على مياسير الناس وأهل الوكائل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجي"[٢].

ولا نحتاج إلى تنبيهك إلى ما هو سافر في عبارة الجبرتي، من أن المشايخ والعلماء هم قادة مواجهة حملة فريزر الحقيقيين، وأنهم وأهل مصر معهم يجاهدون تلقائياً بتكوينهم الذهني والنفسي الذي صنعه الإسلام وليس فيه سوى موازينه وقيمه، وأنهم يفعلون ذلك باسم الإسلام ودفاعاً عن دياره.

فإليك تعقيب المؤرخ عبد الرحمن الرافعي على دعوة عمر مكرم الأزهريين للجهاد:

"فتأمل دعوة الجهاد التي بثها السيد عمر مكرم وروح الجهاد التي نفخها في طبقات الشعب ... ثم تامل دعوته الأزهريين للمشاركة في القتال، تجد أنه ينظر إليهم لا كرجال علم

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٧٩.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٧٩، ٨٠، ٨٢.

ودين فحسب، بل رجال جهاد وقتال ودفاع عن الذمار أيضاً، فعملهم في ذلك العصر كان أعم وأعظم من عملهم اليوم"[١].

والذي حجبه المؤرخ الأمي أن القومية التي يؤمن بها ويرى كل شيء ويحكم عليه من خلالها، وأن هوية مصر التي صنعها من يتوله بهم من الآتين من الخلف، ففرغوها بها من المعايير والموازين، وغيروا اتجاهها وبوصلتها، وبدلوا أولياءها وأعداءها، وأن المسار اليهودي الماسوني الذي شقوه لمصر ودفعوها فيه، هو الذي أزاح العلماء والمشايخ من قيادة المجتمع، وحولهم من قوامين على المعيار والميزان إلى طبقة من حفظة الأكلشيهات والموظفين، وأحل محلهم في صدارة المجتمع البقر الذين أنتجهم المسار اليهودي الماسوني وسياسات الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود، فالذين تلوثت عقولهم في فرنسا يريدون السير بمصر خلفها، ومن هواهم مع إنجلترا يريدون تسليمها لها، ومن يوالون أمريكا يسعون لتدويرها حولها، وخريجو حواري اليهود يتخذون ما يتخذونه من السياسات وبوصلتهم تعبيد مصر لدولة بني إسرائيل، وهم جميعاً يهتفون بالوطنية ويغنون أن مصر حرة مستقلة، وبطونهم منتفخة من الشعور بالفخر، ولا مؤاخذة القومي.

وبعد انسحاب ما تبقى من الجيش الإنجليزي إلى الإسكندرية، أعد الجنرال فريزر جيشاً آخر من أربعة آلاف جندي بقيادة الجنرال ستيوارت، وأمدهم بقدر كبير من المدافع والسلاح والذخائر، فضرب حول رشيد حصاراً من البحر، واحتلت كتيبة من الجيش قرية الحماد في الجنوب لإحكام الحصار، ونصبوا المدافع على تلة أبي مندور المطلة على رشيد، فأرسل السيد حسن كريت المالكي، في آخر محرم ١٢٢٢هـ/٩ أبريل ١٨٠٧م، رسالة إلى السيد عمر مكرم يخبره أن:

"**الإنجليز استعدوا وحضروا إلى ناحية الحماد، قبلي رشيد، ومعهم المدافع الهائلة والعدد، ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر إلى الجبل عرضاً ... ونرجوا الإسعاف والإمداد بالرجال والجبخانة (الذخيرة) والعدة والعدد، فلما وصل الجواب قرأه السيد عمر النقيب على الناس، وحثهم على التأهب والخروج للجهاد، فامتثلوا، ولبسوا الأسلحة، وجمع إليه طائفة من**

---

١) عصر محمد علي، ص٦٥.

المغاربة وأتراك خان الخليلي وكثير من العدوية والأسيوطية وأولاد البلد، وركب إلى كتخدا بيك واستأذنه في الذهاب، فلم يرض وقال: "حتى يأتي أفندينا الباشا ويرى رأيه في ذلك"، فسافر من سافر وبقي من بقي"[1].

فلم يأذن الكتخدا، وكيل أول الآتين من الخلف، للمجاهدين من أهل مصر في السفر للقتال، ومنع عنهم السلاح والذخائر حتى يأتي أفنديه، فسافر من قدر على ذلك، فإليك متى وصل أفنديه وما الذي فعله بعد أن وصل.

في يوم الأحد ٣ صفر ١٢٢٢هـ/١٢ أبريل ١٨٠٧م، وبعد ثلاثة أسابيع من وصول خبر نزول الإنجليز بالإسكندرية إليه، كان يتلكأ خلالها بعساكره في الصعيد وفي الطريق، وبعد أن وصله نبأ كسر أهل رشيد لجيش الإنجليز: "**فرجعت إليه نفسه**"[2]، كما يقول الجبرتي، ظهر أول الآتين من الخلف في القاهرة:

"**وخرج السيد عمر النقيب، والمشايخ والمحروقي لملاقاته يوم الجمعة ... ودار بينهم الكلام في أمر الإنجليز، فأظهر الاهتمام، وأمر كتخدا بيك وحسن باشا بالخروج في ذلك اليوم، فأخرجوا مطلوباتهم وعازتهم إلى بولاق ... ثم قالوا (المشايخ) له: "إنا نخرج جميعاً للجهاد مع الرعية والعسكر"، فقال: "ليس على رعية البلد خروج، وإنما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر"**[3].

وما رد به أول الآتين من الخلف على طلب المشايخ بالخروج للجهاد، تعرف منه فلسفة إنشاء الجيوش في بلاليص ستان، منذ بدأ مسارها اليهودي الماسوني مع أول الآتين من الخلف، وحتى زمان ثالث الآتين من الخلف، فجهاد المشايخ والعلماء وعموم الناس واشتراكهم مع الجيوش في مواجهة العدو، يُحتم أن يكون هذا العدو متفقَاً عليه، وأن يكون عدو الأمة كلها، والحكم على عداوته بتاريخها وعقائدها وموازينها.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨٣.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٩١

٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨٤.

وهو ما تفهم منه لماذا كانت حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ/٦ أكتوبر ١٩٧٣م، في مواجهة دولة اليهود، هي الحرب الوحيدة عبر مائتي سنة من مسار بلاليص ستان اليهودي الماسوني، التي استعادت فيها الأمة مسارها الأصلي والحقيقي، فاتفقت الأمة في هذه اللحظة من الزمن مع جيشها، وقاتلت معه، ولم يَسؤ قادته، بل أبهجهم وشد من أزرهم، أن يخرج عموم الناس لجهاد اليهود، وما ضايق هؤلاء القادة أن يتقدم المشايخ والعلماء لقيادة صفوف المجاهدين بالسلاح، وأن يكونوا بين المقاتلين على الخطوط الأمامية من الجبهة مجاهدين باللسان، ولا أن يفعلوا ما كان يفعله السيد عمر مكرم والمشايخ في مواجهة حملات الفرنسيين والإنجليز، وما كان يفعله أهل الحل والعقد من العلماء عبر مسار مصر الإسلامي كله.

يقول الفريق سعد الدين الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إبان حرب العاشر من رمضان، في مذكراته عن الحرب:

"وفي يوم ٢٤ من أكتوبر هاجم الإسرائيليون مدينة السويس، ولم يكن بالمدينة أية وحدات عسكرية، ولكن بعض الجنود الشاردين نتيجة القتال الذي دار في يوم ٢٣ أكتوبر توافدوا إلى المدينة وليس معهم سوى سلاحهم الشخصي ... وتم تجميع الجنود الشاردين وتنظيمهم في مجموعات صغيرة، وتم توزيع السلاح على الأهلين المدنيين ... ودار قتال عنيف مع العدو في شوارع المدينة، واضطر إلى الانسحاب من المدينة قبل حلول الظلام ... لقد خسر العدو في محاولته احتلال السويس ١٠٠ قتيل وحوالي ٥٠٠ جريح، وعلى الرغم من أنه استخدم فرقة مدرعة من ثلاثة ألوية مدرعة ولواء مظلي، فقد صد هجومه سكان السويس وحفنة من الجنود الشاردين"[١].

ويقول الفريق الشاذلي في تقديمه لكتاب: ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان، الذي سجل فيه الشيخ حافظ سلامة إمام مسجد الهداية بالسويس، وقائد المقاومة الشعبية، تفاصيل الملحمة ووثائقها:

---

١) الفريق سعد الدين الشاذلي: حرب أكتوبر، ص٢٧٤-٢٧٥، تم تنفيذ هذا الكتاب في مطابع لندن M. S، ١٩٨٨م.

"أصبح مسجد الشهداء مركز إشعاع ديني، يلجأ إليه الجنود والضباط قبل خروجهم للعمليات القتالية خلال حرب الاستنزاف ... وعندما قام العدو بحصار مدينة السويس يوم ٢٣ أكتوبر وأنذر القائمين فيها بالتسليم أو التدمير، ظهرت بوادر الضعف لدى بعض المسؤولين عن المدينة مما جعلهم أكثر ميلاً إلى التسليم ... ولكن الشيخ حافظ سلامة تصدى لهؤلاء وأعلن تصميمه على مواصلة القتال، وأيده في ذلك المؤمنون من عسكريين ومدنيين، فأيقظ الروح القتالية بين الجميع، وقد زاد من عزم المؤمنين ما علموه بقرار العميد يوسف عفيفي، قائد الفرقة ١٩ مشاة التي تتمركز شرق القناة، والذي كان يقضي بدفع عناصر من أطقم الدفاع ضد الدبابات وعناصر من الصاعقة من شرق القناة إلى مدينة السويس، وهكذا تم دمج العناصر العسكرية والمدنية في نسيج واحد، وتم توزيعهم على شكل كمائن تتحكم في مداخل المدينة"[١].

وأما ما عدا هذه اللحظة الفريدة من الزمن، التي يصف فيها قائد الجيش ضباطه وجنوده بالمؤمنين، وصار فيها المؤمنون من العسكريين والمدنيين نسيجاً واحداً، ما عدا هذه اللحظة فجيوش بلاليص ستان في المائتي سنة من مسارها اليهودي الماسوني، يُعزل عنها المشايخ والعلماء، ويُراقب فيها من يصلون ويصومون، ويُفصل منها ولا يترقى إلى قيادتها المتدينون، وليس لعموم الناس سوى أن يقدموا لها العلف، لأنه يتم تكوينها، لا من أجل بلاليص ستان، بل من أجل تكتيفها بها، وإجبارها على السكون تحت سرج الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود، وقهرها على الانحراف عن مسارها، وعلى قبول الإطاحة بعقائدها وشرائعها، وعلى السير خلف أعدائها، لأن أعداءها هؤلاء هم من يدبرون للآتين من الخلف، وهم الذين يمدونهم بأدوات قهرها.

وهاهنا نعرفك بما يُضللك عنه الأميون ممن يغنون الأغاني وينشدون الأناشيد في الجيوش وهم ينسبونها إلى أسماء البلدان، فالحكم على أي جيش ليس باسم البلد الذي يرفعه ويتغلف به،

---

١) الفريق سعد الدين الشاذلي، مقدمة كتاب ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان، لقائد المقاومة الشعبية بالسويس الشيخ حافظ علي أحمد سلامة، ص٢٧، يطلب من مسجد الشهداء، السويس، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

بل بحقيقته، وحقيقته في الرسالة التي يحملها، ومن أجل أي شيء يقاتل، وعن أي قيم ومعانٍ يدافع، وفي عقيدته القتالية، ومن يوالي ومن يعادي.

فجيش الفاطميين الذي انتصر بالصليبيين ووطأ مصر لهم اسمه جيش مصر، وجيش صلاح الدين الذي سحق الصليبيين وحرر القدس هو جيش مصر، وجيش ثاني الآتين من الخلف، الذي نحره اليهود، وقادته بين الخمر وأحضان الغواني، وجنوده يغنون ويرقصون، وصيحتهم عند القتال: عا، كانوا يسمونه جيش مصر، والجيش الذي عبر القناة صائماً في رمضان، وقاتل اليهود وهو يهتف: الله أكبر جيش مصر، والماسوني نابليون بعد أن احتل مصر وزحف بجيشه الفرنسي على الشام كان يسمي جيشه في منشوراته التي يرسلها إلى القاهرة جيش مصر!

والله عز وجل يعرفك بذلك في بيانه، حين أخبرك أن جيش فرعون وهامان هو جيشهما وحدهما، لا جيش مصر:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾ (القصص: ٨).

وكما أن جيش فرعون هو جيشه وحده، فكذلك جيش أول الآتين من الخلف، وجيوش جميع الآتين من الخلف، هي جيوشهم وحدهم، لا جيوش مصر وأهلها.

ونعود بك إلى أول الآتين من الخلف، فبدلاً من أن يرد على طلب السيد حسن كريت ويرسل جيشاً لمواجهة الإنجليز، أو يخرج بنفسه، كان أول ما فعله بعد وصوله إلى القاهرة هو جمع العلف لعساكره، وتحصين القلعة التي يختبيء فيها، بمساعدة قنصل فرنسا ومستشاره، الماسوني دروفيتي، الذي ترك مقره في الإسكندرية وانتقل للإقامة بالقلعة هو الآخر، يقول الجبرتي:

"**وفي تلك الليلة (٣ صفر ١٢٢٢هـ/١٢ أبريل ١٨٠٧م) أرسل الباشا وطلب السيد عمر مكرم في وقت العشاء الآخرة، وألزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر... في ذلك اليوم (١١ صفر ١٢٢٢هـ/٢٠ أبريل ١٨٠٧م) طلع الباشا إلى القلعة وصحبته قنصل الفرنساوية**

يهندس له الأماكن ومواطن الحصار، والقنصل المذكور مُظهر الاهتمام والاجتهاد، ويكثر من الركوب والذهاب والإياب"[1].

وإليك هذا المشهد الفكاهي الذي يصف لك فيه الجبرتي أول الآتين من الخلف وكبار أعوانه وهم يخرجون أمام عموم الناس إلى ساحل بولاق، ليوهموهم أنهم ذاهبون عبر النيل إلى رشيد للاشتراك في القتال، ثم يعودون من حيث أتوا، وهكذا دواليك:

"**وفي ذلك اليوم (٢ صفر ١٢٢٢هـ/١١ أبريل ١٨٠٧م) اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه، وركب إلى بولاق وصحبته حسن باشا وعابدين بيك وعمر بيك، فسافروا في تلك الليلة، وفي يوم الجمعة (٨ صفر ١٢٢٢هـ/١٧ أبريل ١٨٠٧م) ركب أيضاً أحمد أغا لاظ وشق بعساكره الذين كان بهم بالمنية ... ومر الجميع من وسط المدينة في عدة وافرة، ويذهب الجميع إلى بولاق يوهمون أنهم مسافرون على قدم الاستعجال بهمة ونشاط واجتهاد، فإذا وصلوا إلى بولاق تفرقوا، ويرجع الكثير منهم ويراهم الناس في اليوم الثاني والثالث بالمدينة"[2].**

فتنبه أن الجبرتي يخبرك أن أول الآتين من الخلف اهتم وعزم على السفر، وركب إلى بولاق فعلاً للذهاب إلى ميدان المعركة في رشيد يوم ٢ صفر/١١ أبريل، ثم يخبرك أنه كان في القلعة يحصنها مع دروفيتي يوم ١١ صفر/٢٠ أبريل، قبل أن تبدأ المعركة الثانية والأخيرة مع الجيش الإنجليزي، ودون أن يراه أحد في رشيد، لا من أهلها ولا من العسكر، فتفهم من ذلك أنه ركب أمام الناس إلى ساحل بولاق ليوهمهم بالسفر إلى رشيد، ثم عاد إلى قلعته ليكون في حضن مستشاره الماسوني.

يؤكد لك ذلك أنه في يوم ٥ صفر ١٢٢٢هـ/١٤ أبريل ١٨٠٧م، بعد ثلاثة أيام من تمثيلية السفر، وصل مكتوب من السيد حسن كريت المالكي إلى السيد عمر مكرم يخبره أن:

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨٤، ٨٧.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨٥.

"الإنجليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله، ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر، وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية، ومات كثير من الناس، وقد أرسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الإغاثة والنجدة فلم تسعفونا بإرسال شيء، وما عرفنا لأي شيء هذا الحال وما هذا الإهمال، فالله الله في الإسعاف"(١).

وفي يوم ١٤ صفر ١٢٢٢هـ/٢١ أبريل ١٨٠٧م، وبينما أول الآتين من الخلف ومن حوله في القاهرة يمثلون:

"اجتمع الجم الكثير من أهالي بلاد البحيرة وغيرها، وأهالي رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر، وأهل دمنهور، وصادف وصول كتخدا بيك وإسماعيل كاشف الطوبجي إلى تلك الناحية، فكان بين الفريقين مقتلة عظيمة، وأسروا من الإنجليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤوس، وانجلى الإنجليز عن متاريس رشيد وأبي منضور والحماد، ولم تزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم إلى أن توسطوا البرية، وغنموا جبخاناتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين"(٢).

وفي موضع آخر يقول الجبرتي إن أهل البلاد في رشيد والبحيرة:

"قد قويت هممهم وتأهبوا للبروز والمحاربة، واشتروا الأسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد، وكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق وأعلاماً، وجمعوا من بعضهم دراهم، وصرفوا على من انضم إليهم من الفقراء، وخرجوا في مواكب وطبول وزمور، فلما وصلوا إلى متاريس الإنجليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم، وصدقوا في الحملة عليهم، وألقوا أنفسهم في النيران، ولم يبالوا برميهم، وهجموا عليهم، واختلطوا بهم وأدهشوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم، فألقوا سلاحهم وطلبوا الأمان، فلم يلتفتوا لذلك، وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم، وفر الباقون إلى من بقي بالإسكندرية، وليت العامة

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨٥.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٨٨.

شُكروا على ذلك أو نسب إليهم فعل، بل نُسب كل ذلك للباشا وعساكره، وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك"[1]!

والجبرتي كما أخبرناك، زرقاء اليمامة في عصره، فكأنه عبر حجب الغيب وقرأ ما كتبه المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، عن المعركة، ناسباً هزيمة الجيش الإنجليزي لعساكر أول الآتين من الخلف، متجاهلاً المجاهدين الحقيقيين من أهل مصر، قبل أن يورد رواية الجبرتي على أنها رواية شعبية، بالضبط كما يحتفلون في بلاليص ستان كل عام بذكرى حرب أكتوبر وبذكرى انتصار مدينة السويس على الجيش الإسرائيلي، فيذكرون السيد الرئيس ويكرمون كل من هب ودب من عساكره، ويتجاهلون الشيخ حافظ سلامة فلا يذكرونه، وهو الرجل الذي أبى تسليم المدينة، وقاتل بالمجاهدين من أبنائها اليهود وأجلاهم عنها، بعد أن كان هؤلاء العساكر قد قرروا تسليمها.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي إنه في يوم ٢٠ أبريل ١٨٠٧م، بعد أكثر من شهر على وصول جيش الإنجليز، أرسل أول الآتين من الخلف فرقتين بقيادة حسن باشا وطبوز أوغلي، وهو كتخدا بك، فعسكرت الأولى في البر الغربي من النيل تجاه قرية الحماد، وعسكرت الثانية على الشاطيء الشرقي قرب قرية برنبال، ثم التقت فرقة حسن باشا بكتيبة من الجيش الإنجليزي وسط المزارع، فقتلت بعض جنودها وأسرت آخرين.

وفي اليوم التالي، ٢١ أبريل، عبر طبوز أوغلي بفرقته النيل والتحم بفرقة حسن باشا، وانقضت الفرقتان على الجيش الإنجليزي، فقتلوا ٤١٦، وأسروا ٤٠٠ آخرين، وكان من بين القتلى، قائد ميمنة الجيش الإنجليزي الكابتن ترلتون، وقائد قلبه الكولونيل ماكلود، فاضطر الجنرال ستيوارت قائد الجيش إزاء خسارته الجسيمة إلى الانسحاب والعودة إلى الإسكندرية[2].

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٩١.

٢) عصر محمد علي، ص٧٠-٧٢.

وهاهنا، وبعد انتهاء المعارك، ظهر أول الآتين من الخلف، فخرج إلى دمنهور على رأس جيش من ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسان، ومجهزين بالمدافع القوية، كما يقول الرافعي، لكي يتفاوض على شروط الصلح الذي طلبه الجنرال فريزر!

فإذا تاملت مصر إبان الحملة الإنجليزية وما صاحبها من أحداث، ستدرك أن قادة المجتمع في مصر والمدافعين الحقيقيين عنها، هم السيد عمر مكرم والسيد حسن كريت والشيخ الشرقاوي، وأمثالهم من العلماء والمشايخ في القاهرة، وفي كل مدينة وبلدة وقرية، ومن يلتفون حولهم من أهلها، ولولا جهاد هؤلاء وصلابتهم وتوحد الوطن في أنفسهم بالعقيدة، لسقطت دولة أول الآتين من الخلف، ورجع من حيث جاء.

وننتقل بك إلى وجه آخر من مساندة هؤلاء العلماء والمشايخ لأول الآتين من الخلف، لما توسموه فيه، وعونهم له في مواجهة المشكلة الكبرى التي كانت مصدر القلاقل في مصر، وسبب الإطاحة بكل من سبقوه من الولاة، ألا وهي مشكلة توفير المال اللازم لنفقات السلطة والعساكر.

يقول الجبرتي إنه:

"وفي أواخره (جمادى الثانية ١٢٢٠هـ/٢٤ سبتمبر ١٨٠٥م) احتاج محمد علي باشا إلى باقي علوفة العسكر، فتكلم مع المشايخ في ذلك، وأخبرهم بأن العسكر باق لهم ثلاثة آلاف كيس لا نعرف لتحصيلها طريقة، فانظروا رأيكم في ذلك وكيف يكون العمل، ولم يبق إلا هذه النوبة ... فكثر التروي في ذلك، ولغط الناس بالفِردة وتقرير أموال على أهل البلد، وانحط الأمر بعد ذلك على قبض ثلث الفائظ من الحصص والالتزام، فضج الناس وقالوا: "هذه تصير عادة ولم يبق للناس معايش"، فقال: "تكتب فرماناً ونلتزم بعدم عودة ذلك ثانياً، ونرقم فيه: لعن الله من يفعلها مرة أخرى"، ونحو ذلك من التمويهات الكاذبة، إلى أن رضي الناس واستقر أمرها وشرعوا في تحريرها وطلبها"[1].

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ٥٤٨ ، ٥٤٩.

فتأمل قول أول الآتين من الخلف للمشايخ: "**ولم يبق إلا هذه النوبة**"، تعلم منها لجوءه إليهم كلما ضاقت يه النفقة واحتاج إلى المال، ليوفروه لـه، بنفوذهم على عموم الناس، وتوقير هؤلاء العموم لهم وثقتهم بهم.

ولعن الله من يفعلها مرة أخرى، ففي ٢٥ رجب ١٢٢٠هـ/١٩ أكتوبر ١٨٠٥م، ولم يمض شهر على تمويهات أول الآتين من الخلف الكاذبة:

"**حضر أهل رشيد يتشكون إلى السيد عمر النقيب والمشايخ، ويذكرون أن محمد علي باشا أرسل يطلب منهم أربعين ألف ريال فرانسة، على ثلاثة عشر نفراً من التجار بقائمة ... وفي خامس عشرينه ركب المشايخ والسيد عمر النقيب إلى محمد علي، وترجوا عنده في أهل رشيد، فاستقرت غرامتهم على عشرين ألف فرانسة، وسافروا على ذلك، وأخذوا في تحصيلها**"[١].

وفي ٥ صفر ١٢٢١هـ/٢٤ أبريل ١٨٠٦م:

"**أرسل الباشا إلى الخانات والوكائل أعواناً، فختموا على حواصل التجار بما في داخلها من البن والبهار، وذلك بعد أن أمَّنهم وقبض منهم عشورها ومكوسها بالسويس،، فلما وصلت القافلة واستقرت البضائع بالحواصل فعل بهم ذلك، ثم صالحوا وأفرج عنهم**"[٢].

وفي ١٠ صفر ١٢٢١هـ/٢٩ أبريل ١٨٠٦م:

"**فرضوا أيضاً على البلاد غلال قمح وفول وشعير، كل بلد عشرون أردباً فما فوقها وما دونها، وهذه ثالث فرضة ابتدعت من الغلال على البلاد في هذه الدولة**"[٣].

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٥٥٠.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٩-١٠.

٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٠.

وفي ١٢ ربيع الأول ١٢٢١هـ/٣٠ مايو ١٨٠٦م:

"طلب الباشا دراهم سلفة من الملتزمين والتجار وغيرهم بموجب دفتر أحمد خورشيد باشا، الذي كان قبضها في عام أول قبل القومة والحرابة، فعينوا مقاديرها وعينوا بطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة، ومن لم يجدوه بأن كان غائباً أو متغيباً دخلوا داره وطالبوا أهله أو جاره أو شريكه، فضاق ذرع الناس وذهبوا أفواجاً إلى السيد عمر أفندي النقيب، فيتضجر ويتأسف ويتقلق ويهون عليهم الأمر، وربما سعى في التخفيف عن البعض بقدر الإمكان"[١].

وتنبه أن أول الآتين من الخلف انتهى إلى أن يجمع الأموال بموجب دفتر خورشيد باشا، الذي كان يؤلب عليه المشايخ وعموم الناس، وأطاحوا به بسببه.

والآن بعد أن رأيت ما فعله المشايخ والعلماء لأول الآتين من الخلف، وكيف كانوا هم من أوصلوه إلى السلطة، وقاتلوا خصومه وأعدءه، وحفظوا له دولته، وأعانوه في تجاوز المشكلة التي أطاحت بجميع من سبقوه من الولاة، إليك ما فعله أول الآتين من الخلف بهؤلاء العلماء والمشايخ، وعلى رأسهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والشيخ الشرقاوي، الذين عزلوا خورشيد باشا وولوه مكانه.

واستراتيجية أول الآتين من الخلف في الإطاحة بالعلماء والمشايخ، والإزراء بهم، وتفريغ أنسجة المجتمع منهم، وإزالتهم من قيادته، وإبعادهم عن السلطة والتأثير فيها، ليكون ذلك مقدمة لإزاحة الإسلام نفسه، عقائده وشرائعه وقيمه وميزانه وهندسته للمجتمع، وإحلال الغرب وملهميه من الماسون محلهم ومحله، بدأها بإثارة الضغائن بينهم، وضرب بعضهم ببعض، كما فعل من قبل مع خصومه وهو يسعى بالدسائس إلى السلطة.

تعرف ذلك من ذريعته في اعتقال الشيخ الشرقاوي وحبسه في بيته، وهو الرجل الثاني مع السيد عمر مكرم الذي بايعه وولاه.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٥.

يقول الجبرتي إنه في يوم السبت ٧ رجب ١٢٢١هـ/٢٠ سبتمبر ١٨٠٦م:

"أرسل الباشا إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي ترجمانه يأمره بلزوم داره، وأنه لا يخرج من داره ولا لصلاة الجمعة، وسبب ذلك أمور وضغائن ومنافسات بينه وبين إخوانه، كالسيد محمد الدواخلي والسيد سعيد الشامي، وكذلك السيد عمر النقيب، فأغروا به الباشا، ففعل به ما ذكر، فامتثل الأمر ولم يجد ناصراً وأُهمل أمره"[١].

فهل أدركت حقيقة ما حدث وفات الجبرتي هذه المرة، وفسره مقلوباً، ثم استدركه بعد ذلك وأدركه، كما سترى، وهو أن اعتقال الشيخ الشرقاوي مِن تدبير أول الآتين من الخلف، وهو نفسه مصدر هذه الضغائن بين العلماء والمشايخ، وينتظر أي ذريعة لضرب بعضهم ببعض من أجل الإطاحة بهم جميعاً، لأن هذا الضرب وهذه الإطاحة بالعلماء والمشايخ جزء من التكوين الذهني والنفسي لجميع الآتين من الخلف، ومن ثوابت تدبيراتهم وأفعالهم؟

وصِلة أول الآتين من الخلف بالفتن بين المشايخ، وابتهاجه بها، هو ما أدركه المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، وإن عزاه إلى رغبته في الانفراد بالحكم، وأسقط صلته بإزاحة الإسلام نفسه وانحرافه بمسار مصر، لأن هذا الانحراف، كما أخبرناك من قبل، يوافق هوى الرافعي الأمي، وأيضاً لأن الرافعي ككل الأميين يزيل تلقائياً العقائد والبناء الذهني والنفسي من تفسير أي شيء:

"لابد أن يكون محمد علي قد ابتهج بهذا التنافس في خاصة نفسه ابتهاجاً عظيماً، وعزم على استغلاله لينفرد بالحكم ويتخلص من تلك الرقابة الشعبية، وقد قويت فيه نعرة الانفراد بالحكم بعد الحملة الإنجليزية، مما جعله ينزع إلى الاستئثار بالحكومة والقضاء على كل سلطة تراقبه أو تعارضه، وقد بدأ بالتخلص من الزعامة الشعبية، لأن هذه الزعامة مرتكزة على أساس راسخ من التفاف الشعب حولها وصحة المبادئ التي تعمل لها"[٢].

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٠-٣١.

٢) عصر محمد علي، ص٨٣.

وما يجعلك توقن أن ما ذكره الجبرتي من المنافسة والضغائن بين الشيخ الشرقاوي وغيره من المشايخ، لم يكن سوى من دسائس أول الآتين من الخلف، وذريعة يعتقل بها الشيخ الشرقاوي في بيته، أنه في يوم ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٤هـ/٢٨ يونيو ١٨٠٩م:

"**قبض أغاة التبديل على شخص من أهل العلم من أقارب السيد حسن البقلي وحبسه، فأرسل المشايخ يترجون في إطلاقه، فلم يفعل وأرسله إلى القلعة**"(١).

وكما ترى، رغبة المشايخ تكفي ذريعة لاعتقال الشيخ الشرقاوي، لكن شفاعتهم لا تمنع حبس أحد المشايخ قبض عليه أغات التبديل بدون جريرة ولا وجه حق، وأغات التبديل هم العسس أو الشرطة.

وفي اليوم نفسه الذي اعتقل فيه عساكر أول الآتين من الخلف أحد المشايخ من أقارب السيد حسن البقلي، فرض أول الآتين من الخلف فِردتين أو ضريبتين جديدتين، الأولى على أطيان الأوسية، ويقاسم بها أصحابها من الملتزمين خراجها، ويلزمهم بسداد نصف إيرادها، وحرروا دفاتر بأسماء الملتزمين وأطيانهم والفِردة المقدرة عليهم.

وأما الفِردة الثانية، فهاك الجبرتي يخبرك بها:

"**وشرعوا في تحرير دفتر آخر بفرض مال على الرزق الأحباسية المرصدة على المساجد والأسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات، وكتبوا بذلك مراسيم إلى القرى والبلاد، وعينوا بها معينين وحق طرق من طرف كُشاف الأقاليم، بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات، وتقدموا إلى كل متصرف في شيء من هذه الأطيان وواضع عليها يده بأن يأتي بسنده إلى الديوان، ويجدد سنده، ويُقوى بمرسوم جديد، وإن تأخر عن الحضور في ظرف أربعين يوماً يُرفع عنه ذلك، ويُمكن منه غيره، وذكروا في مرسوم الأمر علة وحُجة لم يطرق**

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٥٦.

الأسماع نظيرها، بأنه إذا مات السلطان أو عُزل بطلت تواقيعه ومراسيمه، وكذلك نوابه، ويُحتاج إلى تجديد تواقيع من نواب المتولي الجديد"[١].

والرزق الأحباسية هي الأوقاف والأطيان المحبوسة على وجوه البر والصدقات، وكان الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أول من سن سنتها في مصر، ثم سار جميع سلاطين الدولة الأيوبية والدولة المملوكية وأمراؤهما على سنته الحميدة، فكانوا يبنون المساجد والتكايا والأسبلة، ويوقفون عليها أطياناً، ينفق من خراجها وغلتها على هذه المساجد والتكايا والأسبلة، وكذلك يخصصون جزءًا من إيرادها للإنفاق على طلبة العلم والفقراء واليتامى، وفي كل بلدة أو إقليم تسجل أسماء المستحقين في دفاتر عند القاضي أو ناظر الوقف، وإذا مات أحد هؤلاء الفقراء يزيل القاضي أو الناظر اسمه من الدفتر، ويقيد اسم فقير آخر من المستحقين مكانه.

وظلت الرزق الأحباسية أو الأطيان المحبوسة والأوقاف، محفوظة وتزيد جيلاً بعد جيل، ولم يتعرض لها أحد من السلاطين والأمراء، لا باستيلاء ولا بفرض ضرائب، سبعة قرون، منذ سَنَّها الناصر صلاح الدين في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إلى أن أخرجت حارة اليهود اليونانية أول الآتين من الخلف، وقذفت مصر به، ففرض عليها الضرائب، واستولى على ما أمكنه الاستيلاء عليه منها، بذريعة قِدم حجة الوقف، أو عدم وضوحها، أو عدم مطابقتها لمعالم الوقف.

وعندما تقدم أصحاب حُجج الأوقاف إلى كاتب الميري الذي تم تعيينه لمراجعة سندات الأوقاف وتجديدها، كما يقول الجبرتي:

"تعنت عليهم بضروب من التعنت، كان يطلب من صاحب العرضحال إثبات حقه، فإذا ثبت له لا يخلو إما أن يكون ذلك بالفراغ أو المحلول، فيكلفه إحضار السندات وأوراق الفراغات القديمة، فربما عدمت أو بليت لتقادم السنين، فإن أحضره تعلل بشيء آخر واحتج بشبهة

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٥٤.

أخرى، فإذا لم يبق شبهة طالبه بحلوانها عن مقدار إيرادها ثلاث سنوات، وإلا فخمس سنوات"[١].

وأول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية أول من تعرض للأوقاف بالضرائب والمصادرة في تاريخ مصر الإسلامية، ثم كان الذي تمم عمله وصادرها كلها مصادرة نهائية ثاني الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود المصرية!

فارجع إلى سيرة ثاني الآتين من الخلف، وراجع كيف صادر الأوقاف وألغى القضاء الشرعي، ثم حاول أن تجد إجابة على السؤال: هل هي مصادفة أن يكون هذا وذاك من خريجي حواري اليهود؟

فإذا كان إجابتك: لا، لا يمكن أن تكون مصادفة، فحاول أن تجد تفسيراً لماذا لا يكون من يصادرون الأوقاف ويبطلون شرائع الإسلام ويسعون في إزالة معالمه من الدولة والمجتمع والتعليم والإعلام ويُكتِّفون الأزهر ويزرون بعلمائه، سوى من خريجي حواري اليهود، وما صلة ذلك بالمشروع اليهودي ودولة بني إسرائيل.

وإذا كانت إجابتك: نعم، هي مصادفة، فأنت تستحق عن جدارة التهنئة مرة أخرى على دخولك عضواً في نادي البقر في بلاليص ستان.

وبعد يومين من اعتقال أحد أهل العلم، ومن فرض الضرائب الجديدة، وفي يوم ١٧ جمادى الأولى ١٢٢٤هـ/٣٠ يونيو ١٨٠٩م:

"حضر المشايخ بالأزهر على عادتهم لقراءة الدروس، فحضر الكثير من النساء والعامة وأهل المسجون، وهم يصرخون ويستغيثون، وأبطلوا الدروس، واجتمع المشايخ بالقبلة، وأرسلوا إلى السيد عمر النقيب فحضر إليهم وجلس معهم، ثم قاموا وذهبوا إلى بيوتهم، ثم اجتمعوا في ثاني يوم وكتبوا عرضحال إلى الباشا، يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الأمتعة وطلب مال الأوسية والرزق والمقاسمة في الفائظ، وكذلك أخذ قريب البقلي

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٥٥.

وحبسه بلا ذنب ... وعند ذلك حضر ديوان أفندي، وقال: الباشا يسلم عليكم ويسأل عن مطلوباتكم، فعرفوه بما سطروه إجمالاً وبينوه له تفصيلاً، فقال: ينبغي ذهابكم إليه وتخاطبونه مشافهة بما تريدون وهو لا يخالف أوامركم ولا يرد شفاعتكم ... فقالوا بلسان واحد: لا نذهب أبداً ما دام يفعل هذه الفعال، فإن رجع عنها وامتنع عن إحداث البدع والمظالم عن خلق الله رجعنا إليه وترددنا عليه كما كنا في السابق، فإننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور ... وأخذ ديوان أفندي العرضحال ووعدهم برد الجواب، فأبطأ عليهم وتأخر عوده إلى خامس يوم بعد الجمعية ... وحضر الشيخ المهدي والشيخ الدواخلي إلى السيد عمر وأخبراه أن محمد أفندي ناظر المهمات ذكر لهم أن الباشا لم يطلب مال الأوسية ولا الرزق، وقد كذب من نقل ذلك، وقال: "إنه يقول: "إني لا أخألف أوامر المشايخ"، وعند اجتماعهم عليه ومواجهته يحصل كل المراد"، فقال السيد عمر: "أما إنكاره طلب مال الرزق والأوسية فهاهي أوراق من أوراق المباشرين عندي لبعض الملتزمين مشتملة على الفضة ونصف الفائظ ومال الأوسية والرزق، وأما الذهاب إليه فلا اذهب إليه أبداً، وإن كنتم تنقضون الأيمان والعهد الذي وقع بيننا فالرأي لكم"، ثم انفض المجلس، وأخذ الباشا يدبر في تفريق جمعهم وخذلان السيد عمر، لما في نفسه منه من عدم إنفاد أغراضه ومعارضته له في غالب الأمور، ويخشى صولته ويعلم أن الرعية والعامة تحت أمره، إن شاء جمعهم وأن شاء فرَّقهم، وهو الذي قام بنصره وساعده وأعانه وجمع الخاصة والعامة حتى ملَّكه الإقليم، وطفق يجمع إليه بعض أفراد من أصحاب المظاهر ويختلي معه ويضحك إليه، فيغتر بذلك ويرى أنه صار من المقربين وسيكون له شأن إن وافق ونصح، فيفرغ له جراب حقده ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة"[1].

وهاهنا تنبه الجبرتي، كما ترى، إلى أن أول الآتين من الخلف هو مصدر الضغائن والمنافسات بين العلماء والمشايخ، وأنه يسعى بذلك إلى تفريق كلمتهم وخذلان السيد عمر مكرم، لكي يُفقدهم جميعاً قيادة المجتمع ومنزلتهم في نفوس عموم الناس، ويمكنه الإطاحة بهم، وأن وسيلته لذلك جمْعُ صغار النفوس، ممن يرتزقون بالدوران حول السلطة ويبيعون أي شيء من أجل المناصب وما تمنحه لهم من مظاهر وبريق.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٥٧-١٥٨.

وهي الغاية نفسها والوسيلة نفسها التي من أجلها وضع ثالث الآتين من الخلف على رأس الوزارة المسؤولة عن الأوقاف والدعوة والمساجد والمشايخ، أحد صغار النفوس، لكي يقيدها ويُكممهم ويُفقدهم ما بقي لهم من منزلة عند الناس، وكل مؤهلاته أنه كان وهو طالب يكتب التقارير لجهات الأمن عن زملائه من الطلاب، ثم فتحوا له الطريق ليصير أستاذاً ويواصل وظيفته في كتابة التقارير عن زملائه من الأساتذة، وإنتاجه العلمي ومؤلفاته في العلوم الشرعية التي أهلته لأن يضعوه على رأس العلماء والفقهاء والأئمة هي: "**دلالة السياق وأثرها في النص الأدبي**"، و: "**الفكر النقدى فى المثل السائر لابن الأثير**"، و: "**شعر الأسرة بين أبى فراس الحمدانى والمعتمد بن عباد**"!!

وفي الوقت الذي قيد فيه ثالث الآتين من الخلف المنابر والعلماء والأئمة، بأحد صغار النفوس من المخبرين وكَتَبَة التقارير، وأطلق عليهم عسسه ليكتموا أفواههم ويحصوا عليهم كلماتهم وينكلوا بمن يخرج عن النص أو يتعرض لأي شيء مما يحدث في المجتمع برأي أو نقد أو توجيه، في الوقت نفسه أطلق ثالث الآتين من الخلف على الأزهر وشيخه ومشايخه، وعلى الإسلام نفسه وشرائعه، أطلق عليهم وعليه الفسقة والمرتزقة من بقر الصحف والشاشات، الذين أنتجهم مسار بلاليص ستان اليهودي الماسوني.

ونعود بك إلى الجبرتي، ليخبرك بعواقب عدم إدراك الواقع وتوازناته، وإزاحة من يواجه السلطة بعد أن غاب المعيار والميزان ولم يعد ثمة ما يقيدها، ليس على المجتمع وعموم الناس فقط، بل وأيضاً على من يتولون كِبْر هذه الإزاحة ويسعون فيها ويهللون لها من ضعاف العقول وقصار النظر من حفظة الأكلشيهات.

بعد أن رفض السيد عمر مكرم الذهاب للقاء أول الآتين من الخلف، صعد إليه الشيخ المهدي والشيخ الدواخلي، فلام أمامهما السيد عمر مكرم لتخلفه عن الحضور وتعنته في إنفاذ أوامره، وعند ذلك، كما يقول الجبرتي:

" تبين قصد الباشا لهم، ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد للسيد عمر ... ثم تناجوا معه حصة وقاموا منصرفين مذبذبين ومظهرين خلاف ما هو كامن في نفوسهم من الحقد

وحظوظ النفس غير مفكرين في العواقب، وحضروا عند السيد عمر وهو ممتلىء بالغيظ مما حصل من الشذوذ ونقض العهد، فأخبروه بأن الباشا لم يحصل منه خلاف وقال: "أنا لا أرد شفاعتكم ... وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالأزهر فهذا لا يناسب منكم، وكأنكم تخوفوني بهذا الاجتماع وتهييج الشرور وقيام الرعية كما كنتم تفعلون في زمان المماليك، فأنا لا أفزع من ذلك، وإن حصل من الرعية أمر ما فليس لهم عندي إلا السيف والانتقام"[1].

وفي يوم ١ جمادى الثانية ١٢٢٤هـ/١٤ يوليو ١٨٠٩م، اجتمع المشايخ ببيت السيد عمر مكرم، وطلبوا منه الطلوع للقاء أول الآتين من الخلف، فحلف ألا يطلع، وقال:

"إن جميع الناس يتهموني معه، ويزعمون أنه لا يتجارأ على شيء يفعله إلا باتفاقي معه، ويكفي ما مضى، ومهما تقادم يتزايد الظلم والجور... قالوا: إذاً يطلع المشايخ"[2].

وطلع المشايخ المهدي والدواخلي والفيومي إلى أول الآتين من الخلف، ورفض الشيخ محمد الأمير أن ينقض العهد مع السيد عمر مكرم ويطلع معهم، فلما تكلموا مع أول الآتين من الخلف، وقد "**فهم كل منهم لغة الآخر الباطنية**"، كما يقول الجبرتي، لله دره! فلم يكن أمياً يرصد ويسجل ظاهر ما يحدث فقط دون قراءة ما في النفوس، لما تكلموا مع أول الآتين من الخلف ذاكروه في أمر المحدثات من الضرائب، فأخبرهم أنه يرفع بدعة الدمغة، وكذلك يرفع الطلب عن الأطيان والأوسية وتقرير ربع الفائظ، فعادوا إلى السيد عمر مكرم وأخبروه، فرد عليهم قائلاً:

"**وهل ذلك أمر واجب فعله، أليس هو مجرد جور وظلم أحدثه في العام الماضي، وهي فرضة الأطيان التي ادعى لزومها لإتمام العلوفة، وحلف أنه لا يعود لمثلها، فقد عاد وزاد، وأنتم توافقونه وتسايرونه ولا تصدونه ولاتصدعونه بكلمة، وأنا الذي صرت وحدي مخالفاً**

[1] **عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٥٨- ١٥٩.**

[2] **عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٥٩.**

وشاذاً، ووجه عليهم اللوم في نقضهم العهد والأيمان، وانفض المجلس، وتفرقت الآراء، وراج سوق النفاق، وتحركت حفائظ الحقد والحسد، وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار"[١].

وفي الوقت نفسه الذي كان أول الآتين من الخلف يستميل صغار النفوس ويلوح لهم بالمناصب والمال، لكي يفرق بينهم وبين السيد عمر مكرم ويضربه بهم:

"أرسل إليه (إلى السيد عمر مكرم) كتخدا ليترفق به، وذكر له أن الباشا يرتب له كيساً في كل يوم ويعطيه في هذا الحين ثلثمائة(ثلاثمائة) كيس خلاف ذلك، فلم يقبل ولم يزل مصمماً وممتنعاً عن الاجتماع به والامتثال إليه"[٢].

ثم كانت آخر المواجهات بين السيد عمر مكرم وأول الآتين من الخلف، وقد أخبرناك بها من قبل، في شهر رجب ١٢٢٠هـ/يوليو ١٨٠٩م:

"أمر الباشا بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة، وهي الأربعة آلاف كيس، ويذكر فيه أنها صُرفت في المهمات، منها ما صرف في سد ترعة الفرعونية، وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الأمراء المصرية حتى دخلوا في الطاعة، وما صرف في عمارة القلعة والمجراة التي تنقل المياه إليها، وكذلك في حفر الخلجان والترع، ونقص المال الميري بسبب شراقي البلاد، وأرسله إلى السيد عمر مكرم ليضع خَطه وختمه عليه، فامتنع وقال: "أما ما صرفه على سد الترعة فإن الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه أضعافاً كثيرة، وأما غير ذلك فكله كذب لا أصل له، ولو وجد مَن يحاسبه على ما أخذه مِن القطر المصري من الفرض والمظالم لما وسعته الدفاتر"، فلما ردوا على الباشا وأخبروه بهذا الكلام حنق واغتاظ في نفسه وطلبه للاجتماع به، فامتنع ... وأمر الباشا بكتابة فرمان بخروج السيد عمر مكرم ونفيه من مصر في يوم تاريخه ... ثم سأله السيد عمر في أن يذهب إلى بلده أسيوط، فقال: "لا يذهب إلى أسيوط ويذهب إما إلى سكندرية أو دمياط"[٣].

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٦٠.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٦٠.

٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٦٠-١٦١.

وهكذا تمكن أول الآتين من الخلف من الوقيعة بين المشايخ، ففرقهم، وضرب بهم السيد عمر مكرم، وكان عمر مكرم:

"ظلاً ظليلاً عليهم وعلى أهل البلدة، ويدافع ويرافع عنهم وعن غيرهم، ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية، ولم يزالوا بعده في انحطاط وانخفاض"[١].

وكان الشيخ محمد المهدي، كما يقول الجبرتي في ترجمته له، هو الذي سعى في نقض عهد المشايخ مع السيد عمر مكرم وألبهم عليه، واستمالهم إلى أول الآتين من الخلف:

"إلى أن بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم، فتولى (الشيخ محمد المهدي) كِبْر السعي عليه سراً، هو وباقي الجماعة"[٢].

وكافأ أول الآتين من الخلف الشيخ محمد المهدي على خيانته للسيد عمر مكرم وسعيه في فض المشايخ عنه، ففي اليوم التالي مباشرة لنفي السيد عمر مكرم:

"حضر الشيخ المهدي عند الباشا، وطلب وظائف السيد عمر، فأنعم عليه الباشا بنظر أوقاف الإمام الشافعي، ونظر وقف سنان باشا ببولاق، وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات، فأمر بدفعها له من خزينته نقداً، وقدرها خمسة وعشرون كيساً، وذلك نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر مكرم"[٣].

فإليك الجبرتي يخبرك عن صلة الشيخ المهدي بالفرنسيس وموقع منهم إبان حملتهم على مصر:

"ولما حضر الفرنساوية إلى الديار المصرية وخافهم الناس، وخرج الكثير من الأعيان وغيرهم هاربين من مصر، تأخر المترجم (الشيخ محمد المهدى) عن الخروج، ولم ينقبض كغيره عن المداخلة فيهم، بل اجتمع بهم وواصلهم وانضم اليهم وسايرهم ولاطفهم فى

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٦٥.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٦٩-٧٠.

٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص١٦٢.

أغراضهم، وأحبوه وأكرموه، وقبلوا شفاعته ووثقوا بقوله، فكان هو المشار إليه فى دولتهم مدة إقامتهم بمصر، والواسطة العظمى بينهم وبين الناس في قضاياهم وحوائجهم، وأوامره وأوراقه نافذة عندهم وعند ولاة أعمالهم، حتى لقب عندهم وعند الناس بكاتم السر ... وراج أمره في أيامهم جداً، وزاد إيراده وجمعه، وبلاد وقرى يُجبى إليه خراجها، ويصرف عنها ما يصرفه، ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والأغنام والسمن والعسل وما جرت به العادة"[١].

وإليك بقية سيرة الشيخ محمد المهدي من ترجمته التي أوردها المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، نقلاً عن التقارير الفرنسية ومراسلات قادة الحملة على مصر:

"كان سكرتيراً لأول ديوان أنشأه نابليون، وأدرك من السلطة والنفوذ ما لم يتوافر لأحد من أعضاء الديوان، ولا لرئيسه، وكان نابليون يعهد إليه بصياغة منشوراته في القالب العربي المسجع ... وتتفق المراجع الفرنسية على أنه الكاتب لمنشور نابليون الذي أذاعه على لسان الديوان عقب عودته من سوريا"[٢].

فالشيخ محمد المهدي الذي خان السيد عمر مكرم، ونزع أول الآتين من الخلف الأوقاف من السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ووضعها في يده، هو شيخ الفرنسيس ورجلهم في مصر، ومن كان يكتب المنشورات بالعربية لنابليون، ليُغوي أهل مصر بما يحشوه فيها من الأسجاع والعبارات الفصيحة المنمقة.

ومما أخبرك به الجبرتي عن الشيخ محمد المهدي ومشايخ زمن أول الآتين من الخلف، الذين لم تزهم ولم تعرفهم، تعرف أن من رأيتهم وتعرفهم من المشايخ ومن يُنسبون إلى العلم في زمانك، زمن ثالث الآتين من الخلف، ليسوا جميعاً مُبرئين فيما اتخذوه من مواقف إبان ثورة يناير وما تلاها من أحداث، سواء تجاه الحركات الإسلامية أو من ثالث الآتين من الخلف ودولته وعساكره والطريق الذي سار بمصر فيه، فبعضهم تحكمه عداواته وخصومته، وهي

---

١) **عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٦٧-٦٨.**

٢) **تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص٢٤٨-٢٤٩.**

ميزانه في الانحياز لهذا الطرف، وبعضهم يبحث عن مصالحه أو يحافظ على مناصبه ووظائفه التي يعرف أن مقاليدها في يد ذاك، وبعضهم لا يفهم ما يحدث على حقيقته لأنه من حفظة الأكلشيهات وما يحدث فوق قدرة عقله على الإدراك.

فإذا ما عاتبتنا على التعرض للمشايخ ومن يُنسبون للعلم، فإن كنت من العميان الذين يجلسون على المصطبة حول هذا أو ذاك، وكل منهجك في الحكم على الأشياء أن الشيخ الفلاني قبلها أو رفضها، فلا شأن لنا بك، وكلامنا من أوله إلى آخره ليس موجهاً لك، ولن يصل إليك، وإذا وصل فلن يفيدك في شيء.

وأما إذا كنت غير ذلك، فرَدُّنا على عتابك أنه بعد النبي المعصوم الذي يوحى إليه، لا أحد في الإسلام أعلى من المعيار والميزان، ولا فوق النقد والمراجعة، ولا مراجعة لمن يُنسبون إلى العلم إلا من بينهم حين يكونون طبقة قوامة على الوحي والمعيار والميزان، ولا تُبادِل به، وتفهم واقعها وتدرك توازناته، أمَّا وهم طبقات من الموظفين وحفظة الأكلشيهات، وبوصلتهم عداواتهم وخصوماتهم، أو مصالحهم ومناصبهم، فلا وكَلا.

وإليك المشهد التالي، تعرف منه ما صار إليه حال المشايخ ومنزلتهم في دولة أول الآتين من الخلف بعد أن فرق بينهم وضرب بعضهم ببعض، وقبل أن يغير هوية مصر ويخرجهم من أنسجتها ويبدأ استراتيجيته في تحويلهم من قادة للمجتمع إلى طبقة من الموظفين وحفظة الأكليشيهات، وهي الاستراتيجية التي استكملها مَن أتوا بعده مِن الآتين من الخلف، وصارت إحدى أركان المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان.

في يوم ٢١ صفر ١٢٣٥هـ/٩ ديسمبر ١٨١٩م، وصل إلى القاهرة إبراهيم باشا، ابن أول الآتين من الخلف، عائداً من حملته على الحركة الوهابية التي استغرقت بضع سنوات، قضى فيها على الحركة واستولى على عاصمتها الدرعية، فضُربت المدافع، وعُلقت الزينات في كل مكان من القاهرة، وأقيمت الاحتفالات، سبعة أيام متواصلة.

وفي اليوم التالي لوصوله، الجمعة ٢٢ صفر ١٢٣٥هـ/١٠ ديسمبر ١٨١٩م، ذهب المشايخ للسلام عليه وتهنئته، فإليك وصف الجبرتي لاستقباله لهم:

"ورجع إبراهيم من هذه الغيبة متعاظماً في نفسه جداً، وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه، حتى أن المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم، فلما أقبلوا عليه وهو جالس في ديوانه لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام، فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة، فلم يجبهم ولا بالاشارة، بل جعل يحادث شخصاً سخرية عنده، وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسري الخاطر"[1].

فارجع إلى كتابنا: ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، وراجع كيف كان يستقبل أعاظم السلاطين وأكابر الفاتحين وقادة الجيوش والمغاوير حقاً، وقد قهروا صيلبي الغرب ومغول الشرق، الناصر صلاح الدين والصالح أيوب، والمظفر قطز والظاهر بيبرس، والناصر محمد بن قلاوون، راجع كيف كانوا يستقبلون العلماء والمشايخ، وكيف كانت منزلتهم في أنفسهم وموقعهم من دولتهم، وقارنه باستقبال إبراهيم باشا للمشايخ ومنزلتهم في نفسه، وقد تعاظم في نفسه لأنه انتصر على حركة في صحراء نجد، وستعرف عندها مرة أخرى الفرق بين ولي الأمر المتغلب وبين الآتين من الخلف خريجي حواري اليهود.

والطريقة التي استقبل بها إبراهيم باشا المشايخ، بعد أن طعنوا أنفسهم بأيديهم، وأسهموا في إزاحة السيد عمر مكرم، وهو قيادة المجتمع، واالقوة الوحيدة الباقية في مواجهة أول الآتين من الخلف والقادرة على عرقلته، مناسبة لأن نعرفك بأثر من الآثار الجانبية للحركات الإسلامية، وهو من فوائدها التي لا يدركها من يتهجمون عليها ويطالبون بمحوها من الموظفين وحفظة الأكلشيهات الذين لا يدركون شيئاً من واقعهم وما فيه من توازنات، ولا يرون سوى الصورة التي يقرؤونها في الكتب ولم يعد لها وجود في الواقع، سوى أن أذهانهم تتوهمها وتعيش فيها.

فالاتجاهات العلمانية بجميع أشكالها وأنواعها التي أنتجها المسار اليهودي لبلاليص ستان، والدولة الماسونية التي أرسى قواعدها أول الآتين من الخلف، ثم شاد بناءها من خلفوه من الآتين من الخلف، وأسهم في تكوين مؤسساتها من كانوا بينهم من الحكام والطبقات الحاكمة والنخب العلمانية، وجميعهم فعلوا ذلك في حراسة الإمبراطوريات الماسونية وبإرشادها، وبسطوة السلاح الذي توفره لهم، الاتجاهات العلمانية والدولة الماسونية في بلاليص ستان غايتها وهدفها

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٤٧٤.

استئصال عقائد الإسلام وشرائعه ومظاهره من السلطة والمجتمع والإعلام والتعليم، لأنه لن يكون لها قرار، ولن تحتفظ بسلطانها على عموم الناس وتحفظ المسار الذي تسير فيه من الهزاهز والقلاقل سوى بتحقق هذه الغاية، وأيضاً وقبل ذلك لأن تكوينها الداخلي وبناءها الذهني والنفسي وفهمها للوجود والحياة معزول عن عقائد الإسلام وشرائعه وقيمه.

وفي كل مرحلة من مراحل المسار اليهود الماسوني، ومع كل نقلة فيه، تستأصل الدولة والنخب العلمانية التي تتكون منها وتدور حولها ما يمكنها استئصاله من الإسلام ومظاهره، مع إبقاء بقايا وشذرات يمكن بها للموظفين وحفظة الأكلشيهات أن يقوموا بتسويق الدولة وما تفعله في أذهان عموم الناس وإبقائهم ساكنين تحت سرجها.

واستئصال ما يمكن استئصاله من الإسلام من السلطة والإعلام والتعليم والمجتمع في كل مرحلة، يُحتم اصطدام الدولة بالحركات الإسلامية، التي أفرزتها إزاحة المسار اليهودي الماسوني لأهل الحل والعقد، وتفريغ المجتمع من العلماء والمشايخ، وحلت محلهم في مواجهة السلطة وقيادة عموم الناس والمطالبة بحقوقهم المهدورة.

والذي لا يدركه الموظفون وضعاف العقول من حفظة الأكلشيهات، الذين يتعاضدون مع العلمانيين في التهليل لضرب الدولة للحركات الإسلامية، أنهم بذلك يزيلون حائط الصد من أمامهم، ويهدمون خط الدفاع الأول عنهم هم، ويضعون أنفسهم بين أنياب الدولة الماسونية ومخالب العلمانيين.

فوجود هذه الحركات يضطر الدولة الماسونية والنخب العلمانية أن تكون معاركها معها وضرباتها موجهة لها، ويُلجئها إلى التودد للأزهر ومهادنته والاحتماء به، وإلى تقريب الموظفين من المشايخ والتقرب إليهم، وإلى تصدير حفظة الأكلشيهات والإفساح لهم، ليكونوا من أدواتها في وصم الحركات الإسلامية وطعنها، ولكي يمنحها هذا التودد والمهادنة والتصدير شرعية مواجهة الحركات الإسلامية في أذهان عموم الناس، ويكون درعاً لها من الاتهام بمعاداة الإسلام نفسه.

فإذا تمكنت الدولة الماسونية والنخب العلمانية من القضاء على هذه الحركات ستنتقل إلى المرحلة التالية، فتتحول معاركها وضرباتها تلقائياً إلى الأزهر ومشايخه، وإلى الموظفين وحفظة الأكلشيهات، وهم عندها ليسوا سوى قفازات، ولن يتأخروا عن خلعها ما إن يتمكنوا من ضرب الحركات الإسلامية وإقصائها.

وإذا تمكنت الدولة الماسونية والنخب العلمانية، من إماتة الأزهر ومشايخه، حقيقة أو حكماً، فستنتقل إلى المرحلة التي تليها، وهي أن توجه ضرباتها للإسلام نفسه، فتغيب عقائده، وتبدل شرائعه، وتقيد شعائره، وتنشر بدلاً منه الضلالات والأباطيل، وتطلق بها الفسقة والزنادقة، من الجورنالجية والأدباتية، والمشخصاتية والمغنواتية.

وهو ما ستوقن به إذا ما راجعت سيرة ثاني الآتين من الخلف، وإذا كنت على وعي بذلك وأنت تقرأ معنا سيرة أول الآتين من الخلف.

وستزداد يقيناً من ذلك، وأن الحركات الإسلامية، داخل المسار اليهودي الماسوني والتوازنات التي أفرزها في بلاليص ستان، هي حائط صد أمام الأزهر والمشايخ، وخط الدفاع الأول عن الموظفين وحفظة الأكلشيهات أنفسهم، دون أن تقصد هذه الحركات ولا الأزهر، بل ودون أن تدرك أو يدرك هو ذلك، ستزداد يقيناً إذا تركت الكتابة والقراءة، وتأملت ما رأيته وعشته إبان ثورة يناير وما واكبها وما تلاها من أحداث.

فمع الثورة وسقوط نظام مبارك، وسقوط الأغلال عن عموم الناس، وبعد أن صار المجتمع لأول مرة منذ بدأ المسار اليهودي الماسوني هو الفيصل في تحديد الهوية والاتجاه، وفي اختيار من يصل إلى السلطة ويتولى القيادة، تصدرت الحركات الإسلامية المشهد وصارت القوة السياسية الأولى في مصر، ثم وصلت إلى السلطة، فواكب ذلك اضطرار مؤسسات دولة مبارك، وهي في حقيقتها ليست مؤسساته وحده، بل هي مؤسسات المسار اليهودي الماسوني كله منذ بدأه أول الآتين من الخلف، اضطرت مؤسسات الدولة إلى الاقتراب من الأزهر والمشايخ وتصديرهم في المشهد واتخاذهم درعاً في مواجهة الحركات الإسلامية، واضطرت التيارات العلمانية إلى اللجوء إلى الأزهر، فصاروا يسعون إليه ويحتمون بشيخه، ويعقدون

اجتماعاتهم فيه، ويصوغون الوثائق والاتفاقيات بخصوص الحريات والمرأة والحياة الاجتماعية والمدنية تحت مظلته وبعد موافقته، ثم يصدرونها باسمه.

فلما سقطت الحركات الإسلامية، وأطاح بها ثالث الآتين من الخلف، وخلا المشهد في بلاليص ستان منها، ورَوَّع عموم الناس بمذابحه لأنصارها، انتقل إلى الأزهر وشيخه ومشايخه، وجعله غرضاً لسهامه هو ودولته وإعلامه، فأزاحه من الصدارة، وصار يوبخ شيخه في المؤتمرات العمومية علناً، وأطلق عليه وعلى المشايخ الفسقة والزنادقة من بقر الصحف والشاشات، وأطاح بهيئة كبار العلماء في الأزهر من دستوره، وأزال المادة الخاصة باختصاصها بتفسير الشريعة وأحكامها منه، ولم يبق في المشهد ممن يُنسبون إلى الأزهر ولابسي العِمم سوى المرتزقة والأراجوزات من طراز الهلالي ومظهر وميزو.

والعلمانيون الذين كانوا يسعون إلى الأزهر ويحتمون بشيخه، في وجود الحركات الإسلامية، صاروا يتهكمون عليه ويتهمونه بالتخلف والجمود والمسؤولية عن تفريخ الحركات الإرهابية، ويطالبون بعزله عن المجتمع والحياة وتغيير مناهجه، والوثائق والاتفاقيات التي كتبوها فيه وباسمه لم يعد لها بعد الإطاحة بالحركات الإسلامية قيمة عندهم، فقذفوا بها في دورات المياه.

وبعد الأزهر والمشايخ انتقل ثالث الآتين من الخلف ودولته وإعلامه، والزنادقة من العلمانيين وبقر الصحف والشاشات، إلى الخطوة التالية، وهي التطاول على الإسلام نفسه وشرائعه الثابتة، بخصوص الأسرة والزواج والطلاق والميراث، والتي لا خلاف عليها بين أحد من أهل العلم في أي عصر منذ نزل القرآن، فصار وصاروا يصمونها بالتخلف والرجعية وعدم مواكبة العصر، ويطالبون بتغييرها وتعديلها، في غلاف تجديد الخطاب الديني.

ولو عجز ثالث الآتين من الخلف وإعلامه عن الخطوة الأولى، وهي ضرب الحركات الإسلامية وإخلاء المشهد منها، لما كان في مقدورهم الانتقال إلى الخطوة الثانية، ولا الثالثة، ولظل الأزهر ومشايخه في منزلتهم، ولما اقترب من ثوابت الإسلام، ولظلت الأفاعي العلمانية وبقر الصحف والشاشات في جحورها.

وأما أول الآتين من الخلف، فبعد أن أوقع بدسائسه بين المشايخ، وأزاحهم بالقوة والفرمانات من قيادة المجتمع، وأخرجهم من دوائر السلطة والتأثير فيها، وبعد أن صارت مصر بين أنيابه ولم يعد فيها من يعيقه أو يقيده، خرجت الغاية التي جاء بها من حارة اليهود اليونانية من ذهنه ونفسه إلى العلن، فبدأ في بناء دولة يغير بها هويتها وهندسة اجتماعها، ويقطع صلتها بالإسلام وتاريخه، ويعزلها عن بلاده، ويصلها باليهود والماسون في الغرب، ويجعلها تابعة لهم، وهم مصدر وعيها وفهمها للوجود والحياة، ويحول اتجاهها وبوصلتها في اتجاه المشروع اليهودي، ويهيأها لتكون محضناً له وتتواءم معه.

وقد تسأل: وهل كانت هذه الغاية خبيئة في ذهن أول الآتين من الخلف ونفسه منذ جاء من كافالا/قَوَلة حارة اليهود اليونانية، وظلت حبيسة إلى أن أطاح بجميع القوى في مصر التي تحفظ مسارها، ووضعها بين أنيابه، فبدأت في الظهور بعد هذه السنوات كلها؟!

ونقول لك: نعم، الانحراف بمسار مصر وتغيير هويتها وقطع صلتها بالإسلام وإزالة آثاره من وعيها وسلطتها وأنسجتها، لأنه لا يمكن توطئة الشرق لليهود وبدء مشروعهم من غير ذلك، كان غاية خبيئة في ذهن أول الآتين من الخلف ونفسه، منذ أن رمت حارة اليهود اليونانية مصر به، وما بعد ذلك ليس سوى التفاصيل اللازمة للوصول لهذه الغاية وتحقيقها، والزمان الذي تستغرقه هذه التفاصيل.

وهي غاية خبيئة في نفوس جميع الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود، وفي نفوس جميع الماسون ورجال الحركات السرية، فمن يصل منهم إلى السلطة يترجمها في دولته وسياساته وأعماله، ومن لا يصل تظل خبيئة مستقرة في قرارها المكين داخل ذهنه ونفسه.

ودولة أول الآتين من الخلف وأول من يصل من خريجي حواري اليهود إلى رأس السلطة في مصر، سنأتيك بخبرها ونعرفك بحقيقتها تفصيلاً، ولكن قبل أن نترك الأزهر ومشايخه إليك المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، يخبرك باستراتيجية أول الآتين من الخلف الإبليسية لإماتة الأزهر ومشايخه، وعزله عن دولته وإخراجه من المجتمع والحياة، دون أن يمسه بقرارات ولا فرمانات:

"انتقل مركز الثقافة من الأزهر إلى المدارس والمعاهد والبعثات، وانكمش العلماء ولم يشتركوا في حركة التجديد والإنشاء، فعجزوا عن الاشتراك في حروب مصر، أو في إدارة حكومتها، أو في سياستها وأعمال العمران التي قامت بها، وبديهي أن انعكافهم على المسائل الدينية، وعجزهم عن الاشتراك في الأعمال العامة التي تمت في عصرهم، كل ذلك كان له أثر في تضاؤل نفوذهم وإضعاف كلمتهم، إذ ما من شك أن الفئة التي تخرجت من المدارس الحربية والبحرية أو العلمية والهندسية هي التي اضطلعت بأعباء الأعمال العامة، سواء داخل مصر أو خارجها، وهم بحكم توليهم عبء الجهاد وسياسة الحكم وحملهم لواء النهضة قد امتازوا على طبقة العلماء وحجبوها بما نالوه من السلطان والنفوذ، وتضاءلت منزلة العلماء، وظهر الفرق جسيماً بين ما آل إليه أمرهم من الضعف وخمول الذكر وما كان لهم من نفوذ وسؤدد حين تولوا قيادة الحركات الشعبية في عهد الحملة الفرنسية وبعدها، وحين كانوا في أوائل حكم محمد علي يتقدمون الصفوف في الدعوة إلى الجهاد عن الذمار، كما فعلوا عند مجيء الحملة الإنجليزية سنة ١٨٠٧م"[١].

فتنبه أن المؤرخ الأمي، لأن هواه مع أول الآتين من الخلف وما فعله، يرفع وِزر إخراج العلماء والمشايخ من دولة الآتين من الخلف عنه ويحمله عليهم، ثم يفسر ذلك بانشغالهم بالمسائل الدينية، مع أنه هو نفسه يقول إنهم كانوا قادة الجهاد ومن يقودون المجتمع في مواجهة الحملة الفرنسية والحملة الإنجليزية، فهل كانوا قد تركوا حينها الدين والانشغال بالمسائل الدينية، أو منعهم هذا الانشغال عن الجهاد والأعمال العامة؟

ولأن عزل مصر عن بلاد الإسلام وضربها للخلافة وتبعيتها لفرنسا وللغرب كله على هوى المرخ الأمي، ويسميه الهوية القومية، والرابطة القومية كما عرَّفناك ونذكرك مراراً ليست سوى الرابطة التوراتية ومحاكاة لبني إسرائيل، فما أسقطه المؤرخ الأمي من كتبه كلها، هو موقع الإسلام نفسه، عقائده وشرائعه، من الدولة التي كونها أول الآتين من الخلف، ومن نخبها وطبقتها الحاكمة، ومن هذه الفئات التي أرسلها صفحة بيضاء إلى فرنسا ووضعها بين أيدي الماسون فيها، كما ستعلم، ليملأوها بما شاءوا، ثم يعيدوها إلى مصر لا هدف لها سوى نسف

---

١) عصر محمد علي، ص٥٤٨-٥٤٩.

موازينها ومعاييرها وتبديل عقائدها وشرائعها وهتك قيمها وأخلاقها، من أجل محاكاة آلهتهم في الغرب والسير بها خلفهم.

وإليك هذه الصورة للأزهر والمشايخ والعلماء، تعرف منها ما صار إليه حالهم في دولة أول الآتين من الخلف، التي رسم تصميمها وأنشأها له اليهود والماسون، لتكون أداة لتغيير مسار مصر وهويتها، ولكي تبدأ منها أولى خطوات المشروع اليهودي واستعادة دولة بني إسرائيل.

في سنة ١٨٢٥م، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، جاء إلى مصر المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين Edward William Lane، من أجل دراسة اللغة العربية، ورصد أحوال المصريين وطبائعهم، فعاش بينهم ثلاث سنوات على أنه تركي مسلم، وكان خلالها يرتدي أزياءهم ويصلي في المساجد ويحضر دروسها، ويخالطهم في بيوتهم وأسواقهم، ووضع في نهاية السنوات الثلاث كتابه: وصف مصر Description Of Egypt، وعاد إلى انجلترا فطبعه فيها، وفي سنة ١٨٣٣م عاد إلى مصر ومكث بها سنتين، وضع في نهايتهما كتاباً أشمل عن مصر، هو كتاب: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم The Manners And Customes Of Modern Egyptians، الذي طبعه في إنجلترا سنة ١٨٣٦م، ورصد فيه مختلف جوانب الحياة ومظاهرها في عهد أول الآتين من الخلف.

فإليك وصف إدوارد وليم لين لما آل إليه حال العلماء والمشايخ في ذروة دولة أول الآتين من الخلف، وهم الذين أوصلوه إلى السلطة ومكنوه فيها:

"**وضع باشا مصر الحالي يده على كل الأراضي المزروعة التي تمتلكها الجوامع، ففقد الجامع الأزهر الكبير بذلك الجزء الأكبر من ممتلكاته، وتكتفي الحكومة بتغطية نفقات التصليحات الضرورية ودفع رواتب الموظفين الأساسيين فيه، ولا يتلقى الأساتذة رواتب محددة، وليس لهؤلاء وسيلة انتظامية يؤمنون بها عيشهم إلا في حال ورثوا مِلكاً أو كان**

لهم أقرباء يعيلونهم، ووسيلة رزقهم الوحيدة هي التدريس في المنازل الخاصة أو نسخ الكتب"[1].

وكما ترى، العلماء والمشايخ الذين كانوا أشراف المجتمع وصفوته وقادته، استولى أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية على الأوقاف المرصودة لهم وكانوا ينفقون منها على أنفسهم وعلى الأزهر وطلابه، وفي الوقت نفسه منع عنهم الرواتب، فحولهم إلى متسولين.

وفي غرة ربيع الأول ١٣٢٠هـ/٧ يونيو ١٩٠٢م، وبمناسبة الاحتفال بذكرى أول الآتين من الخلف، كتب الشيخ محمد عبده مقالة في مجلة المنار، عنوانها: آثار محمد علي في مصر، وعدَّد فيها سيئات أول الآتين من الخلف، وفيها قدَّر ما صادره أول الآتين من الخلف من أوقاف الجامع الأزهر بأنه:

"لو بقي له إلى اليوم (١٩٠٢م)، لكانت غلته لا تقل عن نصف مليون جنيه في السنة، وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة"[2].

وهذا هو وصف الجبرتي، في حوادث سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م، لحال عموم المسلمين من أهل مصر، وقد أذلهم أول الآتين من الخلف، بعد أن فتحها لليهود والفرنسيين والطليان واليونان والأروام والأرمن، وسلمهم مقاليدها وثرواتها:

"واشتد في هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينة وضاقت بأهلها، لشمول الخراب وكثرة الأغراب، وخصوصاً المخالفين للملة، فهم الآن أعيان الناس، يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الأكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات، وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم، وبأيديهم العصي يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق، ويتسرون بالجواري بيضاً وحبوشاً، ويسكنون المساكن العالية الجليلة، يشترونها بأغلى الأثمان، ومنهم من له دار بالمدينة

---

١) إدوارد وليم لين: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، ص ٢١٤، ترجمة: سهير دسوم، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢) الشيخ محمد عبده: آثار محمد علي في مصر، مجلة المنار، مجلد٥، ج٥، ص١٨٣، غرة ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م.

ودار مطلة على البحر للنزهة، ومنهم من عَمَّر له داراً وصرف عليها ألوفاً من الأكياس، وكذلك أكابر الدولة، لاستيلاء كل من كان في خطه على جميع دورها وأخذها من أربابها بأي وجه، وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى إذلال المسلمين، لأنهم يحتاجون الى كتبة وخدم وأعوان، والتحكم في أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير إنكار، ويقف الشريف والعامي بين يدي الكافر ذليلاً، فضاقت بالناس المساكن وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف، وأُبدل لفظ الريال الذي كان يذكر في قيم الاشياء بالكيس"[١].

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٤٨٩.

وجاء أوان أن ننتقل بك إلى الدولة التي بناها أول الآتين من الخلف، لنعرفك بحقيقتها هي والنهضة التي تُنسب له، ومن يكون الذين أنشأوا له هذه الدولة، وقادوا خطواته في هذه النهضة، وما هي هوياتهم الحقيقية وغايتهم، وصلة غايتهم وهذه الدولة والنهضة بالمشروع اليهودي ودولة بني إسرائيل.

وأول ما يجب أن تعلمه، أن الأميين والتيارات العلمانية والدولة في بلاليص ستان، في كل عهودها، تمجد أول الآتين من الخلف وتفخمه، لأنها موصولة به ومن نتاج ما فعله، فهي بذلك تمجد أصولها ونفسها والمسار الذي تسير فيه والهندسة والتوازنات التي أقيمت بها وعليها، والتي محورها ومفتاحها الولاء للغرب والتبعية له والدوران حوله واستلهامه في كل شيء، وقهر عموم الناس على هذا الولاء والتبعية على خلاف إرادتهم.

وهذه التيارت العلمانية ودولة بلاليص ستان في كل عهودها، ينسبون الدولة التي وضع لبناتها وبدأ مسارَها اليهوديَ الماسوني أولُ الآتين من الخلف، وينسبون ما يسمونه نهضة، له وحده، ويتعمدون إسقاط القوى التي كانت خلفه، ويسوؤهم إظهارها والكشف عن حقيقتها، لأن ذلك يطعن في أصول الدولة، ويكشف حقيقتها والغاية من إنشاء هذه القوى لها، وصلة هذه الدولة والمسار الذي تسير فيه بالمشروع اليهودي لبلاد الشرق كلها، وأنها لم تكن سوى جزء من هذا المشروع ومحور من محاوره.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"لا جدال في أن محمد علي قد سما بأعماله إلى مصاف عظماء الرجال، فأسس ملكاً عريضاً، وغالب دولاً كباراً، وأنشأ دولة عظيمة وحكومة ثابتة وطيدة، وبعث حضارة زاهرة، وأنبت ثقافة كان لها الفضل الكبير في نشر لواء العلم والعرفان في وادي النيل"[١].

---

١) عصر محمد علي، ص٥٥٥.

ويقول نظيره الأمي إلياس الأيوبي، معدداً إنجازات أول الآتين من الخلف:

"أولاً: أقلع عن طريق الحكم التي سبقت عهده، واقتدى بما وضعه الغربيون، لا سيما نابليون الأول، من نظامات حكم وإدارة ... ثانياً: أنشأ من أبناء البلد جيشاً زاهراً مدرباً على الطريقة الغربية ... ثالثاً: جدد المعارف بتغييره برامج التعليم وطرقه، ففتح ميداناً جديداً للعلم أدخل الأمة فيه قسراً ... رابعاً: غطى وجه القطر بالأشغال والأعمال المفيدة، وسخر الأيدي تسخيراً ... والقناطر الخيرية، وهي معجزة أعماله المعجزة ... خامساً: هدم الحواجز التي كانت العصور السالفة قد أقامتها بين تعامل الغرب والشرق، ومكن العالمين من الاختلاط معاً، لا بالاتجار الواسع فحسب، بل بالاحتكاك اليومي ... سادساً: سن قانوناً للبلد كل مواده متشربة بالرغبة في فتح عصر جديد للأمة"[1].

فإذا تصفحت مئات الصفحات التي كتبها المؤرخان الأميان عن أول الآتين من الخلف، ستجدهم يوهمون من يقرأ أن دولته وكل ما بناه فيها وما يسمونه إنجازات من بنات أفكاره ونتاج عبقريته في الإصلاح ومن صُنعه وحده، وهو في الحقيقة لم يكن سوى واجهة لهذه الدولة، وأداة وظيفتها فقط تنفيذ هذه الإنجازات، التي هي من بنات أفكار أبالسة آخرين، وهم من يوجهونه ويرشدونه ويشرفون على تنفيذها.

وأول الآتين من الخلف، الذي قرأت الأغاني التي كتبها فيه الرافعي والأيوبي، وينسب له العلمانيون وكتب التاريخ الرسمية في دولة بلاليص ستان أنه مؤسسها وباعث نهضتها العلمية والتعليمية، لم يكن يعرف القراءة والكتابة!

وهو ما يخبرك به طبيبه الخاص الفرنسي، كلوت بك:

"وهو بارع في الحساب، مع أنه لم يسبق له أن درس العلوم الرياضية، ومعلوم أنه لم يبدأ تعلم القراءة إلا في الخامسة والأربعين من عمره"[2].

---

١) محمد علي، سيرته وآثاره، ص١١٨-١٢٤.

٢) لمحة عامة إلى مصر، ص٧٤

ووأول الآتين من الخلف وُلد في كافالا/قَوَلة، حارة اليهود في اليونان، سنة ١٧٦٩م، وعلى ذلك فحين بدأ في تعلم القراءة، في سن الخامسة والأربعين، كان ذلك سنة ١٨١٤م، بعد تسع سنوات من وصوله إلى السلطة في مصر، وبعد أن أرسل أولى بعثاته العلمية سنة ١٨١٣م بسنة.

وقد تقول: وما الذي يمنع أن يكون أول الآتين من الخلف هو مؤسس هذه الدولة حقاً، وأن يكون التعليم والبعثات العلمية وما أقامه من مشروعات من بنات أفكاره، ولم يُعِقه أنه لا يعرف القراءة والكتابة ولم يتلق تعليماً ولا حاز علوماً عن إزاحة خصومه ومنافسيه في السلطة، وعن الوصول إليها، بدهاء وبراعة منقطعة النظير، ولا أعاقه ذلك عن قيادة الجيوش وكسب المعارك؟

ونقول لك: هذه مسألة وتلك أخرى، وبينهما بون شاسع، فالذي لا يعرف الكتابة والقراءة ولم يتلق تعليماً ولا علوماً يمكنه بالممارسة والاحتكاك واكتساب الخبرات والوجود في وسط ملائم، أن يكون تاجراً، أو أن يكون قائداً، أو أن يكون سياسياً، ولكن لا يمكنه أن يؤلف كتاباً أو يصير معلماً أو يبتكر علوماً.

وما أخبرناك به من أن أول الآتين من الخلف لم يكن سوى واجهة للدولة التي شُيدت باسمه، وأداة وظيفتها تنفيذ ما يوحِي به إليه أبالسة آخرون من سياسات ومشروعات، بل وهم من يقومون باسمه على تنفيذها، قاعدة عامة في جميع الآتين من الخلف، أولهم وثانيهم وثالثهم، فهم جميعاً من خريجي حواري اليهود، وإزاحة الإسلام وتفريغ أنسجة المجتمع منه والانحراف ببلاليص ستان بعيداً عنه وفي اتجاه ما يوافق المشروع اليهودي ويجعلها تتواءم معه غايتهم جميعاً، ولكن التدابير والاستراتيجيات التي تؤدي إلى هذه الغاية أكبر منهم وليست من صنعهم ولا من ابتكارهم، بل من ابتكار طبقة فوقهم وأعلى منهم، وهي طبقة ملهميهم ومن يقودون خطاهم من اليهود والماسون في الغرب، وهؤلاء الآتون من الخلف ليسوا سوى محضن لما تبتكره هذه الطبقة الأعلى وأدوات لتنفيذه، وهم محضن لهذه الطبقة الأعلى وأدوات لتنفيذ ما تبتكره من مسارات وسياسات لأنها توافق ما يريدونه وما رضعوه في حواري اليهود من غايات.

فإذا كنت في شك، وغرر بك ما تقرأه في كتاب الوزارة المقرر في بلاليص ستان، وما يكتبه الأميون والبقر من العلمانيين، وما يؤلفونه من أغانٍ في الآتين من الخلف، فثابر وواصل معنا سيرة أول الآتين من الخلف، وستتيقن مما أخبرناك به، وإذا كنت تملك من الجَلد والرغبة في معرفة الحق والوصول إلى الحقيقة ما وصل بك إلى هذا الموضع من الكتاب الذي بين يديك، فعندنا أمل كبير أن نهنئك عندما تصل إلى نهايته بخروجك من عضوية نادي البقر في بلاليص ستان.

وأول ما نعرفك بحقيقته ومَن الذي كان خلفه وصاحب فكرته، مما يُنسب لأول الآتين من الخلف، هو التعليم والبعثات العلمية، التي يتيه بها أعضاء نادي البقر في بلاليص ستان، لأنهم من نتاجها، وأذهانهم ونفوسهم تكونت من العلف الذي علفوه فيها.

فأما البعثات العلمية فهاك اولاً نبذة عنها، من أول كتاب يسجل تفاصيلها وما أحاط بها ومن بُعثوا فيها، من وثائقها الأصلية في دار المحفوظات في القلعة، وهو كتاب: البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، للأمير عمر طوسون، وهو أحد أحفاد أول الآتين من الخلف، وماسوني، مثل جده، ومثل جُل أبناء أول الآتين من الخلف وبقية أحفاده.

يقول الأمير الماسوني عمر طوسون إن أول الآتين من الخلف:

"بدأ يرسل الطلبة المصريين إلى أوروبا حوالي سنة ١٨١٣م وما بعدها، وأول بلد اتجه إليه فكره إيطاليا، فأوفد إلى ليفورن وميلانو وفلورنسا وروما وغيرها من المدن الإيطالية طائفة من الطلبة، لدرس الفنون العسكرية وبناء السفن وتعلم الهندسة وغير ذلك من الفنون"[١].

ويقول عمر طوسون إنه لم يجد إحصاءًا لأعضاء هذه البعثة، ولا يعرف منهم سوى نقولا مسابكي أفندي، الذي تم إيفاده إلى روما وميلانو سنة ١٨١٦م، بواسطة المسيو روستي قنصل النمسا في مصر، ليتعلم فن الطباعة وما إليها من سبك الحروف وصنع قوالبها، فأقام أربع

١) الأمير عمر طوسون: البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص١٠، مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

سنوات ثم عاد إلى مصر، فتولى إدارة مطبعة بولاق سنة ١٨٢١م، وبقي مديرا لها إلى أن توفى سنة ١٨٣١م.

ثم تحول نظر أول الآتين من الخلف من إيطاليا إلى فرنسا، فأرسل إليها طائفة من التلاميذ سنة ١٨١٨م، ويقول عمر طوسون إنه لا يعرف من هذه البعثة سوى واحد فقط، هو:

"**عثمان نور الدين أفندي، الذي أُرسل سنة ١٨١٩م لإتقان الفنون الحربية والبحرية، ثم عاد سنة ١٨٢٠م، وترقى في مناصبها إلى رتبة ساري عسكر ورئيس العمارة البحرية المصرية**"(١).

وفي سنة ١٨٢٦م، أرسل أول الآتين من الخلف بعثة كبرى إلى فرنسا، تتكون من أربعة وأربعين تلميذاً، ذكر الأمير عمر طوسون أسماءهم والبلاد التي ينتمون إليها والفنون التي درسوها، نقلاً عن تقرير عن حالتهم العلمية للمسيو جومار الذي كان يشرف على البعثة، نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٨٢٨م، وأورد عمر طوسون نصه كاملاً.

وهذه البعثة هي التي كان أحد المبعوثين فيها رفاعة الطهطاوي، الذي كان:

"**إمام هذه البعثة، ثم اختير لتعلم الترجمة ... وهو مؤسس مدرسة الألسن وناظرها، وصاحب التراجم والمؤلفات الكثيرة، وأحد اركان النهضة العلمية العربية، بل إمامها في مصر**"(٢).

وهذه البعثة أُلحق بها دفعات أخرى من التلاميذ لدراسة العلوم الآلية أو الصنائع، ولدراسة الطب والصيدلة، ووصل عددهم سنة ١٨٣٣م إلى سبعين تلميذاً، فصار عدد المبعوثين حتى ذلك التاريخ مائة وأربعة عشر تلميذاً.

---

١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص١١.

٢) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص٤٦.

ومن سنة ١٨٣٦م إلى سنة ١٨٤٣م أُرسل أربعون تلميذاً، تلاهم في سنة ١٨٤٤م بعثة من سبعين تلميذاً، اختارهم رئيس أركان حرب الجيش الكولونيل سيف أو سليمان باشا الفرنساوي، لدراسة الفنون الحربية في المدرسة المصرية الحربية بباريس، والتي أنشأها أول الآتين من الخلف في فرنسا لذلك، وكان مديرها وجميع مدرسيها من ضباط الجيش الفرنسي.

وأشهر تلاميذ هذه البعثة علي مبارك، وكان من ضمنها اثنان من أبناء أول الآتين من الخلف، هما الأمير حسين، والأمير عبد الحليم، وهو أصغر أبنائه، وتم انتخابه سنة ١٨٦٧م أستاذاً أعظم للشرق الأعظم المصري، الذي تتبعه محافل مصر ويتبع الشرق الأعظم الفرنسي.

وكان بهذه البعثة أيضاً اثنان من أحفاد أول الآتين من الخلف وأبناء إبراهيم باشا، وهما الأمير أحمد والأمير إسماعيل، وهو خديو مصر لاحقاً، والذي ازدهرت المحافل الماسونية في عهده، وعقد معها حلفاً من أجل استكمال تغيير هوية مصر وفصلها عن محيطها العربي الإسلامي، وإلحاقها بآلهته من الماسون في الغرب.

ومدير هذه البعثة اسطفان بك، كان من تلاميذ بعثة سنة ١٨٢٦م، ومن الطريف، كما يقول عمر طوسون، أن من تلاميذ هذه البعثة:

"نفر من المعلمين فضلوا الرجوع إلى التلمذة، وآثروا العلم على الكبرياء والمناصب"[١].

وإذا قمت بتعديل طفيف في عبارة عمر طوسون، ستعرف معناها الحقيقي، وهو أن هؤلاء المعلمين فضلوا الرجوع إلى باريس تلامذة على أن يظلوا في القاهرة أساتذة، كالمعتاد!

ويلغ العدد الإجمالي للتلاميذ في البعثات إلى أوروبا، التي أرسلها أول الآتين من الخلف بين سنة ١٨١٣م وسنة ١٨٤٧م، ثلاثمائة وتسعة عشر تلميذاً.

وإذا قرأت ما كتبه الأمير عمر طوسون والرافعي وغيرهما عن البعثات العلمية، ستجد تفاصيل لا تحصى عن المبعوثين، والفنون والعلوم التي درسوها، والنفقات التي أنفقت عليهم،

---

١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص١٧٢.

وما فعله كل منهم، والوظيفة التي وضع فيها حين عاد، ولكنك لن تجد إجابة عن السؤال: من الذي رسم هذا الطريق، من هو صاحب فكرة إرسال بعثات من الناشئة الخالية عقولهم ونفوسهم لملئها في فرنسا وأوروبا عموماً، وما كان غرضه من ذلك، وهي فكرة لم تطرأ على ذهن أحد في الشرق من قبل، كما يقول عبد الرحمن الرافعي:

"ولو تأملت ملياً في العصر الذي نشأت فيه هذه الفكرة واختلجت في نفس محمد علي، لعجبت لعبقريته كيف أنبتت هذا المشروع، ففي ذلك العصر لم يفكر حاكم شرقي ولا حكومة شرقية في إيفاد مثل هذه البعثات"[١].

لن تجد في ما كتبه الأميون سوى أغانٍ وأناشيد في أول الآتين من الخلف، الذي لا يعرف القراءة والكتابة، أو عرف بالكاد كيف يفك الخط.

يقول عمر طوسون إن:

"محمد علي أنشأ المدارس في القُطر على مثال المدارس في أوروبا، وجلب لها الأساتذة من هناك، ثم ساق إليها التلاميذ قسراً، ولكنه بعد ذلك أحس بأن كل هذا لا يفي بالغرض المروم ... فهدته الفكرة إلى الحل الصحيح لهذه المعضلة، وهو أن يبعث البعوث من الشبان الذين أهلتهم معاهد العلم في مصر إلى أوروبا ليتمموا دراستهم بها، ويخصوا في العلوم التي ليس فيها من المصريين أخصائيون، وبذلك يتخلص من الاحتياج إلى الأجنبي، ويضمن الاستقلال العلمي لبلاده التي كان يعمل لاستقلالها، ولا يحب أن تشوب هذا الاستقلال شائبة ... ولكن ميله كان أكثر إلى فرنسا، لذلك فكر في الشخص الذي يعهد إليه ببعوثه العلمية بها، فهداه حسن الحظ إلى مسيو جومار، فكان رئيس البعثات بفرنسا وغيرها"[٢].

وما قرأته للأمير الماسوني هو مقلوب الحقيقة في كل تفاصيله، فتنبه أولاً أنه يخبرك أن مصر هي بلاد أول الآتين من الخلف، وهو من كافالا/قَوَلة حارة اليهود في اليونان، ويخبرك أنه أرسل البعثات العلمية لكي يضمن الاستقلال العلمي لبلاده، وما فعله أفقدها هويتها وجعلها

---

١) عصر محمد علي: ص٤٠٧.

٢) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص٧.

تابعة لأوروبا وعالة عليها في كل شيء، وهو ما لا تحتاج إلى مَن يأتيك ببراهينه وشواهده، وهي حولك أينما وليت وجهك.

ولا يفوتك أن الأمير الماسوني يفترض أن من يخاطبهم بقر، ولن يَرِد على ذهن أحدهم أن يسأل: إذا كان جدك أرسل البعثات إلى فرنسا ليستقل عنها، فهل استقبلت فرنسا هذه البعثات وفتحت لها أبواب مدارسها وجامعاتها وأمدته بالمدرسين لكي تساعده في الاستقلال عنها؟!

والأمير الماسوني يدلس على من يخاطبهم، فيخبرهم أن البعثات من بنات أفكار أول الآتين من الخلف، وأنه عهد إلى المسيو جومار بتنفيذها، وما حدث فعلاً هو العكس، والماسوني جومار هو أحد الاثنين اللذين صبَّا في رأس أول الآتين من الخلف فكرة البعثات، ثم كان هو المشرف عليها ومن يمسك بزمامها.

ثم لا تنس الحظ الذي لا يجد الأميون ما يفسرون إلا به، بعضهم لأن الحقائق فوق إدراك أذهانهم الأمية، وبعضهم لأنه يريد حجبها، فبعد أن قهر الحظ الجيش الفرنسي وأجبره على الانسحاب من أمام أول الآتين من الخلف من غير قتال وهو في طريقه للسلطة، عاد إليه مرة أخرى بالبعثات العلمية والمسيو جومار.

أما المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، فلم يشر إلى علاقة جومار بفكرة البعثات مطلقاً، فإليك أغنيته في كيف أن البعثات كانت من ثمار عبقرية أول الآتين من الخلف وحده:

"فصدور هذه الفكرة في ذلك العصر، وفي الوقت الذي كان محمد علي مشغولاً فيه بمختلف الحروب والمشاريع والهواجس، يدل حقيقة على عبقرية نادرة وهمة عالية"[١].

وهؤلاء الأميون كمن يحدثك عن قطار، فيصف لك المناظر التي يمر بها، ومن يركبون فيه، وما الذي يفعلونه داخله، وكم تكلفوا من نفقات، فإذا انتبهوا أنه لابد للقطار من غاية ووجهة، أخبروك باسم سائقه، وسقط منهم أو أسقطوا هم عمداً من شق طريقه ووضع قضبانه وحدد اتجاهه ورسم خريطة سيره، فهو دون أن يركب القطار أو يُرى في المشهد من يتحكم في

---

١) عصر محمد علي: ص٤٠٧.

السائق والقطار وكل من على متنه، واختيارك واختيار أي أحد قطاراً ليركبه يحكمه اتجاهه وإلى أين سيصل، وليس اسم سائقه ولا فخامة كراسيه وما يبيعونه فيه.

وأول الآتين من الخلف كان سائق قطار البعثات العلمية، ولكن ليس هو الذي رسم خريطتها وشق مسارها، وعبقريته التي يتغنى بها الأميون في التنفيذ، ولكنه ليس صاحب فكرتها، بل مجرد محضن لأصحابها الحقيقيين.

ونذكرك هاهنا بما أخبرناك به في كل كتبنا، وهو أن العلة في الأميين أنهم يرصدون الأحداث، وفي وعيهم أن صانع التاريخ هو من يتصدر مشاهدها، أما في الوحي والأذهان التي تتكون به فالأحداث ترجمة للأفكار، والصانع الحقيقي للتاريخ هو من يبث هذه الأفكار في رؤوس الأميين ويوظفهم لترجمتها، ومسار التاريخ هو حبل الأفكار التي تسري في هذه الأحداث وتصل بينها، ومن غير إدراك هذه الأفكار وأن الأحداث ليست سوى ترجمة لها يتفكك مسار التاريخ وتصبح أحداثه عشوائية، صنعتها الصدف والحظ، أو الظروف والملابسات، ويطفو على سطحها من صنعتهم ليتتبعهم الأميون ويمجدوهم، ويختفي من صنعوها.

فإليك من يكون صاحب مشروع البعثات العلمية حقاً، ومن صبوا فكرتها في ذهن أول الآتين من الخلف وقادوه نحوها، وهم أصحاب الغاية الحقيقية منها، وماذا تكون غايتهم هذه.

وأول ما نعرفك به لكي تتحرر من تضليل الأميين وفهمهم المقلوب للأحداث والتاريخ، هو ما أتيناك بتفاصيله من قبل في باب: نابليون وحملة الماسون، وهو أن إرسال ناشئة من مصر إلى فرنسا، واحتضانهم فيها وتكوين حزب منهم لفرنسا في مصر، يكون هواه معها ويتبعها تلقائياً، ثم يكون أداة تغيير هوية مصر كلها والسير بها خلف فرنسا طواعية، هو الغاية الحقيقية للحملة التي شنها الماسون في فرنسا على مصر، وأن هذه الغاية جزء من غاية أخرى أكبر، وهي توطئة الشرق كله للمشروع اليهودي.

فهاك هذه الغاية والاستراتيجية صريحة في خطاب الماسوني نابليون إلى الماسوني كليبر، سنة ١٧٩٩م، قبل أن يترك مصر إلى أوروبا، وقبل أن تقذف حارة اليهود اليونانية مصر بأول الآتين من الخلف ويظهر على مسرح الأحداث فيها، وهو الخطاب المحفوظ في وزارة الحربية

الفرنسية، تحت رقم: ٤٣٧٤، وترجم نصه كاملاً المؤرخ أحمد حافظ عوض، في كتابه: فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر(•):

"**اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخصًا من المماليك، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم في القاهرة أو الأرياف وتسفرهم إلى فرنسا، وإذا لم تجد عددًا كافياً من المماليك فاستعض عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يُحجزون مدة سنة أو سنتين، يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة، ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يُضم إليه غيرهم**"[١].

وكما ترى، كل ما فعله أول الآتين من الخلف، هو أنه صنع بدولته ما شن الماسون في فرنسا حملتهم على مصر من أجله، ولو شئت تعبيراً أدق، فالماسون في فرنسا استكملوا به وبدولته صناعة ما بدأوه بحملتهم التي شنوها على مصر، فإليك من يكون هؤلاء.

يقول المؤرخ وأستاذ التاريخ في جامعة لندن هنري دودويل في دراسته الأكاديمية عن أول الآتين من الخلف، والتي صدرت سنة ١٩٣١م عن مطبعة جامعة كمبردج، بعنوان: مؤسس مصر الحديثة، عن فكرة إرسال بعثات إلى فرنسا من المصريين، إن:

"**صاحب هذه الفكرة الجسور This Bold Idea، وأول من اقترحها على الباشا، هو دروفيتي، قنصل فرنسا في مصر**"[٢].

ودروفيتي، قنصل فرنسا وصاحب فكرة البعثات وأول من دسها في رأس أول الآتين من الخلف، والذي لا تجد له ذكراً مطلقاً في ما كتبه عمر طوسون والرافعي والأيوبي ومن ينقلون

•) المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي قام بترجمة خطاب نابليون، في الجزء الثاني من كتابه: تاريخ الحركة القومية، لكنه حذف منه هذه الفقرة، ولم يشر إليها مطلقاً، مع أنه قال في بداية ترجمته للخطاب: "وهي رسالة مطولة أشبه بتقرير واف، ولذا رأينا أن نُعربها مع شيء من الشرح والبيان" (تاريخ الحركة القومية: ج٢، ص٨٤)، فلعلك فهمت لماذا حذفها، لأن إثباتها يعني ببساطة أن دولة أول الآتين من الخلف الذي يهيم به، وبعثاته، ليست سوى امتداد لحملة الماسون في فرنسا على مصر.

١) فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر، ص٣٨٣.

2) The Founder Of Modern Egyp,P203.

عنهم عن هذه البعثات، أخبرناك من قبل أنه كان ضابطاً في حملة نابليون على مصر، وأنه ماسوني في الطقس المصري، وسوف نزيدك به بياناً عندما نعرفك بجمعيته الماسونية التي أنشأها في مصر، وكان أول الآتين من الخلف هو الذي يمولها ووضعها تحت رعايته.

والثاني بعد دروفيتي، والذي تابع ما بدأه، هو أخوه في الماسونية جومار، فهاك كلوت بك يخبرك كيف وصل إلى رأس أول الآتين من الخلف:

"لما عاد السلم إلى نصابه في سنة ١٨١٥م، خاطب العلامة جومار، أحد مهندسي الجيش الفرنسي بالشرق سابقاً، والمندوب من الحكومة لمباشرة نشر استكشافات المعهد العلمي المصري، خاطب قنصل فرنسا بالإسكندرية، ليستأذنه في استئناف المباحث العلمية والتاريخية التي بُدئ بها أيام الحملة الفرنسية ... وأثناء وجود عثمان أفندي نور الدين بفرنسا كاشفه العلامة جومار بمشروع ابتكره لتحقيق هذا الغرض، وهو إرسال بعثات مصرية إلى أوروبا لطلب العلم فيها، فتلقاه عثمان أفندي بالاستحسان، وأطلع عليه سمو الوالي، الذي لم يلبث أن أمر بتنفيذه"[١].

فجومار، كما ترى، هو الذي ابتكر فكرة البعثات العلمية، بالاتفاق مع قنصل فرنسا دروفيتي، وبينهما علاقة وثيقة سنعرفك بها عما قليل، والبعثات لم تكن سوى وسيلة لتحقيق غاية حملة نابليون العسكرية واستكمال ما بدأته، وأول الآتين من الخلف في ذلك كله ليس سوى الآمر بالتنفيذ والقائم عليه.

أرأيت إلى التاريخ المزور والمؤرخين الأميين، الذين يُنشدون لك القصائد في أول الآتين من الخلف، وكيف أن بعثاته كان هدفها استقلال مصر عن فرنسا وأوروبا، بينما الماسون في فرنسا وبقايا حملة نابليون هم أصحابها ومن دسوها في ذهن أول الآتين من الخلف، لتكون وسيلة لاحتلال عقل مصر ونفسها بالأفكار التي يغرسونها في أذهان تلاميذها والتربية التي يربونها لهم، ولتحقيق الغاية التي بدأتها حملتهم العسكرية باحتلال أرضها.

---

١) **لمحة عامة إلى مصر، ص٦٠٥-٦٠٦.**

فالماسوني آدم فرانسوا جومار Edme François Jomard كان مصاحباً للحملة الفرنسية، وعضواً في المعهد العلمي الذي أنشأه نابليون في مصر، وجميع أعضائه كانوا من الماسون، وكان جومار يعمل مع المستكشف وعالم الآثار الماسوني وأحد مؤسسي محفل إيزيس فيفان دينو، ورسم جومار خرائط تفصيلية للقاهرة والإسكندرية والدلتا وبعض مناطق الوجه القبلي، وبعد عودته إلى فرنسا عهد إليه نابليون، قنصل فرنسا ثم الإمبراطور، بالإشراف على تحرير كتاب وصف مصر Description De L'Égypte، والذي اكتمل سنة ١٨٢٩م، وفي سنة ١٨٢١م اشترك في تأسيس الجمعية الجغرافية الفرنسية Société De Géographie، وصار خبير المصريات بها.

والصلة التي بين جومار ودروفيتي، اللذين اشتركا في ضخ فكرة ابتعاث ناشئة من مصر لتربيتهم وتعليمهم في فرنسا في ذهن أول الآتين من الخلف، لها وجهان، أحدهما ظاهر، والآخر خفي، وهذا الوجه الخفي هو حقيقة الوجه الظاهر وتفسيره.

أما الوجه الظاهر، فقد اشتركا في الولع بمصر القديمة واستكشاف آثارها، منذ كانا في حملة الماسون على مصر، فدروفيتي كان قائداً عسكرياً، وجومار كان عضواً في المجمع العلمي كجغرافي ورسام خرائط، ولكن كل منهما جمع مع وظيفته الأصلية في الحملة استكشاف آثار مصر القديمة والعمل على إحياء تراثها.

فجومار قاد بنفسه حملات استكشافية لآثار مصرية القديمة في وادي الملوك ومعابد طيبة/الأقصر وإدفو وأبيدوس والنوبة، لجمع عقائدها وأفكارها وطقوسها ورموزها وأزيائها وأدواتها في البناء والموازين، وقام بفحص الهرم الأكبر وعمل قياسات لتحديد اتجاهاته وأبعاده والكشف عما في داخل غرفه.

ودروفيتي هو الآخر، إبان الحملة الفرنسية، وبعد أن رحلت وصار هو القنصل العام لفرنسا في مصر ومستشار أول الآتين من الخلف إلى سنة ١٨٢٩م، كان يرسل حملات استكشاف للآثار المصرية، خصوصاً في الأقصر، والعودة بها، ثم إرسالها إلى أوروبا، وقد تمكن خلال

وجوده في مصر من تكوين ثلاث مجموعات كبيرة من هذه الآثار، وهي مسجلة إلى الآن باسمه في متاحف فرنسا وإيطاليا.

وأما الوجه الخفي الذي يشترك فيه جومار ودروفيتي، فهو أنهما كانا من الماسون، وفي الطقس المصري تحديداً، وهذا هو سبب ولعهما الشديد بمصر القديمة وتنقيبهما عن آثارها وعملهما على بعث عقائدها وطقوسها ورموزها وبثها في أوروبا، والطقس المصري يزيد على الطقوس الأخرى من الماسونية أن تصميم محافله يكون على هيئة المعابد المصرية القديمة، وأنه يستخدم رموزاً وكلمات مصرية قديمة في طقوسه، والتكريس فيه وانعقاد الجلسات الرسمية يكون بالملابس المصرية القديمة.

وفي دراسة الماسوني في الطقس المصري وأستاذ التاريخ والديانات في جامعة صوفيا أنتيبوليس في فرنسا، جيرار جالتييه، عن: جمعية دروفيتي المصرية السرية، والتي أخبرناك عنها من قبل، أن هذه الجمعية السرية التي أسسها دروفيتي كان اسمها: الجمعية المصرية La Société Egyptienne، وتتبع الشرق الأعظم الفرنسي، والمحفل الرئيسي للجمعية ومقرها كان في الإسكندرية، واسمه: محفل أصدقاء الكونكورد Les Amis De La Concorde، وأقامه دروفيتي سنة ١٨١١م، ومحفلها الثاني أنشأه سنة ١٨١٢م في القاهرة، واسمه: محفل فرسان الأهرام Les Chevaliers Des Pyramides (•).

وأقام دروفيتي للجمعية فروعاً ومحافل متعددة في مدن فرنسا ودول البحر المتوسط، باريس ومرسيليا وليفورنو وجنوة ومالطا وكورفو، وكان الهدف الرئيسي للجمعية ومحافلها أن تكون

(•) في كتابه: تاريخ الماسونية العام، وهو المصدر العربي الوحيد لتاريخ الماسونية في مصر في هذه الفترة، يقول الماسوني جورجي زيدان إن محفلاً اسمه: الأهرام أنشئ في الإسكندرية وليس في القاهرة، وكان يحظى برعاية الحكومة، وله الفضل في نشر الماسونية في مصر، وكان ذلك سنة ١٨٤٥م، وبين هذا التاريخ وتاريخ تأسيس محفل فرسان الأهرام الذي أورده البروفسور الماسوني جيرار جالتييه أكثر من ثلاثين سنة، وتاريخ جالتييه هو الأدق، لأنه ينقل عن تقرير للمخابرات النمساوية صادر سنة ١٨١٨م، وجورجي زيدان لا يذكر مصادره، وأيضاً لأن دروفيتي مؤسس الجمعية التي يتبعها المحفل ترك مصر سنة ١٨٢٩م، وسوف نأتيك بتفاصيل الروايتين والخلاف بينهما، وكذلك رواية مؤرخ الماسونية الرسمي فريك جولد، عندما نصل بك إلى الماسونية في عهد أول الآتين من الخلف وصلته بها.

عوناً لأول الآتين من الخلف في سياساته الخارجية، وهي السياسات التي كان مصدرها وملهمه فيها دروفيتي، الذي هو نفسه مؤسس الجمعية وأستاذها الأعظم وحامل لقب: القبطي الأعظم Grand Cophte!

وآدم فرانسوا جومار كان أستاذاً في الشرق الأعظم الفرنسي، وعضواً في محفل جمعية دروفيتي المصرية في باريس.

وولع دروفيتي وجومار، وكل من تلاهم من ماسون فرنسا، بمصر القديمة وعقائدها وطقوسها، سببه اعتقاد الماسون عموماً، وماسون الطقس المصري خصوصاً، أن مصر القديمة هي مهد الماسونية المهنية والتأملية معاً، وفيها وُلدت أسرار هذه ورموز تلك، فالهندسة وفنون البناء المصرية وأنظمة البنائين هي أصل الماسونية المهنية، والهرم الأكبر هو البناء الماسوني الأسمى والكامل، وكذلك عقائد مصر القديمة وطقوسها هي مصدر أفكار الماسونية الرمزية ورموزها، وبنو إسرائيل عند الماسون هم الوسيط الذي أخرج أسرار مصر إلى بقية العالم، وهم الذين نقلوها إلى الغرب، وكونوا بها الصفوة من البشر في كل الحضارات وفي جميع العصور.

يقول الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي، دكتور ألبرت ماك كي، في موسوعته الماسونية:

"تُعَد مصر في الماسونية موطن الأسرار ومحل ميلادها The Birthplace Of The Mysteries، إذ فيها تأسست طقوس التكريس، وفيها أُخفيت الحقيقة لأول مرة في شفرات Veiled In Allegory، ونُقلت عقائد الديانة في أشكال رمزية Symbolic Forms، وهذه الرموز هي التي انتقلت عبر مراحل وسيطة إلى الجمعيات السرية، والتي تمثلها الآن الماسونية ... ولذا يتطلع الماسون دائماً إلى مصر باهتمام خاص Peculiar Interest، ويعتبرونها مهد علم الرموز وطريقة تعليمها الفريدة، والتي ورثها الماسون عنها، وينفردون من بين جميع المؤسسات الحديثة بالاحتفاظ بها والحفاظ عليها إلى زماننا الحاضر ... والكهنة كانوا طبقة مقدسة Scred Caste، وكان لهم نوعان من العقائد والأفكار، الأول ظاهري Exoteric، يخاطبون به عموم الناس، والثاني: باطني أو سري Esoteric Or

Secret، ولا يطلعون عليه سوى صفوة مختارة، ويمر الوصول إليها بسبع درجات، هي: ... وهذه الطبقة المقدسة هي وحدها التي تحوز الأسرار العليا ورموزها، وتُطلع الداخلين في كل درجة على أسرار الدرجة وطقوسها ورموزها، فكانوا بلغة الماسونية أساتذة المحافل Masters Of The Lodges، والمقر الرئيسي لهذه الطبقة وتلقي الأسرار كان في ممفيس بجوار الهرم الأكبر، وقد ترقى موسى في هذه المحافل، وتضلع من هذه التعاليم والأسرار ورموزها"(١).

وهكذا، كما يقول دكتور جيمس أندرسون في دستور الماسون، الذي وضعه سنة ١٧٢٣م:

"عندما ترك الإسرائيليون مصر، كانوا مملكة كاملة من الماسون A Whole Kingdom Of Masons، تحت قيادة الأستاذ الأعظم موسى، الذي قادهم في البرية وأقام بهم محفلاً عاماً General Lodge، وأطلعهم على التعاليم والأسرار"(٢).

فلعلك تكون قد أدركت الآن أن تنقيب دروفيتي وجومار، وكل من تلاهم من المستكشفين الماسون، عن آثار مصر القديمة وتراثها وسعيهم لبعثه، ليس لمجرد الاستكشاف والولع المحض بالآثار، ولا الغرام البرئ بمصر القديمة، كما يفهم بقر بلاليص ستان، بل من أجل التنقيب عن أصول الماسونية في مهدها ووصلها بأمها، واستكشاف الجذور الأولى للقبالاه والتربة التي نبتت فيها، ولكي يكون ذلك وسيلة ترويج للثقافة الماسونية في أوروبا، وإشاعة رموزها وفهمها للوجود والأنماط التي تريدها للحياة في صورتها المصرية القديمة، وإحلالها محل العقيدة الإلهية والديانات الكتابية.

وفي مواضع عدة من موسوعته الماسونية، أحال مؤرخ الماسونية الرسمي ألبرت ماك كي، إلى جومار كمصدر في تفسير الأصول المصرية القديمة لطقوس الماسونية ورموزها، منها عند

---

1) Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, Vol. I, P232-234.
2) James Anderson: The Constitutions Of The Freemasons, Containing The History, Charges, Regulations, & C. Of That most Ancient And Right Worshipful Fraternity, P8, Printed by William Hunter, For John Senex, At The Globe And John Hooke At The Flower De Luce Over, Against St., Dunstan' Church, In Fleet Street, London, In The Year of Masonry 5723, Anno Domini 1723.

بيانه الأصل المصري القديم والمعنى الماسوني لأسطورة أوزيريس، وللنجمة الخماسية، وللهرم الأكبر وتصميمه، وللمثلث القبالي الذي يمثل الذات الإلهية(١).

والآن نعود بك إلى جومار، وقد جئناك بهذه التفاصيل عن صلته بالماسونية، وموقع مصر القديمة منها ومن تكوين أبنائها، لكي يُمكنك استيعاب الغاية الحقيقية من ضخه هو ودروفيتي فكرة البعثات العلمية في رأس أول الآتين من الخلف.

وجومار ليس فقط صاحب فكرة ابتعاث الناشئة من مصر لتعليمهم وتربيتهم في فرنسا، وتكوين طليعة منهم ، وجعلها أداة تغيير هوية مصر والعودة بها إلى ما وراء الإسلام والديانات الكتابية كلها، ووصلها بمصر القديمة مهد الماسونية، وإعادتها إلى الوثنية، بل هو أيضاً الشخصية الرئيسية في هذه البعثات، والأساس الذي أقيمت عليه، والمحور الذي تدور حوله، فقد كان هو الذي يتلقى المبعوثين ويتسلمهم، ثم يقوم بتوزيعهم على المدارس الداخلية في فرنسا، ويختار لكل مبعوث المدرسة التي يراها مناسبة له، ويتولى الإشراف عليهم جميعاً ومتابعتهم في هذه المدارس، وكان يعقد لهم امتحاناً عاماً موحداً ومنفصلاً عن امتحانات التلاميذ الفرنسيين، ويكتب تقريراً سنوياً عن مستواهم وملاحظاته على كل منهم، ويقيم احتفالاً في باريس يدعو إليه صفوة المجتمع الفرنسي، ويوزع فيه الجوائز على المتفوقين من المبعوثين.

وفي سنة ١٨٣٦م، أمر أول الآتين من الخلف بإنشاء مدرسة حربية مصرية بباريس، لكي يرسل إليها بعثة لتعلم الفنون الحربية، فأُنشئت تحت رئاسة وزير الحربية الفرنسية دوق دي دالماتي De Dalmathie، وهو في الوقت نفسه رئيس الحكومة، وهو الذي عين ناظر المدرسة، الكولونيل بوانسو Poincot، واختار المدرسين فيها من ضباط الجيش الفرنسي، وناظرها الكولونيل بوانسو هو الذي وضع نظامها ولائحتها الداخلية، وكان ذلك بالاشتراك مع جومار والأرمني إسطفان بك رئيس البعثة إلى المدرسة.

1) **Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, Vol. I, P267, 271.**

وموقع جومار من البعثات ودوره فيها، تعرفه من هذه الرسالة التي أرسلها إليه أول الآتين من الخلف، والمؤرخة بيوم ١٠ يناير سنة ١٩٣٥م، والتي نشر نصها كاملاً الأمير عمر طوسون:

"جناب المحترم السيد جومار، العضو بمعهد فرنسا، شكراً لك يا صديق مصر العامل بجد وإخلاص لنفعها، حتى كأنك نبراس رغباتي في تمدين البلاد ... وتلك الجهود العظيمة التي تعانيها في مراقبتك التلاميذ الذين أرسلتهم إلى وطنك منذ سنين عديدة، وقيامك حق القيام بتهذيبهم ... ومن جهة أخرى كن متأكداً من العزيمة الصادقة التي اعتزمتها، ألا وهي معاضدة الرغبات التي يبديها لي أمثالك الملتهبون غيرة على الإنسانية، تلك الرغبات التي تبدونها في سبيل الإصلاح ... محمدعلي باشا"[١].

أما عن الغاية من إرسال الناشئة من مصر لتربيتهم وتعليمهم في فرنسا، فيخبرك المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي أن أول الآتين من الخلف:

"أراد أن تجد مصر من خريجي هذه البعثات كفايتها من المعلمين في مدارسها العالية، والقواد والضباط لجيشها وبحريتها، ومهندسيها والقائمين على شؤون العمران فيها وإدارة حكومتها، لكي لا تكون مع الزمن عالة على أوروبا من هذه الناحية"[٢].

وبعد أن تتجاوز الفكاهة التي في كلام الرافعي عن الاستقلال عن فرنسا، فالغاية التي تبدو في ظاهرها حقيقية من هذه البعثات هي إرادة أول الآتين من الخلف إنشاء جيش خاص به، وتكوين ضباط وتأهيلهم لقيادته، وكذلك تكوين طبقة من رجال الإدارة لحكومته، ومن المهندسين والفنيين، ليكونوا في خدمة جيشه ويمدونه باحتياجاته، ولإنفاذ مشروعاته، وهي في الحقيقة ليست مشروعاته كما ستعلم.

والسؤال الذي لم يرد على خلد الرافعي وغيره من الأميين، هو: إذا كانت هذه غايات أول الآتين من الخلف من هذه البعثات، وقد نُسبت إليه لأنه الآمر بتنفيذها والذي ينفق عليها، فما

---

١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص٨-٩.

٢) عصر محمد علي: ص٤٠٧.

هي غاية دروفيتي وجومار وأمثالهما من الماسون الذين قدحوا فكرة هذه البعثات في ذهنه وساعدوه في إنفاذها، وإذا كان هدفه تكوين جيش وإمداده بما يحتاجه من الضباط والمهندسين، فما هي غاية فرنسا الماسونية من معاونته في تكوين هذا الجيش، حتى تنشئ مدرسة لتخريج ضباطه في عاصمتها وتضعها تحت إشراف وزير حربيتها ورئيس وزرائها وتمدها بالمدرسين والمدربين من ضباط جيشها؟!

والغاية الحقيقية من ضخ دروفيتي وجومار في ذهن أول الآتين من الخلف فكرة إرسال ناشئة من مصر وهم صفحة بيضاء، لملئهم في فرنسا، بتربيتهم وتعليمهم في مدارسها، هي تغيير تكوين المبعوثين وإعادة بناء أذهانهم ونفوسهم، وجعل دراسة العلوم والآداب مدخلاً لتبديل أفكارهم وعقائدهم، وفهمم للوجود والحياة والتاريخ، وتسريب ما يريدون تنشئتهم وتعويدهم عليه من قيم وأخلاق وسلوك ممزوجاً في المناهج، وعبر الوسط الذي يضعونهم فيه، ونمط الحياة التي صاروا يعيشونها، وربط ذلك كله في أذهانهم بالتقدم العلمي والصناعي.

المقصود الحقيقي من هذه البعثات ليس تعليم الناشئة العلوم والصناعات ولا التمدن والعمران، بل غرس الأفكار والقيم ونمط الحياة الذي يربونهم عليه ويربطونه في أذهانهم بهذه العلوم وهذا التمدن، ليكونوا قنوات بث هذه الأفكار والقيم وهذا النمط من الحياة حين يعودون إلى مصر، ومن ثَم يصيرون أدوات لزعزعة عقائدها والإطاحة بموازينها، ولاستكمال السير بها في المسار الذي انحرف به إليها أول الآتين من الخلف وأول من يصل إلى السلطة في مصر من خريجي حواري اليهود.

وهي الغاية التي تعرفها لا من اللافتات التي رُفعت على البعثات، ولا من الوثائق الرسمية التي يتعقبها المؤرخون الأميون، والتي يعرف من يضعونها ذلك، فيَحشونها بما يموه ما يريدونه، ويطمس الحقائق، ويصرف الأميين، وجُل البشر منهم، عنها، بل تعرفها مما حدث في هذه البعثات، ومن تكوين من أنتجتهم، والهوية التي صنعتها لهم، والأفكار التي ضختها في أذهانهم ونفوسهم، والقيم والأخلاق التي ربتهم عليها، وموقع الوحي ومعاييره وموازينه من هذا التكوين والبناء والتربية.

الغاية الحقيقية لمن قدحوا شرارة البعثات في رأس أول الآتين من الخلف، تعرفها من التقرير الذي كتبه المسيو جومار عن نتائج امتحان البعثة الكبرى التي أُرسلت سنة ١٨٢٦م، ونشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٨٢٨م، وأورد فيه نص الخطبة التي ألقاها عند توزيعه الجوائز على الناجحين في الاحتفال الذي أقامه في باريس يوم ٤ يوليو سنة ١٨٢٨م، ودعا إليه صفوة المجتمع الفرنسي من قادة الجيش والقضاة والعلماء والنبلاء، وحضره الأدميرال سيدني سميث Sidny Smith، أحد قادة الأسطول الإنجليزي، وهو ماسوني، والرجل الذي كان ظهور أول الآتين من الخلف لأول مرة في التاريخ على يديه، كما ستعلم، وكان الذي قام بتوزيع الجوائز الجنرال بليار Beliard، أحد قادة حملة الماسوني نابليون على مصر.

بعد أن عرض جومار في تقريره عدد المبعوثين، وكيف تم توزيعهم على المدارس، والمواد التي درسوها، وكيف تم عقد الامتحان لهم، وبعد أن ذكر النابهين في كل مادة، ونالوا جائزة التفوق فيها، قال إن أهم مادة درسوها جميعاً هي اللغة الفرنسية، وأنه:

"من المدهش الذي لا يكاد يصدق أن عرباً أتوا باريس منذ عشرين شهراً تمكنوا من أن يُعبروا عن أفكارهم بشعر فرنسي لا عيب فيه، وألفوا مقطوعات منه يُشرِّف الفرنسيين إتيانهم بها ... ويظهر من فحوى كتابتهم أنهم قبل أن يكتبوا يفكرون بعقل فرنسي لا بعقل عربي، فمن المنتظر أن الخرافات الشرقية ستنمحي من عقولهم"[(١)].

وما قاله جومار في تقريره، هو الغاية الحقيقية من ضخه هو ودروفيتي فكرة إرسال أبناء مصر لتربيتهم في فرنسا، ألا وهي تحويلهم في ثنايا تعليمهم إلى عقول ونفوس فرنسية مموهة في أسمائهم العربية، يفهمون الوجود ويرون الحياة ويعيشونها بعيون فرنسية، ثم يتولون في غلاف أسمائهم العربية فرنسة أهل مصر، ومحو عقائد الشرق وقيمه وأخلاقه وأنسجته الاجتماعية من أذهانهم ونفوسهم، وإحلال بدائلها الماسونية محلها.

فتنبه إلى أن هذا الماسوني الدجال يتحدث عن تغيير عقائد الشرق من خلال المبعوثين، وليس عن تعليمهم العلوم والصناعات وفنون العمران، ثم تنبه أنه يصف عقائد الشرق بأنها

١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص١٨-١٩.

خرافات، وهو يعني بذلك الإسلام خصوصاً، والديانات الكتابية عموماً، في الوقت الذي كانت إحدى غاياته من البعثات، إحياء عقائد مصر القديمة وتراثها الوثني ووصل مصر الحديثة بها!

وهي الغاية التي تجدها نصاً في قول جومار، في الاحتفال الذي أقامه لتوزيع الجوائز، مخاطباً المبعوثين:

"فاقتبسوا من فرنسا نور العقل الذي رفع أوروبا على سائر أجزاء الدنيا، وبذلك تَردون إلى وطنكم منافع الشرائع والفنون التي ازدان بها عدة قرون في الأزمان الماضية، فمصر التي تنوبون عنها ستسترد بكم خواصها الأصلية، وفرنسا التي تعلمكم وتهذبكم تفي ما عليها من الدَيْن للشرق على الغرب كله"(١).

فإذا راجعت ما أتيناك به من سيرة جومار الماسوني وموقع مصر القديمة من نفسه ومن الماسونية، فلن تحتاج أن ننبهك إلى أن مصر التي يتكلم عنها جومار، ويريد من المبعوثين أن تسترد بهم خواصها الأصلية، هي مصر القديمة، وأن هذه الخواص والدَيْن الذي لمصر القديمة على فرنسا وترده إلى مصر الحديثة عبر المبعوثين ليس سوى الماسونية!

وأما ما ننبهك إليه، فهو أن استرداد مصر الحديثة لخواصها الماسونية، ووصلها بمصر القديمة الوثنية، يعني تلقائياً إزاحة الإسلام منها، وفصلها عن الخلافة العثمانية، وفصم ما بينها وبين محيطها العربي الإسلامي، وتحويلها إلى أداة لتفكيك الشرق كله، ليصير قِطعاً لا شأن لأي منها بالأخرى، وتفكيك الشرق وعزل مصر عن محيطها العربي الإسلامي، كما أخبرناك من قبل، هما معاً الجزء التأسيسي وغير المرئي في المشروع اليهودي، الذي ما كان له أن يظهر ويخرج من الأذهان والنفوس إلى الأرض والخرائط إلا بعد إنجازهما.

وفي تقريره ذكر جومار أن جزءًا من الامتحان، كان أن طُلب من المبعوثين أن يكتب كل منهم قطعة من الإنشاء بالفرنسية إلى صديق له في مصر، يخبره فيها ما الذي أعجبه في فرنسا، فإليك قطعة الإنشاء التي فازت بالجائزة الأولى، والتي كتبها التلميذ محمد مظهر:

---

١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص٢٣-٢٤.

"عزيزي، تذكرني في كتابك الأخير بوعدي عند سفري من مصر أن أصف لك ما أراه من المعجبات في فرنسا، وها أنذا أفي لك بهذا الوعد ... وقد استولت عليَّ الدهشة عندما وقع بصري على السيدات الفرنسيات وقد سفرن بحرية بأزيائهن الجميلة في الشوارع والميادين والمتنزهات ... وعندما وصلت إلى باريس ساروا بي إلى بساتين تسر الناظرين تختلف إليها الجماهير للنزهة، ثم أدخلوني إلى قاعات عظيمة الاتساع رأيت فيها الصور الجميلة لأمهر المصورين الفرنسيين، وإني كثيراً ما أذهب إلى المسارح التي لا يمكنك ان تفهم ما هي إلا إذا شاهدتها عياناً"[١].

والذي أعجب التلميذ محمد مظهر في فرنسا، كما ترى، ليس الرياضيات والعلوم، بل نمط الحياة وما فيه من المعجبات وسفور النساء والمسارح، وهي، وليست فقط المدارس، وسيلة تفريغ أذهان المبعوثين ونفوسهم مما جاءوا به من الشرق من عقائد وقيم وأخلاق ومعايير وموازين في الحكم على الأشياء، وهي، وليس مناهج التعليم وحدها، أدوات إعادة تكوينهم وملئهم بموازين بديلة يقبلون بها ويرفضون، وبمشاعر أخرى يحبون بها تلقائياً ويكرهون.

فهؤلاء الذين أُرسلوا صفحة خالية من الإسلام، ووُضعت أذهانهم ونفوسهم بين أيدي الماسون ليملأوها، هم الذين عادوا وقد نُزعت من نفوسهم مسألة الألوهية والخلق، وحل محلها التطور، ويرون الإسلام رجعية والتقدم في إزاحته، ويصفون الشعائر والشرائع بأنها خرافات، وفي الوقت نفسه يمجدون الوثنيات، ويكرهون الحجاب ويحبون السفور، ويُجرمون تعدد الزوجات ولا غضاضة عندهم في تعدد العشيقات، ويرفعون راية استقلال مصر عن الدولة العثمانية ومحيطها الإسلامي وهذا الاستقلال ليس سوى غلاف يجعلونها به تابعة للغرب.

والتلميذ محمد مظهر، الذي رباه الماسون في فرنسا، ولم يعجبه فيها سوى النساء السافرات والمسارح، كان قد أُرسل في بعثة سنة ١٨٢٦م، لدراسة الهندسة والرياضيات، ودرسها في مدرسة بوربون الملكية، وحين عاد اشترك في بناء منارة الإسكندرية والقناطر الخيرية، وصار ناظر الأشغال العمومية سنة ١٨٦٧م، في عهد الخديو إسماعيل، ويوجد شارع شهير باسمه في حي الزمالك في قلب القاهرة.

---

١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص١٩-٢٠.

رفاعة الطهطاوي:

والآن إليك نموذجاً على الغايات التي أرادها الماسون من ابتعاث الصِبية والمراهقين من مصر لتعبئتهم في فرنسا، في أشهر الأعلام التي تكونت في هذه البعثات، والذي أسهم في تقدم المسار اليهودي الماسوني، وكان صاحب أكبر بصمة فيه من بين جميع المبعوثين، ألا وهو رفاعة الطهطاوي.

يقول المسيو جومار في تقريره عن البعثة التي كان فيها رفاعة الطهطاوي:

"**وممن امتازوا من بين هؤلاء الشبان الشيخ رفاعة، الذي أرسل ليحرز فن الترجمة، وأُعد لهذه الوظيفة في بلاده، حتى إذا رجع إليها أطلع بترجماته الجمهور المصري على تآليفنا العلمية، وأدنى منه ثمرات آدابنا وعلومنا، والشيخ رفاعة هذا رجل متعلم، فلابد أن ينجح في ترجمة الكتب التاريخية وسائر التآليف الأخرى**"(١).

ورفاعة الطهطاوي مكث في فرنسا ست سنوات، من سنة ١٨٢٦م إلى سنة ١٨٣١م، وتقرير جومار الذي كتب فيه هذا الكلام عنه، كان في سنة ١٨٢٨م، فتفهم منه أنهم استكشفوا ما فيه من طاقات ومواهب، فعملوا على تفجيرها، وحددوا له دوره الذي سيوظفونه فيه، وهو ما زال بعدُ تلميذاً في مراحله الأولى من البعثة، واستكشاف الطاقات والمواهب في النابه وتفجيرها ثم توظيفها فيما يريدونه، وهو يتوهم أنه الذي يريده، إحدى إبداعات الماسون وملكاتهم في كل البلدان والأزمان.

والماسوني جومار هو أحد رجلين أسهما في استكشاف رفاعة الطهطاوي وتفجير طاقاته وتوجيهها، والثاني هو المستشرق سلفستر دي ساسي، كما يخبرك علي باشا مبارك، وقد كان هو نفسه من تلاميذ البعثات العلمية:

---

١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، ص٢١-٢٢.

"وما لبث رفاعة في هذه البلاد حتى عرفه أعاظم العلماء وأكابرهم، وكان للعالم المشهور مسيو جومار عليه فضل التعهد بالارشاد والتعليم، والمحبة الخصوصية، وقد ساعده مساعدات جمة في هذه البلاد، وكذلك حاله مع العالم الشهير البارون دي ساسي"[١].

وفي كتابه: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، كتب رفاعة الطهطاوي نفسه ما كان من رعاية جومار ودي ساسي وتوجيههم له، وأورد نصوص بعض الرسائل التي أرسلوها له، وكان دي ساسي هو أستاذه المباشر في فنون الترجمة، وكان كما وصفه:

" أعلم الإفرنج باللغة العربية، فإنه هو الذي يعرف يقرأ القرآن"[٢].

والمستشرق سلفستر دي ساسيSylvestre De Sacy، أستاذ رفاعة الطهطاوي ومرشده، ماسوني هو الآخر، فهاك موجز سيرته في الماسونية من دراسة عنه، لتييري زاركوني Thierry Zarcone، وهو أستاذ التاريخ في معهد الدراسات الاجتماعية المتقدمة École Des Hautes Etudes En Sciences Sociales، في جامعة السوربون، وباحث متخصص في تاريخ الماسونية والصوفية، ودراسته عن سلفستر دي ساسي حلقة في سلسلة دراساته التي عنوانها: الاستشراق في الماسونية Orientalism In Freemasonry، وقد نشرها بالإنجليزية في المجلد الثاني لسنة ٢٠١٤م، من مجلة: الطقوس والسرية والمجتمع المدني Ritual, Secrecy, And Civil Society، وهي مجلة ضخمة نصف سنوية يصدرها متحف الماسونية التابع للشرق الأعظم الفرنسي Musée De La Franc Maçonnerie، ويرأس هيئة تحريرها بيير مولييه Pierre Mollier مدير المتحف.

يقول زاركوني في بداية دراسته إن دي ساسي هو أبرز أعلام الاستشراق في فرنسا وربما في أوروبا كلها، وأستاذ كل من تلاه من المستشرقين في الدراسات الخاصة بالديانة والثقافة الإسلامية، وبالإضافة إلى الفرنسية والإنجليزية كان يجيد عدة لغات شرقية، منها العربية

---

١) ناظر المعارف علي باشا مبارك: الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة (الخطط التوفيقية)، جـ١٣، ص٥٤، الطبعة الأولى، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحمية، القاهرة، ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م.

٢) رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريس، في: دكتور محمد عمارة، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢، ص٧٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

والعبرية والسريانية، وقبل الثورة في فرنسا كان مستشاراً مفوضاً للملك لويس السادس عشر، وبعد الثورة أصبح أستاذاً في معهد اللغات الشرقية Ecole Des Langues Orientales Vivantes، الذي أنشاته حكومة الثورة سنة ١٧٩٥م، وظل أستاذاً به أربعين سنة، حتى وفاته سنة ١٨٣٨م، وإبان ذلك تم تعيينه أستاذاً للغة الفارسية في الكوليج دي فرانس College De France سنة ١٨٠٦م، ومنحه الإمبراطور نابليون لقب بارون سنة ١٨١٤م، وفي سنة ١٨٢٢م اشترك في تأسيس الجمعية الآسيوية Sociate Asiatique، وكان أول رئيس لها، وفي سنة ١٨٣٣م صار أمين قسم المخطوطات الشرقية في المكتبة الملكية Bbliotheque Royale، ثم رئيس أكاديمية النقوش والآداب القديمة Academie Des Inscriptions Et Belles Lettres.

ويقول زاركوني إن ثمة وجهاً آخر لسلفستر دي ساسي، وهو أنه كان ماسونياً لخمسين سنة، منذ أن كان في الثلاثين من عمره، وحتى وفاته وهو في الثمانين، سنة ١٨٣٨م، وتفاصيل علاقته بالماسونية موثقة في مضابطها ومحاضرها، وزاركوني ينقل عن هذه الوثائق الأصلية مباشرة، مع بيان تفاصيل كل وثيقة في هوامش دراسته الطويلة.

وحسب أرشيف المحفل الاسكتلندي الأم في فرنسا Mere Loge Ecossaise De France، فإن:

"تكريس سلفستر دي ساسي، كان في محفل العقد الاجتماعي في باريس Loge Contrat Social، سنة ١٧٨٨م، وقد تأسس المحفل سنة ١٨٧٦م، وأُغلق في عهد الإرهاب والرعب سنة ١٧٩٢م"[١].

وفي سنة ١٨٠٠م، وبعد أن عادت المحافل الماسونية في عهد نابليون قنصلاً لفرنسا، تكون المحفل الاسكتلندي الأم، وورث محفل العقد الاجتماعي، ونص في لائحته التأسيسية على أن جميع من كانوا أعضاء في محفل العقد الاجتماعي لهم الحق في عضويته تلقائياً ودون شروط ولا تكريس، ويقول زاركوني إن سلفستر دي ساسي يظهر في محاضر اجتماعات

1) Thierry Zarcone: Orientalism In Freemasonry, Ritual, Secrecy, And Civil Society, vol.2, Number 2, Winter 2014, p97.

المحفل الاسكتلندي منذ سنة ١٨٠٩م، ولسنوات عديدة بعدها، واسمه ودرجته ولقبه في المحاضر: سلفستر دي ساسي، الفارس، عضو المعهد Sylvestre De Sacy, Le Chevalier, Membre De L'Institut.

ويقول زاركوني إن المحفل الاسكتلندي الأم في باريس، وهو تابع للشرق الأعظم الفرنسي، كان يضم مجموعة كبيرة من صفوة المجتمع الفرنسي، في السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة، وفي إحدى الاجتماعات ألقى الأستاذ الأعظم للمحفل أنطوان توري Antoine Thory خطبة في هؤلاء الصفوة، قال فيها:

"لقد اتبعتم النور ومنحتموه Affiliated Or Given Light لعدد هائل من الفنانين والباحثين ورجال الإدارة والتجار النابهين والأطباء الماهرين والقضاة المستنيرين، وأنتم جميعاً بحضوركم إلى هنا وجلبكم ما تملكونه من معارف عصركم، قد أضفتم إلى الأنوار التي تسطع في كل مكان من هذا المحفل"[١].

والمحفل الاسكتلندي الأم به مكتبة هائلة، في جميع أنواع المعارف، وكان من تقاليد المحفل أن يضع كل عضو من أعضائه أصول أعماله أو نسخة منها في مكتبته، ويقول زاركوني إنه توجد في مكتبة المحفل النسخة الخطية من كتاب سلفستر دي ساسي: مذكرات عن تاريخ فارس القديم Mémoires Sur Les Antiquités De Perse.

ويقول زاركوني إن ثلاثة من تلاميذ دي ساسي في معهد اللغات الشرقية صاروا من الماسون وانضموا معه إلى المحفل الاسكتلندي الأم، وقد صاروا بعد ذلك من أعلام حركة الاستشراق في فرنسا، وهم: هنري نيكولاس بليتيت Henry Nicolas Belletête، ولويس ريمي ريج Louis Rémy Raige، وبيير أميدي جوبير Pierre Amédée Jaubert، والثلاثة كانوا أعضاء في اللجنة العلمية المصاحبة لحملة الماسون في فرنسا على مصر، وأعضاء في المجمع العلمي الذي أنشأه نابليون بها، واشتركوا في وضع موسوعة: وصف مصر!

---

1) Orientalism In Freemasonry, Ritual, Secrecy, And Civil Society, vol.2, Number 2, Winter 2014, p96..

وقد أثمرت نفثات الماسون، جومار ودي ساسي، في الطهطاوي، وظهرت بصماتهما عليه، وكان عند حسن ظنهما، وفعل ما توسمه جومار في تقريره عنه وهو ما زال تلميذاً.

فالطهطاوي كما أخبرناك صاحب بصمة عميقة في صناعة بلاليص ستان ومسارها اليهودي الماسوني، وأسهم في التقدم به خطوة كبرى، إذ كان هو الذي أحدث أول خرق في الشريعة، ووضع في يد الدولة الماسونية التي أسسها أول الآتين من الخلف أداة إزاحتها، بترجمته لمجموعة القوانين المدنية الفرنسية أو قانون نابليون، بناءًا على أمر من الخديو إسماعيل، الذي طبع هذه القوانين سنة ١٨٦٦م، وأمر بالعمل بها، والخديو إسماعيل نفسه من أبناء البعثات إلى فرنسا.

فإليك الطهطاوي نفسه يخبرك في مقدمته لترجمة قوانين نابليون، أنه ترجمها بأمر الخديو لتأخذ منها مصر ما يناسبها، مثلما فعلت غيرها من الأمم الأمية:

"هذا تعريب مجموعة القوانين الفرنساوية التي سمح الدهر بجمعها وتدوينها بهمة فخر ملوك أوروبا نابليون الأول إمبراطور فرنسا، لإجراء العمل عليها في المملكة الفرنساوية، فاشتهرت في ممالك أوروبا بين الدول والملل، واقتبسوا منها من الأحكام والقوانين ما جرى عليه دستور العمل، فأخذت كل مملكة منها ما يناسب سياستها، ويلائم علاقاتها مع أهالي أوروبا بقدر احتياجها وممارستها، فبهذا صدر الأمر العالي الخديوي بتعريبها"[١].

فارجع إلى ما أخبرناك به عن قوانين نابليون، في باب: نابليون وحملة الماسون، لتراجع أن اللجنة التي شكلها الإمبراطور الماسوني نابليون لوضع هذه القوانين وصياغتها، عهِد بتكوينها ووضع على رأسها مستشاره ويده اليمنى جان جاك دي كامباسِرس، الذي هو رأس الماسون في فرنسا والأستاذ الأعظم للشرق الأعظم الفرنسي، وستدرك لماذا كان الطهطاوي صاحب بصمة كبرى في مسار بلاليص ستان اليهودي الماسوني.

---

١) رفاعة الطهطاوي: مقدمة تعريب القانون الفرنساوي، في: دكتور محمد عمارة، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٥، ص٥٠٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

فما فعله الطهطاوي هو أنه ترجم القوانين التي وضعها الماسون في فرنسا، بأمر من إمبراطورها نابليون الماسوني، لكي يزيح بها الخديو إسماعيل الماسوني الشريعة من مصر ويحلها محلها، بالتعاون مع المحافل الماسونية بها، كما يخبرك الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين جورجي زيدان، في كتابه: تاريخ الماسونية العام:

"ومن الرجال العظام الذين شرَّفوا هذه العشيرة بحمايتهم ورعوها بعين عنايتهم سمو الخديو السابق إسماعيل باشا الأفخم ... وعلى ذلك تم التعاضد بين الحكومة المدنية والدولة الماسونية، وأصبحت القوتان يداً واحدة في ترقية شأن الأمة ورفع منار الفضيلة"[١].

أما كتاب رفاعة الطهطاوي الشهير: تخليص الإبريز في تلخيص باريس، الذي وصف فيه ما شاهده وأعجبه في فرنسا، من علوم وآداب وفنون وأفكار وأخلاق وعادات وعلاقات، فيغنيك عن أن نعرفك بفحواه أن تعيد قراءة قطعة الإنشاء التي كتبها التلميذ محمد مظهر عما أعجبه في فرنسا، وكتاب الطهطاوي ليس سوى نسخة مكبرة ومفصلة منها، وسنقف بك عنده وقفات قصيرة.

عرض الطهطاوي كتابه على المستشرق الماسوني سلفستر دي ساسي، فكان أول من قرأه، وأرسل رسالة إلى الطهطاوي بالعربية يخبره بإعجابه بالكتاب، ويقول له فيها:

"إلى حبيبنا الشيخ رفاعة الطهطاوي، حفظه الله وأبقاه، أما بعدك فإنه سيصلك مع هذا ما طلبته منا من الشهادة بأننا قرأنا الكتاب المشتمل على حوادث سفرك، وكل ما أمعنتَ فيه النظر من أخلاق الفرنساوية وعوائدهم وسياساتهم وقواعد دينهم وعلومهم وآدابهم وجدناه مليحاً مفيداً يروق الناظر فيه، ويُعجب من وقف عليه، ولا بأس أن تعرض خط يدنا على مسيو جومار، وإن شاء الله يحصل لك بمصنفك هذا حظوة عند حضرة سعادة الباشا، وينعم عليك بما أنت أهله، ودمت على أحسن حال، محبك الداعي: سلوستري دساسي الباريزي"[٢].

ثم أرسل دي ساسي رسالة أخرى إلى الماسوني جومار المشرف على البعثة، يقول له:

---

١) تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم، ص٢١٩ –٢٢٠.

٢) تخليص الإبريز في تلخيص باريس، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢، ص٢١٣–٢١٤.

" إنـه يظهر لـي أن صناعة ترتيبه عظيمـة، وأن منـه يفهم إخوانـه مـن أهل بـلاده فهماً صحيحاً عوائدنا وأمورنـا الدينيـة والسياسـية والعلميـة ... وبالجملـة فقد بـان لـي أن مسـيو رفاعة أحسن صرف زمنه مدة إقامتـه فـي فرنسا، وأنـه اكتسب فيها معارف عظيمـة، وتمكن منها كل التمكن، حتى تأهل لأن يكون نافعاً في بلاده، وقد شهدتُ لـه بذلك عن طيب نفس، ولـه عنـدي منزلـة عظيمـة، ومحبـة جسيمة، البـارون سلوسـتري دساسـي، بـاريس فـي شـهر فبريه سنة ١٨٣١م"[١].

والماسوني جومار أرسل هو الآخر إلى ولي النعم وأول الآتين من الخلف يمدح لـه الكتاب، وحين وصله سُر به سروراً عظيماً، وأمر بطبعه في مطبعة بولاق، وبأن يُقرأ في قصوره، وفي المدارس، وبأن يوزع على الدواوين والأعيان.

وكتاب الطهطاوي الذي سُر بـه أول الآتين من الخلف، ورسالة دي ساسـي إلـى الطهطاوي عن رجائه أن ينال الحظوة عند الباشا بكتابه وينعم عليه، ورسالة جومار إلـى ولـي النعم يمدح الطهطاوي وكتابه، تعرف منها إحدى الملامح الرئيسية في مسار بلاليص ستان، وركيزة من ركائز الدولة الماسونية التي وضع قواعدها أول الآتين من الخلف، والتي ما زالت سارية فيها إلى يومك هذا، في زمان ثالث الآتين من الخلف.

فبعد الإطاحة بالصفوة من أهل الحل والعقد، والطبقة القوامة على المعيار والميزان، وهو بوصلتها فـي القبـول أو الرفض، ولا تُبـادِل بـه شيئاً، كما رأيت مـن قبل، وبعد إخراجهم من السلطة ومن قيادة المجتمع وأنسجته، بدأت تتكون وتحل محلهم في المسار اليهودي الماسوني طبقات من النخب المزورة والمرتزقة، التي تحيط بولي النعم وبوصلتها رضـاه، وتفعل أي شـيء يوافق هواه، في مقابل ما يمنحه لها من مناصب أو مال أو شهرة وبريق.

فلا تعجب إذا علمت أن رفاعة الطهطاوي الذي وُلد في أسرة اضُطر عائلها من ضيق ذات يده إلى ترك بلده طهطا والانتقال إلى بلدة بالقرب من جرجا، ليكون في كفالة بعض أقاربه بها، كما يقول علـي مبارك، الطهطـاوي توفي وفـي حوزتـه ١٦٠٠ فدان، وهبها لـه أولياء النعم في

---

١) تخليص الإبريز في تلخيص باريس، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢، ص٢١٤.

مختلف العهود التي مرت عليه في المسار اليهودي الماسوني، نظير سيره في ركابهم وموافقة ما فعله لأهوائهم، وأول الآتين من الخلف وحده وهبه ٢٥٠ فداناً في بلده طهطا، وقد كان يحتكر الأراضي في مصر كلها، ولم يكن أحد فيها يملك شيئاً إلا هو أو من ينعم عليه.

وهذه الطبقات من المرتزقة في زمانك، هي الساسة ومن يشتغلون بالسياسة، ودوائر السلطة والإدارة، والأدباتية والمشخصاتية، وبقر الصحف والشاشات، وطراز من أساتذة الجامعات، وصِنفٌ من الموظفين وحفظة الأكلشيهات.

فإليك نموذجاً من كتاب: تخليص الإبريز، على إزاحة المعيار والميزان من ذهن رفاعة الطهطاوي ونفسه التي أعاد تكوينها وملأها الماسون في فرنسا، ليس في السياسة وشؤون الحكم، بل في القيم والأخلاق والعلاقات الاجتماعية.

يقول رفاعة الطهطاوي، الذي كان، وكان كما تعلم فعل ماضٍ، إماماً وواعظاً وبدأ تعليمه، مثل طه حسين من بعده، في الأزهر:

"وحيث إن كثيراً ما يقع السؤال من جميع الناس على حالة النساء عند الإفرنج، كشفنا عن حالهن الغطاء، وملخص ذلك أيضاً أن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة، والتعود على محبة واحد دون غيره، وعدم التشريك في المحبة، والالتئام بين الزوجين"(١).

فهل تنبهت أنه سوَّى بين السِتر والعري، ثم جعل مصدر العفة وحافظها المحبة والالتئام بين الزوجين، وهو ما يعني أن افتقاد هذه المحبة وهذا الوئام، ووقوع النفور أو الخصام، يُفقِد العفة مصدرها ويبرر نقيضها، فكل من خاصمت زوجها أو خاصمها صارت الفاحشة حقاً من حقوقها.

ثم هل تنبهت إلى العلة الحقيقية في كلامه، وهي أنه جعل الزواج علاقة إنسانية محض ومحصورة بين طرفيها، وأطاح بمرجعيتها الإلهية، التي هي مصدرها وضابطها، وهي الحافظ

١) تخليص الإبريز في تلخيص باريس، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢، ص٢٩٥.

للعفة والمانع من الفاحشة، سواءًا وُجدت المحبة بين الزوجين أو فُقدت، وأطاح بالمعيار والميزان من الحكم على العفة وعلى نقيضها، ومن الحكم على الأزياء والستر والعري.

والنتيجة الحقيقية للأفكار وطريقة التفكير التي سربها اليهود والماسون إلى ذهن الطهطاوي ونفسه، وأعادوا بناءها بها، هي الإطاحة بمسألة الألوهية، وهي المرجعية ومصدر المعايير والموازين، من القيم والأخلاق والعلاقات الاجتماعية، وإحلال النسبية المطلقة والحكم بالأهواء محلها، والإغواء وإشاعة الفواحش مغلفة بالعبارات المزخرفة والمقاييس المطاطة.

وهاك رفاعة الطهطاوي، الذي كان شيخاً قبل أن يأكل عقله ويستوطن رأسه اليهود والماسون، يخبرك أن:

"الرقص عندهم فن من الفنون، وقد أشار إليه المسعودي في تاريخه المسمى: مروج الذهب، فهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء ودفع قوى بعضها إلى بعض، فليس كل قوي يعرف المصارعة، بل قد يغلبه ضعيف البنية بوساطة الحيل المقررة عندهم، وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الأعضاء، وظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شيء واحد يُعرف بالتأمل، ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لا من الفسق، فلذلك كان دائماً غير خارج عن قوانين الحياء، بخلاف الرقص في أرض مصر، فإنه من خصوصيات النساء، لأنه لتهييج الشهوات، وأما في باريس فإنه نمط مخصوص لا يُشم منه رائحة العهر أبداً، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية، وهكذا، وسواءًا كان يعرفها أو لا ... وقد يقع في الرقص رقصة مخصوصة، بأن يرقص الإنسان ويده في خاصرة من ترقص معه، وأغلب الأوقات يمسكها بيده"[1].

وما قراته نموذج على الإطاحة بالمعيار والميزان من رؤية الأشياء والحكم عليها بالصحة أو الفساد، ثم تغليف الأباطيل وتزيينها بالكلمات المنمقة والعبارات المزركشة، فالشيخ رفاعة الطهطاوي يخبرك أن الراقصة أمام الرجال في مصر تهيج الشهوات، لكن رقصة التانجو في فرنسا، التي يلتصق فيها جسد الرجل بجسد المرأة شبه العارية، غير خارجة على قوانين الحياء!

---

١) تخليص الإبريز في تلخيص باريس، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢ص١٤٧.

والطريقة والكلمات البريئة منزوعة الدلالات، التي وصف بها الشيخ رفاعة الرقص بأنه تدافع بالأعضاء وموازنة بينها مثل المصارعة، وكأنه يصف علاقة بين تروس في آلة، نموذج على التدليس، الذي يمكن لأي أحد من خلاله أن يُسوغ فعل أي شيء، فقط باستخدام كلمات لا معنى لها، ووصفه بعبارات لا تعبر عن حقيقته.

فيمكننا بالطريقة الماسونية التي وصف لك بها الشيخ رفاعة الطهطاوي الرقص، لكي يموه حقيقته ويزين ما رأى من رَبَّوه في فرنسا يفعلونه، أن نصف لك معاشرة الرجل للمرأة بأنها نوع من الاحتكاك وحركات ميكانيكية هدفها توليد السوائل وتبادلها بينهما، ويمكننا أن نصف لك معاشرة الرجل لأمه بأنها علاقة سامية يحن فيها الرجل للعودة إلى موطنه الذي خرج منه كما يحن الطائر إلى عشه!

ثم سل نفسك: هل الذين كتبوا هذا الكلام أُرسلوا في بعثات لدراسة العلوم والعودة لتمدين مصر، أم للمرابطة في مَحالِ الرقص، كما يسميها الطهطاوي، والعودة خبراء في أنواع الرقصات؟!

وما ينبغي أن تدركه، هو أن ما فعله رفاعة الطهطاوي بكتابه في زمانه، هو ما فعلته القصص والروايات في الزمان الذي تلاه، وهو نفسه الذي تفعله الأفلام والمسلسلات في زمانك، ألا وهو نقل الحياة الغربية، وما تحويه من قيم وأخلاق وسلوك ونمط للعلاقات، في صورة جذابة مبهرجة، دون نقدها ولا بيان فسادها ومساوئها، وبعد إسقاط أن ثمة معياراً وميزاناً يجب تقييمها به والحكم عليها من خلاله، لتكون هذه الصورة السطحية الجذابة المبهرجة وسيلة إغواء كتل العوام، وجذبها لتقليدها ومحاكاة ما فيها من قيم وأخلاق وأزياء ونماذج للسلوك والعلاقات.

فإذا صارت المجتمعات العربية الإسلامية بالمحاكاة والتقليد نسخة من الحياة الغربية، صار وعيها وبناؤها الذهني والنفسي في قبضة من صنعوا هذا النموذج وأقاموه ويقومون عليه في الغرب، وامتلكوا بذلك القدرة على تحريكها وتوجيهها وتسييرها إلى حيث يريدون، وتصبح المسألة مرهونة بتطور وسائل الإعلام وقدرتهم على تجاوز الحواجز بها إلى عقول أبناء هذه المجتمعات ونفوسهم.

وهو ما تفهم منه لماذا أمر أول الآتين من الخلف، الذي رمت حارة اليهود في اليونان مصر به، تقرير كتاب الطهطاوي على تلاميذ المدارس، وأن يُقرأ في قصوره ودواوين دولته.

فإليك هذه العبارة التي يصف بها رفاعة الطهطاوي أهل فرنسا، ومنها تعرف الغرض الحقيقي من البعثات، ومن كفاح اليهود والماسون من أجل تمدين مصر، ومن الدولة الماسونية التي أرسى أصولها أول الآتين من الخلف.

"وقد أسلفنا أن الفرنساوية من الفرق التي تعتبر التحسين والتقبيح العقليين، وأقول هنا إنهم ينكرون خوارق العادات، ويعتقدون أنه لا يمكن تخلف الأمور الطبيعية أصلاً، وأن الأديان إنما جاءت لتدل الإنسان على فعل الخير، واجتناب ضده، وأن عمارة البلاد وتطرق الناس وتقدمهم في الآداب والظرافة تسد مسد الأديان، وأن الممالك العامرة تُصنع فيها الأمور السياسية كالأمور الشرعية. ومن عقائدهم القبيحة قولهم: إن عقول حكمائهم وطبائعييهم أعظم من عقول الأنبياء وأذكى منها"[1].

فتنبه أن الذي كتب هذا الكلام رفاعة الطهطاوي، الذي تلقى تعليمه في الأزهر، وكان إماماً وواعظاً ، قبل أن يذهب إلى فرنسا، ولذا مسخ اليهود والماسون كل شيء في تكوينه، وفي طريقة تفكيره وحكمه على الأفكار والأشياء، ولكن ظلت في أعماقه نواة لم يستطيعوا الوصول إليها والعبث بها، وهي التي جعلته يتوقف عند ما يمس الذات الإلهية مباشرة وينتقده.

ولكن هذه النواة التي ظلت محفوظة عند الطهطاوي لم تكن عند جُل تلاميذ البعثات غيره، فقد ذهبوا إلى فرنسا وأذهانهم ونفوسهم بلاليص خالية خلاءًا تاماً، ليستوطنها اليهود والماسون استيطاناً كاملاً، ويحولوها إلى نسخ فرنسية مشوهة، ترى الوجود والحياة والمجتمع والعلاقات والعقائد والديانات، وتفهم العلاقة بينها، كما أراد الأبالسة الذين احتضنوهم في فرنسا، ثم يعودون حاملين لجراثيم هذا الفهم، فيكون تمدينهم لمصر أداة بث هذه الجراثيم ونشرها وإعادة تكوين مصر كلها بها.

---

١) تخليص الإبريز في تلخيص باريس، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢ص٩٨.

فهؤلاء الذين عادوا إلى مصر وقد صاروا كأهل فرنسا الذين رأيت وصف الطهطاوي لهم، هم الذين عادوا وهم يوقنون في قرارة أنفسهم، صرحوا بذلك، أو لم يصرحوا وظهر في أقوالهم وأفعالهم، أن الديانات الإلهية رجعية، وتجاوزها تقدم، وأن عقولهم أعلى من الوحي، وما تصل إليه من أفكار وما تنتجه من أنظمة أخلاقية واجتماعية ومن آداب وفنون أفضل من الشرائع، وأن التمدن والعمران لا يجتمعان مع الديانات، وأن النظام والسياسة والإدارة لا تكون إلا مبادلة مع الوحي والعقائد والأخلاق والشرائع.

وقد أخبرناك من قبل أن سلفستر دي ساسي، أستاذ رفاعة الطهطاوي ومرشده الذي أحبه محبة جسيمة، ماسوني، ولكن نسينا أن نخبرك أنه يهودي!!

وسلفستر دي ساسي اسمه الكامل: أنطوان إسحق يعقوب أبراهام سلفستر Abraham Antoine Isaac Jacques Sylvestre، وقد حذف هو من اسمه الرسمي أسماء: إسحق ويعقوب وأبراهام، لكي يخفي أنه يهودي، كالمعتاد، وأضاف إلى اسمه لقب: دي ساسي، لكي يبدو من النبلاء!!

واليهودي الماسوني سلفستر دي ساسي، أستاذ الطهطاوي والرجل الذي أعاد تكوينه وبناء ذهنه ونفسه، هو ما من أجله توقفنا بك عند كتاب: تلخيص الإبريز، لكي نأتيك منه بغاية الغايات التي من أجلها قدح الماسون، دروفيتي وجومار، في رأس أول الآتين من الخلف فكرة إرسال بعثات من صِبية مصر ومراهقيها ذوي الرؤوس الفارغة والنفوس الخالية، لملئها في أوروبا.

في ٢٣ ذو الحجة ١٢٤٥ هـ/١٤ يونيو ١٨٣٠م، وصل الأسطول الفرنسي إلى الجزائر واحتلتها القوات الفرنسية، وكان ذلك في أواخر عهد الملك شارل العاشر Charles X، من أسرة بوربون، التي عادت إلى الحكم بعد سقوط نابليون، ثم أطيح بشارل العاشر بثورة أغسطس سنة ١٨٣٠م، دون أن تغير عودة أسرة بوربون ولا الإطاحة بها من المسار الماسوني لفرنسا الذي بدأ مع ثورة ماسونها سنة ١٧٨٩م.

وإبان حملة فرنسا على الجزائر كان رفاعة الطهطاوي في السنة الرابعة من بعثته في باريس، فكان هذا ما كتبه عن غزو فرنسا للجزائر في كتابه: تخليص الإبريز:

"اعلم أنه جاء إلى الفرنساوية خبر وقوع بلاد الجزائر في أيديهم قبل حصول هذه الفتنة بزمن يسير (الثورة على شارل العاشر)، فتلقَّوا هذا الخبر من غير حماسة، وإن أظهروا الفرح والسرور به، فبمجرد ما وصل هذا الخبر إلى رئيس الوزراء بولنياق أمر بتسييب مدافع الفرح والسرور... وصار يتماشى في المدينة كأنه يُظهر العجب بنفسه، حيث إن مراده نفذ، وانتصرت الفرنساوية في زمن وزارته على بلاد الجزائر ... مما وقع أن المطران الكبير لما سمع بأخذ الجزائر، ودخل الملك القديم الكنيسة يشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك، جاء إليه ذلك المطران ليهنيه على هذه النصرة، فمن جملة كلامه ما معناه: أنه: "يحمد الله سبحانه وتعالى على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية، ولا زالت كذلك"، انتهى، مع أن الحرب بين الفرنساوية وأهالي الجزائر إنما هو مجرد أمور سياسية، ومشاحنات تجارات ومعاملات ومشاجرات ومجادلات، منشؤها التكبر والتعاظم"[١].

فهل تنبهت أن الطهطاوي ربيب اليهود والماسون، لم يُطح بالعقائد والتاريخ واللغة من فهم أسباب حملة فرنسا على الجزائر والحكم عليها فقط، بل أثمرت فيه تربية اليهود والماسون، وحولته إلى أمي، فأخرجتها من ذهنه ونفسه، ولم يعد يرى بها ولا من خلالها.

وبخلو ذهنه ونفسه من العقائد والتاريخ واللغة، ومن الروابط التي تصنعها تلقائياً في الأذهان والنفوس، ومن المشاعر التي تُوجدها في الوجدان، انقطعت صلته ببلاد العرب والمسلمين، وصارت الجزائر العربية المسلمة بلاداً لا يعنيه من أمرها شيء، ولا يسوؤه أن تحتلها فرنسا، بل ويبحث عن تبريرات لهذا الاحتلال تحفظ في نفسه صورة فرنسا التي يهيم بها، والتي حلت في تكوينه محل بلاد العرب والإسلام، وصار شكل المسألة وتوصيفها عنده أن فرنسا في حرب ومشاجرة مع الجزائر لأسباب سياسية وتجارية، ومن ثَم فلا شأن له بها.

---

١) تخليص الإبريز في تلخيص باريس، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢، ص٢٥٣-٢٥٤.

فقارن موقف رفاعة الطهطاوي، الذي استوطن اليهود والماسون رأسه، من غزو فرنسا للجزائر، بما يرويه الجبرتي من أنه في أول شهر رجب ١٢١٣هـ/٩ ديسمبر ١٧٩٨م، بعد وصول حملة نابليون والماسون في فرنسا إلى مصر:

"رجلاً مغربياً يقال له الشيخ الكيلاني، كان مجاوراً بمكة والطائف، فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز، وأنهم ملكوا الديار المصرية، انزعج أهل الحجاز لذلك، وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة، وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين، وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك، فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين، وركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه، فورد الخبر في أواخره (أواخر رجب) أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة، ممن كان خرج معهم مع غزو مصر عند وقعة إنبابة، وركب الغز معهم أيضاً، وحاربوا الفرنسيس"[١].

فتأمل الفرق بين الطهطاوي الذي لم يزعجه في غزو فرنسا للجزائر شيء، وبين أهل الحجاز الذين انزعجوا وضجوا، عند وصول خبر نزول الفرنسيس مصر، ثم قام مجاور للحرم من أهل المغرب ليقود عرب الحجاز ويعبر بهم البحر الأحمر، وانضم إليهم الأتراك والمغاربة وأهل الصعيد، ليتوحد الجميع تلقائياً من أجل جهاد الفرنسيس الذين غزوا مصر، دون أن يقعدوا متعللين بأنها مجرد أمور سياسية ومشاحنات تجار، أو أن الحجاز والمغرب لا علاقة لها بما يحدث في مصر، مع أن منشور نابليون الأول إلى أهل مصر موه الغاية من الحملة فعلاً في أسباب سياسية وتجارية.

الفرق بين المغاربة وعرب الحجاز وبين الطهطاوي، هو الفرق بين الأذهان والنفوس التي بناها الإسلام وكونتها دولته وبين الأذهان والنفوس الأمية التي صنعتها الدولة الماسونية التي أقامها أول الآتين من الخلف، ومعامل اليهود والماسون التي أرسلهم إليها.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٧٥.

وستعرف معنى عبارة الطهطاوي وما يعنيه موقفه من غزو فرنسا للجزائر، والغاية الخبيئة من التربية التي رباها له اليهود والماسون، وما غرسوه في تكوينه وتكوين مراهقي بلاليص ستان، إذا نزعت فرنسا والجزائر، ووضعت مكانها اليهود وفلسطين!

فهذه هي غاية الغايات من إرسال الصِبية والمراهقين من مصر لتربيتهم في فرنسا، تكوين أجيال عمياء خالية من روابط العقائد واللغة، فلا تفهم ما يحدث ولا تدركه على حقيقته، وأذهانها ونفوسها موصولة بالغرب اليهودي الماسوني، ومقطوعة الصلة بالإسلام وتاريخه وبلاده، ولا يعنيها ما يحدث فيها، ثم إذا حاكاها كل بلد من بلاد العرب والإسلام، وتكونت فيه نخبة من هذا الطراز الضال الذي رباه اليهود والماسون، تفككت وبان ما بينها، وتفسخ الشرق وصار مؤهلاً لاحتضان المشروع اليهودي، دون أن يفرق عند أي نخبة من هذه النخب الضالة أن يكون مَن في فلسطين مِن العرب أو اليهود، أو أن تكون القدس قدساً أو أورشليم.

فالأجيال التالية من هذا الطراز من البقر، التي صعدت إلى سطح مصر مع تقدم المسار اليهودي الماسوني، وأمسكت بمقاليدها في كل المجالات، سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وأدبية وفنية، في حراسة الإمبراطوريات الماسونية، وبسطوة جيوشها، هي التي صُنعت لتُصنع بها وفي وجودها دولة اليهود، ثم تتمدد على حسابها.

المدارس

وبعد أن علمت الغايات الحقيقية من إرسال الصبية والمراهقين من مصر بلاليص فارغة، ليعبئهم الماسون في فرنسا بما يريدونه ممزوجاً في دراسة العلوم ومناهج التعليم وما يمارسونه من أنشطة، ننتقل بك إلى المدارس التي أنشأها أول الآتين من الخلف في مصر، وقد أخرناها عن البعثات العلمية لسبب سنعرفك به ونحن نعرفك بها.

وقبل أن نعرفك بالغايات الحقيقية من إنشاء هذه المدارس، إليك نبذة عنها.

أول هذه المدارس هي مدرسة المهندسخانة، التي أنشأت سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م، وكانت مدرسة صغيرة، مكانها في القلعة، وكان الغرض منها محدوداً، فهاك الجبرتي يخبرك به:

"وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي، يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات، والارتفاعات، واستخراج المجهولات، مع مشاركة شخص رومي يقال له روح الدين أفندي، بل وأشخاصاً من الافرنج ... واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب، وسموه مهندسخانة، في كل يوم من الصباح إلى بعد الظهيرة، ثم ينزلون إلى بيوتهم، ويخرجون في بعض الأيام إلى الخلاء لتعلم مساحات الاراضي وقياساتها بالأقصاب، وهو الغرض المقصود للباشا"[١].

فالغرض من هذه المدرسة كان تكوين من يستطيعون تحديد مساحات الأراضي وقياسها، بعد أن استولى أول الآتين من الخلف على أراضي مصر كلها، بنظام الاحتكار، فإليك الجبرتي يخبرك في حوادث شهر ذو القعدة ١٢٣١هـ/سبتمبر ١٨١٦م بخلاصة هذا النظام:

"ومن المبتدعات التي لا حصر لها، الحجر على المزارع التي يزرعها الفلاحون في الأراضي التي يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم، وإذا بدا منه صلاح لا يبيعونه كعادتهم، وإنما يشتريه الباشا بالثمن الذي يفرضه ويقدره على يد

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٩٧.

أمناء النواحي والكُشاف، ويُعطى لهم الثمن، أو يُحسب لهم من أصل المال، فإن احتاجوا لشيء من ذلك أشروه بالثمن الزائد المفروض، وكذلك القمح والفول والشعير لا يبيعون منه شيئاً لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافي"[1].

فأول الآتين من الخلف، كون الثروات التي وظفها في الانحراف بمصر، وإزاحة الإسلام منها، ووضع أصول دولته الماسونية، وإلحاقها بملهميه من اليهود والماسون في الغرب، من سرقة الفلاحين، باحتكار ما ينتجونه من محاصيل، وإجبارهم على بيعها له بالثمن الذي يحدده، وخصم الضرائب المفروضة عليهم من هذا الثمن، ثم إذا احتاجوا هم إلى شيء منها لقُوتهم ومعيشتهم باعه لهم بأزيد من الثمن الذي أخذه به منهم، وبعد ذلك يقوم هو بتصدير المحاصيل إلى أوروبا وجني أرباحها، بينما تشح في مصر وترتفع أسعارها!

فهل أتاك نبأ أنه خريج حارة اليهود، ولا شك عندنا أنه مثل ثاني الآتين من الخلف وثالث الآتين من الخلف، ابن يهودية؟!

وأما بقية المدارس، فهاك هي من الجزء الأول من كتاب: تاريخ التعليم في مصر، وهو الجزء الخاص بعصر محمد علي، للدكتور أحمد عزت عبد الكريم، والكتاب في الأصل أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراة سنة ١٩٤١م .

أول هذه المدارس الحقيقية، هي مدرسة الطب البشري، التي أنشئت في المستشفى العسكري في أبي زعبل سنة ١٨٢٧م، ثم نقلت إلى قصر العيني سنة ١٨٣٧م، وفي سنة ١٨٣٢م أنشئت مدرسة الولادة وألحقت بمدرسة الطب، وكان تلاميذها اثنان من الأغوات وعشر من الجواري، نصفهن من البيض ونصفهن من السود.

ومدرسة الطب البيطري أنشئت في رشيد سنة ١٨٢٨م، ثم نقلت إلى أبي زعبل مع مدرسة الطب البشري سنة ١٨٣١م، ثم إلى شبرا سنة ١٨٣٧م، ومدرسة الزراعة أنشئت في قرية نبروه في مديرية الغربية سنة١٨٣٦م.

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٣٩٢.

ومدرسة الكيمياء أنشئت سنة ١٨٣١م بمصر القديمة، ومدرسة المعادن أنشئت في قصر بنت البارودي في مصر القديمة في سنة ١٨٣٤م، ومدرسة الهندسة أو المهندسخانة أنشئت في بولاق في السنة نفسها، ومدرسة العمليات أو الفنون والصناعات أنشئت سنة ١٨٣٧م.

ومدرسة الإدارة الملكية أنشئت سنة ١٨٣٤م، لتخريج موظفين للعمل في دواوين الحكومة وأقلامها، وبعد سنة وبضعة أشهر ألغيت ونقل التلاميذ إلى مدرسة الألسن، ومدرسة المحاسبة أنشئت سنة ١٨٣٧م، في السيدة زينب، لتخريج كتبة للخدمة في فرق الجيش، وألغيت بعد سنتين.

ومدرسة الترجمة أنشئت سنة ١٨٣٥م، في سراي الدفتردار في الأزبكية، ثم تغير اسمها إلى مدرسة الألسن، ومن خريجيها تكَون قلم الترجمة في الحكومة، وكان ناظر المدرسة ورئيس قلم الترجمة رفاعة الطهطاوي، تلميذ جومار ودي ساسي، وكان من أهدافها أيضاً تخريج تلاميذ مؤهلين للدراسة في المدارس الأخرى التي تُدرس العلوم فيها بالفرنسية.

وفي سنة ١٨٣٧م أنشئ ديوان المدارس، لإدارة المدارس وما يتعلق بها.

والآن جاء أوان أن نعرفك بالغايات العليا والحقيقية من هذه المدارس، وهي الغايات التي تجدها تائهة ومتناثرة بين آلاف التفاصيل التي يوردها المؤرخون الأميون، ثم هم لا ينتبهون إليها، ولا يدركون ما تعنيه وصلتها بالمدارس التي يكتبون كتبهم ودراساتهم عنها، ولا يدخلونها في الحكم على أول الآتين من الخلف ودولته، لأنهم أميون، وعقولهم الأمية تذهل عنها بالتفاصيل الفنية الصغيرة عن التواريخ والأماكن والأعداد والمصروفات والمقررات وكمية الطعام ونوع الملابس، وأي نشاط أو عمل بشري لا ينفصل الحكم عليه عن تكوين من فعله وغاياته منه.

وأول ما يجب أن تعرفه عن هذه المدارس التي غيَّر بها أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية تكوين الأجيال الناشئة في مصر، وصنع بهم دولته الماسونية، أنها، كالبعثات العلمية، وافقت أهواءه والمسار الذي يريد دفع مصر إليه، لكنه ليس صاحب فكرتها، وإن كان

الآمر بها والذي ينفق عليها، فإليك من قدحوا في ذهن أول الآتين من الخلف فكرة أشهر هذه المدارس وأكبرها أثراً، ومن كانوا نظارها ومن يديرونها.

أما مدرسة الطب، فيقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، في كتابه: تاريخ التعليم في عصر محمد علي:

"كان كلوت بك يرى أن مصر تملك كل العناصر اللازمة لتعليم الطب ... وكتب الدكتور كلوت بك إلى رئيس أركان حرب الجيش المصري في ذلك الوقت (عثمان نور الدين بك)، والمطلع على كتابه ذلك يدرك أن الدكتور كان يمهد كل شيء أمام الحكومة، فالبناء قائم، والأساتذة والمترجمون البارعون متوفرون، وهو واثق في كفاءتهم، والتلاميذ الملتحقون لا يُشترط أن تكون لهم ثقافة عالية، ومدة الدراسة لا تتجاوز ثلاث سنوات، ثم هو بعد هذا كله يقدم للحكومة ما تشاء من ضمانات"[١].

فكلوت بك كما ترى هو الذي كافح من أجل إقناع قائد الجيش بإنشاء مدرسة الطب، لتخريج أطباء وإرسالهم للعمل مع فرق الجيش، وهو مدير المدرسة منذ إنشائها إلى أن رحل عن مصر سنة ١٨٥٨م وكان كلوت بك كبير أطباء الجيش في مصر، منذ قدم إلى مصر سنة ١٨٢٥م، وكان الذي جاء به ورشحه لأول الآتين من الخلف تاجر فرنسي من ليون!

ومدرسة الطب البيطري قام على إنشائها الطبيبان هامون Hamont وبريتو Pretot، وظل هامون مديرها أربع عشرة سنة، منذ إنشائها إلى أن رحل عن مصر سنة١٨٤٢م.

وأما المهندسخانة في بولاق، وهي أهم المدارس في عهد أول الآتين من الخلف، فقد أنشئت في قصر الأمير إسماعيل بن محمد علي، الذي مات إبان الحرب في السودان، ويقول دكتور محمود صالح منسي، في دراسته الأكاديمية: أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، والتي نُشرت سنة ١٩٧٠م في المجلد السابع عشر، من المجلة التاريخية المصرية، التي تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، إن:

---

١) دكتور أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، ص٢٥٣، كتب مقدمته: دكتور محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.

"إنفانتـان اقتـرح علـى محمـد علـي فـي ٩ مـارس ١٨٣٤م إنشـاء مدرسـة فـي منطقـة القناطر، ولما كان محمد علي قد اختار بعض تلامذة قصر العيني لدراسة هندسة الري، فقد نقلهم بعد عامين إلى منطقة القناطر، وهكذا تحققت فكرة إنفانتان، وارتفع عدد تلاميذ المدرسة إلى ستين، لولا أن هذه المدرسة لم يقدر لها الاستمرار فضُمت إلى مدرسة المهندسخانة ببولاق سنة ١٨٣٦م ... وتقدم إنفانتان ولامبير بمقترحات بشأن النظام الواجب اتباعه، لكي تكون على نمط مدرسة الهندسة العليا بباريس"[١].

فالأب إنفانتان هو صاحب فكرة إنشاء مدرسة للهندسة في مصر، وكان الأرمني يوسف حكاكيان وكيل المهندسخانة، إلى أن حضر الأفندية من أوروبا، وانتظمت فيها الدراسة، فصار مديرها المسيو شارل لامبير، صديق إنفانتان وتابعه، وظل مديراً لها إلى سنة ١٨٤٩م، وإنفانتان ولامبير هما اللذان قاما بوضع مناهجها ولائحتها الداخلية.

وإنفانتان ولامبير من أتباع سان سيمون، أو السان السيمونيين، الذين أخرنا الكلام عن المدارس من أجلهم، وسان سيمون ومدرسته سوف نعرفك بهم وبغاياتهم الخبيئة من تمدين مصر وإنشاء المدارس فيها، وصلتهم وصلة هذه الغايات باليهود، وأنت تواصل مسيرتك معنا في سيرة أول الواصلين إلى حكم مصر من خريجي حواري اليهود.

وأما مدرسة الزراعة، فينقل دكتور أحمد عزت عبد الكريم عن مذكرات دكتور هامون مدير مدرسة الطب البيطري، أنه:

"في يوم من الأيام أوحى بعض الأوروبيين إلى محمد علي أن هناك في بلادهم مدارس لتعليم الزراعة، فما أن سمع محمد علي بذلك حتى أسرع فطلب الرجال والمواد اللازمة من

---

١) دكتور محمود صالح منسي: أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع عشر، ص٨٦، ٨٧، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٧٠م.

فرنسا لتأسيس مدرسة للزراعة في مصر، من غير بحث في ضرورتها أو فائدتها، وفعلاً وصلت مستعمرة الزراعة مكونة من رجال وآلات"[1]!!

والدكتور محمود صالح منسي، يحدد في دراسته عن نشاط أتباع سان سيمون في مصر، من يكون هؤلاء الذين أوحوا إلى أول الآتين من الخلف بإنشاء مدرسة الزراعة، نقلاً عن مراسلات الأب إنفانتان بالفرنسية:

"ومنذ مارس ١٨٣٤م وضع أوليفييه Olivier وتوشيه Tochet وبوفور Beaufort مشروعاً لتنظيم مزرعة نموذجية، لكي تكون نواة مدرسة زراعية، وكان الأب إنفانتان متحمساً لهذا المشروع ورأى أن يتولى إدارته رجل كفء، ولذلك أرسل يستدعي أحد أعوانه المخلصين من فرنسا، وهو بتي Petit، أحد خريجي مدرسة الزراعة في روفيل Roville، وقد أوضح إنفانتان في رسالته إلى بتي أنه وإن كان المشروع الرئيسي بالنسبة لهم هو مشروع القناة بين البحرين، إلا أنه من أجل الوصول إلى هذا الهدف لابد من المساهمة في النشاط القائم في البلاد في مختلف النواحي"[2].

فالأب إنفانتان، الذي كان خلف مدرسة المهندسخانة، هو نفسه الذي أوحى إلى أول الآتين من الخلف بفكرة مدرسة الزراعة، وهو الذي اختار من يقوم على إنشائها، دون أن يعرف أحد ضرورتها أو فائدتها في بلد النيل التي ليس فيها نشاط سوى الزراعة!

والأب إنفانتان هو أيضاً صاحب فكرة إنشاء ديوان المدارس، إذ كانت المدارس تابعة لديوان الجهادية، فأرسل إنفانتان في ٢٦ أغسطس سنة ١٨٣٤م مشروعاً إلى الكولونيل سيف، أو سليمان باشا الفرنساوي، الرئيس العام لرجال الجهادية، وكان ضابطاً في حملة نابليون على مصر، لإعادة تنظيم المدارس والإشراف عليها، وبعد إنشاء الديوان صار شارل لامبير أحد أعضائه.

---

١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي، ص٣٤٨.

٢) أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع عشر، ص٨٨.

وتنبه ثم تنبه أن الأب إنفانتان ينص في رسالته إلى بتي، أحد أعوانه، على أن إنشاء المدارس وإسهام أتباع سان سيمون في الأنشطة القائمة في مصر، ليس سوى غلاف لمشروع أكبر وغاية أخرى يريدون الوصول إليها، وهي حفر قناة بين البحرين، أو قناة السويس، لفتح الشرق أمام أصحاب البنوك وتجار الغرب، وإتمام دورة التجارة العالمية، والتجارة والتجار في الغرب ليست سوى اليهود.

وسوف تعلم وأنت تواصل المسيرة معنا أن المدارس وجميع أنشطة أتباع سان سيمون في مصر كانت غلافاً لمشروع قناة السويس، وهي وقناة السويس نفسها، لم تكن سوى أغلفة لمشروع أكبر خبيء في أذهانهم ونفوسهم، ويبحثون عن الوسائل والطرق التي تقربهم منه، ألا وهو مشروع الدولة اليهودية.

وقبل أن نعرفك بسان سيمون ومدرسته وأتباعها الذين تقاطروا في عهد أول الآتين من الخلف على مصر، بعد أن صارت مهيأة بما فعله فيها لما يريدونه، وقبل أن نعرفك ببقية أنشطتهم في مصر، وبغاياتهم منها، وصلتهم وصلة هذه الأنشطة باليهود ومشروعهم، إليك ما تَعرف منه غاية أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود في اليونان، من إنشاء المدارس، ووضع أذهان الناشئة في مصر ونفوسهم بين أيدي السان سيمونيين، وهم كما ستعلم، من الماسون والخارجين على المسيحية والديانات الكتابية كلها، ومن أتباع أصحاب البنوك والتجار من اليهود.

بعد أن قدِم عشرات السان سيمونيين واستقروا في مصر، تحت قيادة زعيمهم الأب إنفانتان، وهو خليفة سان سيمون، أسلم اثنان منهما، وهما: توماس أوربان Thomas Urbain، وجوزيف ماشرو Joseph Machereau، الذي سمى نفسه: محمد أفندي، وتزوج من سيدة مصرية، وأنجب منها أربع بنات أطلق عليهن أسماء: هانم وزهرة وحميدة وأسماء.

وفي يوم ٥ أكتوبر سنة ١٨٣٥م، أرسل الأب إنفانتان رسالة إلى الآنسة ألجي سان هيلر Algae St. Hilaire، وهي من أتباعه، يخبرها أن:

"هذا الحادث كان موضع سخرية الباشا، إذ عبر عن شماتته في جماعة السيمونيين، الذين وفدوا إلى مصر لتحويل المسلمين عن دينهم، فإذا باثنين منهم يتحولان إلى الإسلام"[1]!!

فتنبه أن ما قاله أول الآتين من الخلف، يعني أنه يعلم حقيقة السان سيمونيين وغاياتهم التي يموهونها في المدارس والمشروعات، وأنه فتح لهم أبواب مصر ومكَّنهم من رؤوس أبنائها عامداً، لأن ما يريدونه يوافق ما يريده.

وتحويل المسلمين عن دينهم، ليسلس قيادهم ويمكن امتطاؤهم، وإزاحة الإسلام من مصر، ليسهل الانحراف بها نحو المسار اليهودي الماسوني، هو الغاية الحقيقية من المدارس التي أنشأها ابن اليهودية، ومن بعثاته إلى فرنسا، ومن جيشه الضال الذي كونه، ومن دولته كلها، وهي الغاية الحقيقية لجميع الآتين من الخلف، أولهم وثانيهم وثالثهم.

وأهل مصر بفطرتهم التي لم يكن قد لوثها بعدُ ما فعله أول الآتين من الخلف، كانوا يدركون أن هذه المدارس التي نُظَّارها ومن يُدرِّسون فيها من الفرنسيس والأروام والأرمن، ليست سوى أداة لتحويل أبنائهم عن الإسلام، فكانوا يتحايلون لمنع أبنائهم من الذهاب إليها، وكان عساكر أول الآتين من الخلف يختطفون الصبية من الشوارع لإلحاقهم بالمدارس جبراً.

يقول الأرمني يعقوب أرتين باشا، وكيل نظارة المعارف في عهد الخديو توفيق، في كتابه الذي وضعه بالفرنسية، سنة ١٨٩٠م، عن التعليم في مصر في عهد محمد علي:

"عندما بدأ هذا التعليم الدنيوي في الانتشار، وأوشك أن ينتظم الشبيبة المصرية بأجمعها، بدأت تظهر في الشعب مقاومة عنيفة ضد هذا التعليم الأجنبي، فاتُّهم الأطباء والمهندسون ورجال الجيش، وعلى العموم كل من درسوا هذه العلوم الواردة من أوروبا، بأنهم باعوا جسومهم للأوروبيين، بل وأصبحوا مسيحيين، ولما لم يكن في وسعهم أن يثوروا على رغبة

---

١) أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع عشر، ص٩٠.

الباشا، فقد استعملوا كل الطرق الممكنة ليمنعوا فقد أبنائهم، ببذل كل ما في وسعهم ليمنعوا أبناءهم من أن يُقادوا إلى مدارس الباشا"[١].

وما ذكره أرتين باشا يصل بك إلى نوع آخر من المدارس التي فتح لها أول الآتين من الخلف أبواب مصر على مصراعيها، لتستوطن أذهان ناشئتها ونفوسهم، ولتكون بتربيتها لهم، وبتكوين طبقة منهم يتم تصعيدها في المجتمع ووضعها على رأسه، وسيلة لزعزعة عقائد الإسلام ومحو آثاره، وأدوات لتوجيه الضربات له والعمل على إزالة معالمه من المجتمع، وهي مدارس الإرساليات.

يقول دكتور خالد محمد نعيم، أستاذ التاريخ في جامعة المنيا، في كتابه: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، ١٧٦٥م–١٩٨٨م، دراسة وثائقية، وهي في الأصل أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراة:

"في سنة ١٨١٩م وصل المنصر وليم جويت William Jowett إلى مصر، موفداً من جمعية إرساليات الكنيسة الإنجليزية، وأنشأ مجلة: الشرق والغرب، لسان حال كافة الإرساليات التنصيرية في مصر والشرق الإسلامي، ومستشفى هرمل في منطقة مصر القديمة، الذي سيتحول إلى مركز تنصيري خطير[*] ... وقامت جمعية إرساليات الكنيسة الإنجليزية بإنشاء ثلاث مدارس في مصر، خلال الفترة من عام ١٨٣٩م إلى ١٨٤٠م، كما قام المنصر الإنجيلي آن ويسليان بفتح مدرسة أخرى في القاهرة ... وفي سنة ١٨٤٠م أعطى محمد علي تسهيلات وامتيازات للإرسالية الفرنسية والمدارس الكاثوليكية، فانتشرت في طول البلاد وعرضها، من قنا إلى بورسعيد، وبجانب المدارس ظهرت المستوصفات الفرنسية، والتي تقوم تحت ستار التطبيب بالتنصير بين أوساط المسلمين"[٢].

---

١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي، ص٥٨٧.

●) ما زالت مستشفى هرمل قائمة إلى اليوم، وتحمل اسمها هذا!

٢) دكتور خالد محمد نعيم: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، ١٧٦٥م–١٩٨٨م، دراسة وثائقية، ص٣٥، ٣٧، ٣٨، كتاب المختار، القاهرة، ١٩٨٨م.



سان سيمون واليهود

فإليك نبذة عن سان سيمون ومدرسته، لكي تعرف لماذا كان تسليم أول الآتين من الخلف عقول أبناء مصر لأتباعه، وسيلة لتحويلها عن الإسلام، وتوجيهها نحو المسار اليهودي الماسوني.

وُلد كلود هنري دي سان سيمون Claude Henri De Saint Simon سنة ١٧٦٠م، وهو أحد آباء العلمنة والفكر الاشتراكي في علم الاجتماع، وفي بداية شبابه تتلمذ على دالامبير D'Alambert، وهو ماسوني وأحد واضعي الموسوعة Encyclopedei والمشرفين على تحريرها، وقد عرَّفناك من قبل بهذه الموسوعة وصلتها بالماسونية ومن الذي كان خلفها تفصيلاً في فصل: ثورة الماسون في فرنسا من كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير.

وفي سنة ١٧٩٩م اصطحبه المركيز لافاييت Lafayette إلى القارة الأمريكية، للاشتراك معه في حملة يورك تاون York Town، إبان حرب استقلال المستعمرات الأمريكية، ولافاييت أيضاً ماسوني وكان عضواً في محفل الأصدقاء المتحدين، الذي يضم نخبة الماسون والكوادر التي صنعت الثورة الفرنسية، وقد عرَّفناك به هو الآخر وبدوره في حرب استقلال الولايات المتحدة الماسونية في الكتاب نفسه.

وبعد عودته إلى فرنسا بدأ سان سيمون في دراسة الهندسة وصار تلميذاً للبروفسور جاسبار مونج، ومونج، كما علمت، في باب : نابليون وحملة الماسون، ماسوني، وبعد مجيء الحملة إلى مصر صار رئيس المعهد العلمي الذي أنشأه نابليون، وهو أحد الذين اشتركوا مع كليبر في تأسيس محفل إيزيس.

ومنذ أواخر الثلاثينيات من عمره، بدأ سان سيمون يجمع حوله طبقة من المهندسين والأطباء والكيميائيين والفيزيائيين ورجال الإدارة والرسامين والموسيقيين، ووضع بضع مؤلفات، يؤسس فيها لمذهب عقائدي اجتماعي فلسفي، محوره العلم الطبيعي والصناعة والفنون.

وأشـهر هـذه الكتـب كتـاب: الصـناعة L'Industrie، الـذي كتبـه سـنة ١٨١٦م، ومرشـد الصناعيين Catéchisme Des industriels، سنة ١٨٢٣م، والمسيحية الجديدة Nouveau Christianisme، سنة ١٨٢٥م، وهي السنة التي مات فيها.

وخلاصة مذهب سان سيمون في علم الاجتماع، أو عقيدته Doctrine، كما يسميها عالم الاجتماع الفرنسي اليهودي إميل دوركايم Emile Dorkheim، وكما يفسرها، في كتابه: سان سيمون والنظـام الاجتمـاعي Socialism And Sait Simon، هـي أن نظـام المجتمـع ومؤسسـاته، ليست سوى ترجمة لأفكاره ومعتقداته، وهذه الأفكار والمعتقدات، تصنعها في كل زمان معارف الإنسان وما يمتلكه من علوم، وفي العصر الحديث فإن العلوم الطبيعية، وليست الديانات، هي التي تُكون أفكار الإنسان ومعتقداته وفهمه للأشياء ولنفسه، ولذلك:

"**من الضروري أن تمتد الروح الإيجابية، التي تسري في علوم الفلك والفيزياء والكيمياء، إلى الإنسان والمجتمعات، وأن تُبنى علوم الإنسان Human Sciences بمحاكاة علوم الطبيعة Natural Sciences، لأن الإنسان جزء من الطبيعة**"[1].

فتنبه ان هذا الأساس الذي بُني عليه علم الاجتماع الوضعي العلماني، الذي يعتنقه بقر بلاليص ستان، ويسيرون خلف من وضعوه، يُسوى بين الإنسان، الذي هو نفس وروح ومشاعر وأفكار ومعتقدات ورغبات، وبين الماديات ومظاهر الطبيعة، التي هي جمادات لا عقل لها ولا إرادة، وأنه يقوم على نفي المعيار والميزان من علم الاجتماع وتنظيم المجتمعات، والفرق بين وجود المعيار والميزان في العلوم الإنسانية وبين إسقاطه، هو الفرق بين وجود مسألة الألوهية والوحي وين الإطاحة بها.

ثم تنبه أكثر: أن عبارة: "**الإنسان جزء من الطبيعة**" هي عبارة قبالية محض!

ولأن العلوم الطبيعية، عند سان سيمون، هي التي تُكوِّن أفكار الإنسان ومعتقداته وفهمه للأشياء ولنفسه، فمذهبه الذي وضعه في كتبه، وبثه في المدرسة أو الجماعة التي كونها، يقوم

1) Emile Dorkheim: Socialism And Saint Simon, P62-63, Translated From French By: Charlotte Sattler, Routledge & Kegan Paul Ltd., London, 2009.

على إحلال العلم والصناعة والفنون محل الديانات والعقائد، فالعلم بمعرفته لقوانين الطبيعة وسيطرته عليها يغني عنها، ويمكن من خلاله فهم الوجود والتمييز بين الخير والشر، وبالصناعة يمكن تنظيم المجتمعات والوصول إلى المساواة بين الطبقات وتحقيق الجنة على الأرض بدلاً من انتظارها في عالم آخر، والقوانين ورجالها والمحامون في المجتمع الصناعي بديل الشرائع ورجال الدين، والفنون هي أداة بث المعتقدات والقيم والأخلاق التي ينتجها العلم والصناعة.

والمسيحية الجديدة، أو ديانة المجتمع الصناعي، عند سان سيمون:

"**هي التي تفقد فيها مسألة الألوهية أهميتها Theology Loses All Importance، وتصبح الطقوس والشعائر فيها مسألة ثانوية، وتحل محلها الفضائل العامة ... وفكرة الإله Idea of God ليست هي التي ينبغي أن تربط بين العلماء، ويقول إن: "قانون الجاذبية، كفكرة عامة ومطلقة وتحكم كل شيء في الوجود، يمكن إحلالها رابطاً في المجتمعات محل فكرة الألوهية، فالجاذبية بين الجزيئات تُكوِّن المواد غير العضوية، والكائنات العضوية تتكون من الجاذبية بين الخلايا، وكذلك المجتمعات تتكون بالجاذبية الاجتماعية Social Attraction**"[١].

وأفكار سان سيمون هذه، التي خلاصتها، كما يقول دوركايم، أن: "**العلم هو مصدر اللاهوت، والصناعة هي ينبوع العقائد**"، ليست من ابتكاره، كما يتوهم من كتبوا عنه من أساتذة الفلسفة والاجتماع ومن تبعوا أفكاره في بلاليص ستان، فهذه هي الأفكار التي تبثها الماسونية والحركات السرية في كل العصور، لكي تزيح العقيدة الإلهية من أذهان البشر، من أجل أن تستوطنها هي.

وفي سنة ١٨٦٥م، وسان سيمون في الخامسة من عمره، طُبع فى محفل لايبزج Leipzig فى هولندا كتيب ماسونى لبيان تعاليم الماسونية وعقيدتها، رداً على الاتهامات الموجهة إليها، فنص على أن:

---

1) Socialism And Saint Simon, P118, 119.

"تعاليم الماسونية ومبادؤها ليس فيها شيء مستحيل أو يصعب فهمه، وما هى بأسرار، إن الماسونية تعلم الإنسان أن يدرك الواقع وأن يكون واقعياً، وترشده كيف يفعل الخير من غير حاجة إلى جنة ولا نار Without Referece To Heaven Or Hell، وتُعوده أن يكون مستقلاً فى أقواله وأفعاله، لا يرجو إلهاً ولا يخاف منه، إن الماسونى لا ينتظر عالماً آخر ولا حياة أخرى ليحصل على ثوابه، لأنه يسعى إلى الحصول عليها هنا فى هذا العالم، وهو مؤمن بذلك وسعيد به"[1].

ويقول سان سيمون إن المجتمعات في أوروبا في بدايات العصور الوسطى، كان يسيطر عليها الملوك وطبقات النبلاء، والكنيسة وطبقة رجال الدين، وتنظيمهم للمجتمعات كان بما يوافق مصالحهم ويبقي سيطرتهم عليها، ثم بدأ يظهر نظام اجتماعي جديد من داخل النظام القديم، أواخر العصور الوسطى، وكان ظهوره على أيدي التجار Merchants والصُناع Artisans، وهم من يقومون عليه ويحركونه، من أجل انتزاع السلطة من الملوك والكنيسة والحفاظ على مصالحهم، وظل الصراع قائماً بين النظامين الاجتماعيين والطبقات القائمة على رأس كل منهما، ومع ظهور العلم الطبيعي وتطور الصناعة وازدهار الإنتاج الصناعي، ومع تأثير الصناعة وما تنتجه في عموم الناس، تمكن التجار ونظامهم الجديد من توجيه ضربات قوية للملوك والكنيسة ونظامها الاجتماعي القديم، وبلغت هذه الضربات ذروتها مع الثورة الفرنسية[•].

ورسالة سان سيمون وغايته التي يسعى إليها، من أجل استكمال تطور التاريخ، والإطاحة بالتنظيم القديم للمجتمعات، وإتمام التنظيم الجديد لها والوصول إلى المجتمع الصناعي هي:

---

1) George Michael Bachtler: The Secret Warfare Of Freemasonry Against Churche And State, P210, Translated From German, Burns, Oates And company, London, 1875.

•) إذا رجعت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ستعلم تفصيلاً أن ظهور طبقات التجار والصُناع، أو الطبقة البورجوازية، كان أحد آثار منظمة فرسان الهيكل في أوروبا، وأن صراع هذه الطبقة مع الكنيسة والملوك عبر العصور كلها كان يقوده خلفاء فرسان الهيكل من الماسون ورجال الحركات السرية، واليهود في قلبها.

"تفريغ المجتمعات من عقائدها وأنظمتها القديمة، لتكون صفحة بيضاءTabula Rasa، وإقامة النظام الاجتماعي الجديد بإخراج السلطة السياسية العليا وتنظيم المجتمعات والسيطرة عليها من أيدي الملوك ورجال الدين إلى أيدي رجال الصناعة"[١].

وهاهنا تكون قد وصلت إلى مربط الفرس في فلسفة سان سيمون ومذهبه الاجتماعي، فإليك من يكون رجال الصناعة والتجارة هؤلاء الذين يريد سان سيمون وأتباعه إزاحة الديانات والعقائد لكي يضعوا أذهان البشر والسلطة على المجتمعات في أيديهم، وستعرف حينئذ الغاية الحقيقية من مذهبه ومَن الذين خلفه.

في كتابه: السان سيمونيين في مصر، يقول دكتور فيليب رينيه، أستاذ الآداب، ورئيس قسم البحوث الأدبية بالمركز القومي للبحوث في فرنسا، والأمين على أرشيف السان سيمونيين في مكتبة الأرسنال في باريس، وأطروحته للدكتوراة كانت عنهم:

"كان أولند رودريج ينتمي إلى عائلة يهودية كبيرة في بوردو، وكان عالم رياضيات رفيع المستوى، وأستاذاً لإنفانتان في مدرسة هنري الرابع ... وبعد أن عرف سان سيمون عند أحد رعاته، وهو المصرفي أردوان، شغل لديه المنصب الشاغر بعد انسحاب أوجست كونت، وهو الذي قام بتعريف المذهب الجديد لأخيه إيوجين ولإنفانتان، وأيضاً لليون هاليفي وبيرير، صهريه، وإلى جوستاف دي إيشتال، والدور المهم لهؤلاء اليهود وانتماؤهم لعالم المال يفسر جزئياً الربط الموجود في خيال السان سيمونيين بين الشرق والصناعة"[٢].

فرجال الصناعة الذين أقام سان سيمون مذهبه وكون مدرسته، لكي يضع في أيديهم مقاليد البشر وزمام المجتمعات، ليسوا سوى أصحاب المال والبنوك والتجار من اليهود.

وكوْن أصحاب المال والبنوك هم من خلف مذهب سان سيمون وأفكار مدرسته، هو ما فطن إليه إميل دوركايم، وإن أسقط أنهم يهود، لأنه هو نفسه يهودي، فيقول:

---

1) Socialism And Saint Simon, P78, 84.

٢) المؤرخ فيليب رينيه: السان سيمونيين في مصر ١٨٣٣م-١٨٥١م، ص٤٧-٤٨، ترجمة: أمل الصبان وأنور مغيث وداليا الطوخي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

"كان سان سيمون متأثراً بالدور المهم الذي تلعبه البنوك في المجتمعات الحديثة، ورأى فيها وسيلة تنظيم الحياة الصناعية، فرجال البنوك هم الوسيط بين العمال الذين هم في حاجة إلى أدوات الإنتاج وبين من يملكونها ولا يرغبون في استخدامها بأنفسهم، ومن ثم فهم البديل المنظم والعام للرأسماليين في توفير أدوات الإنتاج وتسويقها، كما أن رجال البنوك يمتلكون المهارات الكافية لاختيار أفضل المجالات التي يقومون بتمويلها وجني الأرباح منها، ولذا فتَوحُّد البنوك في نظام بنكي System Of Banks، سوف يؤدي إلى ازدهار النظام الاجتماعي ... ولأن المؤسسات ليست سوى صياغة للأفكار، فإنه لذو أهمية كبرى أن يتم بث هذه الأفكار لكي يقوم هذا النظام البنكي ويستقر"[١]!

وكما ترى، فالذي فعله سان سيمون في مذهبه ومدرسته، هو أنه يتمم عمل أصحاب المال والبنوك، عبر إزاحة الدين والعقائد، وتخليق الأفكار اللازمة لفتح المجتمعات أمام غزوهم لها، وقبول عموم الناس لسيطرتهم عليها.

وجميع الأسماء التي نص مؤرخ السان سيمونيين، فيليب رينيه، في عبارته، على أنهم رعاة سان سيمون وأتباع جماعته الأوائل، من اليهود، وليس لهم علاقة بالهندسة والعلوم، وجميعهم من أصحاب البنوك والتجار، وهم جماعة واحدة مترابطة بالقرابة والمصاهرات وعلاقات العمل.

فأولند رودريج Olinde Rodrigues، صاحب بنك رودريج في بوردو، من يهود السفارديم وبرتغالي الأصل، وهو الذي كان يرعى سان سيمون ويقوم بالإنفاق على جماعته وطبع كتبه وتمويل الصحف التي كان يصدرها، صحيفة: برودكتور/المنتج Le Producteur وصحيفة: إندستري/الصناعة L'Industrie، ورودريج هو الذي قدم صديقه إنفانتان لسان سيمون وعرَّفه به، وأردوان Ardoin الذي كان يعمل سان سيمون عنده، أيضاً يهودي، وهو صاحب مصرف أردوان وشركاه بفروعه في فرنسا وإسبانيا، واليهودي ليون هاليفي Leon Halevi، أستاذ الآداب الفرنسية، هو سكرتير سان سيمون وكاتم أسراره وأحد الذين اشتركوا في تأسيس صحيفة المنتج وتحريرها، واليهودي بيرير Pereire هو صاحب بنك بيرير، وهو أحد البنوك المؤسسة لبنك فرنسا، وبيرير وهاليفي صهران لرودريج، وإيوجين أخوه، والأديب والمفكر جوستاف دي

---

1) Socialism And Saint Simon, P138, 140.

إيشتال Gustave D'Eichthal يهودي من أسرة دي إيشتال، وهي إحدى أسر يهود البلاط في هايدلبرج في ألمانيا، واسمها الأصلي أسرة سيلجمان Seligmann، وهي صاحبة بنك دي إيشتال في ميونيخ، وفرعه في فرنسا أسسه أبوه هارون دي إيشتال Aaron D'Eichthal، وهو أحد الشركاء لبنك بيرير وبنك روتشيلد في مشروعات شق الطرق والسكك الحديدية والإنتاج الصناعي في فرنسا، والأديب والكاتب المسرحي إميل بارو Emile Barrault الذي كتب أول بيان أو مانيفستو للسان سيمونيين يهودي، وزوجته ابنة إلياس سيلجمان فون دي إيشتال Elias Seligmann Von D'Eichthal، وهو عم جوستاف دي إيشتال!

وسوف تعلم حقيقة أفكار سان سيمون، عن البنوك والنظام البنكي، وغايته هو ومدرسته، حين تعلم أن هذه البنوك التي قرأت أسماءها، تنتمي فعلاً إلى نظام بنكي موحد، وبينما كانت هذه البنوك تقيم هذا النظام وتسيطر به على الصناعة والتجارة في فرنسا، كان سان سيمون يضع لها مذهبه، لكي يبث هو ومدرسته الأفكار التي ترسخ مكانتها في أذهان عموم الناس، وتضع مقاليد المجتمع في أيدي من يملكونها.

والنظام البنكي الموحد الذي تنتمي إليه هذه البنوك، والذي وضع سان سيمون مذهبه لكي يكون غلافها الفلسفي ومبررها الاجتماعي، هو بنك فرنسا الأعلى Haute Banque.

علمتَ من قبل، في باب: نابليون وحملة الماسون، أن بنك فرنسا المركزي تكوَّن سنة ١٨٠٠م، من البنوك السويسرية، التي تملكها أسر الميليشيات السويسرية، التي انحدرت من فرسان الهيكل، ومن البنوك اليهودية الكبرى في فرنسا، وأن هذه البنوك سيطرت على الدولة في فرنسا، عبر القروض، وتمويل حروب حكومة الديركتوار وحروب نابليون، ومنها الحملة على مصر.

وبعد تأسيس بنك فرنسا، اتحدت بعض البنوك المؤسسة له، وكونت نظاماً بنكياً هو البنك الأعلى، ويقول يوسف قسيس Youssef Cassis، أستاذ تاريخ الاقتصاد في جامعة جنيف، وفيليب كوتريل Philip Cottrell، استاذ تاريخ التمويل في جامعة ليسستر، في الفصل الذي خصصاه لبنك فرنسا الأعلى، من كتابهما: البنوك الخاصة في أوروبا، الازدهار والتراجع

والانبعاث Private Banking In Europe: Rise, Retreat, And Resurgence، إن البنوك المؤسسة لهذا النظام البنكي الأعلى لم تكن تقبل دخول أي بنك فيه إلا بشروط، منها حجم أمواله وقدرته على الإقراض، وعدد فروعه في المدن المختلفة، وأهم هذه الشروط أن يكون نشاطه دولياً، وأن يسهم في تمويل الأنشطة الصناعية والتجارية في بلدان مختلفة.

فهاك البنوك المؤسسة لهذا النظام البنكي الأعلى في فرنسا، والمسيطرة عليه:

"في أوائل القرن التاسع عشر، ومع جاذبية باريس المتزايدة لأصحاب البنوك القادمين من الأقاليم، وعودة البنوك السويسرية، تأسس بنك باريس الأعلى، من كلود بيرير Claude Pereire، وماليه Mallet، وبرّيجو Perregaux، وديليسرت Delessert، وهوتنجر Hottinger، ثم ظهرت موجة ثانية من البنوك المهاجرة إلى فرنسا من ألمانيا، فوصل جيمس روتشيلد James De Rothschild إلى باريس سنة ١٨١٢م، وأسس بنك الإخوة روتشيلد Rothschild Freres، سنة ١٨١٧م، وبسرعة صار القوة المسيطرة داخل البنك الأعلى، وقَدِم أصحاب بنوك أخرى، وأغلبهم من أصول يهودية Often Of Jewish Origin، مثل آل أوبنهايم Oppenheims من كولون Cologne ودي هابرز De Habers من كارلسروه karlsruhe، وسيلجمان دي إيشتالSeligmann D'Eichthal من ميونيخ"[١].

ويقول قسيس وكوتريل إن:

"النشاط الرئيسي للبنوك التي تكون منها بنك باريس الأعلى، كان تمويل الأنشطة الصناعية والتجارية، داخل فرنسا وخارجها، وبفضلها صار الفرنك الذي يصدره بنك فرنسا المركزي، وهذه البنوك هي نفسها المالكة لأصوله، عملة دولية، وصارت باريس محور الأنشطة الرأسمالية وقبلة التجار من خارجها، ومركز تبادل العملات وتسوية الديون في أوروبا كلها، ومع الوقت سيطرت البنوك الأعضاء في البنك الأعلى على مختلف أنواع الصناعات في فرنسا، صناعة المنسوجات من القطن والحرير، وصناعة الخمور، والطباعة،

---

1) Youssef Cassis And Philip Cottrell: Private Banking In Europe: Rise, Retreat, And Resurgence, P128, Oxford University Press, 2015.

ومناجم الفحم، وصناعة السكر والزيوت، والإنشاءات والصناعات الهندسية، وشق الطرق والسكك الحديدية، وكان أصحاب هذه البنوك مترابطين بعلاقات العمل والمشروعات المشتركة، وبالزواج والمصاهرة By Marriage"[١].

فهل أدركت الآن ما الذي يعنيه مذهب سان سيمون، وما الذي في بطن الأغلفة البراقة التي لف أفكاره فيها، والشعارات المزخرفة التي رفعها فوقها؟!

---

1) Private Banking In Europe: Rise, Retreat, And Resurgence, P129-130.



السان سيمونيين في مصر، مشروعات ومخَلِّصة يهودية

ومن سان سيمون إلى بروسبير إنفانتان Prosper Enfantin، خليفة سان سيمون وقائد حملة السان سيمونيين على مصر، وتلميذ اليهودي أولند رودريج وصديقه.

وإنفانتان نفسه ابن أحد أصحاب البنوك في فرنسا، وكان يعمل في تجارة الخمور بين فرنسا وإيطاليا وألمانيا، وعندما قدمه رودريج إلى سان سيمون، كان إنفانتان يعمل في صندوق التمويل والرهونات العقارية في باريس La Caisse Hypothécaire، وكان بنك رودريج شريكاً فيه، وأولند رودريج عضواً في هيئة إدارته(١).

وفي دراستها عن إنفانتان وجماعته، تقول الموسوعة البريطانية، في طبعتها الحادية عشرة، طبعة سنة ١٩١١م، إن إنفانتان:

"ماسوني وكان عضواً في الكاربوناري Carbonari"(٢).

والكاربوناري أو جمعية الفحامين Carbonari، هي جمعية سرية تكونت في إيطاليا في أوائل القرن التاسع عشر، وإيطاليا جزء من إمبراطورية نابليون، وهي إحدى انشطارات الماسونية في إيطاليا، ومحافلها ودرجاتها وطقوسها هي نفسها كالتي في الماسونية، وفي لائحتها أن الماسون يُقبلون فيها بدرجاتهم دون تكريس، غير أن محافلها تسمى فنديتي Vendite، وهي اسم أماكن بيع الفحم بالإيطالية، ومحفلها الأعظم الذي يسيطر على جميع محافلها اسمه: الألتا فنديتا Alta Vendite.

وأشهر أعضاء الكاربوناري هو الماسوني اليساري الإيطالي، وأحد رموز الفكر القومي وأبطال الوحدة الإيطالية، جوتسيب ماتزيني Giuseppe Mazzini، وفي سنة ١٨٣١م انشق

---

1) Arthur John Booth: Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P100, Longmans, Green, Reader, And Dyer, London, 1871.
2) The Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition: Enfantin, Barthélemy Prosper, Vol.IX, P402, Cambridge England At The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.

ماتزيني بمجموعة من أعضاء الكاربوناري، وكون بهم حركة إيطاليا الفتاة La Giovine Italia.

وبعد موت سان سيمون، سنة ١٨٢٥م، اشترك الأب إنفانتان مع رودريج في قيادة السان سيمونيين، ولقب: الأب السامي Le Père Suprême، اتخذه إنفانتان لنفسه، وكان يناديه به أتباعه، ليس لأنه كاهن أو قسيس، بل لأنه قام بتطوير مذهب سان سيمون، وحوله إلى ديانة باطنية هو بطريركها، ووضع لها كتاباً مقدساً يستكمل به الوحي في الديانات الكتابية!

يقول رينيه فيليب، وهو مؤرخ السان سيمونيين، والأمين على وثائقهم، إن:

"إنفانتان استضاف أربعين من الحواريين للإقامة في المنزل الريفي الذي وُلد به في منلمونتان Menilmontant في تلال باريس الريفية ... وخصص السان سيمونيين أثناء هذه الخلوة أمسياتهم للتأمل الجماعي، والتي يُشكل محضر اجتماعاتها أغلب الكتاب الجديد، وهو مخطوط غير مطبوع، ومخصص في فكرهم لتكملة الوحي الوارد في الكتب الكبرى للأديان التوحيدية القديمة"[1].

وفي الديانة التي ابتكرها إنفانتان، أن الإله حل فيه، أو يتجلى في صورته، وفي إحدى رسائل اليهودي إميل بارو إليه، يخاطبه قائلاً:

"أيها الأب أنت التجلي الأعلى للإله في الإنسانية Manifestation La Plus Elevée De Dieu، أنت مسيا الإله/الهامشيحاه Messie De Dieu وملك جميع الأمم"[2].

فالديانة التي ابتكرها إنفانتان ليست سوى طبعة من القبالاه، ويقدر رينيه فيليب عدد أتباع هذه الديانة القبالية التي ابتكرها إنفانتان بأربعين ألف شخص، رجالاً ونساءً.

---

١) السان سيمونيين في مصر، ص٤١.

2) Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P147.

ويقول عالم الاجتماع الاشتراكي الإنجليزي آرثر جون بوث Arthur John Booth، في الفصل الذي خصصه لإنفانتان من كتابه: سان سيمون والسان السيمونيين، أحد فصول تاريخ الاشتراكية في فرنسا Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France، إن:

"أهم مسألة كانت تشغل إنفانتان، ويُوليها أكبر قدر من تأملاته، هي جنس الإله Sex Of God"[١]!!

ولأن الإله في القبالاه ذكر وأنثى، فقد وصل إنفانتان من تأملاته إلى أن:

"الإله أب وأم Pere Et Mere، ولابد كذلك أن يكون مع المسيا الرجل مسيا امرأة Femme Messie"[٢].

ومن ثَم، فقد كان للمرأة منزلة سامية في الديانة التي ابتكرها إنفانتان، واليهودي بارو أسس فرعاً من جماعة السان السيمونيين، سماه: جمعية رفاق المرأة Les Campagnes De La Femme، وأحد أسباب ولع السان سيمونيين بالشرق وارتحالهم إلى مصر، أن الوحي هبط على إنفانتان وبارو يخبرهم أن:

"المسيا/الهامشيحاه/المخلص قد جاء زمان ظهوره، وأنه سيكون امرأة يهودية، وظهورها سيكون في مصر، وأنها ستكون شريكة الأب إنفانتان، والأم التي ستشترك معه في تأسيس الديانة الكونية وتحرير نساء العالم"[٣]!

وإحدى معتقدات إنفانتان وغايات ديانته القبالية، تحرير الإنسانية رجالاً ونساءًا من عقدة الزواج Tyranny Of Marriage، وإحلال الحب الحر Free Love محلها!

---

1) Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P101.

2) Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P102.

٣) السان سيمونيين في مصر، ص٥٩-٦٠.

وأثناء خلوتهم، كان إنفانتان وجماعته يمارسون طقوساً جماعية ابتكرها، وفيها، كما يقول آرثر بوث:

"كانت تنتاب بعضهم إثارة شديدة Intolerable Excitement ويسقطون على الأرض، وآخرون يدخلون في حالة من النشوة Tance، ويقولون إنهم يستقبلون الوحي، ويعضهم يصاب بهزاهز وارتعاشات Convulsions And Seizures، ويتخيل أن الروح المقدسة حلت فيه ... وكان جوستاف دي إيشتال أكثرهم حماسة، وأشدهم نشوة وتعرضاً للهزاهز"[١].

وتنبه أن هؤلاء الذين كانوا يمارسون طقوس الشعوذة هذه، كما يقول آرثر بوث:

"كانوا من المهندسين والأطباء والمحامين وأساتذة الآداب والموسيقى، وكثير منهم كانوا من خريجي معهد البوليتكنيك/العلوم التكنولوجية في باريس École Polytechnique"[٢].

وهو ما تدرك منه أن وعي الإنسان ونفسه وذهنه ليست خلاءًا، ولا هي قابلة لأن تكون خلاءًا، وأن العلوم التجريبية والتكنولوجيا لا يمكنها أن تملأ خلاء الوعي والأذهان والنفوس وحدها، ولا هي بقادرة على أن تعوض ظمأ الإنسان إلى معرفة حقائق الوجود، فإذا لم يتكون ما يملأ الوعي والأذهان والنفوس من مسألة الألوهية والعقائد الصحيحة، فسوف تكون فراغاً يمتلىء تلقائياً بالخرافات والأساطير، وبالضلالات والعقائد الباطلة، كائناً من كان صاحبها، وبالغاً ما بلغت شهاداته ومناصبه، وما حازه من العلم والتكنولوجيا.

وفي مايو سنة ١٨٣٢م، أغلقت الحكومة الفرنسية، في عهد الملك لويس فيليب Louis Philippe، جمعية إنفانتان ومقراتها، ثم اعتقلته مع مجموعة من أتباعه، ومنهم إميل بارو وشارل لامبير، وحاكمتهم بتهمة بث الفوضى في المجتمع، وتهييج الفقراء، والدعوة إلى الثورة وإسقاط الدولة، وإلى الإباحية والانحلال، وحُكم عليهم بالسجن.

---

1) Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P135, 150.
2) Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P173.

وإبان وجودهم في سجن سان بلاجي St. Pelagie، هبط الوحي عليهم بالرحيل من فرنسا إلى مصر، لاستقبال المسيا الأم، وشق قناة السويس!!

والمسيا المرأة التي جاء إنفانتان وأتباعه إلى مصر لاستقبالها يهودية، وكذلك القناة التي جاءوا لشقها!

وفي رسالة أرسلها إنفانتان إلى بارو، في يوم ١٨ أغسطس سنة ١٨٣٣م، يخبره أن غايتهم من الرحيل إلى مصر ونقل نشاط جماعتهم إليها هي أنه:

"**يقع على عاتقنا أن نشق بين مصر وبلاد اليهود القديمة طريقاً من الطرق الجديدة التي تصل أوروبا بالهند والصين، وبذلك نضع أحد أقدامنا في بلاد النيل، والأخرى في أورشليم، وفي حين يمتد ذراعنا الأيمن على مكة، يصل ذراعنا الأيسر إلى روما، ويظل مرتكزاً على باريس، إن السويس هي مركز حياتنا العملية، وفيها سوف ننفذ العمل الذي ينتظره العالم منا**"[١].

وفي رسالة أخرى إلى برونو Bruneau، في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٣٣م:

"**يقترح إنفانتان استثمار فلسطين لحساب محمد علي، باستخدام التمويل اليهودي الدولي، كما يراهن إنفانتان على الممولين اليهود لتدشين القرض الضروري لشق قناة السويس**"[٢].

وإبان رحلتهم إلى مصر، أرسل شارل لامبير، رسالة إلى أخته صوفي، مصحوبة بخريطة تبين مسار السفينة التي أقلته مع إنفانتان، وهي ضمن أرشيف إنفانتان في مكتبة الأرسنال في باريس، ومسار سفينتهم ورحلتهم في الخريطة، كما يقول رينيه فيليب:

"**من باريس إلى أورشليم**"[١]!

---

١) أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع عشر، ص٧١.

٢) المؤرخ هنري لورنس: المملكة المستحيلة، فرنسا وتكوين العالم العربي الحديث، ص٦٧، ترجمة: الأستاذ بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، دار الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

فهدف السان سيمونيين من مجيئهم إلى مصر، كما ترى، إحياء بلاد اليهود القديمة واستعادة أورشليم، من خلال شق قناة تصلها بالغرب، عبر مصر، وتفتح مصر والشرق كله لأصحاب البنوك والتجار من اليهود، الذين هم محور أفكارهم ومن يمولونهم.

وهؤلاء القباليون المشعوذون الذين ينتظرون المخلصة اليهودية، وغايتهم إلحاق الشرق بالغرب في الوقوع تحت سيطرة البنوك والتجار اليهود، هم الذين فتح لهم أول الآتين من الخلف أبواب مصر، لكي يقيموا له دولته ومشاريعه، وسلمهم عقول التلاميذ في مدارسها لكي يفرغوها من الإسلام، ويملأوها بأفكارهم القبالية، فخرجوا من سجن سان بلاجي إلى مصر مباشرة!

وأول من رحل من السان سيمونيين من فرنسا، لبدء مهمتهم في الشرق، مجموعة من أعضاء جمعية رفاق المرأة التي أسسها القبالي إميل بارو، فوصلوا مصر في نهاية شهر أبريل سنة ١٨٣٣م، وكان عددهم ثلاثة عشر شخصاً، وتبعهم في يوم ١٤ مايو سبعة آخرون، منهم بارو نفسه، فصاروا عشرين، وهؤلاء كان دافعهم الأول للمجيء إلى مصر، كما يقول رينيه فيليب:

"نبوءة بارو عن ظهور المرأة المسيا في الشرق خلال سنة ١٨٣٣م"[٢].

وفي ٣١ يوليو سنة ١٨٣٣م، خرج إنفانتان من سجن سان بلاجي بعفو ملكي، وكان سبب العفو عنه:

"إعلان حملته على مصر من أجل حفر قناة السويس"[٣].

وفي يوم ٢٣ أكتوبر وصل إنفانتان إلى الإسكندرية، مع مجموعة من أتباع ديانته من المهندسين والأطباء والمتخصصين في الزراعة والتعليم، وكان المهندس شارل لامبير أحد المصاحبين له، ووصل العدد الإجمالي لهم في مصر إلى نحو ثمانين شخصاً، رجالاً ونساءً.

---

١) السان سيمونيين في مصر، ص٧٦.

٢) السان سيمونيين في مصر، ص٥٨.

٣) السان سيمونيين في مصر، ص٥٨.

وكان نائب قنصل فرنسا في مصر هو الذي سهل دخول إنفانتان وجماعته إلى مصر، وحصل على موافقة أول الآتين من الخلف على إقامتهم بها، رغم أن السلطات العثمانية طردتهم من إسطنبول، وقد مروا عليها وهم في طريقهم إلى مصر، بسبب أفكارهم التي اشتهروا بها، وبسبب الأزياء الغريبة التي يرتدونها، إذ كان إنفانتان قد صمم لأتباعه أزياء مختلفة، بعضها للطقوس، وبعضها للفنانين، وصمم زياً خاصاً لنفسه سماه زي الأب السامي، وأحد هذه الأزياء هو زي مهمة الشرق.

فهاك رسم يصور زي مهمة الشرق، الذي صممه إنفانتان ليرتديه الذاهبون إلى الشرق من أجل المهمة المقدسة، البحث عن المسيا الأم، وشق قناة السويس.



زي مهمة الشرق، رسم من أعمال ماشرو، أحد أتباع إنفانتان، والذي أسلم بعد ذلك، وسمى نفسه: محمد أفندي.

ونائب قنصل فرنسا، الذي سهّل دخول إنفانتان وأتباعه إلى مصر، ثم قدمهم لأول الآتين من الخلف، لكي يسهموا في مشروعاته، هو فردينان ديليسبس، الذي يُنسب له تاريخياً مشروع حفر قناة السويس، وهو ابن قنصل فرنسا، الماسوني ماتيو ديليسبس، الذي كان أحد الذين أسهموا في وصول أول الآتين من الخلف إلى السلطة في مصر.

وفي شهر يناير سنة ١٨٣٤م زار إنفانتان ومن يصاحبونه من المهندسين منطقة برزخ السويس لاستكشافها، وقاموا بفحصها وبعمل مقايسات هندسية لها.

وفي الوقت نفسه، كان المهندس هنري فورنيل Henry Fornel قد قام بإعداد مشروع حفر القناة بين البحرين، وفي يوم ١٣ يناير ١٨٣٤م، قابل فورنيل أول الآتين من الخلف، ليعرض عليه مشروع توصيل البحرين الأحمر والأبيض، وفي يوم ١٧ يناير كتب فورنيل بالاشتراك مع شارل لامبير مذكرة عن أهمية المشروع، وضرورة تقديمه على أي مشروع آخر، وقدمها قنصل فرنسا المسيو ميمو Mimault لأول الآتين من الخلف.

ورغم كفاح إنفانتان وأتباعه من أجل شق قناة السويس، وما بذلوه من جهد لإقناع أول الآتين من الخلف بالمشروع، إلا أنه فضل البدء بمشروع إنشاء قناطر وسدود على النيل، بناءًا على نصيحة مهندس فرنسي آخر، هو لينان دي بِلفون Linant De Bellefonds، كبير مهندسي الأشغال العمومية.

ولينان صار بعد ذلك هو نفسه من أصحاب مشروع شق قناة السويس، وبمعاونته، وهو إذ ذاك مدير الأشغال العمومية، حصل فردينان ديليسبس على فرمان تأسيس الشركة التي تقوم بشق القناة من الوالي محمد سعيد باشا، ابن أول الآتين من الخلف، وصار لينان دي بلفون رئيس المهندسين العاملين في تنفيذ مشروع القناة.

ومع الوقت صار إنفانتان ولينان صديقين، وفي رسالة أرسلها لينان إلى شارل لامبير، ومحفوظة في أرشيف إنفانتان:

"صرح له بأنه ليس سان سيمونياً، بمعنى أنه لا يمتهن هذا المذهب، ولكنه أضاف: "إنكم تعلمون بالطبع أكثر مني ما في داخلي من الأفكار السان سيمونية"[1]!

وقرر الأب إنفانتان الاشتراك بمهندسيه في مشروعات أول الآتين من الخلف الهندسية، وبأطبائه ومعلميه في إنشاء المدارس وإدارتها، ليكون ذلك ذريعة لبقائهم في مصر، إلى أن تلوح لهم فرصة أخرى يتمكنون فيها من تنفيذ مشروعهم الأصلي والحقيقي، مشروع قناة السويس، ولكي يظلوا في الشرق انتظاراً لظهور المخلصة اليهودية.

وتشمل قائمة المشروعات التي قام بها السان سيمونيين، أو إنفانتان وأتباعه، أو اشتركوا فيها، شق الطرق وإنشاء الكباري، والتنقيب عن المعادن، وإنشاء المصانع والمزارع، وإقامة المدارس وإدارتها، وصنع المثَّال السان سيموني ألريك Alrick تمثالاً لأول الآتين من الخلف.

والموسيقى والفنون في مذهب سان سيمون ومدرسته، كما علمت، هي بديل الوحي والكتب السماوية، وأداة بث القيم والأخلاق التي ينتجها المجتمع الصناعي، وأحد الآثار الكثيرة الباقية لإنفانتان وأتباعه في مصر إلى يومك هذا، إنشاء مدرسة للموسيقى العسكرية، وتكوين فرقة موسيقية لكل آلاي في الجيش، وإدخال الموسيقى كأداة لبث الروح العسكرية والتعبير عنها، وجلب الآلات الموسيقية اللازمة لذلك من أوروبا، وكان الذي أنشأ مدرسة الموسيقى في الجيش ويشرف عليها شارل روجيه Roger وكاريه Carre، وهما من أتباع إنفانتان.

وطوال فترة وجودهم في مصر كان إنفانتان وجماعته في حماية قنصل فرنسا ميمو ونائبه فردينان ديليسبس، وكذلك في حماية الكولونيل سيف/سليمان باشا الفرنساوي، قائد جيش أول الآتين من الخلف، وكان إنفانتان والطبقة اللصيقة به من أتباعه يقيمون في قصره وهم في القاهرة.

وفي تقرير كتبه دوق راجوزا Duke Of Ragusa، وهو الجنرال أوجست دي مارمون Auguste De Marmont، قائد الجيش الفرنسي في عهد نابليون، ثم في عهد أسرة بوربون،

---

١) **السان سيمونيين في مصر، ص١٢٢.**

وكان أحد قادة الحملة على مصر، واشترك مع كليبر في تأسيس محفل إيزيس، في تقرير كتبه عن زيارته للقاهرة في يناير سنة ١٨٣٥م، يقول دوق راجوزا:

"لقد وجدت في قصر سليمان باشا أكثر أعضاء هذه الطائفة شهرة Most Celebrated Apostles، فقد استقبلهم في منزله بحفاوة، ووضعهم تحت رعايته، وقد رأيت في منزله الأب إنفانتان وبارو ولامبير وبتي"[1].

أما المشروع الرئيسي الذي اشترك فيه إنفانتان وأتباعه، ليكون ذريعة بقائهم في مصر، فهو مشروع إنشاء القناطر الخيرية، التي بدأ العمل بها في عهد أول الآتين من الخلف، واكتملت في عهد الخديو إسماعيل.

وفي يوم ٩ مارس سنة ١٨٣٤م، وصل إنفانتان مع لامبير إلى المنطقة التي ستقام فيها القناطر، بعد أن تخلوا عن أزيائهم الغريبة، لعمل الدراسات التمهيدية، وأقاموا مخيمات لكي يقيموا فيها إقامة دائمة، وتبعهم في شهر يونيو عشرات من المهندسين التابعين لهم، ورغم أن إنفانتان لا علاقة له بالهندسة والإنشاءات، إلا أنه ظل طوال فترة عمل السان سيمونيين مقيماً في منطقة المشروع، لأنه، كما يقول رينيه فيليب، الأب السامي الذي يستمدون منه الإلهام والطاقة الروحية لمواصلة العمل.

ومع بدء العمل في المشروع التقى شارل لامبير أول الآتين من الخلف، واقترح عليه إنشاء مدرسة للهندسة في منطقة المشروع، لتخريج مهندسين يواصلون العمل فيه وفي بقية المشروعات، فأقيمت مدرسة المهندسخانة.

وينقل المؤرخ الفرنسي هنري لورنس، في كتابه: المملكة المستحيلة، فرنسا وتكوين العالم العربي الحديث، عن رسالة من إنفانتان إلى الآنسة سان هيلر، أنه بعد وضع حجر الأساس لمدرسة المهندسخانة:

---

1) Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P210.

"نُقش على وجه الحجر بسن المسطرين الحروف: N-MA، أي: نابليون– محمد علي"[1]!

فمشروع القناطر على النيل هو في الأصل مشروع نابليون وحملة الماسون على مصر، وحملة السان سيمونيين على مصر، كما يقول رينيه فيليب وهنري لورنس، ليست سوى امتداد لحملة نابليون العسكرية، أو نسخة ثقافية منها مغلفة في المشروعات، وأول الآتين من الخلف، القادم من حارة اليهود في اليونان، ليس سوى نابليون آخر يتخفى في أسماء المسلمين.

وفي رسالة إنفانتان إلى سان هيلر أن:

"محمد على منفذ وصية (خطط) نابليون، فقد أشار نابليون إلى مصر بإصبعه، بينما استولى عليها محمد علي لكي يكفل لها المصير الذي كانت إصبع نابليون تشير إليه"[2]!

---

١) المملكة المستحيلة، فرنسا وتكوين العالم العربي الحديث، ص٦٧.

٢) المملكة المستحيلة، فرنسا وتكوين العالم العربي الحديث، ص٦٧.

قناة السويس ومصيدة الديون

وقبل أن نترك السان السيمونيين ومَن خلفهم مِن اليهود، وإنفانتان وأتباعه من القباليين، إليك مشاهد تعرف منها حقيقة مشروع قناة السويس، وأنه في كل عصوره كان مشروع اليهود، وجزءًا من مشروع عودتهم إلى الشرق، وتهيئته لاستقبالهم، وخطوة في مسيرة استعادتهم للدولة اليهودية، وأن الإمبراطوريات الماسونية على اختلاف أسمائها لم تكن في هذا المشروع سوى غلاف لهم.

فأما المشهد الأول، ففي مشروع هنري فورنيل ودراساته التي وضعها لحفر القناة، كان هذا هو ما يخص تمويل المشروع:

"**التمويل يمكن أن يأتي من إنجلترا وحدها، أو على الأرجح من مؤتمر أوروبي، نوع من الحلف المقدس لقادة أوروبا**"[١].

فتنبه أولاً أن فورنيل الفرنسي بنى مشروعه لحفر القناة على تمويل يأتيه من إنجلترا!

وثانياً، أن مصر لا علاقة لها بمشروع قناة السويس، فلا هي التي فكرت فيه، ولا هي التي خططت له ونفذته، ولا هي التي تستفيد منه في المقام الأول، فهو، كما يصفه فورنيل نفسه:

"**مشروع أوروبي**"[٢].

وعلاقة مصر بالقناة عندهم، تنحصر في أنها مكانها، والبواب أو الخفير الذي يخططون لمنحه وظيفة حراستها لهم، في مقابل أجرته.

وفي رسالة من إنفانتان إلى فورنيل بخصوص التمويل الدولي للقناة، يخبره أنه:

"**لا يوجد ثمة ارتباط بين برزخ السويس ومصر ما دامت الصحراء تفصل بينهما**"[١].

---

١) السان سيمونيين في مصر، ص٦٤.

٢) السان سيمونيين في مصر، ص٨٦.

فالذي لم يُصرِّح به أصحاب المشروع في دراساتهم عنه، وكانوا يخبئونه في أذهانهم، أن القناة عندهم، ليست جزءًا من مصر، وأنهم يخططون لفصلها عنها في مرحلة لاحقة، وهو ما حدث فعلاً، بتوريط الخديو الماسوني إسماعيل في الديون، وما تلاه من احتلال إنجلترا لمصر.

وثالثاً، هاك مصادر التمويل الحقيقية، وقد نص عليها إنفانتان نصاً في رسالته إلى برونو Bruneau، في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٣٣م، عن تمويل مشروع القناة:

"**من بين المناجم التي يملكها الباشا، فإن المنجم الأوفر ثراءًا هو يهودا، ليس كأرض، بل كمركز للعالم اليهودي ... وعروق هذا المنجم تمتد إلى باريس ولندن وبطرسبورج وأمستردام وبرلين، إن رودريج وديشتال وبيرير هم رموز العمل الذي يجب أن نضطلع به في هذا المنجم، ويهودا يجب أن تكون الوسيلة لاجتذاب الرساميل التي سوف تخصب مصر، وسوف نوضح للباشا كيف يجب عليه استغلال هذه الثروات، وسوف نوضح له من هو رجل البنوك، إن روتشيلد وستيجليتس وهرتز ومندلسون هم رعاياه وسوف يدفعون له جزية**"[٢].

فتنبه مرة أخرى، إلى نص إنفانتان على ارتباط مشروع القناة بأرض يهودا واستعادتها كمركز للعالم اليهودي، فمشروع قناة السويس، كما أخبرناك، لم يكن سوى جزء من المشروع اليهودي لبلاد الشرق كلها، من أجل تفكيكها وإعادتها إلى خريطتها القومية التوراتية، التي تقع في قلبها دولة بني إسرائيل.

وتنبه ثم تنبه إلى أن إغراء مصر بالاستدانة، وجر قدمها واستدراجها إلى فخ القروض من بنوك اليهود، لتكتيفها بشبكتهم الناعمة غير المرئية، وتحويلها إلى مطية لهم، استراتيجية مبكرة، يسعى إليها اليهود والماسون منذ بداية مسارها اليهودي الماسوني، ولا علاقة لها بإرادة من يحكمونها ولا حاجتهم الفعلية للاقتراض.

والمصدر الحقيقي لتمويل حفر القناة في مشروع إنفانتان وفورنيل، ليس دول أوروبا أو حكوماتها، بل، كما ترى، البنوك التي يملكها التجار اليهود في بلاد أوروبا المختلفة، فهؤلاء هم

---

١) أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع عشر، ص٧٧.

٢) المملكة المستحيلة، فرنسا وتكوين العالم العربي الحديث، ص٨٣.

أصحاب المشروع الحقيقيون، وكل من تَصدَّروا مشاهد مشروع قناة السويس في كل الأزمنة، لم يكونوا سوى وكلاء عنهم أو واجهات لهم.

وفكرة حفر قناة بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ظهرت على يد نابليون بونابرت قبل إنفانتان وديليسبس، إذ عهد إلى جاك ماري لوبير Jacques Marie Le Père، كبير المهندسين المصاحبين لحملته على مصر، وعضو المجمع العلمي الذي أنشأه، باستكشاف القناة القديمة التي بدأ حفرها في القرن السادس قبل الميلاد، في عهد نخاو الثاني، أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين، واكتملت في القرن الخامس قبل الميلاد، ومصر تحت حكم داريوس الفارسي.

وكانت هذه القناة القديمة تمتد بين النيل والبحر الأحمر، فطلب نابليون من ماري لوبير دراسة إحيائها مع تحويل مسارها ليصبح بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، ثم توقف المشروع، لحدوث أخطاء في المقايسات الهندسية، جعلت لوبير وفريقه من المهندسين يعتقدون أن مستوى البحر الأحمر يرتفع عن مستوى البحر المتوسط بعشرة أمتار، وهو ما لا يمكن معه إتمام المشروع.

ونابليون بونابرت، واجهة أول مشروع فرنسي لحفر قناة السويس، كما علمتَ من قبل، ماسوني، وحملته على مصر هدفها الحقيقي تحويل مسار مصر لبدء المشروع اليهودي منها، وفتح الشرق كله أمام التجار، كما نص هو نفسه في منشوره الأول لأهل مصر، وبنوك الميليشيات السويسرية والبنوك اليهودية كانت دعامة إمبراطوريته، وهي التي تمول حروبه، وفي مقابل ذلك سمح لها بتكوين بنك فرنسا المركزي، ومنحها حق إصدار العملة الفرنسية وتحديد قيمتها.

وقبل نابليون بثلاثة قرون، كانت مفوضية التوابل Additio Specierum، في فينيسيا/البندقية، قد ناقشت في مجلسها المنعقد في ١٠ يونيو سنة ١٥٠٤م، مشروعاً بخصوص:

"حفر قناة تصل البحر الأحمر مباشرة ببحرنا هذا بسهولة وسرعة ... وتقدم الفينيسيون باقتراح لسلطان مصر لكي يقوموا بشق برزخ السويس على نفقتهم"[١].

ومفوضية التوابل، والمجلس الذي كان يحكم فينيسيا/البندقية، والمجالس التي كانت تحكم المدن الدول في إيطاليا كلها، إبان عصر النهضة، كانت تتكون من أسر التجار اليهود، الذين أنشأوا في إيطاليا أول نظام بنكي في التاريخ، وهذه الأسر وبنوكها هي الوريث المباشر الثاني لمنظمة فرسان الهيكل وشبكتها للتمويل والإقراض التي أنشأتها في مقراتها وكاتدرائياتها، والوريث الأول، كما أخبرناك من قبل، هو الميليشيات السويسرية وبنوكها.

في كتابه: فينيسيا Venice، وهو أحد سلسلة كتبه عن تاريخ المجتمعات اليهودية وآثارها في البلدان المختلفة، استعرض المؤرخ اليهودي سيسيل روس Cecil Roth، سيرة التجار اليهود والأسر اليهودية المسيطرة على حركة التجارة داخل فينيسيا، وفي حوض البحر المتوسط، مع أوروبا وتركيا والبلاد العربية، منذ أواخر القرن الخامس عشر، وأشهرهم صمويل موشيه سينكا Samuel Moses Sinca، وإسحق فوا Isaac Foa، وهارون يوزيل Aaron Uziel، وإسحق ديلامانو Isaac Dellamano، وكان يسيطر على حركة التجارة بين فينيسيا وشمال إفريقيا، وأسرة ليفي Levi، وأسرة منيربي Minerbi، وأسرة دي بونفيليDei Bonfili.

ثم يوجز سيسيل روس موقع اليهود والأسر اليهودية من حركة التجارة في فينيسيا خلال ثلاثة قرون، تمتد من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر، بقوله:

"كان زمام التجارة في فينيسيا بين أيدي اليهود The Trade Of Venice Was Overwhelmingly Concentrated In The hands Of The Jews، وباستثناء واحد أو اثنين، كانت تتألف منهم أكثر طبقات التجار ثراءً"[٢].

---

١) أنجلو سامَّاركو: قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص٤٧، ٤٩، ترجمة: ولاء عفيفي عبد الصمد، هيثم كمال سلامة، هدى صالح عبد العاطي، المركز اقومي للترجمة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

2) Cecil Roth: Venice, P179, Jewish Communities Series, The Jewish Publication Society Of America, Pheladelphia, 1930.

وكما ترى، واجهات مشروع قناة السويس تتغير عبر العصور، من دولة فينيسيا/البندقية، إلى نابليون وحملته، إلى إنفانتان وجماعته، إلى ديليسبس وشركته، ومن إيطاليا إلى فرنسا إلى إنجلترا، ولكن أصحاب المشروع الحقيقيون ومن يمولونه لا يتغيرون، وهم طائفة واحدة تتوارث مسيرة الكفاح عبر العصور من أجل تحقيقه، وهم محجوبون خلف الواجهات، لا يراهم ولا يفطن لوجودهم الأميون، ولا يرصدهم ولا يبحث عنهم الأمبريقيون.

وأما المشهد الثاني، فهو فردينان ديليسبس، وهو في مشروع قناة السويس ليس سوى امتداد للسان سيمونيين، وخلفهم في الوكالة عن أصحاب المشروع الحقيقيين.

في أواخر سنة ١٨٣٦م، مع تفشي وباء الكوليرا، ونقص الموارد المالية، أوقف أول الآتين من الخلف العمل في مشروع القناطر، ومع عدم ظهور المخلصة اليهودية، بدأ إنفانتان والمهندسون من أتباعه في العودة إلى فرنسا.

ومنذ عودته بدأ إنفانتان وأتباعه في شن حملات في الصحف للترويج لمشروع حفر قناة السويس، وضرورة الضغط على مصر لإتمامه، وفي سنة ١٨٤٥م، بدأ إنفانتان في الدعوة لتكوين جمعية أو شركة دولية للدراسات الخاصة بقناة السويس Societe Des Etudes Du Canal De suez، وفي يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٤٦م، تم توقيع عقد تأسيس الشركة في بيت إنفانتان، وأصبح بيته هو نفسه مقر الشركة، وصارت مهمة الشركة إجراء الدراسات والبحوث الهندسية والفنية عن كيفية تنفيذ المشروع، وكذلك دراسات الجدوى عن طرق تمويله ومَن يمولونه.

فإليك وصف المؤرخ الإيطالي أنجلو سامَّاركو(•)، في كتابه: قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، للموقعين على عقد تأسيس الشركة والذين اشتركوا في تمويلها، من نص العقد:

(•) أنجلو سامَّاركو هو المؤرخ الذي كلفه الملك فؤاد في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين بجمع جميع الوثائق الخاصة بقناة السويس من أرشيفات العالم كله، ووضع نسخ منها في دار الكتب والوثائق المصرية، وقد طُبع كتابه لأول مرة بالإيطالية في الجمعية الجغرافية المصرية في القاهرة في أواخر الثلاثينيات.

"أ- السيد روبرت ستيفنسون، مهندس إنجليزي، والسيد إنريكو ستاريوك، سواء لحسابه أو لحساب بعض الأشخاص من إنجلترا الذين يتحفظون على إعلان مساهمتهم، ب- السيد لويجي نيجريللي، مهندس، والسيدان دوفور فيرونس وسلييه من لايبزج، سواء لحسابه أو لحساب بعض الأشخاص من إيطاليا والنمسا وألمانيا الذين يتحفظون على إعلان مساهمتهم، السادة أرل دوفور، وبروسبير إنفانتان، وجوليو تالابوت، وليون تالابوت، وباولينو تالابوت، سواء لحسابهم، أو لحساب بعض الأشخاص في فرنسا الذين يتحفظون على إعلان مساهمتهم"[1].

ونحسب أنك لست بحاجة الآن إلى أن نخبرك مَن يكون فَعَلة الخير، هؤلاء الذين أسهموا في تأسيس شركة قناة السويس، من إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا، ثم تركوا الواجهات توقع على العقد، وتحفظوا هم على إعلان إسهاماتهم انتظاراً للأجر والثواب من الله!

ويقول آرثر بوث في كتابه عن سان سيمون والسان سيمونيين، إن:

"شركة دراسات القناة كانت تحت رعاية الغرف التجارية Chambers Of Commerce في مرسيليا، وفي ليون، وفي تريستا، وفي فينيسيا، وفي فيينا"[2].

وفي شهر أبريل سنة ١٨٤٧م، جاءت حملة من مهندسي شركة الدراسات، بقيادة المهندس الإيطالي دي نيجريللي De Negrelli، والتقوا أول الآتين من الخلف، بوساطة الفرنسي لينان دي بلفون، وسمح لهم بإجراء الدراسات التي يريدونها، وزودهم بسفينة تكون تحت تصرفهم، فمكثوا ثلاثة أشهر، قاموا خلالها بعمل دراسات مساحية ومقايسات هندسية لمنطقة برزخ السويس، ولسواحل البحر المتوسط، وقياس للقاع البحري فيها، وتلتها حملة أخرى في شهر سبتمبر من السنة نفسها بقيادة المهندس الفرنسي بوردالوا Bourdaloue، وأتمت دراساتها تحت رعاية دي بلفون أيضاً.

---

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص١٢٢، ١٢٣.

2) Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, P220.

وكان من المفترض طبقاً لخطة شركة الدراسات أن تأتي إلى مصر حملة ثالثة بقيادة المهندس الإنجليزي ستفنسون Stephenson، لعمل دراسات مساحية خاصة بتضاريس الأرض على سواحل البحر الأحمر، ولكنه أخبر الشركة أن هذه الدراسات موجودة فعلاً في أرشيف قيادة القوات البحرية البريطانية، وفي مقر شركة أورينتال ستيم Oriental Steam للملاحة البحرية في لندن، ثم قام بإرسال هذه الدراسات الإنجليزية إلى مقر شركة دراسات قناة السويس في باريس.

وهنا تنبه أن أول الآتين من الخلف لم يكن معارضاً للمشروع، ولا عرقل مسيرة حفر قناة السويس، التي تصل أوروبا بالشرق، ولو شئت الدقة التي تصل التجار وأصحاب البنوك اليهود في أوروبا بالشرق وتفتحه لهم، كما تقرأ في كتب التاريخ المزور التي يؤلفها الأميون في بلاليص ستان، بل، كما يقول سامَّاركو في كتابه الوثائقي عن تاريخ القناة، نقلاً عن رسالة للمهندس الإيطالي نيجريللي:

"محمد علي كان يعلم أن القناة سوف تحمل بصمة كوزموبوليتانية ... ذلك الملك العبقري المحبذ لمشروع القناة"[1].

ما كان يخشاه أول الآتين من الخلف، أن تنفرد إنجلترا وحدها بالقناة، وهي أكبر قوة بحرية وتجارية في العالم، بينما هواه مع الفرنسيين، ولأن مَن خلف هؤلاء هم أنفسهم مَن خلف أولئك، فما كان يخشاه هو ما كان يخطط له ليس فقط الإنجليز الذين يخافهم، بل وأيضاً الفرنسيون الذين يهواهم!

وفي سنة ١٨٤٨م توقف نشاط شركة دراسات قناة السويس، بسبب اندلاع الثورة في فرنسا، التي أطاحت بالملك لويس فيليب والملكية، وانتهت بتكوين الجمهورية الثانية، وتنصيب شارل لويس نابليون Charles Louis Napoléon، رئيساً لفرنسا، إلى سنة ١٨٥٢م، ثم أعلن نفسه إمبراطوراً على فرنسا باسم نابليون الثالث Napoléon III.

---

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص١٣٣، ١٤٤.

وفي سنة ١٨٥٤م صار محمد سعيد باشا والياً على مصر، خلفاً لعباس حلمي، وكان فردينان ديليسبس مربيه وصديقه، إذ جاء فردينان إلى مصر سنة ١٨٣٢م، نائباً لقنصل فرنسا، ثم صار القنصل، إلى سنة ١٨٣٧م، وإبان وجوده في مصر عهِد إليه أول الآتين من الخلف بتهذيب ابنه محمد سعيد، ومعاونته على تعلم الفروسية وخفض وزنه.

وفردينان ديليسبس، ابن الماسوني ماتيو ديليسبس، وهو نفسه كان عضواً في الشرق الأعظم الفرنسي، وعندما علم بنبأ جلوس سعيد على عرش مصر:

"ذهب إلى إنفانتان وأخبره بأنه على استعداد للرحيل إلى مصر، للحصول على امتياز هذا المشروع الضخم لصالح شركة الدراسات، فزودوه بكافة الوثائق اللازمة، وأمدوه بالمعلومات التي جمعوها عن المشروع، وقائمة بأعضاء شركة الدراسات، حتى يتعرف الوالي على كم الشخصيات البارزة والهيئات المؤيدة للمشروع ... كان ديليسبس مندوباً عن شركة دراسات قناة السويس، ومكلفاً منها للحصول على امتياز حفر القناة وتأسيس شركتها""[١].

ووصل ديليسبس إلى مصر في يوم ٧ نوفمبر سنة ١٨٥٤م، فاستقبله سعيد باشا بحفاوة بالغة، وأهداه فرساً عربياً، ثم اصطحبه في طلعة عسكرية للتدريب في الصحراء الغربية، وإبان عودتهم، وهم في جلسة سمر أمام خيمة سعيد باشا ومعه قادة جيشه، امتطى ديليسبس الجواد الذي أهداه له وانطلق بسرعة قافزاً من فوق حاجز صخري، فأعجبوا جميعاً بمهارته، وفي اليوم التالي فاتح ديليسبس سعيد باشا، في حضور سكرتيره الخاص الفرنسي كوينج بك، في مشروع القناة، وقدم له مذكرة عن المشروع، دون أن يخبره بعلاقته بشركة دراسات القناة التي أسسها إنفانتان، وهو يقرطسه بأنه يسهم في تقدم الحضارة ورقي الإنسانية وتقوية الروابط بين البشرية ويصنع مجداً يخلد ذكره في التاريخ.

ومرة أخرى كما ترى، لا جديد تحت شمس بلاليص ستان، وما يحدث فيها نسخة واحدة تتكرر في كل زمن، وفي عهد كل من توالوا على حكمها في مسارها الماسوني، منذ أول الآتين

---

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص١٦٦، ١٨٢.

من الخلف وحتى ثالث الآتين من الخلف، يُهدرون مواردها ويُفقرون أهلها ويُمكِّنون أعداءها منها، فقط لأن هناك أبالسة يقرطسونهم باسم الإنسانية وينفخونهم بمنفاخ الإنجازات التاريخية.

فإليك المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، في كتابه: عصر إسماعيل، وقد أفرد بدايته لعصر عباس حلمي وعصر سعيد، ينقل عن فردينان ديليسبس نفسه، كيف حصل على موافقة الباشا على المشروع، ولأي سبب وافق هو وحاشيته عليه:

"جمع سعيد باشا قواد جنده، وشاورهم في الأمر، ولما كانوا على استعداد لتقدير من يجيد ركوب الخيل ويقفز بجواده فوق الحواجز والخنادق، انحازوا إلى جانبي ... نظروا إليَّ بملء أعينهم، كأنما يريدون إفهامي أن صديق مولاهم الذي رأوه يقفز على الحائط راكباً جواده بتلك المهارة لا يمكن أن يدلي إلا بآراء صائبة"[1].

فوالي مصر ورجال دولته منحوا ديليسبس امتياز حفر القناة التي غيرت شكل الشرق، وفتحته أمام الغرب، وكانت فاتحة احتلال مصر، وخطوة كبرى في المشروع اليهودي، تقديراً لمهارات ديليسبس في الفروسية وركوب الخيل!

وإليك تعقيب المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"فانظر إلى ما صارت إليه شؤون الدولة في عهد سعيد، وكيف كانت عظائم الأمور يُبَت فيها من غير بحث أو روية، وهذا من أسباب الضعف الذي أصاب مصر في عهد خلفاء محمد علي، وإنه لمما يدعو إلى الدهشة والألم معاً أن مشروعاً خطيراً كقناة السويس يُقَرَار في رحلة صحراوية، من غير تمحيص ولا تفكير، وأن مجرد إعجاب رجال الدولة بفروسية المسيو ديليسبس كان كافياً لإقرار المشروع"[2].

وعبد الرحمن الرافعي، لأنه أمي، فقد علق ما حدث واستغفال ديليسبس لسعيد باشا ورجال دولته، على شخص سعيد باشا، دون أن يفطن أن المشكلة الأصلية والحقيقية ليست في

---

١) عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل، ج١، ص٦١، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢) عصر إسماعيل، ج١، ص٦١.

الأشخاص فقط، بل هي فيهم ولكنها قبل ذلك في هندسة الدولة التي أقامها أول الآتين من الخلف، وفي المسار الذي دفع مصر فيه، فأطاح بأهل الحل والعقد من العلماء، الذين بوصلتهم في قبول أي شيء أو رفضه المعيار والميزان والمصلحة العامة للأمة والحفاظ على استقلالها وعدم تمكين أعدائها منها، وأخرجهم وأخرج الإسلام نفسه من تكوين السلطة وموازينها، وأحل محلهم الغربيين والأميين من صنائعه، الذين بوصلتهم رضاه ويشيرون عليه بما يعلمون أنه يوافق هواه.

فقارن الطريقة التي أشار بها رجال الدولة في المسار الماسوني لمصر على سعيد باشا، والذي أشاروا به، قارنه بأهل الحل والعقد من العلماء وكيف كانوا يشيرون وبأي ميزان يوافقون أو يرفضون، وقارنه بمواجهتهم لأعاظم السلاطين والولاة، ولأول الآتين من الخلف نفسه، قبل أن يطيح بهم ليقيم دولته ويبدأ المسار اليهودي الماسوني لمصر، والذي تسير فيه إلى يومك هذا في زمان ثالث الآتين من الخلف.

ثم إن هؤلاء الصنائع الذين أقام بهم أول الآتين من الخلف دولته هم أنفسهم من الفرنسيين والطليان واليونان والأروام والأرمن، ومن كل جنس وملة، ما عدا المسلمين من أهل مصر التي زحف عليها من حارة اليهود في اليونان، وديليسبس الذي وَثِق فيه سعيد باشا فاستغفله، هو ابن ديليسبس الذي فتح لأول الآتين من الخلف الطريق إلى السلطة وكان ملهمه.

وبوصلة أول الآتين من الخلف والدولة التي أقامها، هو وملهميه وصنائعه، فصلها عن الخلافة وبلاد الإسلام، ووصلها بالغرب والسير خلفه واستلهامه في كل شيء، وتمويل دولته وجيشه وحروبه كان باحتكار كل ما تنتجه مصر من محاصيل وبيعه لدول أوروبا، عبر تعيين وكلاء له في عواصمها ومدنها، وإقامة شبكة من التحالفات مع التجار الأوروبيين الذين فتح لهم مصر فاستوطنوها وأسسوا فروعاً لشركاتهم في مدنها، خصوصاً الإسكندرية والمدن الساحلية.

وحين وصل أول الآتين من الخلف إلى السلطة في مصر، لم يكن يستوطنها سوى بضع عائلات أوروبية، وكان عدد الأوروبيين في مصر كلها حوالي مائة شخص، يتركزون في

الموانى والمدن الساحلية، خصوصاً الإسكندرية ودمياط، وحين مات كان عدد الشركات التجارية الإنجليزية والفرنسية واليونانية والإيطالية والنمساوية في الإسكندرية وحدها سبعين شركة، ووصل عدد التجار والسماسرة الأوروبيين إلى خمسة آلاف شخص.

وفي سنة ١٨٣٧م، زار السير جون بَوَرنج John Bowering، مصر، بتكليف من الحكومة البريطانية، ووضع تقريراً عن دولة الآتين من الخلف، من مختلف جوانبها، وقدمه لوزير الخارجية اللورد بالمرستون Palmerston، وفيه أنه:

"باستثناء قناصل إنجلترا وفرنسا وروسيا، فإن جميع القناصل الآخرين تجار، وعملهم الأساسي توفير الكماليات للبلاد، وعلاقتهم مع السلطات من أجل أغراض خاصة For Private Objects، لا أهداف عامة"[١].

فإذا جاء خلفاء أول الآتين من الخلف، ليوافقوا على مشروع يستكمل وصل الشرق بالغرب، ويفتحه أمامه، فهم مع حماقتهم أو عمالتهم، لم يفعلوا سوى أن خطوا خطوة في المسار الذي شقه هو لهم وكان أول من سار فيه، وكل خطوة في هذا المسار، وصولاً إلى احتلال مصر وإقامة دولة بني إسرائيل، ثم تمددها وإقامة الهيكل، هي من توابع ما فعله أول الآتين من الخلف، ومن آثار المسار الذي دفع مصر والشام فيه.

ولأن المسألة الحقيقية هي هندسة الدولة والمسار الذي تسير فيه، دون تبرئة الأشخاص، فقد كان الهمَّ الرئيسي والأولوية المطلقة لمن يدركون ذلك من الأبالسة من يهود فرنسا وماسونها الذين يحيطون بأول الآتين من الخلف ويلهمونه، أن يقيموا هذه الهندسة للدولة المصرية، وأن يدفعوها في هذا المسار، من خلال ما يحققونه لأول الآتين من الخلف من تمدين شكلي زائف، وما يقيمونه له من مشروعات وإنجازات مؤقتة، دون اعتبار لفوات الأهداف الجزئية ودون تعجل للثمار.

---

1) John Bowering: Repor On Egypt And Candia, P15, Addressed To Hon, Lord Viscount Palmerston, Printed By: W. Clowes And Sons, Stamford Street, For Her Majesty' Stationary Office, London, 1840.

فمع إقامة هذه الهندسة وسير بلاليص ستان في هذا المسار، لو استعصى عليهم من يحكم مصر، أو عرقل إتمام خطوة يريدونها في زمنه، يمكن ترحيلها إلى الزمن الذي يليه، وإتمامها في عهد من يخلفه أو الذي بعده، وهم ليسوا في عجلة، وكل جيل منهم يسلم راية المسار للذي يليه لكي يتمه ويصل به إلى غايته، بينما كل جيل من البقر الذين ينتجهم هذا المسار في بلاليص ستان وعيه محصور في لحظته، ولا يدرك ما يحدث، ولا يرى أي خطوة أو يشعر بها إلا بعد أن تتحقق وتصبح واقعاً حياً.

ثُم إن بقر بلاليص ستان هؤلاء جميعاً، لأنهم أميون، فهم لا يفهمون مما يحدث سوى أنه يحدث وحده، أو لملابسات وظروف ترتبت من تلقاء نفسها، ولأن وعيهم معلق بالغرب اليهودي الماسوني، ومقاليدهم في أيديه، ولأن هندسة الدولة والمسار الذي تسير فيه صنع بينهم وبين شعوبهم هوة سحيقة، فهم لا يملكون في مواجهة أي مشكلة أو كارثة سوى التوجه للغرب والتوسل إليه أن ينقذهم ويوجد لهم حلاً لها، وهو الذي دبر لها وصنعها!

وبعد موافقته الشفوية في يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤م، أصدر محمد سعيد باشا فرماناً رسمياً في ١٩ مايو سنة ١٨٥٥م، يمنح فيه فردينان ديليسبس امتياز مشروع حفر قناة السويس وتأسيس شركة دولية لتنفيذ المشروع، وحق تشغيل القناة واستغلالها لتسعة وتسعين عاماً بعد حفرها، وفي يوم ٥ يناير سنة ١٨٥٦م، وبعد تقرير أعدته لجنة فنية دولية عن إمكانية حفر القناة وتوصيل البحرين، أصدر سعيد باشا فرماناً بامتياز ثان، يمنح فيه ديليسبس حق حفر القناة وتأسيس شركتها، دون أن يعلم أي شيء عن هوية مؤسسيها أو من يمولونها، ودون أن يقرأ مشروع حفر القناة أصلاً!

وإليك فقرات من عقد امتياز حفر القناة وتأسيس الشركة، الذي وضعه ديليسبس، ووافق عليه سعيد باشا:

"١- يتولى ديليسبس القيام بإنشاء شركة تحمل اسم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية Compagnie Universelle Du Canal Maritime De Suez، مهمتها حفر قناة الملاحة الكبيرة عبر البرزخ، ٢- مدة الامتياز ٩٩ سنة، تبدأ من يوم افتتاح القناة

للملاحة، ٣- تتحمل القومبانية (الشركة) نفقات القيام بالأعمال، وفي المقابل ستُمنح لها الأراضي المملوكة للدولة بطول ساحل القناة، وستحصل الحكومة المصرية من القومبانية سنوياً على فائدة قدرها ١٥% من صافي أرباح ميزانية الشركة، دون مساس بالفوائد والأرباح العائدة من الأسهم المملوكة لها، ٤- المبلغ المتبقي من صافي الأرباح سيوزع على النحو التالي: ٧٥% لصالح القومبانية،١٠% لصالح الأعضاء المؤسسين، ٥- في حالة إذا رأت القومبانية أنه من الضروري ربط النيل بالقناة البحرية عن طريق خط ملاحي، فإنها ستقوم بحفر ترعة للمياة العذبة تصل بين النيل وبين قناة السويس، على أن تقوم الحكومة المصرية بمنحها أراضي المنفعة العامة المملوكة للدولة الواقعة على طول الخط الملاحي والترعة، وسيكون للقومبانية الحق في استغلال تلك الأراضي لمدة ١٠ سنوات، تبدأ من يوم افتتاح القناة، على أن تقوم بسداد نصف ثمنها بداية من العام الحادي عشر وحتى انتهاء فترة الامتياز، ٥- من حق القومبانية استخراج جميع المواد الخام والمعادن اللازمة لأعمال القناة والمنشئات الملحقة بها، من المناجم والكهوف الواقعة في الأراضي المملوكة للدولة بدون تسديد أية رسوم، كما يُسمح لها بدخول جميع الآلات والمواد التي تستوردها من الخارج لتنفيذ المشروع، ٦- يكون أربعة أخماس العمال من المصريين، وتتعهد الحكومة ببذل مساعدتها للقومبانية، وتكليف جميع موظفيها وعمالها في دوائر المصالح بمعاونة القومبانية"[1].

وكما ترى، منح الوالي الأمي سعيد باشا ديليسبس وشركته التي لا يعلم عنها شيئاً عقد امتياز لم يقرأه، وملّكه فيه أراضي مصر وممتلكاتها ونيلها ومناجمها، ومنحه حق تسخير أبنائها من العمال والفلاحين، فكانوا يُشحنون من البلدات والقرى بالمئات والآلاف جبراً، ويُنقلون للعمل في حفر القناة، وكانت البداية بعشرين ألفاً، ووصلوا عند نهاية الحفر إلى مليون، ومات منهم نحو مائة وعشرين ألفاً، بسبب الأوبئة والانهيارات الأرضية وسوء التغذية والعطش وفترات العمل الشاقة الطويلة.

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص١٩٣-١٩٤.

وفي ٥ نوفمبر سنة ١٨٥٨م وزع ديليسبس على المراسلين الأوروبيين نسخاً من عقد الامتياز، ووجه نداءًا لأصحاب رؤوس الأموال في دول أوروبا، يعرض فيه أسهم شركة قناة السويس للاكتتاب العام.

وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٥٨م، ومن باريس، وبصفته مفوضاً من والي مصر، أعلن ديليسبس تأسيس شركة قناة السويس العالمية للملاحة البحرية، وقام بتسجيل الشركة عند موكارت Mocquart، موثق العقود في باريس، وكان عدد المؤسسين للشركة في القائمة التي صدق عليها سعيد باشا ١٦٦ اسماً، على رأسهم سعيد باشا وديليسبس نفسه، أما بقية المائة والستة والستين، الذين اشتركوا في تأسيس شركة القناة، والذين يملكون١٠% من أسهمها وأرباحها، طبقاً لعقد الامتياز، فلا يعرفهم أحد، وهاك السبب:

"والقائمة التي استكملها ديليسبس وصدق عليها الخديو، لم يتم العثور عليها في أرشيفات البلاط المصري بالقاهرة، الذي يضم جميع الوثائق الخاصة بقناة السويس، فقد أخفت القومبانية النسخة، وأودعتها في سنة ١٨٩٣م لدى محرر العقود ماهوت Mahot كوثيقة سرية لا يُسمح لأحد أن يطلع عليها إلا القومبانية"(١)!

وفي سنة ١٨٩٣م كان ديليسبس لا يزال رئيس القومبانية/الشركة، وقد توفى بعدها بسنة، وهو في التاسعة والثمانين من عمره، فالذي لم يفطن إليه المؤرخ الإيطالي أنجلو سامَّاركو، أن الذي سرق الوثيقة التي تضم قائمة المؤسسين لشركة قناة السويس وأخفاها، هو ديليسبس نفسه، وأنه فعل ذلك قبل موته، لكي يظل ما فعله مجهولاً، ويظل من أسسوا شركة القناة في الخفاء ولا يعلم هويتهم أحد.

وفي شهر نوفمبر سنة ١٨٥٨م، وقبل إعلان تأسيس شركة القناة، كوَّن ديليسبس مجلساً لإدارتها، جميع من فيه من الفرنسيين، وبعضهم من أقاربه وأصدقائه، وهو على رأسه، وليس فيهم مصري واحد، ولا حتى سعيد باشا نفسه!

---

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص٣٢٥.

والآن إلى ما جئناك بقصة قناة السويس كلها من أجله، وهو تمويلها، وكيف كان هذا التمويل خطة مدبرة وخطوات مرتبة لتوريط مصر في الديون، ولكي تكون هذه الديون تمهيداً لإلقائها تحت أحذية الإنجليز التي يرتديها اليهود!

نص عقد امتياز شركة قناة السويس على أن رأسمال الشركة ٢٠٠ مليون فرنك، موزعة على ٤٠٠ ألف سهم، وقيمة السهم ٥٠٠ فرنك، وعند عرض أسهم شركة القناة للاكتتاب العام في باريس، اشترى سعيد باشا ٦٤ ألف سهم باسم الحكومة المصرية، واشترت الدولة الفرنسية والفرنسيون ٢٠٧ آلاف سهم، تساوي ٥٢% من جملة الأسهم، وامتنعت إنجلترا وحلفاؤها عن الإسهام في رأسمال الشركة، فكان نصيب الإنجليز من أسهم الشركة ٨٥ سهماً فقط، والنمسا ١٦٥ سهماً، وسويسرا ٤٦٠ سهماً، وإيطاليا ٢٠٠٠ سهم، فاضطر سعيد باشا إنقاذاً للإنسانية، وبناءًا على طلب من صديقه ديليسبس، أن يشتري كل ما تبقى من أسهم القناة بعد إنهاء الاكتتاب، وهو ١١٣ ألف سهم، فصارت الحصة التي تملكها مصر من أسهم شركة القناة ١٧٧ ألف سهم، أو ٤٤% من الأسهم، قيمتها ٨٩ مليون فرنك.

ولما كان سعيد باشا لا يملك المال الكافي لسداد ثمن الأسهم التي اشتراها، فقد دفع جزءًا منه، على أن يقوم بتسديد الباقي على أقساط سنوية، لمدة ثماني سنوات، وهو ما كان سبباً في أول دَين تقترضه الدولة المصرية من خارج مصر في تاريخها، وبدأت من عنده المسيرة التقليدية التي يسيطر بها اليهود والماسون وبنوكهم على مقاليد أي أمة، وتصبح مطية لهم يوجهونها نحو غايتهم، ويصلون على ظهرها إلي ما يريدون، قصر الوقت أو طال!

وأما الأسهم التي اشترتها فرنسا، وجعلتها صاحبة أكبر حصة في القناة، فقد اشترى جُلها الإمبراطور نابليون الثالث، رغم أن عقد امتياز شركة القناة ينص على ألا تزيد حصة أي دولة في أسهم القناة عن ٤٠%، ضماناً لبقائها دولية ومفتوحة لجميع الدول دون تمييز.

والماسوني ابن الماسوني فردينان ديليسبس، طرح أسهم شركة القناة للاكتتاب العام علناً، وجمع رأس مال الشركة، وقام بتأسيسها، ثم بدأ العمل الفعلي في حفر القناة، دون موافقة السلطان العثماني، ومصر رسمياً وقانونياً ولاية من ولايات الدولة العثمانية، ورغم أن الشرط

الوحيد الذي اشترطه سعيد باشا في عقد الامتياز الذي منحه لديليسبس، موافقة الباب العالي على مشروع القناة قبل تأسيس الشركة وبدء العمل في المشروع.

وإذ رفض السلطان عبد العزيز التصديق على عقد الامتياز، لما فيه من تفريط في أراضي الدولة، وتعريضها لمخاطر جسيمة، وجعلها جزءًا من النزاعات الأوروبية وساحة لها، أمر سعيد باشا مدير الدقهلية ومحافظ دمياط، بمنع توريد الطعام والماء لشركة القناة، لكي يجبر ديليسبس على إيقاف العمل.

ورد الماسوني ديليسبس على سعيد باشا برسالة شديدة اللهجة، في ٨ يونيو سنة ١٨٥٩م، يخبره فيها أن:

"**المسؤولية تقع على عاتق سموكم، إذا كان المسهمون الذين دعاهم موكلكم (ديليسبس نفسه) وباسمكم إلى الاكتتاب، يطالبونه بقيمة الخسائر التي تنجم عن عدم تنفيذ التعهدات**"[١].

واضطر سعيد باشا إلى تكليف ناظر خارجيته شريف باشا في ٩ يوليو سنة ١٨٥٩م، بإرسال منشور إلى قناصل الدول الأوروبية، أن الوالي لا يمكنه لأي سبب من الأسباب أن يسمح بالبدء في حفر القناة قبل أن يصدق السلطان على العقد.

وحينئذ:

"**تقدم ديليسبس في ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٥٩م إلى نابليون الثالث على رأس هيئة مفوضة من مجلس الإدارة، يلتمس الحماية الملكية من أجل شركة القناة، التي تضم رؤوس أموال عدد كبير من الفرنسيين، وطمأنه نابليون مؤكداً أن القومبانية يجب أن تكون محمية في الممارسة الحرة لحقوقها**"[٢].

---

١) دكتور عبد العزيز الشناوي: السخرة في حفر قناة السويس، ص٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص٣٤٢.

وتحت حماية نابليون الثالث، وكان في أوج مجده بعد انتصاره على النمسا، استمر ديليسبس وشركته في العمل في حفر القناة، دون أن يملك سعيد باشا والحكومة المصرية حياله شيئاً، ولم تمر سنة حتى عادت حبال الود إلى الاتصال بين ديليسبس وسعيد باشا، وكأن شيئاً لم يكن، ودون تصديق السلطان العثماني.

ونابليون الثالث، صاحب أكبر نصيب في قناة السويس، والذي وضعها تحت حمايته، هو ابن لويس نابليون، الأخ الأوسط لنابليون بونابرت الذي نصبه ملكاً على هولندا، ولويس نابليون ماسوني، وهو نائب الأستاذ الأعظم للشرق الأعظم الفرنسي في عهد أخيه الإمبراطور الماسوني نابليون الأول.

ونابليون الثالث نفسه، كما يقول ألبرت ماك كي، في موسوعته الماسونية:

"ماسوني، وكان عضواً في المجلس للسامي Supreme Councel للطقس الاسكتلندي القديم في فرنسا، وهو تابع للشرق الأعظم الفرنسي"(١).

والمجلس السامي للماسونية في الطقس الاسكتلندي يتكون من حائزي الدرجة السامية Sublim Degree، وهي الدرجة الثالثة والثلاثين، وهو ما يعني أن نابليون الثالث من حائزي الدرجة الثالثة والثلاثين، وإن لم يصرح ماك كي بذلك.

وبعد تنصيب نفسه إمبراطوراً لفرنسا، اتبع نابليون الثالث نهج عمه نابليون الأول، فوضع محافل الشرق الأعظم تحت رعايته، وفي سنة ١٨٦٢م، وحسب رغبته وتحت رعايته، تم انتخاب ابن عمته، الأمير لوسيان مورا Lucien Murat، أستاذاً أعظم للشرق الأعظم الفرنسي، ولوسيان مورا هو ابن كارولين أخت نابليون بونابرت من الجنرال الماسوني جواكيم مورا، الذي نصبه نابليون الأول في عهده ملكاً على نابولي.

---

1) **Albert MacKey: Encyclopaedia Of Freemasonry, Vol.3, P124, Revised And Enlarged Edition, The Masonic History Company; 1929.**

والإمبراطور الماسوني نابليون الثالث، حامي ديليسبس ومشروع قناة السويس، هو السبب في أول قرض في عهد الخديو إسماعيل.

فإليك المشهد الثالث من مشاهد القناة، وهو مسيرة الديون والقروض التي بدأت من عند قناة السويس، لتنتهي باحتلال إنجلترا لمصر، وبداية المرحلة الثانية، السياسية العسكرية والمرئية، من المشروع اليهودي، وتاريخ الشرق منذ حملة الماسوني نابليون ووصول أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية إلى حكم مصر، لم يكن سوى المرحلة الأولى من المشروع اليهودي، والجزء التأسيسي وغير المرئي، الذي تم من خلاله تمهيد الشرق وإعادة رسمه وهيكلته لكي يستقبل اليهود ويحتضن دولتهم.

تكلفت المرحلة التمهيدية السابقة لإصدار فرمان امتياز حفر القناة وتأسيس شركتها، نفقات باهظة، تشمل تمويل حملة اللجنة الدولية لعمل قياسات هندسية لمنطقة برزخ السويس وسواحل البحرين المتوسط والأحمر، والدراسة التي قامت بها، وكذلك دراسات لينان باشا وموجيل بك، بالإضافة إلى تمويل أنشطة ديليسبس وجولاته بين مصر وفرنسا والأستانة، وقد بلغت هذه النفقات ٧٠٠ ألف فرنك فرنسي، قدمها سعيد باشا هدية لديليسبس!

يضاف إلى ذلك ٨٩ مليون فرنك، ثمن الأسهم التي اشتراها سعيد باشا في شركة قناة السويس، والأسهم المتبقية بعد انتهاء الاكتتاب، والتي اضطر لشرائها لكي يمكن إعلان تأسيس الشركة.

وقدر كبير من الخسائر الاقتصادية لمصر في مشروع القناة كان بسبب نظام السُخرة، والتزام الحكومة المصرية بتوريد العمال الذين تحتاجهم الشركة، فكانت الحكومة تعتقل الفلاحين وتسوقهم للعمل في حفر القناة دون موافقتهم، لا على العمل وشروطه، ولا على الأجر الذي حدده ديليسبس، وفي سنة ١٨٦٢م وحدها:

"بلغ عدد المصريين الذين أُكرهوا على الحفر، وهي السنة التي شهدت أكبر حشد آدمي في تاريخ الشركة، ربع مليون مصري، وهو عدد رهيب بالنسبة لتعداد مصر الذي بلغ في تلك السنة أربعة ملايين وثمانمائة وثلاثة وثلاثين ألفاً ٤,٨٣٣,٠٠٠"[١].

ولائحة تشغيل العمال في قناة السويس، التي أصدرها سعيد باشا في ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦م، بالاتفاق مع ديليسبس، الذي صاغها:

"حددت أجر العامل بقرشين ونصف إلى ثلاثة قروش، وإذا كان سن العامل يقل عن اثنتي عشرة سنة يتقاضى قرشاً واحداً في اليوم"[٢].

وفي مقابل هذا الأجر الزهيد، كان العمال يطالبون بالعمل من الفجر إلى غروب الشمس، ويُلزَم كل عامل باستخراج ما بين ١,٥ متر مكعب ومترين مكعبين من الطين والأنقاض في اليوم، ونقلها إلى مسافة خمسين متراً من مكان الحفر.

ومع ما صارت الحكومة المصرية ملتزمة بدفعه من ثمن أسهم القناة، ومع الخسائر الاقتصادية الجسيمة التي ترتبت على نقل الفلاحين للعمل في حفر القناة وخسارة قوة العمل في الزراعة، ومع إسراف سعيد باشا وإغراء التجار الغربيين له بشراء الكماليات ولوازم الفخامة وبناء القصور وزخرفتها، وإنشاء المشروعات اللازمة للأمجاد التاريخية دون أن تكون ثَمة حاجة حقيقية لها، ومع عدم قدرة سعيد باشا على سداد ثمن ما يشتريه، وعجزه عن دفع رواتب الجيش والجزية التي تدفعها مصر للدولة العثمانية باعتبارها إحدى ولاياتها، كان أول دَين تستدينه الحكومة المصرية.

يقول المؤرخ الإنجليزي جون مارلو، في كتابه: تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطاني، إن الذي دفع سعيد باشا إلى الاستدانة، وشق طريق الديون لأول مرة في تاريخ مصر، هو:

---

١) السخرة في حفر قناة السويس، ص٣٠.

٢) السخرة في حفر قناة السويس، ص٣٠.

"ديليسبس، لأنه "كان متلهفاً على توفير المال في يد سعيد باشا، تمهيداً لاستخلاص جزء منه لمصروفات القناة"(١).

ولأن الاستدانة باسم الدولة تحتاج إلى إذن من الدولة العثمانية، فقد نصح ديليسبس سعيد باشا في أواخر سنة ١٨٥٨م بأسلوب مبتكر، هو إصدار بونات أو سندات حكومية قصيرة الأجل بفائدة مرتفعة، لإغراء البنوك الخاصة والتجار بشرائها.

وهذا الأسلوب المبتكر في الاستدانة والحصول على الأموال، هو الذي سارت عليه الدولة الماسونية التي أسسها أول الآتين من الخلف في بلاليص ستان، منذ أغواها الماسوني ديليسبس به، وما زالت تسير عليه إلى يومك هذا، سواءً في صورتها الأصلية كسندات، أو في صورتها المحورة كشهادات استثمار.

وكانت نصيحة ديليسبس للوالي الأمي وأسلوبه المبتكر، هو أن:

"يصدر سندات على الخزانة العامة، في بادئ الأمر لمدة ستة أشهر، واثني عشر شهراً، وثمانية عشر شهراً، ثم أصبحت فيما بعد لمدد تصل إلى ستة وثلاثين شهراً، وكانت فائدتها في البداية ١٥%، فوصلت إلى ١٨% سنوياً"(٢) .

فمرة أخرى وعاشرة وإلى ما لا نهاية، هل من جديد تحت شمس بلاليص ستان؟!

ولأن متوسط فائدة الاقتراض كان يتراوح بين ٦% و ٧% فقط، تحولت البنوك التجارية الأوروبية التي تأسست في الإسكندرية والقاهرة، من تمويل المشروعات التجارية إلى شراء سندات الخزانة المصرية، فوقعت الدولة المصرية في فخ القروض، ودخلت إلى شبكة المرابين والبنوك، وبدأت رحلة الانزلاق على المنحدر الذي يدفع اليهود والماسون إليه كل أمة يُلقون شباكهم حولها.

---

١) المؤرخ جون مارلو: تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطاني، ص١٣٢، ترجمة: دكتور عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

٢) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص١٣٣.

وفي سنة ١٨٦٠م، وبوساطة البولندي باوليني بك Paolini، أحد مستشاري سعيد باشا، وبضغط من ديليسبس لكي يشتري الباشا أسهم شركة قناة السويس الراكدة:

"جرى التفاوض على عقد قرض قيمته ٢٨ مليون فرنك/مليون ومائتا ألف جنيه إسترليني، مع شارل لافيت Charle Laffitte، وبنك الكونتوار دي كونت Comptoir D'Escompte، وقد بلغ صافي هذا القرض، بعد خصم العمولة ومصروفات التأسيس، ٢٠ مليوناً وسبعمائة ألف فرنك، بفائدة ٦% ... بضمان إيرادات جمارك الإسكندرية"[١].

وفي شهر مارس سنة ١٨٦٢م، وقَّع سعيد باشا عقد قرض مع فرع بنك أوبنهايم وشابر وشركاه Oppenheim, Chaber, Et Cie في الإسكندرية، والذي يوجد مقره الرئيسي في فرانكفورت في ألمانيا، وكان العقد ينص على:

"تقديم ٦٠ مليون فرنك/مليونين وخمسين ألف جنيه إسترليني، تسدد على ثلاثين عاماً، بفائدة اسمية ٨%، وفعلية ١١%، وبضمان إيرادات أراضي الدلتا ... وبلغت القيمة الكلية للمبلغ الذي تسلمه سعيد، بعد استقطاع الخصومات والعمولة،٥٣ مليوناً وخمسمائة ألف فرنك/مليونين ومائة وخمسين ألف جنيه إسترليني، وبلغ حجم المبلغ الذي يُسدد على ثلاثين سنة حوالي ١١٨ مليون فرنك/سبعة ملايين وتسعمائة وعشرين ألف جنيه إسترليني"[٢].

فسعيد باشا اقترض باسم الحكومة٦٠ مليون فرنك، لم يدخل منها الخزانة سوى ٥٣ مليوناً وخمسمائة ألف، وصار مطلوباً منها سداد ١١٨ مليون فرنك، وإلا تحولت إيرادات أراضي الدلتا كلها إلى الدائنين!!

وبعد توقيع عقد القرض، قام بيت مال أوبنهايم الألماني في فرانكفورت، ببيع عقد القرض مع الحكومة المصرية إلى بنك فروهلنج وجوشن الإنجليزي في لندن Fruhling And Goshen، على أن يحصل بنك أوبنهايم على عمولة وجزء من الفائدة!

---

١) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص١٣٥.

٢) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص١٣٥.

وبيت مال أوبنهايم يهودي، والذي أنشأه المرابي اليهودي الألماني سولومون أوبنهايم Salomon Oppenheim، في كولون Cologne سنة ١٧٨٩م، ثم انقسم بين أبنائه إلى فروع عديدة وفي مدن أوروبية مختلفة، وكذلك بيت مال فروهلنج وجوشن يهودي، والذي أسسه سنة ١٨١٤م في لندن المرابي اليهودي المهاجر من لايبزج في هولندا، فلهلم هينريش جوشن Wilhelm Heinrich Goschen.

فسل نفسك وأنت تراجع ما أتيناك به من سيرة أهل الحل والعقد الحقيقيين من العلماء، وليس الموظفين وحفظة الأكلشيهات الذين أنتجهم المسار الماسوني: هل كان يمكن أن تتورط مصر في هذه القروض من بنوك اليهود بهذه الشروط، وتنزلق في هذا المنحدر الذي ما زالت تنزلق فيه، لو كان أهل الحل والعقد ما زالوا في تكوين السلطة، وكانت موافقة الشريعة وموافقتهم شرطاً لإتمامها؟

وإزاحة المعيار والميزان بالمباني والإجراءات الشكلية، أو إزاحة أهل الحل والعقد من العلماء وإزاحة الإسلام نفسه من هندسة الدولة وتكوين السلطة، بالمجالس والبرلمانات الديكورية، لتكون أداة الحاكم في تمرير ما يُلهمه به اليهود والماسون في الغرب، وقرطسة الشعب وإجباره على ما تريده السلطة، في غلاف أن هذا هو ما تريده البرلمانات التي انتخبها، والشعب مغلوب على أمره، والبرلمانات مزورة ولم ينتخبها، هو لُب الهندسة الماسونية للدولة في بلاليص ستان، والغاية من المسار الذي شقه اليهود والماسون لها بأول الآتين من الخلف ودفعوها فيه، لكي تكون جزءًا من المشروع اليهودي، ومن أدوات تسييره وإتمامه.

وعندما مات سعيد باشا، في شهر يناير سنة ١٨٦٣م، كانت ديون الدولة في مصر لبنوك اليهود، قد بلغت حوالي ١٢ مليون جنيه إسترليني، وهو ما يساوي ثلاثة أمثال ميزانية الدولة، بالإضافة إلى أربعة ملايين أخرى، هي ثمن أسهم مصر في شركة القناة، فخلفه الخديو إسماعيل، أحد تلاميذ البعثات إلى فرنسا، ليستكمل مسيرة القروض والديون، فبدأها مرة أخرى بقناة السويس.

بعد أن صار إسماعيل باشا والياً على مصر، اتجه إلى تخفيف شروط عقد الامتياز الذي منحه سعيد باشا لديليسبس، فسعى إلى إلغاء البند الخاص بالسخرة، لما ترتب عليه من خسائر جسيمة في الزراعة، وكذلك البنود الخاصة بمنح أراضي الدولة لشركة القناة على جانبي القناة، وعلى جانبي الترعة العذبة أو الخط الملاحي بين النيل والقناة، خصوصاً بعد أن صدرت مذكرة من الأستانة باسم السلطان عبد العزيز، في ٦ أبريل سنة ١٨٦٣م، بعدم الموافقة على التصديق على عقد امتياز القناة، في وجود هذا الشرط، ونصت المذكرة على أنه:

"وفقاً لمشروع العقد، فحيثما ستمتد القنوات، سيكون للقومبانية الحق في أن تطالب بتملك الأراضي المجاورة، وبتلك الطريقة من الطبيعي أن تقع مدن السويس والتمساح وبورسعيد، مثلها مثل جبهة سيناء، في أيدي الشركة المجهولة، التي يتشكل الجزء الأعظم منها من الغرباء التابعين لقضاء حكوماتهم وسلطاتها، وبذلك قد تقيم القومبانية على النقاط الرئيسية في أراضي الإمبراطورية العثمانية مستعمرات مستقلة عن الإمبراطورية، ولا توجد أي حكومة على وعي باستقلالها وواجباتها تقبل تسوية من هذا النوع ... وهذا الشرط لن تتم الموافقة عليه"[١].

وأرسل الخديو إسماعيل مذكرة إلى ديليسبس يخبره بعدم موافقة الباب العالي، ويطلب منه تعديل بنود عقد الامتياز، فعقد ديليسبس مجلس إدارة شركة قناة السويس، وأصدر قراراً برفض مطالب إسماعيل، فاتفق الخديو الأمي مع الماسوني ديليسبس على تحكيم الإمبراطور نابليون الثالث، رغم أن نابليون الثالث هو وبنوك المال في فرنسا أصحاب أكبر حصة في أسهم شركة القناة، لأن الخديو الأمي يثق في أصدقائه الفرنسيين الذين تعلم عندهم وتربى بينهم!!

وفي ٦ يوليو سنة ١٨٦٤م، اصدرت المحكمة التي شكلها الإمبراطور الماسوني نابليون الثالث حكمها، فكان كالتالي:

"١- إلغاء التزام الحكومة المصرية بتقديم العمال المصريين لشركة القناة، في مقابل تعويض تقدمه للشركة، قدره ٣٨ مليون فرنك، ٢- تنازل الشركة للحكومة المصرية عن

---

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص٣٥١-٣٥٢.

حقها في ترعة المياة العذبة، والتزام الحكومة بإتمامها، مع حق الشركة في الانتفاع بها، على أن تعوض الحكومة الشركة بمبلغ قدره ١٦ مليون فرنك، ٣- تحتفظ الشركة بملكية الأراضي اللازمة للمشروع، وهي ٢٣ ألف هكتار، ٤- تعيد الشركة الأراضي الأخرى التي تَبيَّن عدم لزومها للمشروع، ومساحتها ٦٠ ألف هكتار، في مقابل تعويض تدفعه الحكومة للشركة قدره ٣٠ مليون فرنك"[١].

وبذلك بلغ إجمالي التعويضات التي حكمت محكمة الإمبراطور الماسوني نابليون الثالث على مصر أن تدفعها لشركة القناة، في مقابل تعديل بنود عقد الامتياز، ٨٤ مليون فرنك/ثلاثة ملايين وثلاثمائة وستين ألف، ٣,٣٦٠,٠٠٠، جنيه إسترليني، وهي تساوي حينئذ أكثر من قيمة نصف أسهم شركة القناة كلها، فكان التعويض، كما يقول جون مارلو، أكثر قيمة من الامتيازات نفسها[٢]!

ومنذ وصل إسماعيل إلى حكم مصر، وبنك أوبنهايم اليهودي:

"يقوم بمحاولات عديدة لإقناعه بتسديد القروض والديون التي على الحكومة المصرية، عن طريق عقد قرض طويل الأجل، توطئة لاقتراض مزيد من الأموال من حساب مفتوح، ولم يكن أحد في بيت مال أوبنهايم أو من الدائنين الآخرين يرغب في خروج إسماعيل من الدَين، ذلك أن عملية إقراضه قد أثبتت أنها عملية رابحة، وفوق ذلك كانت هناك أرباح أخرى إضافية تأتي من العمولات على طلبات الشراء من الخارج، التي لم يكن من الممكن تقديمها إلا إذا كان إسماعيل والخزانة المصرية يتلقيان باستمرار المزيد من القروض"[٣].

ومع صدور حكم الإمبراطور الماسوني نابليون الثالث بالتعويضات، دخل إسماعيل كسلفه سعيد في مصيدة اليهود، فتم في أكتوبر سنة ١٨٦٤م توقيع عقد القرض المنتظر، وكانت قيمة القرض:

---

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص٣٨٢-٣٨٣، عصر إسماعيل، ج١، ص٩٥-٩٦.

٢) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص١٧٩.

٣) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص٢٢٨.

"خمسة ملايين وسبعمائة وأربعة آلاف، ٥,٧٠٤,٠٠٠، جنيه إسترليني، بفائدة ٧%، وتُسدد على خمسة عشر عاماً، بضمان إيرادات الدقهلية والشرقية والبحيرة"[١].

وبعد توقيع عقد القرض، باعه بنك أوبنهايم اليهودي الألماني مرة أخرى إلى بنك فروهلنج وجوشن اليهودي الإنجليزي، وطارت سبعمائة ألف جنيه إسترليني من القرض في السمسرة والعمولات، وذهبت ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف جنيه إسترليني مباشرة لتسديد جزء من الديون السابقة، وكان المبلغ الذي دخل الخزانة المصرية فعلاً مليوناً وخمسمائة ألف، ١,٥٠٠,٠٠٠، جنيه إسترليني!

وفي سنة ١٨٦٥م، اقترض الخديو إسماعيل من بنك الأنجلو ثلاثة ملايين وثلاثمائة وسبعة وثمانين ألف وثلاثمائة، ٣,٣٨٧,٣٠٠، جنيه إسترليني، ورهن في مقابلها ٣٦٥ ألف فدان من أملاكه، ولذا يُعرف بقرض الدائرة السنية، ولم يدخل منه في خزانته سوى ثلاثة ملايين جنيه إسترليني، وذهب الباقي في السمسرة والعمولات.

وفي سنة ١٨٦٦م، كان قرض السكك الحديدية من بنك أوبنهايم، وفيه:

"أبرم إسماعيل عقداً بقرض قيمته ثلاثة ملايين جنيه إسترليني، يُسدد على ست سنوات، وبفائدة قدرها ٧%، وقد رُهنت في مقابله إيرادات السكك الحديدية، ودخل الخزانة منه بعد خصم عمولة السمسرة، مليونان وستمائة وأربعون ألف، ٢,٦٤٠,٠٠٠، جنيه إسترليني، ونصف هذا المبلغ هو فقط الذي سيُدفع نقداً، أما النصف الثاني فيُدفع في شكل معدات للسكك الحديدية، واحتفظ بنك أوبنهايم لنفسه بعمولة عليها تبلغ ٥%"[٢].

وفي سنة ١٨٦٧م اقترض الخديو إسماعيل مليونين وثمانمائة ألف، ٢,٨٠٠,٠٠٠، جنيه إسترليني، وفي سنة ١٨٦٨م اقترض الخديو من بنك اوبنهايم مرة أخرى أحد عشر مليوناً وثمانمائة وتسعين ألف، ١١,٨٩٠,٠٠٠، جنيه إسترليني، بفائدة ٧%، ويُسدد على مدى ثلاثين سنة، من إيرادات الجمارك وعوائد الكباري ومصايد الأسماك، ولم يدخل الخزانة من هذا المبلغ

---

١) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص٢٣٠.

٢) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص٢٣٢.

سوى سبعة ملايين ومائة وأربعة وتسعين ألف، ٧,١٩٤,٠٠٠، جنيه إسترليني، وكان من شروط هذا القرض أن يمتنع الخديو عن الاستدانة مدة خمس سنوات.

وفي سنة ١٨٦٩م، أصدر الباب العالي في الأستانة فرماناً، يحظر فيه على الخديو إسماعيل الاقتراض إلا بإذنه وبعد الرجوع إليه.

وبعد أن أُجبر الخديو على وقف الاقتراض، لجأ إلى الأسلوب الذي ابتكره الماسوني ديليسبس وورثته عنه الدولة الماسونية في بلاليص ستان في كل عهودها، فاتفق سنة ١٨٧٠م مع بنك أوبنهايم على اقتراض ١,٥ مليون جنيه إسترليني من سوق المال في لندن لمدة ستة أشهر، وسبعة أشهر، وثمانية أشهر، بضمان إيرادات السكك الحديدية، التي كانت مرهونة من قبل في قرض سنة ١٨٦٥م، مع عمولة لبنك اوبنهايم قدرها ٤% من القرض، وفي سنة ١٨٧١م وبسبب العجز عن دفع قيمة السندات التي جاء أوان استحقاقها، قام الخديو بالاتفاق مع بنك أوبنهايم بإصدار سندات جديدة، قيمتها مليونا جنيه إسترليني، لسداد قيمة السندات القديمة منها!

وفي سنة ١٨٧٠م أيضاً اقترض الخديو من اتحاد الممولين الأوروبيين الذي يرأسه اليهودي بيشوفشيم Beshoffsheim، سبعة ملايين ومائة واثنين وأربعين ألفاً وثمانمائة وستين، ٧,١٤٢,٨٦٠، جنيه إسترليني، بضمان أطيانه الخاصة، وهو قرض الدائرة السنية الثاني، ولم يكن يخضع لحظر الباب العالي، لأنه بضمان أملاكه الخاصة.

وفي سنة ١٨٧٣م، وبعد أن حصل على إذن من الباب العالي، اقترض الخديو إسماعيل من بنك أوبنهايم ٣٢ مليون جنيه إسترليني، بفائدة ٧%، ويُسدد على ثلاثين سنة، ورهن في مقابله عوايد الملاحات والضرائب وما تبقى من السكك الحديدية، وكان القرض من أجل سداد الديون السابقة، وذهب من القرض أكثر من ١١ مليون جنيه إسترليني في السمسرة والعمولات، وبقي منه ٢٠ مليوناً وسبعمائة وخمسون ألف جنيه إسترليني، لم يدخل الخزانة منها سوى ١١ مليوناً وسبعمائة ألف جنيه إسترليني، والتسعة ملايين الباقية سندات على الخزانة.

وفي كتابه: التطور الاقتصادي لمصر الحديثة The Economic Development Of Modern Eygypt، يقدر كروشلي Croushley، أستاذ تاريخ الاقتصاد في الجامعة المصرية، في ثلاثينيات القرن العشرين، إجمالي ما اقترضه الخديو إسماعيل من البنوك وبيوت المال الأوروبية بمبلغ قدره ٦٨ مليوناً وأربعمائة وسبعة وتسعون ألف، ٦٨,٤٩٧,٠٠٠، جنيه إسترليني، وما دخل الخزانة المصرية منها فعلاً، بعد العمولات والسمسرة، ٤٦ مليوناً وسبعمائة وستون ألف، ٤٦,٧٦٠,٠٠٠، جنيه إسترليني(١).

والسؤال الآن: هل كان الخديو إسماعيل والدولة بحاجة إلى هذه القروض فعلاً، وفيم أنفقها؟

فإليك المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، يخبرك بإسراف الخديو، وما كان يستدين من أجله:

"كان ينفق على توسيع دائرة أطيانه وأملاكه، واشترى قصر ميركون على ضفاف البسفور، ليتخذه مقراً عندما ينزل الأستانة ... واشترى أملاك الأميرين مصطفى فاضل وعبد الحليم في مصر، لمقاومتهما إياه في تغيير نظام توارث الحكم ... وفي بناء دار التمثيل، ومضمار لسباق الخيل، وبناء قصور عابدين والقبة والزعفران والجيزة والقصر العالي وسراي مصطفى باشا برمل الإسكندرية ... وبلغ عدد القصور التي بناها ثلاثين قصراً ... وتكلف تجميل هذه القصور وتأثيثها وشراء التحف والصور لها ما لا يحصى من الملايين ... وكم من الفرنسيين والإيطاليين والإنجليز كانوا تعساء في بلادهم ثم نالوا بعد أن هبطوا مصر الرخاء والنعيم، يقومون بمهمة الموردين للخديو، ويربحون من ذلك أرباحاً باهظة لا يتصورها العقل ... اشترك الخديو في معرض باريس سنة ١٨٦٧م وظهر فيه بمظهر فخم يأخذ بالألباب، فأنفق في هذا السبيل وفي رحلته بباريس ملايين الجنيهات ... وأنفق نفقات باهظة على حفل افتتاح قناة السويس، وقد بلغت ١,٥ مليون جنيه استرليني ... وبلغ المطلوب من إحدى الأميرات من بنات إسماعيل لخياط فرنسي ١٥٠ ألف جنيه ... وحملاته

1) A. E. Croushley: The Economic Development Of Modern Eygypt,P122, Longmans, Green & Co., London, New York, Toronto, Printed In Great Britain At The Burleigh Press, London, 1938

العسكرية في السودان، والاستكشافات في أعالي النيل ... وديون طويلة الأجل من أجل تسديد قروض قصيرة الأجل"[١].

والمؤرخ عبد الرحمن الرافعي أورد التفاصيل الدقيقة للقروض والديون في عهدي سعيد وإسماعيل، ولكن لأنه أمي، فالشيء الوحيد الذي أسقطه منها ولم يرد على ذهنه أن يفسره، هو أن بيوت المال والبنوك الأوروبية هي التي سعت إلى إغراء هؤلاء الحكام الأميين بالقروض والاستدانة، وأنهم كانوا جميعاً من اليهود!

فهاك جون مارلو يخبرك صراحة بهوية من أوقعوا سعيد باشا والخديو إسماعيل من بعده ومصر كلها في شباكهم، وأنهم ليسوا ألماناً ولا إنجليزاً ولا فرنسيين، بل هم الطائفة من اليهود التي أخبرناك عنها، فهي تتوزع بين بلدان شتى، وتتخفي خلف واجهات من أسماء هذه البلاد، وخلف أنها عالمية ودولية، وتبدو مختلفة ولا علاقة بينها، ولكنها في حقيقتها واحدة في غاياتها وأسلوبها، ومترابطة في تدبيراتها وخططها، ويخبرك مارلو أن الحكومات في أوروبا تبع لهم، وأنهم هم الذين أغروا الولاة الأميين بالإسراف والبذخ ومشروعات الأمجاد التاريخية، لكي يتمكنوا من إدخال مصر في شبكة القروض والديون، وتسييرها نحو ما يريدون.

فالديون وتراكمها وتوالدها، كما يقول مارلو، يعود إلى:

"جشع الممولين اليهود من الفرنسيين والإنجليز والألمان، الذين شجعوا بطريقتهم المعهودة الوالي على الإسراف والتبذير لتمكين أنفسهم من ممتلكاته، وهذا النهب كان يتم على نطاق عالمي كبير، وأصبح نهب المصريين الذي بدأ في شكل عمليات نصب يقوم بها المغامرون الأوروبيون كأفراد، بمعاونة مجموعة من القناصل التجار سيئي السمعة، أصبح مصدراً رئيسياً للربح لنصف البيوت المالية في أوروبا، بمعاونة غالبية الدول العظمى"[٢].

وفي كتابه: بنوك وباشوات، قصة الديون في عهد إسماعيل، يؤكد لك دافيد لاندز David Landes، أستاذ تاريخ الاقتصاد في جامعة شيكاغو في خمسينيات القرن العشرين، وصراحة

---

١) عصر إسماعيل، ج٢، ص٣٧، ٣٩، ٤٠، ، ٤١، ٤٢، ٥٦، ٥٧.

٢) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص١٤٢.

أيضاً، ما أخبرناك به، وهو أن هذه الطائفة من اليهود شبكة واحدة، تتسع عُقدها لتغطي بلاد العالم كله، وهي مترابطة على بعد المسافات بينها بخيوط العمل والقرابة والزواج والمصاهرة، أو هم تروس في آلة واحدة، ويتمم كل منهم في مكانه عمل الآخرين:

"واليهودي الذي ينزل على غيره من اليهود لم يكن يعتبر غريباً، فقد كان اتصالهم بإخوتهم في الدين يعني ارتباطاً ثميناً، ولا أحد غيرهم يستطيع أن يحدد بسهولة البلاد التي في حاجة إلى سلع، أو الفرص القائمة للربح، وأكثر من ذلك فلم يكن عند أحد غيرهم مثل هذه الشبكة الكاملة والنشيطة من المخابرات في أنحاء العالم، لشؤون السياسة أو شؤون التجارة، ولم تكن جماعتهم مجرد وحدة عقيدة دينية فقط، ولكن كانت هناك عادة الزواج من نفس الجماعة، فابن صاحب البنك يتزوج ابنة التاجر، وأمستردام ترتبط بفرانكفورت وباريس وكولونيا بروابط الدم والمصاهرة، وكان أبناؤهم يتعلمون في محلات بعضهم البعض وبنوكهم، حتى يصبحوا أصدقاء في طفولتهم وزملاء في شبابهم، وكانوا ينتقون مراسليهم وشركائهم من بين أفراد القبيلة، ومن بحر الصين إلى البوابة الذهبية، ومن ساسون إلى سلجمان، كانت هناك سلسلة متصلة من بنوك اليهود التجارية، يربطها الدم، أو العمل المشترك، وغالباً الاثنان معاً"[(١)].

والهدف الحقيقي لبيوت المال والبنوك اليهودية، ليس فقط الربح وكنز الأموال، كما قال مارلو، فأكمل المسيرة معنا، وسوف تدرك غاية هؤلاء اليهود، ليس فقط من إدخال مصر في مصيدة القروض والديون، بل ومن صناعة هذا الطراز من الحكام في معاملهم في الغرب، ومن مشروع قناة السويس، ومن المسار اليهودي الذي شقوه لمصر بأول الآتين من الخلف والدولة الماسونية التي أقاموها فيها.

في سنة ١٨٧٥م كان على الخديو إسماعيل وحكومته أن يقوم بسداد ١٠٠ مليون فرنك، ثمن البونات أو السندات التي جاء أوان استحقاقها، وكان قد رهن كل شيء في مصر، ولم يتبق سوى حصة مصر من أسهم شركة قناة السويس، وهي تساوي نحو نصف رأسمال الشركة،

---

١) دافيدز لاندز: بنوك وباشوات، قصة الديون في عهد إسماعيل، ص٢٦، ترجمة دكتور عبد العظيم أنيس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤م.

وكان الذي استدرج الخديو الأمي وبث في رأسه فكرة بيعها ليخرج من مصيدة الديون، وهو في الحقيقة يدفعه داخلها أكثر، إدوارد درفيو.

وإدوارد درفيو Eduard Dervieu، أحد التجار المغامرين الذين بدأوا في الهبوط على مصر منذ وصل إلى حكمها أول الآتين من الخلف، وحولها إلى مرتع للتجار الغربيين، وقد جاء درفيو إلى مصر سنة ١٨٥٥م، في عهد سعيد باشا، مديراً لمكتب شركة مِساجريه Messageries للملاحة البحرية في الإسكندرية، وفي سنة ١٨٦١م أسس شركة درفيو وشركاه للتجارة والتمويل في الإسكندرية، وبعدها بسنة واحدة صار وكيلاً لبنك ماركوار وأندريه Marcuard, André Et Cie في باريس، وهو فرع بنك ماركوار في سويسرا، أحد أكبر بنوك الميليشيات السويسرية، وفي سنة ١٨٦٣م حوَّل شركته إلى بنك درفيو وشركاه، ثم عقد تحالفاً مع بنك أوبنهايم اليهودي في الإسكندرية، وصارا شريكين في تمويل القروض والعمليات التجارية.

ويقول أستاذ تاريخ الاقتصاد دافيد لاندز، في كتابه: بنوك وباشوات، وهو كله عن إدوارد درفيو وأنشطته في مصر، ودوره في تمويل ديون الخديو إسماعيل، إن درفيو صار صديقاً للخديو إسماعيل، والممول الرئيسي له، عبر الوساطة بينه وبين بنك أوبنهايم في جميع القروض التي حصل عليها، وكان درفيو باعتباره حليفاً لبنك أوبنهايم، يسهم هو نفسه في تمويل هذه القروض، وكذلك عبر شراء بنكه للبونات أو السندات التي كان يصدرها الخديو للحصول على المال من خلالها، وفي سنة ١٨٦٣م وحدها اشترى بنك درفيو ما قيمته ٣٨ مليون فرنك من السندات التي أصدرتها الحكومة المصرية، لتمويل دفع الباقي من ثمن أسهم مصر في قناة السويس.

ويقول لاندز إن الخديو إسماعيل كان أحد الأطراف الثلاثة الذين أسهموا في رأسمال بنك درفيو، والطرفان الآخران هما ألفريد أندريه عن بنك ماركوار في باريس، وإدوارد درفيو نفسه، وفي يوم ٨ مايو سنة ١٨٦٣م أرسل درفيو رسالة إلى أندريه يخبره أن:

" إسماعيل قد طلب منه أن يزيد رأسمال مصرفه من ثلاثة ملايين إلى عشرة ملايين، حتى يحتل المركز الأول في البلاد، ويقوم بكل الأعمال التي تنشأ عن رغبة جلالته في تنمية الزراعة والتجارة والصناعة في مصر، وفوق ذلك فقد وعده إسماعيل باستثمار مليوني فرنك على الأقل من ماله الخاص في الشركة الجديدة، وبمعنى آخر، سيكون إسماعيل أحد الشركاء المستترين"[١].

ويقول لاندز إن الخديو إسماعيل استثمر فعلاً ٢,٥ مليون فرنك في بنك درفيو، وكان غرضه من ذلك:

"ضمان الحصول على مزية السحب كلما شاء، وبالنسبة لإسماعيل، كان السحب على المكشوف يأخذ في العادة صورة إصدار الأذونات وأنواع الاقتراض الأخرى الرسمية، أما هنا فقد كان هذا أمراً خاصاً، ولن تكون هناك دعاية سيئة تؤثر على سمعته في السوق المفتوح، إنها قروض شخصية خاصة تتمتع بمرونة لا تتمتع بها القروض العادية، وهي بهذه الصفة تتجنب رقابة وزرائه الأدبية، وتتهرب من جهد القسطنطينية/الأستانة في السيطرة على الموقف"[٢].

ومع الأزمة المالية الخانقة، وانغلاق سبل الاستدانة أمام الخديو، لعدم وجود ما يضمن به لمن يقرضونه السداد، ظهر درفيو صديق الخديو الوفي ومنقذه من أزماته المالية ليعرض عليه بيع أسهم مصر في شركة قناة السويس، وبعد موافقة الخديو انطلق درفيو إلى باريس، واجتمع مع هنري أوينهايم، لتدبير ثمن الأسهم من بيوت المال والبنوك الفرنسية.

ومع شيوع نبا بيع أسهم مصر في القناة في باريس، طلب ديليسبس من الحكومة الفرنسية أن تشترك في تمويل شراء الأسهم، ولأن فرنسا كانت على شفا مواجهة مع ألمانيا، ولا تريد استعداء إنجلترا، أرسل وزير الشؤون الخارجية الفرنسي لويس ديكاز Louis Decazes رسالة،

---

١) بنوك وباشوات: ص١٠٠.

٢) بنوك وباشوات: ص١١٦.

إلى نظيره البريطاني اللورد دربي Derby، يخبره بالمسألة، وكان رد اللورد دربي عليه في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٧٥م:

"القومبانية/الشركة والمساهمون الفرنسيون يمتلكون بالفعل ١١٠ ملايين من إجمالي الـ ٢٠٠ مليون التي تمثل رأس مال الأسهم، وهذا كاف جداً"[١].

وقبل أن يرسل اللورد دربي رده إلى ديكاز، كان قد أبلغ رئيس الحكومة البريطانية، ولم يكن البرلمان البريطاني منعقداً، فقام رئيس الحكومة البريطانية بتشكيل لجنة حكومية مصغرة، وعقد اجتماعاً انتهى بموافقتها على توصية رئيس الحكومة بشراء أسهم مصر في قناة السويس، ثم أعلنت الملكة فكتوريا موافقتها، بعد أن أخبرها رئيس الحكومة أن ميزانية الحكومة لن تتكلف شيئاً، لأنه اتفق مع أحد أصدقائه من أصحاب البنوك أن يقوم بتمويل شراء الأسهم بقرض بفائدة بسيطة، وفي الوقت نفسه أقنعها أنه:

"من الأهمية القصوى للحفاظ على النفوذ والسلطة، أن تئول قناة السويس إلى إنجلترا"[٢].

وفي يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥م، كلف رئيس الحكومة البريطانية وزير الخارجية اللورد دربي، بإرسال رسالة إلى قنصل إنجلترا في مصر، الجنرال ستانتون Stanton، لمقابلة الخديو إسماعيل وناظر المالية والتجارة نوبار باشا، وإبلاغهم بوقف المفاوضات مع بيوت المال والبنوك الفرنسية، لأن إنجلترا ستشتري أسهم مصر في قناة السويس.

وفي يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥م، تم توقيع عقد بيع مصر لأسهمها في قناة السويس، في مقابل أربعة ملايين جنيه إسترليني/مائة مليون فرنك، تسدد للخزانة المصرية على ثلاثة أقساط، وفي خلال عشرة أيام كانت الأسهم في خزائنها المصفحة قد وصلت لندن، لتوضع في بنك إنجلترا.

---

١) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص٤٩٤.

٢) قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها، وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ص٤٩٦.

وبعد شراء إنجلترا لأسهم مصر في القناة، أدخل ديليسبس ثلاثة من الإنجليز ممثلين عن الحكومة البريطانية في مجلس إدارة شركة القناة، وزادوا سنة ١٨٨٤م، بعد احتلال إنجلترا لمصر، إلى عشرة، وكانوا جميعاً من التجار وأصحاب البنوك.

وفاتنا أن نخبرك في قصة بيع أسهم مصر في قناة السويس وشراء إنجلترا لها، أن رئيس الحكومة البريطانية الذي تجاوز البرلمان وأصر على شراء حصة مصر في القناة، هو اليهودي بنيامين دزرائيلي/الإسرائيلي Benjamin Disraeli، وأنه من عجائب المصادفات عند الأميين أن الذي دفع ثمن شراء هذه الأسهم قرضاً للحكومة البريطانية، هو بيت مال روتشيلد اليهودي Rothschild & Sons، وصديق دزرائيلي الذي منحه القرض لحكومته بشروط مخففة هو ليونيل روتشيلد Lionel De Rothschild، رئيس مؤسسة روتشيلد، ومؤسسة روتشيلد هي صاحبة أكبر نصيب في رأس مال بنك إنجلترا!!

وفي سنة ١٨٨٠م، بعد الإطاحة بالخديو إسماعيل، وفي أوائل عهد الخديو توفيق، وبضغط من وزير المالية ووزير الأشغال العمومية، وهما الوزيران الأوروبيان في الحكومة المصرية، كما ستعلم، باعت مصر آخر ما يربطها بقناة السويس، وهي حصتها الثابتة من أرباح القناة السنوية، وتساوي ١٥% من الأرباح قبل تقسيمها على الأسهم، وهي الحصة التي تقابل ما منحته من تسهيلات وأراض لشركة القناة من أجل إنشائها وحفر القناة، وقد باعتها للبنك العقاري الفرنسي مقابل ٢٢ مليون فرنك/٧٠٠ ألف جنيه استرليني.

وبذلك لم تعد لمصر صلة بقناة السويس التي تقع في أرضها، وتم فصلها عنها، بالضبط كما خطط القبالي إنفانتان في رسالته إلى المهندس فورنيل، ومشروع حفر القناة ما زال أفكاراً وخططاً على الورق:

"لا يوجد ثمة ارتباط بين برزخ السويس ومصر، ما دامت الصحراء تفصل بينهما"[١].

---

١) أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع عشر، ص٧٧.

والآن نريد أن نسألك سؤالاً: قد قرأت قصة قناة السويس، ومسارها منذ بداية فكرتها مع حملة الماسوني نابليون، ثم مشروع السان سيمونيين والأب إنفانتان وأتباعه من القباليين، ثم تأسيس الماسوني ديليسبس لشركة قناة السويس وحفر القناة، وما واكب ذلك من دخول مصر في مصيدة القروض والديون، ووقوعها فريسة بين أنياب اليهود من التجار وأصحاب البنوك، وصولاً إلى بيع أسهم مصر في القناة واستيلاء اليهود عليها في غلاف إنجلترا، وما تلا ذلك من فرض إنجلترا وفرنسا الوصاية على مصر، ثم احتلال إنجلترا لها وللشام، وظهور مشروع الدولة اليهودية من مخابئه في الأذهان إلى سطح الأراضي العربية.

والسؤال الذي نريد أن نسأله لك: هل هذا المسار، منذ ظهور فكرة شق القناة إلى احتلال إنجلترا لمصر وبداية المشروع اليهودي، كان مساراً تلقائياً تكوَّن وحده بتراكم الأحداث وخروج كل منها من سابقه دون أن يدبر له ويريده أحد، ودون أن يكون من غاياته الوصول إلى هذه النهاية؟!

البقر من الأميين الذي كتبوا تاريخ بلاليص ستان، وما زالوا يكتبونه، ويُدرَّس ما يكتبونه في جامعاتها ومدارسها، يقولون صراحة، أو ضمناً بطريقة عرضهم لهذا التاريخ: نعم، هذا المسار حدث وتكون بتراكم الأحداث، دون أن يريده أو يدبر له أحد، ودون أن يكون في تصور أحد أن تكون هذه هي النهاية، فهل كان يتخيل أحد أن تقع قناة السويس في قبضة إنجلترا وهي مشروع فرنسي من ألفه إلى يائه؟!

فإليك القبالي الماسوني، وواجهة أصحاب البنوك من اليهود، الأب إنفانتان الفرنسي، يخبرك بالسيناريو كاملاً، ويُعرِّفك بنهاية القصة من قبل أن تبدأ.

بعد أن توقف مشروع حفر القناة، بسبب تفضيل أول الآتين من الخلف لمشروع القناطر عليه، أرسل إنفانتان رسالة إلى صديقه وأحد أتباعه أرليس دوفور Arles Dufour، في ١٣ يناير سنة ١٨٣٦م، يخبره أن:

"**مصر لن تستطيع الحصول على الحرية إلا بالطرد الكامل للعنصر التركي ... ويمكن وضع مصر تحت الوصاية الأوروبية المؤقتة بعد نزهة عسكرية، بهدف القضاء على الهيمنة**

التركيـة، والاحـتلال يجـب أن يكـون أنجلوساكسـونياً لـلأسـباب التاليـة: ١- تجنـب أي محاولـة لتنظـيم اسـتعماري بالأسـلوب القـديم، ٢- لكـي تكـون المنافسـة بـين إنجلتـرا وفرنسـا لصـالح البلاد"(١).

وكما ترى، مسار مصر كلها، وليس قناة السويس فقط، مرسوم في أذهان اليهود والماسون، من بدايته إلى نهايته، وما يحدث في كل مرحلة هو إخراج ما صارت الأوضاع والظروف مناسبة له من أذهانهم، ليحولوه إلى واقع وسياسات وخطوات، تُفضي إلى تخليق ظروف وملابسات جديدة، يمكن من خلالها الانتقال خطوة أخرى، وهكذا دواليك، إلى أن يصل المسار المرسوم إلى تمامه بإقامة دولة بني إسرائيل ثم تمددها وإقامة الهيكل.

وهو ما لا سبيل لمنعه وإيقافه برؤية الأحداث مفككة، والتعامل معها مجزأة، دون إدراك المسار وصلة ما يحدث بما حدث، ولا فهم علاقة ما يحدث في كل بلد في بلاليص ستان بما يحدث في غيرها، كما يفعل بقر بلاليص ستان من ساستها ونخبها، لا سبيل لمنع اليهود والماسون من الوصول إلى الغاية التي دبروا لها، سوى بتغيير المسار اليهودي الذي تسير فيه بلاليص ستان وهندسة دولها الماسونية، واستعادة وعيها، والعودة إلى مسار الوحي وعالم المعيار والميزان.

وهذه هي خاتمة قصة قناة السويس والقروض والديون القديمة.

بعد أن باع الخديو إسماعيل أسهم مصر في قناة السويس لحكومة إنجلترا، طلب منها أن ترسل إليه خبيراً مالياً، لفحص مالية الدولة في مصر، ومعاونته على إصلاح الخلل فيها، فأرسلت إليه لجنة من أربعة أشخاص برئاسة ستيفن كِيف Steven Cave.

وكان هدف الخديو إسماعيل الحقيقي، أن يُحسِّن وجود اللجنة الإنجليزية، واشتراكها في إدارة مالية الدولة، من موقفه وسمعته عند البنوك الأوروبية، وأن يستنفر البنوك الفرنسية خاصة، لكي يتمكن من مواصلة الاقتراض والاستدانة!!

---

١) السان سيمونيين في مصر، ص١١٢.

ووصلت لجنة كِيف إلى مصر في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٧٥م، وأصدرت تقريراً عن حالة مصر المالية في ٢٢ مارس سنة ١٨٧٦م، وأمر رئيس الحكومة البريطانية، اليهودي دزرائيلي، بنشره في ٣ أبريل، رغم أن لجنة كيف اتفقت مع الخديو على عدم إعلانه.

وفي تقريرها، نصت لجنة كِيف على سوء حالة مصر المالية، وعدت من أسباب ذلك الإسراف الشديد، وتبذير الأموال في الرحلات والاحتفالات، وبناء القصور ومظاهر الفخامة، والحملات الحربية التي لا هدف لها، والمشاريع الكبيرة قليلة العائد الاقتصادي، والاقتراض بشروط مجحفة وفوائد باهظة.

ولإصلاح مالية مصر اقترحت لجنة كِيف توحيد جميع الديون في دَين واحد بفائدة ٧%، وإنشاء مصلحة مهمتها مراقبة مالية مصر، والتحكم في القروض، فلا تعقد الحكومة المصرية قروضاً إلا بموافقتها.

وفي ٦ أبريل سنة ١٨٧٦م أصدر الخديو مرسوماً بتأجيل دفع السندات والأقساط المستحقة علي الحكومة في شهري أبريل ومايو ثلاثة أشهر، فكان ذلك إعلاناً بإفلاس الدولة، وفي ١٥ أبريل سنة ١٨٧٦م:

سلم الخديو إسماعيل الجنرال ستانتون قنصل انجلترا مشروعي مرسومين، أحدهما يقضي بتسوية الدَين على الأسس التي اقترحها تقرير كِيف، والآخر يقضي بإنشاء صندوق للدَين يديره مندوبون أوروبيون، ويتولى استلام وتوزيع الإيرادات المخصصة للدَين، وكانت الفكرة أن يمول بيت مال روتشيلد الدَين وتسويته"(١).

وبذلك تم توحيد ديون الدولة المصرية في دَين واحد، وآلت تسويته إلى بيت مال روتشيلد، الذي كان هو نفسه المشتري غير المعلن لأسهمها في قناة السويس، وبعد أن كانت الدولة المصرية مدينة لعشرات الدائنين صارت مدينة لآل روتشيلد وحدهم، وصار بيت مالهم هو المتحكم الحقيقي في ماليتها.

---

١) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص٣٠٦.

وفي يومي ٢ مايو، و٧ مايو سنة ١٨٧٦م، أصدر الخديو الأمي فعلاً مرسومين، الأول بإنشاء صندوق للدَين Caisse De La Dette، يديره مندوبون من فرنسا وإنجلترا والنمسا وإيطاليا، ويكون بمثابة خزانة فرعية للخزانة العامة، ويتسلم المبالغ المخصصة للديون، والتي خُصص لها إيراد مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط، وعوايد الدخولية في القاهرة والإسكندرية، وإيراد جمارك الإسكندرية والسويس وبورسعيد ورشيد ودمياط والعريش، وإيراد السكك الحديدية، ورسوم الدخان، وضريبة الملح، ومصايد المطرية، ورسوم الكباري، وعوائد الملاحة في النيل، وإيراد كوبري قصر النيل، وإيراد أطيان الدائرة السنية.

والمرسوم الثاني كان يقضي بتحويل الدَين الثابت والدَين السائر، وكانت قيمتهما الإجمالية حسب تقدير لجنة كِيف: ٩١ مليون جنيه إسترليني، إلى دَين موحد بفائدة ٧%، ويسدد على ٦٥ سنة.

والدين الثابت هو اقتراض مبلغ ما من أحد البنوك بفائدة معينة، على أن يُسدد في مواعيد محددة، بضمان عيني، أما الدين السائر فهو نوعان، أحدهما ينشأ من شراء الأشياء أو الحصول على منافع مثل بناء القصور، على أن يكون ثمنها دَيناً آجلاً بفائدة، والثاني هو الدَين الذي يتكون من إصدار البونات أو السندات من الخزانة وطرحها للبيع، على أن ترد الخزانة ثمنها في وقت استحقاقها، وأغلب الديون السائرة للخديو إسماعيل كانت قصيرة الأجل وبفائدة فادحة، وصلت أحياناً إلى ٢٥%، ونهب من خلالها المرابون وبيوت المال في الإسكندرية خزانة الدولة، وخزانة الخديو الشخصية.

وفي ١١ مايو سنة ١٨٧٦م أتبع الخديو المرسومين بثالث، وينص على إنشاء مجلس أعلى للمالية، يتكون من عشرة أعضاء ، خمسة من الأوربيين، وخمسة من المصريين، برئاسة الإيطالي فيتوريو شالويا Vittorio Scialoja، على ان تكون مهمة المجلس مراجعة الحسابات ومراقبة الإيرادات والمصروفات.

وبعد صدور هذه المراسيم، اعترض عليها اليهودي جورج جوشن George Goschen، رئيس بنك جوشن في إنجلترا، باعتباره ممثلاً عن أصحاب الدين السائر، وحائزي سندات

الخزانة المصرية ذات الفائدة المرتفعة، والتي سَوَّى المرسوم الثاني بينها وبين فائدة الدَين الثابت، وخفضها إلى ٧%، وبعد موافقة حكومة اليهودي دزرائيلي انتقل جوشن إلى باريس، ليلتقي اليهودي إم جوبير M. Joubert، مدير بنك باريس Banque De Paris، ومن باريس إلى مصر، حيث طالب اليهوديان جوشن وجوبير الخديو إسماعيل بتعديل مرسوم الدَين الموحد، حفاظاً على حقوق الدائنين.

ورفض الخديو مقترحات جوشن وجوبير أولاً، ثم تحت ضغط قنصل إنجلترا اللورد فيفيان Vivian، وقنصل فرنسا البارون دي ميشيل De Michels، باعتبارهما ممثلين لحكومتيهما ولمصالح مواطنيهما في الوقت نفسه، رضخ الخديو، وأصدر في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦م، مرسوماً يقضي بإخراج قروض سنوات ١٨٦٤م، ١٨٦٥م، ١٨٧٦م، وهي الديون قصيرة الأجل من الدين الموحد، وخضوعها لأحكام العقود الخاصة بكل منها، وتم تمييز السندات إلى ثلاثة أنواع، موحدة وممتازة وقصيرة الأجل.

وكذلك يقضي المرسوم ببقاء صندوق الدَين، مع قبول الرقابة الأوروبية على مالية الدولة المصرية، من خلال مراقبين، أحدهما إنجليزي وتختاره الحكومة الإنجليزية، ومهمته مراقبة الإيرادات العامة للحكومة، ويسمى مفتش الإيرادات، والثاني فرنسي وتختاره الحكومة الفرنسية، ويراقب المصروفات، ويسمى مفتش الحسابات والدَين العمومي، ويشترك الاثنان في إعداد الميزانية السنوية للحكومة.

وهذان الرقيبان على مالية الدولة المصرية، هما الإنجليزي تشارلز ريفرز ويلسون Charles Rivers Wilson، والفرنسي هو الماسوني فردينان ديليسبس، رئيس شركة قناة السويس.

وأما مندوب فرنسا في صندوق الدَين فهو إرنست دي بلنيير Ernest De Blignières، والإنجليزي هو الماسوني إيفلين بيرنج Evelyn Baring، الذي هو نفسه اللورد كرومر لاحقاً، وأسرته ألمانية الأصل، وهي صاحبة مجموعة الإخوة بيرنج Baring Brothers & Co، أحد أقدم البنوك في إنجلترا، وهو أحد أعضاء هيئة إدارته.

وبنك بيرنج هو شريك مؤسسة روتشيلد في جميع مشروعاتها في إنجلترا، خصوصاً مشاريع مد خطوط السكك الحديدية ووصل المدن الإنجليزية من خلالها، وأسرة بيرنج إحدى أعرق الأسر الماسونية في إنجلترا، ويوجد محفل باسمها هو محفل بيرنج رقم ٢٦٠٢ Baring Lodge No. 2602، في بلدة كرومر Cromer، شمال مدينة نورفولك Norfolk، شرق إنجلترا، وأسرة بيرنج هم لوردات كرومر بالوراثة.

وفي يوم ٣ مايو سنة ١٨٩٦م، نشرت صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية The New York Times، تحقيقاً لهارولد فردريك Harold Frederic، عن اللورد كرومر، وكان عنوانه: المعاطف الحمراء/الإنجليز على ضفاف النيل، اللورد كرومر يعارض انسحاب بريطانيا Red Coats On The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation.

وفي تحقيقه، تعرض هارولد فردريك لأسرة بيرنج وأصولها، وقال إنها أسرة:

"ألمانية يهودية الأصل، وكان يعمل أفرادها بالتجارة لأجيال عديدة في مدينة بريمن Bremen، وكانت مركزاً للتجارة بين وسط أوروبا وشمالها، وقد تحولت الأسرة إلى البروتستانتية مع انتقال يوهان بيرنج Johann Baring، جد اللورد كرومر، من بريمن إلى إنجلترا سنة ١٧١٧م، وتغييره لاسمه من يوهان إلى جون، وتأسيسه بالاشتراك مع أخيه فرانز/فرانسيس شركة تجارية باسمهما John And Francis Baring Company، وهي التي تحولت سنة ١٧٦٢م إلى بنك بيرنج"[1].

وبضغط من الرقيبين على مالية الدولة، ومن حكومتي بريطانيا وفرنسا، أصدر الخديو إسماعيل مرسوماً في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨م، بتشكيل لجنة أوربية عليا للتحقيق في أسباب العجز في أبواب الإيرادات، وإصلاح القوانين واللوائح الخاصة بالضرائب، وباتفاق إنجليزي فرنسي مشترك، تشكلت اللجنة برئاسة فردينان ديليسبس وريفرز ويلسون، وكان وكيلها مصطفى

---

1) Harold Frederic: Red Coats On The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation, The New York Times, May, 3, 1896.

رياض باشا، وهو من أسرة يهودية يونانية[•]، وكان من أعضاء اللجنة إيفلين بيرنج/كرومر ودي بلنيير.

وفي بداية شهر أغسطس سنة ١٨٧٨م، أصدرت لجنة التحقيق الأوروبية العليا تقريرها، ونصت فيه على أنه:

"لابد من قرض كبير لإصلاح حالة مصر المالية(!)، ولكن ذلك يقتضي أولاً أمرين: الأول: تنازل الخديو عن سلطته المطلقة لمجلس نظار يتكون بصورة يقبلها المصرفيون الأوروبيون، والثاني: تنازل الخديو عما بقي من أملاكه للدولة، وكانت هاتان النقطتان شرطاً أساسياً للقرض، وكذلك كان واضحاً في أذهانهم أن نوبار سوف يكون رئيس مجلس الوزراء الجديد"[١].

وهكذا تشكلت في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨م أول نظارة/وزارة في بلاليص ستان، وكان رئيسها الذي اختارته وعينته لجنة التحقيق الإنجليزية الفرنسية، هو الماسوني الأرمني نوبار باشا، وكان هو نفسه وزير الخارجية والحقانية في هذه الوزارة.

والذين اختاروا نوبار باشا رئيساً لأول وزارة في مصر، هم في الحقيقة بيوت المال والبنوك اليهودية، فقد كان نوبار باشا ناظر المالية والتجارة للخديو إسماعيل، ومستشاره في الشؤون المالية، وأحد الذين أغروه بالاستدانة، وكان هو الطرف الذي يمثل الخديو في عقود القروض مع بيوت المال والبنوك، وهو الذي كان يقبلها بشروطها الفادحة وفوائدها الباهظة، ويوصي الخديو بقبولها، وكان يحصل على جزء من السمسرة في مقابل كل عقد من عقود القروض، وكان يشترك معه في ذلك اليهودي يعقوب قطاوي الذي كان يحمل جنسية النمسا وهو ناظر الخزانة في مصر، واليهودي فيكتور هراري رئيس قلم الموازين في نظارة المالية، واليهودي أفرايم عاداه مراقب الإيرادات في نظارة المالية.

•) سنعرفك بأصوله تفصيلاً، هو وأمثاله ممن هبطت أسرهم على مصر، منذ عهد أول الآتين من الخلف، فصعدوا إلى رأس السلطة فيها، وصاروا ساستها ورجال دولتها، إذا أراد الله عز وجل وأكملنا سلسلة كتب بلاليص ستان.

١) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص٣٣٥.

ودورة الديون التي وقع في مصيدتها الخديو إسماعيل، كما ترى، كلها يهودية، فالذين أغروه بالاستدانة يهود، والذين أقرضوه يهود، والذين كانوا يتوسطون في عقود القروض ويقبلونها بشروطها الفادحة ويحصلون على العمولة والسمسرة يهود، والذين اشتروا قناة السويس بهذه الديون يهود، ومع ذلك لن تجد في قصة هذه الديون التي يكتبها الأميون في بلاليص ستان أي ذكر لليهود!

وهذا هو تشكيل أول وزارة في بلاليص ستان: وزير الخارجية والحقانية ورئيس الوزارة الماسوني الأرمني نوبار باشا، وزير المالية الإنجليزي ريفرز ويلسون، وزير الأشغال العمومية الفرنسي دي بلنيير، وزير الداخلية اليهودي اليوناني مصطفى رياض، وزير الجهادية راتب باشا، وزير الأوقاف والمعارف العمومية علي باشا مبارك.

واليهود والماسون هم الذين اختاروا أول وزارة في تاريخ مصر، وهم الذين تشكلت منهم، ولكن لأن من فعلوا ذلك أبالسة، ويدركون أنه ثَمة من لا يحكم على الأحداث والأشياء سوى بأغلفتها، فقد رسموا للخديو إسماعيل دوراً في تشكيل الوزارة، ودوره كان أن يضع توقيعه وخاتمه على مرسوم تشكيلها الذي كتبوه، لاستكمال الديكور اللازم لقرطسة عموم أهل مصر باسم طاعة ولي الأمر!

وفي ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧٩م، وباعتباره ناظر المالية في الحكومة المصرية، وقع الإنجليزي ريفرز ويلسون عقد القرض المنتظر مع بنك روتشيلد، وكانت قيمة القرض ثمانية ملايين وخمسمائة ألف، ٨,٥٠٠,٠٠٠، جنيه استرليني، بفائدة ٧%، بضمان أملاك الخديو.

يقول مؤرخ الاقتصاد والمال، الإنجليزي جون مارلو:

"وكان بيت مال روتشيلد على اتصال وثيق بويلسون"[١].

وبعد أن أدخل الخديو إسماعيل مصر في مصيدة اليهود والماسون، وأوقعوها من خلاله في شباكهم، وصار الإنجليز والفرنسيون هم من يديرون شؤونها، وبعد أن خطا خطوات في طريق

---

١) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص٣٥٣.

فصل مصر عن الدولة العثمانية، وعزلها عن محيطها العربي الإسلامي، وإلحاقها بالغرب اليهودي الماسوني، كانت هذه هي نهايته.

بينما يضغط الإنجليز والفرنسيون على الخديو إسماعيل ليتنازل عن الخديوية لابنه توفيق، في مقابل تأمين حياته في إحدى قصور الدولة وراتب ضخم له، وهو يتأبى، وفي ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩م، أصدر السلطان عبد الحميد فرمانين، في محاولة منه لاستعادة مصر إلى الدولة بعد أن صارت في قبضة إنجلترا وفرنسا، الأول بعزل الخديو إسماعيل، والثاني بتعيين ابنه توفيق مكانه.

ويقول المؤرخ الإنجليزي جون مارلو إن:

"المحرك الأول في القضاء على إسماعيل كان بيت مال روتشيلد، الذي كانت تهمه بصفة خاصة المالية المصرية"[1].

وبيت مال روتشيلد كان المحرك الأول للقضاء على الخديو إسماعيل وإزاحته، وجمال الدين الأفغاني كان المحرك الثاني!

فالوقت الذي دخل فيه بيت مال روتشيلد إلى كواليس الأحداث في مصر، وكان يسدد فيه الضربات للخديو إسماعيل من أعلى، عبر شراء أسهم مصر في قناة السويس بالاشتراك مع حكومة اليهودي دزرائيلي، وحلوله دائناً للدولة المصرية محل جميع الدائنين الآخرين، وعبر وكلائه وشركائه إيفلين بيرنج وريفرز ويلسون، كان هو نفسه الوقت الذي دخل فيه جمال الدين الأفغاني إلى مسرح الأحداث في مصر، ليستكمل إزاحة المعيار والميزان من أنسجة المجتمع ووعي عموم الناس، بعد أن أزالته دولة أول الآتين من الخلف والمسار الذي شقه لمصر ودفعها فيه من أنسجة السلطة ووعي من فيها، وليسدد الأفغاني الضربات للخديو الأمي من أسفل، عبر تهييج العوام وتكتيلهم، وتكوين الأحزاب والجمعيات السرية وإصدار الصحف، لتنتهي الضربات للخديو من أعلى ومن أسفل بعزله، ليس لأن الخديو إسماعيل برئ ومن الحكام

---

١) تاريخ النهب الاستعماري لمصر، ص٣٥٢.

الصالحين، أو من دهاة الساسة والمناضلين، كما يفهم حفظة الأكلشيهات، بل لأنه قد فعل ما أرادوه وانتهي دوره، وصار لابد من إزاحته لتطوير مسار مصر اليهودي الماسوني، وبداية مرحلة جديدة فيه والانتقال خطوة لا يصلح لها، فأزاحوا الخديو إسماعيل الأمي الأحمق ربيب الماسون في فرنسا وحليف الماسونية، ليحل محله الخديو توفيق الماسوني والعميل الصريح.

والمرحلة الجديدة في بلاليص ستان ومسارها الماسوني، التي كانت مرحلة الخديو إسماعيل وقصة قناة السويس ومصيدة الديون تمهيداً لها، هي قطع صلتها ببلاد العرب والإسلام، وعزلها عن الشام ذهنياً ونفسياً، وسياسياً وجغرافياً، بعد أن صارت قناة السويس، ومن وضعوا أيديهم عليها من اليهود والماسون الإنجليز والفرنسيين، حاجزاً وفصلت بينهما، ثم تحويل مصر إلى مركز للنشاط الصهيوني والبؤرة التي يبدأ منها مشروع الدولة اليهودية، وهي مرحلة الاحتلال البريطاني، وسيطرة اليهود على الاقتصاد والإعلام، وتكوين نخب سياسية وثقافية وأدبية وفنية ترتبط بهم وهواها معهم، ولا يعنيها أن تكون القدس قدساً أو أورشليم.

وفي سنة ١٨٩٩م، وصل اليهود في مصر إلى مظهر سيادتهم الحقيقي على أي أمه، وامتطائهم لها، وسيطرتهم على اقتصادها وحركة المال فيها، وعلى أنسجتها الاجتماعية والأخلاقية، وهو حق إصدار العملة وتسعير النقود، وليس الجلوس في العروش، ولا السلاح والجيوش، كما يتوهم أغلب البشر.

فالتحكم في النقد وإصدار العملة قرين السلطة وجالب لها، لأن من يتعامل بالعملة التي تصدرها جهة ما، يكون بذلك قد وافق على إصدارها لها وتحديدها لقيمتها، ووافق في الوقت نفسه على ما قدَّرته من أشياء ومنافع في مقابل العملة، أو على القيمة التي قدرتها لهذه الأشياء والمنافع، ومن ثَم وافق على ترتيب هذه الجهة لأهمية الأشياء والمنافع في المجتمع، وبذلك تمتلك جهة إصدار النقد وتحديد قيمة العملة سلطة على المجتمع وقدرة على التحكم في نسيجه وقيمه وعلاقاته.

والسلطة التي يمنحها إصدار العملة والتحكم في قيمتها ليس شرطاً، كما قد يتبادر إلى الأذهان، أن تكون مقترنة بالسلطة السياسية والوجود في كراسي الحكم، وإن كان الأصل أن يقترن الاثنان معاً.

فإذا افترقت هذه عن تلك، فالذي يسيطر على المجتمع في الحقيقة ويتحكم في أعصابه ويسري في شرايينه، هو من يملك سلطة إصدار العملة وتحديد قيمتها، وليس من يجلس على العرش وتصدر باسمه الأوامر، لأنه هو نفسه سيكون تحت يد من يملك سلطة التحكم في النقد.

وهذا هو تفسير عبارة أمشيل ماير Amschel Mayer، أو روتشيلد الكبير مؤسس الأسرة، التي نقلتها الباحثة الأمريكية في تاريخ المال والأعمال في جامعة شيكاغو، جرترود كوجان Gertrude Coogan، في كتابها: صانعو المال Money Creators، الذي صدر لأول مرة سنة ١٩٣٥م.

"أعطوني حق التحكم في النقد وإصدار العملة في أي بلد، وليس مهماً بعد ذلك مَن الذي سيقوم بوضع قوانينها وسن تشريعاتها Permit Me To Issue And Control The Money Of A Nation, And I Care Not Who Makes Its Laws."[١].

وفي سنة ١٨٩٨م، وبعد أن استولت بيوت المال والبنوك اليهودية في الغرب على كل شيء في مصر، مقابل ديونها للدولة المصرية، تكوَّن أول بنك في مصر، وهو بنك أهل مصر، أو البنك الأهلي المصري، ومِثل كل شيء في بلاليص ستان التي صنعها اليهود والماسون، كان مصرياً في اسمه وغلافه، ويهودياً في حقيقته، فالذين أسسوه ثلاثة من أصحاب البنوك وبيوت المال اليهودية العاملة في مصر، وهم روفائيل سوارس/سواريز Rophael Suares، وأسرته من يهود السفارديم في البرتغال واستقرت في إيطاليا، وأصل بنكها في مدينة ليفورنو، وإرنست كاسل Ernest Castle، وأسرته يهودية إنجليزية من أصل ألماني، وبنكها في لندن، وميشيل سلفاجو Mechael Silvago، وأسرته يهودية إيطالية، وأصل بنكها في جِنوة، والأسر الثلاثة

---

1) Gertrude Coogan: Money Creators, P170, Sound Money Press, Inc., Chicago, 1943.

كانت من أسر التجار التي قدِمت إلى مصر واستوطنتها مع بداية انحراف أول الآتين من الخلف بمصر عن مسارها الإسلامي إلى مسارها اليهودي الماسوني.

وأول مدير لبنك أهل مصر، روبير جياكومو رولو Robert Giacomo Rolo، وأسرته رولو، من يهود السفارديم واستقرت فروعها في إنجلترا وفرنسا، وكان شريكاً لأسرة سوارس في تأسيس البنك العقاري المصري.

والبنك الأهلي، المصري اسماً، واليهودي في حقيقته، كان هو البنك الذي منحته الحكومة المصرية، في شهر أبريل سنة ١٨٩٩م، حق إصدار أول ورقة نقد في تاريخ مصر، وهي الجنيه الورقي، وظل يملك حق إصدار النقد وطبع الجنيه وتحديد قيمته في مقابل العملات الأوروبية طوال النصف الأول من القرن العشرين.

وقد تسأل: ولماذا منحت الحكومة المصرية حق إصدار النقد وتحديد قيمة العملة لبنك اليهود، وهو بنك خاص وتكون برأسمال غير مصري؟

والإجابة: أولاً لأن مصر كانت تحت احتلال بريطانيا الماسونية ولا تملك من أمر نفسها شيئاً، والمندوب السامي البريطاني إذ ذاك هو الماسوني إيفلين بيرنج/اللورد كرومر، أحد أفراد أسرة بيرنج، صاحبة بنك بيرنج في إنجلترا، وشريكة أسرة روتشيلد، وأسرة بيرنج، كما علمتَ، أسرة يهودية ألمانية الأصل.

ورئيس الحكومة المصرية الذي منح بنك اليهود حق إصدار النقد وتسعير العملة هو مصطفى باشا فهمي، عميل الإنجليز الصريح ورجلهم الأول في مصر، وهو نفسه أبو صفية مصطفى فهمي/صفية زغلول، زوجة سعد زغلول، الذي تقرأ في كتب التاريخ المزور في بلاليص ستان أنه كان يناضل ضد إنجلترا من أجل استقلال مصر، وهو في الحقيقة من صنائع اللورد كرومر، وكان يناضل ضد إنجلترا وينادي بالاستقلال عنها بالتوافق معها، لأن استقلال مصر الذي أرادته إنجلترا والإمبراطوريات الماسونية كلها، وصنعوا له سعد زغلول وأمثاله، هو قطعها وعزلها عن بلاد العرب والإسلام، والهتاف بالاستقلال عن الغرب من أجل

السير طواعية خلفه، لكي يكون هذا القطع والعزل المموه في الاستقلال المزيف ركناً ركيناً في المشروع اليهودي للشرق كله!

وثانياً: منحت الحكومة المصرية اليهود حق إصدار أوراق النقد والسيطرة على أنسجتها الاقتصادية والاجتماعية، لأن اليهود كانوا يملكون فعلاً كل شيء في مصر، ويتحكمون في الدولة المصرية نفسها، بالقروض التي أقرضوها لها، وبالديون التي تدين لهم بها وتسدد لهم أقساطها وفوائدها، وقد ظلت الدولة المصرية تسدد لبنوك اليهود أقساط ما استدانته منها إلى سنة ١٩٤٣م، وحين خرجت من مصيدة الديون كان اليهود قد أسسوا الدولة وصاروا على وشك إعلان قيامها، وقد صارت مصر نفسها إحدى قواعد تمركز الحركة الصهيونية والعمل من أجل إنشاء دولة بني إسرائيل.

وإليك قصة احتلال انجلترا لمصر عسكرياً، والتي بدأت هي الأخرى بقناة السويس!

بدأ الأسطول الإنجليزي بقيادة الأدميرال بوشان سيمور ضرب الإسكندرية، في يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢م، ثم احتلها بعد يومين، وقد:

"**هنأ المسيو دو كليرك De Celerc رئيس وزراء فرنسا، السفير البريطاني في باريس بهذه الواقعة، قائلاً: إن انتصار الإنجليز على العرب في مصر يُنتج ثمرة طيبة لفرنسا في تونس والجزائر**"[١]!

وكانت الخطة الإنجليزية تقوم على مرور القوات البريطانية القادمة من الهند في قناة السويس، من جهة مدينة السويس في الجنوب، لتلتقي القوات القادمة من البحر المتوسط، في الإسماعيلية، بعد عبورها القناة من جهة بورسعيد، ثم تتخذ الإسماعيلية ومنطقة القناة فيها قاعدة حربية، وتزحف القوات البريطانية منها على القاهرة، لقصر المسافة بينهما

---

١) المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ص٣٣٧، دار المعارف،الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

وخطة الإنجليز كان يُفشِلها ويُنهي حملتهم غلق القناة أو سدها، مما يضطرهم للمرور خلال الدلتا، وعبر الترع والجسور والبلاد المأهولة، التي يستغرق اجتياز الحملة لها شهوراً طويلة، أو يضطرهم لعبور الصحراء الشرقية، حيث لا ماء ولا مؤن، ولا مكان يصلح لتمركز القوات، وهو ما تنبه له محمود باشا فهمي رئيس أركان حرب الجيش المصري، فأشار على قائد الجيش ووزير الحربية أحمد عرابي بردم القناة، ولكنه لم يأخذ برأيه، اعتماداً على حياد القناة، وقد اطمأن بعد أن أقسم له الماسوني فردينان ديليسبس رئيس شركة القناة قائلاً: وشرف أمي الإنجليز لن يمروا من القناة!

واكتفى عرابي بوضع جزء من الجيش في التل الكبير، ووزع باقي القوات في كفر الدوار وسواحل البحر المتوسط التي يتوقع نزول القوات البريطانية منها.

وأما الخديو توفيق، الماسوني وعضو محفل الأفغاني، والذي وصلت به إلى حكم مصر ضربات بيوت المال اليهودية للخديو إسماعيل من أعلى، وضربات الأفغاني وأتباعه من العرابيين له من أسفل، الخديو توفيق كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي:

"قرن مصيره بانتصار الإنجليز واستقرار أقدامهم في البلاد، وانحاز إليهم انحيازاً تاماً، وجعل نفسه وسلطته الحكومية رهن تصرفهم"(١).

وفي يوم ٢١ أغسطس سنة ١٨٨٢م، وصل قائد الحملة الإنجليزية، الجنرال جارنت ولسلي Garnet Wolseley، إلى الإسماعيلية قادماً من بورسعيد عبر قناة السويس، واتخذها قاعدة حربية، وبعد أن وصلته القوات البريطانية القادمة من الهند وعبرت القناة من السويس، زحف ولسلي إلى القاهرة، وقد أصبح طريقه إليها مفتوحاً، بعد أن هزم قوات عرابي في التل الكبير.

وكما ترى، ليس الوالي محمد سعيد باشا هو الوحيد الذي استغفله ديليسبس، وأن العلة الحقيقية ليست فقط في الأشخاص، كما يفهم الأميون، ولكن أيضاً في الدولة التي أنتجتهم، والمسار الذي تكوَّن من خلاله وعيهم وطريقة حكمهم على الأحداث والأشخاص، وجعلتهم

---

١) الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ص ٣٤٠.

يفهمون أن اختلاف بلد مع آخر في الغرب، أو حدوث تعارض بينهما في بعض المصالح أو المواقف، أو حتى نشوب نزاع بينهما أو حرب بخصوص مسألة ما، يعني أن هذا البلد صديق لهم ولمصر ولبلاد العرب، وموقف بلدان الغرب كلها تجاه بلاليص ستان وغاياتها العليا فيها شيء واحد ولا اختلاف فيها.

وربما يفسر لك لماذا حنث ديليسبس بقسمه لعرابي، أن تعلم أن ثمة قسماً آخر هو عنده أولى بالإبرار، وهو قسم كل ماسوني بمساعدة إخوانه من الماسون في أي مكان، وبكل وسيلة يقدر عليها، فإذا أردت أن تتيقن فارجع إلى كتاب: فضائل الماسونية، لليهودي الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين شاهين مكاريوس، وستجد فيه نماذج وأمثلة عديدة على قسم الاستغاثة، ومعاونة العسكريين من الماسون لإخوانهم في الماسونية على اختلاف بلادهم، بل وجيوش بلدانهم في مواجهات في ميادين القتال[1].

ربما يفسر لك حنث ديليسبس بقسمه لعرابي، أن ديليسبس ماسوني ابن ماسوني، والجنرال ولسلي أيضاً ماسوني ومن الطبقة العليا من الماسون، فهاك سيرته في الماسونية من دراسة للباحث في تاريخ الماسونية جون بارسونز John Parsons، عنوانها: الماسونية العسكرية البريطانية British Military Masonry، وقد أعدها في جامعة نبراسكا Nebraska، سنة ٢٠٠٣م.

"انتسب ولسلي للماسونية، ونال الدرجة الأولى، درجة الصبي أو المبتدئ، في ١٣ أبريل سنة ١٨٥٤م، وكان ذلك في المحفل العسكري رقم: ٧٢٨ Military Lodge, No. 728، في دبلن Dublin، ويتبع محفل أيرلندا الأعظم، وترقى فيه إلى أن صار أستاذه الأعظم، وفي ٣ أبريل سنة ١٨٨٣م أسس محفلاً باسم أسرته، وهو محفل ولسلي رقم: ١٩٩٣، في مانشستر Wolseley Lodge, No. 1993، وهو يتبع محفل إنجلترا الأعظم، وفي سنة ١٨٨٧م صار ولسلي القيم الأعظم Grand Warden، لمحفل إنجلترا الأعظم"[2].

---

١) الماسوني شاهين مكاريوس: فضائل الماسونية، طبعة ثانية، مطبعة المقطم، القاهرة، ١٩٠٠م.

2) John Parsons: British Military Masonry, Presented To Nebraska College M.S.R.I.C.F, April 30, 2003.

فإذا كنت ذا وعي وفطنة ربما استدركت علينا متسائلاً ومستنكراً: المحور الذي أقمتَ عليه هذا الكتاب، أنه لا يجب فهم الأحداث والمسار الذي تسير فيه من خلال الأشخاص فقط، ثم بعد ذلك تفسر أحداثاً بهذه الجسامة والأثر في التاريخ بشخصين لأنهما من الماسون، فهل فتح ديليسبس القناة لولسلي ليحتل مصر، فقط لأن هذا وذاك من الماسون؟!

ونهنئك على هذا الاستدراك، الذي يزيد أملنا في أن نهنئك قريباً التهنئة الكبرى بخروجك من عضوية نادي البقر في بلاليص ستان، الذين يرون الأحداث ويفهمونها من خلال أطباق المهلبية التي في رؤوسهم.

وردنا على استدراكك، أن المسألة ليست في شخصي ديليسبس وولسلي فقط، فهما من الماسون، وكذلك إنجلترا وفرنسا، التي ينتميان إليها ويمثلان سياساتها ومصالحها، فهي دول ماسونية في معاييرها وموازينها، وفي غاياتها العليا، وفيمن يحكمونها، ومن يمتلكون مفاتيحها ويسرون في أعصابها الاقتصادية والمالية وشرايينها التعليمية والإعلامية.

فأما فرنسا، فهي ماسونية منذ ثورة الماسون فيها سنة ١٧٨٩م، وقد جئناك بنماذج عديدة من حكامها وساستها الماسون، وعلى رأسهم نابليون بونابرت، ونزيدك هنا أن رئيس حكومتها شارل دو كليرك Charles De Celerc، الذي أخبرك المؤرخ عبد الرحمن الرافعي أنه هنأ إنجلترا باحتلالها لمصر، ماسوني، وسابقه شارل دو فريسنيه Charles De Freycinet ماسوني، وسابقهما ليون جامبيتا Léon Gambetta ماسوني ويهودي إيطالي من جهة أبيه، جوزيف جامبيتا.

وأما إنجلترا فالدولة فيها ماسونية منذ وصل إلى عرشها، سنة ١٦٠٣م، الملك جيمس الأول James I، ليكون أول من يحكم إنجلترا واسكتلندا معاً، وكان قبل ذلك ملكاً لاسكتلندا باسم جيمس السادس، وهو ماسوني، وكان عضواً في محفل الاسكتلنديين Lodge Of Scots، وإبان حكمه لاسكتلندا أشرف على تنظيم المحافل الاسكتلندية في صورتها الحديثة ووضعها تحت رعايته.

وثمة تحالف بين الأسر المالكة في بريطانيا، في كل عهودها، وبين محفل إجلترا الأعظم منذ تكوينه سنة ١٧١٧م، ويوجد تقليد سائر عبر السنين، منذ سنة ١٨١٣م، وهو أن يكون الأستاذ الأعظم لمحفل إنجلترا الأعظم من الأسرة المالكة، والأستاذ الأعظم لمحفل إنجلترا الأعظم عند بداية هذا التقليد هو دوق سوسيكس، الأمير أوجستس فردريك Augustus Frederick, Duke Of Sussex، أصغر أبناء الملك جورج الثالث George III، وأستاذه الأعظم الحالي هو دوق كِنت، الأمير إدوارد Prince Edward, Duke Of Kent، ابن عم الملكة إليزابيث، وحفيد الملك جورج الخامسGeorge V.

ورئيس الحكومة البريطانية التي احتلت مصر، هو اليهودي بنيامين دزرائيلي!

وجميع قادة الحملات الاستعمارية لإنجلترا وفرنسا على الشرق من الماسون، وكذلك من تولوا منصب المندوب السامي البريطاني في مصر، وكانوا هم من يحكمونها في الحقيقة، اللورد كرومر Cromer، والسير إلدون جورست Eldon Gorst، واللورد كتشنر Kitchener، والسير هنري مكماهون McMahon، والجنرال ريجنالد وينجيت Reginald Wingate، والجنرال آللنبي Allenby.

ويقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، معقباً على خداع ديليسبس لعرابي، واحتلال ولسلي لمصر عن طريق قناة السويس:

"وهكذا جعل الإنجليز من القناة قاعدة حربية سهلت لهم مهمة الزحف على مصر، ولولاها ما استطاعوا أن يصلوا إلى الإسماعيلية بحراً، وأن يزحفوا منها على العاصمة، فوصول البوارج الإنجليزية إلى الإسماعيلية واتخاذهم إياها قاعدة لزحفهم، ما كان ليحدث لو لم تكن قناة السويس موجودة، وكذلك كانت القناة شؤماً على مصر في جميع أدوارها"[١]!

---

١) الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ص٣٧٩.

ومنهجنا في كل ما نكتبه، وقد أخذناه من القرآن ومنهجه في عرض القصص وسِير الأشخاص، أن لا نسرف في تفاصيل الأحداث، وألا نورد منها إلا القدر اللازم لكشف كواليسها والخبيء خلفها، ومعانيها والأفكار التي صنعتها وتتدفق فيها، والمسار الذي يتكون منها، والوجهة التي تتجه إليها، وما يستبين منه الفاعل الحقيقي الذي يبث هذه الأفكار، ونحو غايته يتجه المسار، ولا يظهر في الأحداث، لأنه لا يصنعها، بل يصنع من يصنعونها!

وقد أسرفنا في هذه التفاصيل عن مصيدة الديون القديمة التي اصطاد بها اليهود وواجهاتهم من الماسون مصر، وارتباطها بقناة السويس، وما أفضت إليه، وصِلتها بالمشروع اليهودي، ليس فقط من أجلها، ولكن أيضاً لكي ترى من خلالها النسخة الجديدة منها التي تدور حوادثها أمامك وفي زمانك، وتتنبه إلى حقائقها وخفاياها ومَن خلفها، وتدرك مما أفضت إليه القصة القديمة ما ستنتهي إليه نسختها الجديدة، وأنهما ليسا سوى خطوتين في طريق واحد، الأولى كانت عند بدايته، والثانية وهو يقترب من نهايته وتحقيق غايته.

فإذا أدركت أن قصة الديون وقناة السويس القديمة ونسختها الجديدة، ليسا سوى سيناريو واحد يتكرر مع تغيير شخوص أبطاله، وإذا لم تكن من الأميين الذين لا يرون في الأحداث سوى الأشخاص، ويذهلهم اختلاف الأسماء والأزياء عن أن الذي فيها هو هو، فلن يكون عسيراً عليك أن تدرك أن الذين رسموا السيناريو القديم هم أنفسهم من رسموا الجديد، وأن النقلة من الخديو إسماعيل إلى الخديو توفيق، هي نفسها النقلة من مبارك إلى ثالث الآتين من الخلف، وأن ثورة يناير وفتح الطريق إلى السلطة لجماعة الإخوان والحركات الإسلامية لم يكن سوى القنطرة التي لابد منها للإطاحة بمبارك وتحقيق النقلة الثانية، كما أن الإطاحة بالخديو إسماعيل والنقلة الأولى لم تكن لتتحقق من غير قنطرة الثورة العرابية، وأن الذي فعله جمال الدين الأفغاني في زمنه بالصحف والأحزاب والجمعيات السرية لتحقيق النقلة الأولى، هو نفسه ما فعله جورج سوروس وجاريد كوهين وستيفن كيز في زمنهم بفريدوم هاوس والفيس بوك والمنتديات الفضائية من أجل النقلة الثانية، وأن بقر بلاليص ستان في الأولى هم هم في الثانية.

ومن هذين النموذجين للأحداث الكبرى في تاريخ بلاليص ستان، يجب أن تكون قد أدركت أن من يظهرون على سطح الأحداث في بلاليص ستان من أهلها ويتصدرون مشاهدها، منذ بدأ مسارها اليهودي الماسوني مع أول الآتين من الخلف، هم من تصنعهم الأحداث، وليسوا هم من يدبرون لها ولا من يصنعونها، وأنهم داخل هذه الأحداث التي يتصدرونها يؤدون وظيفة ودوراً رسمه لهم فيها من دبر لها، من أجل الوصول إلى نتائج يريدها هو، وليست في وعيهم ولا هم أرادوها.

فهل كان يدور في خلد من ثاروا بأفكار الأفغاني، وكل ما كانوا يريدونه متابعة أحدث خطوط الموضة السياسية، أن تنتهي ثورتهم باحتلال إنجلترا لمصر، وأن هناك من كان يريد ذلك ويدفع الأحداث بهم نحوه، أو هل كان عند من ثاروا في يناير أدنى إدراك أن ثَمة من يريد ثورتهم ويفتح لهم الطريق إلى السلطة، ليكونوا أداة فتح الطريق لثالث الآتين من الخلف، والانتقال خطوة إلى الأمام في مسار مصر اليهودي الماسوني، وبداية مرحلة جديدة في المشروع اليهودي.

ولا أحد في بلاليص ستان يتحكم في المسار الذي ينتج هذه الأحداث وتخرج كل مرحلة فيه من سابقتها، ولا في الوجهة التي تتجه لها، بعد أن أزيح منها المعيار والميزان، وصارت مقاليدها جميعاً خارجها، وكل ما فيها ليس سوى محاكاة وإعادة إنتاج لما فعله ويفعله اليهود والماسون في الغرب، الوعي ومصادر تكوينه، والسلطة ومن يعارضونها، والسياسة والاقتصاد، والتعليم والإعلام، والمذاهب والنظريات، والاجتماع والأزياء، والآداب والفنون.

فإليك نبذة موجزة من مصيدة الديون وقناة السويس الجديدة، ونعتمد على فطنتك وذكائك، وقد أوشكت على الخروج من عضوية نادي البقر في بلاليص ستان، في قراءة ما بين سطورها، واكتشاف ما هو مطوي في تلافيفها.

شهد عصر مبارك مجموعة من الخطط الخمسية للتنمية وتحسين أوضاع الاقتصاد، ومنذ الخطة الخمسية الأولى التي بدأت سنة ١٩٨٢م، وضعت الدولة خططها، وركن مِن أركانها زيادة معدل الاقتراض والاستدانة لتمويل مشروعات هذه الخطط.

ويخبرك الخبير الاقتصادي والأستاذ في معهد التخطيط القومي، دكتور رمزي زكي، في كتابه: الليبرالية المستبدة، بالسبب الحقيقي في تبني دولة مبارك للاستدانة والاقتراض من المؤسسات المالية الأجنبية والدولية، كاستراتيجية لتمويل الدولة:

"والحق إن البنوك والمؤسسات المالية والنقدية دولية النشاط، سعت وبشكل لافت للنظر إلى البلاد المتخلفة، لكي تقرضها بسخاء شديد، وتمكنها من تمويل عجز موازين مدفوعاتها، وذلك دون ضوابط، أو مراعاة لقواعد الاحتراس المالي والضمانات المصرفية التقليدية، وبتشجيع من صندوق النقد الدولي"[١].

فتنبه أن دكتور رمزي زكي يخبرك أن المؤسسات النقدية والمالية الدولية، ليست فقط هي التي أغرت الدول المتخلفة بالاستدانة، ولكنها أيضاً أضافت إلى وسائل الإغراء تجاوز قواعد الاحتراس والضمانات المصرفية، وكأنها تفرط في أموالها، أو كأن لها غاية أعلى من استرداد هذه الأموال.

وما أخبرك به الدكتور رمزي زكي عن الدول المتخلفة عموماً، يؤكده لك بخصوص مصر وخطط مبارك الخمسية تحديداً، الخبير الاقتصادي وأستاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية، دكتور جلال أحمد أمين، في كتابه: قصة الاقتصاد المصري من محمد علي إلى مبارك:

"إن القول بأن جزءًا لا يستهان به مما اقترضته مصر خلال السبعينيات والثمانينيات كان بضغط وإغراء المقرضين وتحقيقاً لمصلحتهم، لا هو من قبيل التخيل، ولا هو ظاهرة جديدة لم تعهدها مصر من قبل، فقد سبق أن رأينا كيف كان الجزء الأكبر من ديون إسماعيل من هذا النوع، والمسؤولون الرسميون أنفسهم يضطرون في بعض الأحيان للاعتراف به صراحة، ففي حديث لوزير التخطيط الذي تسلم مسؤولية التخطيط في مصر في بداية الثمانينيات، تحدث الوزير عما تعرضت له مصر في السبعينيات من إغراء وتوجيه للاستدانة من جانب الدول الصناعية، بسبب زيادة الفائض المالي لديها"[٢].

---

١) دكتور رمزي زكي الليبرالية المستبدة، ص٦٢-٦٣، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢) دكتور جلال أمين: قصة الاقتصاد المصري من محمد علي إلى مبارك، ص٩٠، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢م

ودكتور جلال أمين، كما ترى، فطن إلى وجه الشبه بين دورة الاستدانة والقروض في عصر إسماعيل ونسختها الثانية في عصر مبارك، وهو والدكتور رمزي زكي فطنا إلى أن الاستدانة والقروض، ليست لأن الدولة بحاجة ماسة إليها، وأنه يمكنها تبني استراتيجيات اقتصادية تغنيها عنها، وأن المفتاح الحقيقي لفهم مسألة وقوع الدولة المصرية في مصيدة الديون، هو أن مَن يملك المال، ويملك النفوذ ووسائل الضغط على الدولة المصرية، هو الذي يريدها أن تستدين، ويغريها ويوجهها ويضغط عليها من أجل ذلك، ومن أجل بناء سياساتها الاقتصادية عليها.

ودكتور رمزي زكي ودكتور جلال أمين من خبراء الاقتصاد البارزين، ولهم عقول نابهة جعلتهم يدركون أن ثمة أبعاداً غير منظورة وعوامل غير مكتوبة في مسألة الديون، ومع ذلك لا يمكن تفسير ما يحدث من غير الانتباه إليها والبحث عنها، ولكن لأنهم أميون، فقد حصروا تفسير المسألة في الفوائض المالية عند أصحاب المال والبنوك والمؤسسات النقدية الدولية، ثم إنهم جهّلوا هذه البنوك والمؤسسات، ولم ينتبهوا إلى البحث عن هويات أصحابها ومن يسيطرون عليها، والتنقيب عن الروابط بينهم بخلاف المال والاقتصاد، ودكتور جلال أمين انتبه إلى أن قصة الديون الجديدة تكرار لقصتها القديمة، ولكنه نسب الفعل في القصتين للمؤسسات والبنوك والمال وأسقط البشر، فضاع بذلك منهم أن ثَمة غايات لهؤلاء البشر أعلى من مجرد تسويق فوائضهم المالية، وأن مصيدة الديون الجديدة بالضبط كالقديمة، ليست سوى إحدى وسائل توليد الأحداث والتحكم في المسار من أجل الوصول إلى هذه الغايات.

فهاك نموذجاً تعرف منه كيف توَلِّد مصيدة الديون الأحداث، وكيف يتم من خلالها وضع حكومات بلاليص ستان، والتحكم في مسارها من خارجها، ولتدرك منه ارتباط قصة الديون الجديدة، مثل أمها القديمة، باليهود ومشروعهم بعد أن قطعوا فيه أشواطاً طويلة وتكونت دولتهم:

"في التسعينيات زادت ضغوط صندوق النقد الدولي والإدارة الأمريكية، بعد توقيع مصر لاتفاقها مع الصندوق في مايو ١٩٩١م، ومع البنك الدولي في نوفمبر ١٩٩١م، ويبدو أن الصندوق والإدارة الأمريكية رأيا، في سنة ٢٠٠٤م، أن الخصخصة لابد أن تسير بسرعة أكبر بكثير، مما أدى إلى أن وصلت إلى الحكم حكومة من نوع جديد، أبرز وزرائها من أكبر

المتحمسين لبيع القطاع العام ... في ديسمبر ٢٠٠٤م ظهر أن مصر قد خارت قواها إلى حد أنها أصبحت مستعدة لاتخاذ هذه الخطوة الخطيرة، وهي التوقيع على اتفاقية الكويز مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، التي تسمح لبعض الصناعات المصرية بدخول السوق الأمريكي دون ضريبة جمركية، بشرط أن تحتوي منتجاتها على جزء من إنتاج إسرائيلي، وهكذا وُضعت الصناعات المصرية تحت رحمة إسرائيل، التي يمكن لها الآن تقرير أي الصناعات سوف تنمو وتزدهر وأيها سوف يتقلص ويندثر"[١].

وما لم يخبرك به دكتور جلال أمين، أن وزراء الحكومة المصرية، هؤلاء المتحمسين لخصخصة الشركات العامة وبيع أصول القطاع العام، هم أنفسهم كانوا يعملون في بنوك أوروبية وأمريكية، وجاءوا منها إلى أماكنهم في الحكومة المصرية ليبيعوا أصولها لها!

ودكتور جلال أمين ربط في عبارته، كما ترى، بين الإدارة الأمريكية وصندوق النقد الدولي ودفْع الدولة المصرية للاستدانة وبين إسرائيل ووضع اقتصاد مصر تحت رحمتها، فوضع يده بذلك على أحد الأهداف العليا وفوق الاقتصادية لمصيدة الديون، ولكنه توقف عند ذلك، فلم يسأل نفسه ولم يُجب قارئه: ولماذا يورط صندوق النقد الدولة المصرية في الديون، وما هو تفسير أن يضغط عليها مع الإدارة الأمريكية من أجل وضعها تحت رحمة إسرائيل، والمفترض أنه دولي، وأن الإدارة الأمريكية أمريكية وليست إسرائيلية؟!

والضغط على دولة مبارك وتوجيهها ليكون الاقتراض ركناً من أركان سياستها الاقتصادية، من أجل توطئة مصر لإسرائيل، ثم دفعها نحو مسار ينتهي توالد الأحداث وتراكمها فيه بالإطاحة بمبارك ودولته، كما أطاحوا بالخديو إسماعيل، وصلة هذه الديون بثورة يناير، قد بيَّنَّاه لك في كتابنا: اليهود والماسون في ثورات العرب، فارجع إليه وراجعها، ثم عد إلينا لنخبرك ببقيتها في دولة ثالث الآتين من الخلف.

عند سقوط مبارك ونظامه، كانت ديون الدولة المصرية الخارجية، ٣٤,٥ مليار دولار، وكان ما يجب سداده من هذه الديون سنوياً ٢,٨ مليار دولار.

---

١) قصة الاقتصاد المصري من محمد علي إلى مبارك، ص١٠٩، ١١١-١١٢.

وبعد الإطاحة بجماعة الإخوان والحركات الإسلامية من السلطة، ومذابح ثالث الآتين من الخلف لأنصارها، وبينما الأوضاع الاقتصادية في مصر على شفا كارثة، بسبب الفوضى والاضطرابات والإضرابات التي واكبت ثورة يناير، ظهرت آثار وسواس الإنجازات والأمجاد التاريخية، وضرورة اقتران السلطة والتعبير عن حيازتها بالبذخ والإسراف، وإنفاق مئات الملايين في الحفلات والاحتفالات والمؤتمرات التي لا عائد منها ولا فائدة سوى البهرجة والاستعراض واستنزاف خزانة الدولة التي تتنفس بالقروض من الغرب والمعونات من الشرق، ويقابل ذلك الضغط على الطبقات الفقيرة بفرض الضرائب، وزيادة أسعار الوقود، ورفع الدعم الذي تقدمه لهم الدولة على السلع الغذائية الرئيسية.

وبين عشرات من مشروعات الطرق والكباري والأنفاق، من أجل الافتتاح والتصوير ووضع اللوحات اللازمة للأمجاد التاريخية، كان مشروع الأمجاد التاريخية الرئيسي هو قناة السويس الجديدة، التي أخبرك المؤرخ القومي عبد الرحمن الرافعي أنها شؤم على مصر في كل عهودها، فلا تعرف، وفي الحقيقة نتوسم فيك أنك الآن تعرف، من الذي وسوس بها في رأس ثالث الآتين من الخلف، ومصر على شفا كارثة اقتصادية، لتكون أداة إلقائها فيها.

وقناة السويس الأصلية تمتد وتصل بين بحرين، المتوسط والأحمر، أما الجديدة فهي تفريعة منها، ومجراها الملاحي يوازي جزءًا من المجرى الملاحي للقناة الأصلية بطول ٣٥ كيلومتراً، من الكيلو ٦٠ من القناة الأصلية إلى الكيلو ٩٥، وهو مشروع قديم وفكرته طُرحت في عهد مبارك ولم تنفذ، لأنه لا فائدة حقيقية منها، لأسباب خارجة عن إرادة الدولة المصرية.

ورغم أنها مجرد تفريعة، وأنه توجد تفريعات أخرى للقناة بالفعل، مثل تفريعة البلاح وتفريعة البحيرات المرة، فقد تم تسمية التفريعة الجديدة: قناة السويس الجديدة، لأن الهدف منها ليس النفع ولا الفائدة، بل المطلوب وفقط هو الاسم والوقوف أمام الكاميرات على سطح اليخت الملكي من أجل الأغاني والرقص على أنغام وسواس الأمجاد التاريخية.

وتفريعة قناة السويس ليس لها فائدة حقيقية للاقتصاد المصري، بل كانت استنزافاً له، لأن عدد السفن التي تمر بالقناة يعتمد ليس فقط على سعة القناة، بل أيضاً على حجم التجارة

العالمية، والتجارة العالمية في تباطؤ منذ الأزمة المالية العالمية التي بدأت من الولايات المتحدة في سبتمبر سنة ٢٠٠٨م، ثم امتدت إلى أوروبا والعالم كله.

وحسب تقرير لوكالة بلومبرج Bloomberg News، نشرته في يوم ٤ أغسطس سنة ٢٠١٥م، قبل حفل افتتاح القناة بيومين، وكان عنوانه: مصر تتباهى بإنفاق ثمانية بلايين من الدولارات على توسعة قناة السويس والعالم ليس بحاجة إليها(!) Egypt Shows Off $8 Billion Suez Canal Expansion That the World May Not Need، فإن:

"القناة الأصلية لا تعمل بكامل طاقتها الاستيعابية منذ الأزمة المالية العالمية، وعدد سفن الشحن التي تمر بقناة السويس الأصلية سنوياً منذ سنة ٢٠٠٩م، يقل بمقدار ٢٠% عن عدد السفن التي كانت تمر بها قبل هذه السنة، وحسب تقرير لشركة كابيتال إكونومكس Capital Economics، لا توجد جدوى ولا فائدة اقتصادية من توسعة القناة إلا إذا زاد حجم التجارة العالمية بنسبة ٩% سنوياً حتى سنة ٢٠٢٣م، بينما متوسط الزيادة السنوية المتوقعة في حجم التجارة العالمية خلال السنوات العشرة القادمة، حسب تقارير صندوق النقد الدولي، يدور حول نسبة ٣%"[1].

وحسب تقرير وكالة بلومبرج فإن:

"مصر يمكن أن تبدأ في الاستفادة من التفريعة الجديدة بين سنة ٢٠٤٠م وسنة ٢٠٥٠م، إذا لم تشهد المنطقة اضطرابات سياسية أو نزاعات مسلحة"[2]!!

وقد تسأل: وهل لا يعرف ذلك من وافقوا على المشروع، وحشدوا مصر واستنزفوها، دولة وشعباً، تحت راية حفر قناة السويس الجديدة؟

---

1) Bloomberg News: Egypt Shows Off $8 Billion Suez Canal Expansion That The World May Not Need, August 4, 2015.
2) Bloomberg News: Egypt Shows Off $8 Billion Suez Canal Expansion That The World May Not Need, August 4, 2015.

والجواب أنهم لم يهتموا أصلاً أن يعرفوا هل للمشروع فائدة في هذا الظرف العصيب أم لا، وحسب تقرير وكالة بلومبرج، فإن المشروع بدأ وانتهى دون دراسات جدوى Viability Studies، مثل التي ينبغي أن يقوم بها من يُقدِم على أي مشروع، ولو كان افتتاح سوبر ماركت، اعتماداً على ميراث حكام بلاليص ستان العريق في السير خلف وسواس الأمجاد التاريخية، ولأن بعض أحفاد ديليسبس أقسموا لثالث الآتين من الخلف بشرف أمهم أنه مشروع محصلش!

ولأن نفقات حفر تفريعة قناة السويس باهظة، وبالدولار، لأن الشركات العاملة في المشروع أوروبية وأمريكية، والدولة ليس في ميزانيتها فائض مالٍ لمشروع بهذه التكلفة، فقد لجأت إلى الحل الذي ابتكره للدولة المصرية الماسوني فردينان ديليسبس، ثم سارت عليه في كل عهودها، وهو جمع المال عن طريق إصدار سندات ذات فائدة مرتفعة وقصيرة الأجل.

وفي شهر أغسطس ٢٠١٤م طرحت الدولة شهادات استثمار، باسم شهادات استثمار قناة السويس، بفائدة ١٢% سنوياً، على أن يُسترد أصل المبلغ بعد خمس سنوات، وجمعت الدولة من أهل مصر من خلال هذه الشهادات ٦٠ مليار جنيه مصري، جاء معظمها عبر تحويل من اشتروها لمدخراتهم بالدولار إلى الجنيه المصري، بإغراء الفائدة المرتفعة.

ولأن ما تم جمعه لم يكن كافياً، اقترضت الدولة نحو مليار دولار أخرى، لكي يمكن إتمام العمل في التفريعة.

وفي يوم ٧ أغسطس سنة ٢٠١٤م بدأ العمل في المشروع، وشمل حفر تفريعة قناة السويس الجديدة، وتوسيع تفريعة البحيرات المرة وتعميقها بطول ٢٧ كيلومتراً، وكذلك توسعة تفريعة البلاح وتعميقها بطول ١٠ كيلومترات.

وفي يوم ٦ أغسطس ٢٠١٥م، أقيم احتفال لافتتاح القناة الجديدة، دُعي إليه العشرات من رؤساء الدول وملوكها وأمرائها ووزرائها، وبلغ العدد الكُلي للمدعوين من داخل مصر وخارجها ثلاثة آلاف شخص، وأُسند تنظيم الحفل وإدارته إلى شركة WPP Plc البريطانية العالمية

للدعاية والإعلان، فخرج لا يقل بهاءًا وروعة عن حفل افتتاح القناة الأصلية في عهد الخديو إسماعيل!

وتكلف حفل افتتاح القناة، حسب تقدير ممثل شركة WPP Plc في مصر، ٣٠ مليون دولار، أما مشروع تفريعة قناة السويس الجديدة نفسه، وما صاحبة من توسعة تفريعة البحيرات المرة وتفريعة البلاح، فقد تكلف ٨,٥ مليار دولار، ذهبت كلها إلى الشركات المنفذة للمشروع، والتي قامت بتحويلها إلى خارج مصر.

ومع امتصاص مشروع تفريعة القناة الجديدة لما في داخل الدولة المصرية من النقد الأجنبي، حدثت أزمة حادة في هذا النقد، خصوصاً الدولار، الذي تعتمد عليه الدولة اعتماداً كاملاً في استيراد السلع الرئيسية اللازمة، وخلت بنوكها منه.

ومرة أخرى لجأت الدولة إلى فيروس الماسوني ديليسبس الذي حقن به الدولة المصرية، وبرمجها به، منذ عهد الوالي محمد سعيد باشا.

وفي شهر يونيو سنة ٢٠١٥م، وقبل حفل افتتاح قناة السويس الجديدة، كانت الدولة المصرية قد طرحت سندات بالدولار على الخزانة المصرية، قيمتها ١,٥ مليار دولار، بفائدة ٦,٢٥% لمدة عشر سنوات، واشترتها البنوك وصناديق الاستثمار الأوروبية والأمريكية.

وبينما ثالث الآتين من الخلف يُهدر مليارات الدولارات على مشروعات الأمجاد التاريخية، والبهرجة والاستعراض بالحفلات والمؤتمرات من كل نوع، للشباب وللمرأة وللسلام وللإنسانية، كانت الدولة تخوض مفاوضات مع صندوق النقد الدولي، للحصول على قرض بقيمة ١٢ مليار دولار.

وحضرت بعثة من الصندوق إلى مصر في نهاية شهر يوليو سنة ٢٠١٦م، للتفاوض حول شروط القرض المنتظر، وكانت أهم هذه الشروط، والتي أعلنها الصندوق رسمياً في ١٨ يناير سنة ٢٠١٧م، ضمن الملف الشامل لوثائق القرض، هي:

"تحرير سعر صرف الجنيه المصري، ورفع الدعم عن الوقود ومصادر الطاقة والكهرباء والسلع التموينية، وزيادة أسعار الخدمات التي تقدمها الدولة، مثل أسعار وسائل النقل والسكك الحديدية، وزيادة الضرائب، وتخفيض عدد العاملين بالجهاز الإداري للدولة وتخفيض رواتبهم، وزيادة الاحتياطي من النقد الأجنبي في البنك المركزي، وعرض الشركات العامة والأصول المملوكة للدولة للبيع للمستثمرين الأجانب، عن طريق طرح أسهمها للاكتتاب في البورصات العالمية، وفي حالة عدم سداد القرض تقع ممتلكات الدولة المصرية تحت تصرف صندوق النقد الدولي"(١)!

وفي يوم ١١ نوفمبر سنة ٢٠١٦م، أعلن المجلس التنفيذي لصندوق النقد موافقته على القرض، وبعدها بيومين صرف الدفعة الأولى من القرض، وقيمتها ٢,٧٥ مليار دولار.

والقرض الذي من أجل موافقته عليه، فرض صندوق النقد الدولي شروطه على الدولة المصرية ووضعها تحت وصايته، وأجبرها على عرض أصولها للبيع، وينذرها في حالة عدم سداده بوضع ممتلكاتها تحت تصرفه، يساوي، بل يقل عن مليارات الدولارات التي أنفقتها الدولة على الحفلات والمؤتمرات ومشاريع الأمجاد التاريخية، ولو كان المعيار والميزان موجوداً في بلاليص ستان، وفيها أهل حل وعقد حقيقيون، أو كان فيها برلمان يمثل أهلها حقاً، لاستغنت عن هذه المشروعات والحفلات والمؤتمرات وما احتاجت إلى هذا القرض، ولكن بلاليص ستان التي تسير في مسارها اليهودي الماسوني منذ شَقَّه لها أول الآتين من الخلف، ليس فيها سوى الموظفين وحفظة الأكلشيهات، والبرلمانات التي يُسبِّح مَن يوضعون فيها بحمد ولي النِعم.

وانصياعاً لشروط صندوق النقد الدولي، ومن أجل القرض المنتظر، قام البنك المركزي المصري في يوم ٣ نوفمبر سنة ٢٠١٦م بتحرير سعر صرف الجنيه المصري، ففقد في يوم تحريره أو تعويمه ٤٨% من قيمته، وارتفع سعر صرف الدولار من ٩ جنيهات إلى ١٣ جنيهاً، ثم إلى ١٦ جنيهاً، ثم ١٨ جنيهاً، فارتفعت أسعار كل شيء في مصر.

---

1) International Monetary Fund. Middle East And Central Asia Dept., IMF Country Report No. 17/17, Arab Republic Of Egypt: Request for Extended Arrangement Under The Extended Fund Facility, Press Release; Staff Report; And Statement By The Executive Director For The Arab Republic Of Egypt, January 18, 2017.

ولكي تزيد الدولة حصيلة النقد الأجنبي، قامت بإغراء أهل مصر، لكي يتنازلوا عن مدخراتهم بالدولار، وتحويلها إلى الجنيه المصري، عن طريق طرح شهادات استثمار في البنوك القومية التابعة لها، بفائدة ٢٠%، على أن يُسترد أصل الشهادات بعد سنة ونصف.

وفي شهر يناير سنة ٢٠١٧م، وطبقاً للاتفاق مع صندوق النقد الدولي، طرحت الدولة مرة أخرى ثلاث شرائح من السندات بالدولار للبنوك والمستثمرين الأجانب، قيمتها الإجمالية ٤ مليارات دولار، بفائدة تبدأ بـ ٦,١٢% وتصل إلى ٨,٥%، وتولت مجموعة من البنوك الدولية عملية طرحها في أسواق المال العالمية.

وفي شهر أكتوبر سنة ٢٠١٧م أعلن وزير المالية المصري أنه يتم التجهيز لطرح نوعين من السندات الجديدة للبنوك وصناديق الاستثمار الأجنبية، خلال سنة ٢٠١٨م، الأولى بالدولار وقيمتها ٣ مليارات من الدولارات، والثانية باليورو وقيمتها ١,٥ مليار يورو.

وتنفيذاً لشروط الاتفاق مع صندوق النقد، قامت الدولة والبرلمان الديكوري الذي كونه ثالث الآتين من الخلف، ليكون أداته في فعل ما يريده، في غلاف أنه يمثل شعب مصر وأنهم هم الذين يريدونه، كالمعتاد في تاريخ بلاليص ستان منذ بدأ مسارها اليهودي الماسوني مع أول الآتين من الخلف، قام البرلمان بتعديل التشريعات الخاصة بالشركات والمؤسسات العامة والأصول المملوكة للدولة، لكي تبدأ في طرح حصص منها للاكتتاب للبنوك وصناديق الاستثمار الغربية في البورصات العالمية، وكان أول ما بدأت بطرحه بنك القاهرة المملوك بأكمله للدولة.

وبعد السندات والشهادات والمعونات، وزيادة الضرائب ورفع الدعم، وتحرير سعر صرف الجنيه، وقرض صندوق النقد الدولي، وقرض آخر من روسيا، وبيع أصول الدولة، وطبقاً لتقدير صندوق النقد الدولي، كانت ديون الدولة المصرية الخارجية قد وصلت في شهر مارس سنة ٢٠١٧م، إلى ٦٠,٢ مليار دولار، وبعد ستة أشهر، في شهر سبتمبر سنة ٢٠١٧م، وصلت إلى ٨٠,٨ مليار دولار، وما يجب على الدولة سداده من أقساط الديون وفوائدها خلال

السنتين القادمتين فقط ٢٥ مليار دولار، ومن المتوقع أن تصل هذه الديون إلى ١٠٠ مليار دولار في سنة ٢٠٢٠م.

وحسب بيانات البنك المركزي ووزير المالية المصري، فإن الديون االخارجية على الدولة المصرية تساوي ٣٦,٣% من إجمالي الناتج المحلي، وإجمالي الديون العامة، الخارجية والداخلية، على الدولة المصرية، وصل إلى نحو ٤ تريليون جنيه، وهو ما يتجاوز إجمالي الناتج المحلي، أي أن الديون على الدولة المصرية أكبر من ميزانيتها!

فالغرض من مصيدة الديون والقروض، التي ينصبها من علمتَ لأي دولة، عبر التاريخ كله، ليس إنقاذ اقتصادها وإصلاح ماليتها، كما يتوهم البقر، بل أن تدور الدولة داخلها في دورات مفرغة لا تنتهي، من أجل شل إرادتها وامتطائها وتوجيهها نحو غاياتهم العليا وما يريدونه منها.

وبعد أن قرأت مصيدة الديون الجديدة وقصة تفريعة قناة السويس، وصلة هذه بتلك، هل تشعر بالملل، وأنك قرأت قصة قديمة وشاهدت فيلماً أحداثه مكررة، ولا جديد فيه سوى الأسماء؟

فإليك ما أتيناك بهذه القصة المكررة من أجله، وهو أن نُعرِّفك أن الذين كتبوا سيناريو الفيلم والذين أخرجوه، وأدخلوا الدولة المصرية في مصيدة الديون، في القصتين القديمة والجديدة، هم هم!

فأما صندوق النقد الدولي، فقد علمتَ من الكتاب الذي بين يديك أن بيوت المال والبنوك ظهرت لأول مرة في أعقاب الحروب الصليبية، في عصر النهضة في إيطاليا وسويسرا، وتكونت بأموال اليهود وخلفاء فرسان الهيكل، ثم تحركت وامتد نشاطها من سويسرا إلى فرنسا وألمانيا وشمال أوروبا، ومن إيطاليا وألمانيا إلى إنجلترا والقارة الأمريكية، وفي المراحل التالية توحدت بيوت المال والبنوك في كل دولة، لتتكون منها البنوك الكبرى والمركزية، وفي المرحلة التي بعدها، والتي تعاصرها في زمانك هذا، توحدت البنوك الكبرى، ليتكون منها صندوق النقد والبنك الدولي!

والرئيسة الحالية لصندوق النقد الدولي، والتي وقَّعت عقد القرض مع الدولة المصرية، هي كرستين لاجارد Christine Lagarde، وكانت وزيرة المال والاقتصاد في عهد الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي Nicolas Sarkozy، وهي مثله يهودية من جهة أمها!

ورئيس بعثة صندوق النقد الدولي إلى مصر، والذي قاد مفاوضات الصندوق مع الحكومة المصرية، والذي وضع شروط القرض، هو مستشار الصندوق لمنطقة الشرق الأوسط ووسط آسيا، اليهودي البريطاني كرستوفر جارفز Christopher Jarvis.

وأما شركة WPP Plc للدعاية والإعلان، التي قامت بتنظيم حفل افتتاح قناة السويس الجديدة، وأنفقت فيه ٣٠ مليون دولار من ميزانية الدولة المصرية، فمالكها الذي أسسها سنة ١٩٨٧م، ومديرها منذ تأسيسها إلى يومك هذا، هو اليهودي البريطاني السير مارتن سوريل Martin Sorrell.

وأما البنوك التي تولت طرح السندات الدولارية التي أصدرتها الحكومة المصرية للبنوك والمستثمرين في أسواق المال العالمية، في مقابل عمولتها، فهي بنك بي إن بي باريبا، وسيتي بنك، ومجموعة جي بي مورجان تشيس.

وسيتي بانك Citibank، أسسه مجموعة من التجار اليهود في نيويورك سنة ١٨١٢م، وانتخبوا أول رئيس له، وكان التاجر اليهودي صمويل أوزجود Samuel Osgood، وفي سنة ١٨٣٧م اندمج في مجموعة تايلور البنكية، التي يملكها اليهودي موشيه تايلور Moses Taylor، وفي سنة ١٩١٣م صار أحد بنوك نظام الاحتياط الفيدرالي، الذي أشرف على إنشائه وصياغة قانونه اليهودي باول واربورج Paul Warburg، وهو أول مدير لبنك نيويورك المركزي في نظام الاحتياط الفيدرالي.

وأسرة واربورج إيطالية الأصل، وهي إحدى الأسر الوريثة لفرسان الهيكل، وبنكها في إيطاليا الذي أنشأته أواخر القرن الرابع عشر، أحد أوائل البنوك في العالم، ثم انتقل نشاط الأسرة البنكي في القرن السابع عشر إلى ألمانيا، ثم في القرن التاسع عشر إلى الولايات المتحدة.

ومجموعة جي بي مورجان تشيس J P Morgan Chase، تكونت سنة ٢٠٠٠م من اندماج بنك تشيس مانهاتن Chase Manhattan، مع بنك جي بي مورجان J P Morgan.

وبنك تشيس مانهاتن تكون سنة ١٩٥٥م من اندماج بنك مانهاتن، الذي أسسه اليهودي هارون بور Aaron Burr سنة ١٨٧٧م، مع بنك تشيس الذي تملكه أسرة روكفلر، وهم من اليهود الأخفياء.

وبنك جي بي مورجان أسسه سنة ١٨٩٥م البروتستانتي جون بيربوينت مورجان الكبير John Pierpont Morgan, Senior، بالاشتراك مع اليهودي أنتوني دريكسيل Anthony Drexel، صاحب بنك دريكسيل في نيويورك.

وبنك بي إن بي باريبا BNP Paribas، تكوَّن سنة ٢٠٠٠م، من اندماج بنك باريس القومي Banque Nationale De Paris S.A، مع بنك باريبا Paribas، واسمه الكامل بنك باريس والأراضي الواطئة/هولندا Banque De Paris Et Des Pays Bas S.A.

فأما بنك باريبا، فهو في الأصل بنك بيشوفشيم، الذي أسسه سنة ١٨٢٧م الأخوان اليهوديان لويس وجوناثان بيشوفشيم Louis And Jonathan Bischoffsheim، في أمستردام وأنتويرب في هولندا، وهما من أسرة بيشوفشيم الألمانية الأصل من فرانكفورت، وفي سنة ١٨٤٦م قام لويس بيشوفشيم، بدمج فرع أمستردام مع بنك جولدشميت في لندن، الذي يملكه حماه اليهودي حاييم سولومون جولدشميت Hayum Salomon Goldschmidt، وهو من أسرة جولدشميت الألمانية من فرانكفورت أيضاً، وتكون من هذا الاندماج بنك بيشوفشيم وجولدشميت وشركاهما Bischoffsheim, Goldschmidt Et Cie، بفروعه في لندن وباريس وأمستردام، وفي سنة ١٨٦٣م غيَّر لويس بيشوفشيم اسم المجموعة البنكية من بيشوفشيم وجولدشميت إلى بنك الإيداع والائتمان بالأراضي الواطئة Banque De Crédit Et De Dépôt Des Pays Bas.

وفي سنة ١٨٧٢م اندمج بنك الأراضي الواطئة الذي تملكه أسرة بيشوفشيم وأسرة جولدشميت، مع بنك باريس Banque De Paris، الذي تملكه أسرة فولد اليهودية الفرنسية

Fould، وأسرة شنابر Schnapper، وهي أسرة يهودية ألمانية الأصل من فرانكفورت هي الأخرى، وهم أصهار أسرة روتشيلد وأخوالهم، إذ زوجة ماير أمشيل روتشيلد Mayer Amschel Rothschild، وأم أبنائه الخمسة، هي جوديولا شنابر Gudula Schnapper، ومن هذا الاندماج بين بنك الأراضي الواطئة/هولندا وبنك باريس ظهر بنك باريبا، أو بنك باريس والأراضي الواطئة/هولندا.

وأما بنك باريس القومي، الشريك الثاني في بنك بي إن بي باريبا، فقد تأسس هو الآخر سنة ١٩٦٦م من اندماج بنكين، الأول هو بنك الكونتوار، أو بنك الخصومات والتسويات في باريس Comptoir National D'Escompte De Paris، الذي أسسه سنة ١٨٤٨م أنصار الجمهورية الثانية، بعد الثورة التي وصلت بالماسوني شارل لويس نابليون/نابليون الثالث إلى عرش فرنسا رئيساً ثم إمبراطوراً، والثاني البنك القومي للتجارة والصناعة Banque Nationale Pour Le Commerce Et l'Industrie، الذي تأسس سنة ١٩٣٢م. واشتركت في تأسيسه البنوك المؤسسة والمالكة لبنك فرنسا، وقد علمت من قبل، في باب: نابليون وحملة الماسون، سيرة هذه البنوك وكيف تكوَّن منها بنك فرنسا.

ولأن الدنيا صغيرة، والزمان وإن طال قصير، فإذا رجعت صفحات إلى الخلف، وراجعت مصيدة الديون القديمة، ستجد فيها أن بنك بيشوفشيم وبنك الكونتوار، اللذين تكون باندماجهما بنك بي إن بي باريبا، كانا من البنوك التي تقرض الخديو إسماعيل وأدخلته في مصيدتها!

ونتركك الآن تتابع فيلم قناة السويس ومصيدة الديون الجديدة، ونترك لك أن تقرر كيف ستكون نهايته، في ضوء ما علمته من النهاية التي انتهى بها فيلم قناة السويس ومصيدة الديون القديمة، وبعد أن تأخذ في اعتبارك الأشواط التي قطعها المشروع اليهودي فعلاً والمرحلة التي وصل إليها.



جيش أول الآتين من الخلف

الجيوش في بلاليص ستان:

إذا راجعت الكتاب الذي بين يديك من أوله، ستدرك أن الحملات العسكرية من الخارج والجيوش من الداخل، كانت الأداة الرئيسية لليهود والماسون في تغيير مسار عالم الإسلام، وإلحاقه بالمسار الذي صنعوه للغرب، وفي صناعة النقلات الكبرى في هذا المسار، والتي هي في كل مرحلة ركيزة من ركائز تطوير المشروع اليهودي للشرق كله، وتسير بموازاة الخطوات الكبرى فيه، وستلاحظ أن جميع من يُنسَبون للشرق وتصدروا الحوادث المفصلية التي أفضت إلى تغيير مسار عالم الإسلام وإلحاقه بالغرب، وإلى تقدم المشروع اليهودي وصناعة دولة بني إسرائيل، خرجوا من الجيوش بعد أن كانوا قد تسللوا إليها من حواري اليهود.

ذلك أن هذا المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان، والدول التي صنعتها الإمبراطوريات الماسونية، تقوم على إزاحة الإسلام من السلطة والدولة، وإذابة رابطته وتقليص آثاره في المجتمعات، والسير بها في اتجاه يخالف عقائدها وتاريخها وأخلاقها وقيمها، ويجعلها تابعة لأعدائها، ومقاليدها في خارجها، ويفكك الشرق كله، ويجعله محضناً للدولة اليهودية ومشروع بني إسرائيل، وهو ما لم يكن ممكناً تحقيقه وإنجازه سوى بتكتيف الشعوب بقوة قاهرة تُفقِدها إرادتها، وتُجبرها على السير في هذا المسار، وعلى الخضوع لهذه الدول التي صنعتها وهندستها هذه الإمبراطوريات الماسونية، ثم سلمتها مقاليد بلاليص ستان، لتخلفها في تسيير المسار الماسوني وإتمام المشروع اليهودي.

وهذه، كما أخبرناك من قبل، هي فلسفة إنشاء الجيوش النظامية في بلاليص ستان، منذ بدأ مسارها اليهودي الماسوني مع أول الآتين من الخلف، وهو ما من أجله تتعاقب على حراستها الإمبراطوريات الماسونية وتدربها وتمدها بالمال والسلاح.

ففرنسا كما سترى، أقامت لأول الآتين من الخلف جيشه، ووزير حربيتها كان يشرف على المدرسة العسكرية المصرية التي أنشأها أول الآتين من الخلف في باريس، ثم تلتها بريطانيا،

وورثت الاثنتين الولايات المتحدة الماسونية، فصارت هي التي تدرب قادة جيوش بلاليص ستان، وهي مصدر تمويلها وتسليحها، ليس من أجل أن تواجه بلاليص ستان أعداءها أو تحمي شعوبها، بل من أجل أن تكون أداة تكتيفهم وقهرهم وإجبارهم على الرضوخ للمسار الماسوني، وقبول المشروع اليهودي، ثم تسليم المسجد الأقصى لليهود.

والوسائل الناعمة، مثل التعليم والصحافة والإعلام والآداب والفنون، كانت شديدة الأثر في تفكيك وعي شعوب بلاليص ستان، وتفريغ أذهانها ونفوسها من الموازين والمعايير، وتذويب عقائدها، وحل أخلاقها، وهتك أنسجتها، وإحلال شعارت اليهود والماسون المبهرجة محلها، ولكن هذه الوسائل الناعمة ما كان لها أن تصل إلى هذا الأثر، ولا أن تعمل ولا أن توجد أصلاً، إلا في حماية قوة الجيوش الخشنة ومن وصلوا عبرها إلى السلطة في بلاليص ستان، ومَن في هذه الوسائل الناعمة من الفسقة والزنادقة والمرتزقة لا يجرؤون على قول ما يقولونه وفعل ما يفعلونه إلا وهم يعلمون أن الدولة وجيشها وأجهزة أمنها سقف لهم وهم في حمايتها، وأنها وهي تُطْلقهم تقوم في الوقت نفسه بتكتيف من يواجههم ومحاصرته ومنعه من الوصول إلى الناس، وإذا لزم الأمر تقوم بضربه، عبر تفصيل القوانين وأدوات القهر والبطش، لأن ما يقوله هؤلاء الفسقة والمرتزقة ويفعلونه يتوافق مع أصول الدولة وهندستها التي بُنيت عليها، ومع ثوابتها وركائزها، ومحورها كلها إزاحة الإسلام من السلطة والسياسة، وتقليص آثاره في المجتمع والتعليم والإعلام.

وهو ما يمكن أن تدركه ببساطة إذا نظرت في أي صحيفة أو وسيلة من وسائل الإعلام حولك، أو قرأت ما تصدره وزارة الثقافة من كتب ومطبوعات، فيمكن لأي أحد من بقر الصحف والشاشات، أو من الأدباتية والمشخصاتية، أو من البلاليص الذين يسمون أنفسهم مثقفين، في غلاف حرية الرأي والتعبير، أن يتطاول على الإسلام، عقائده وشرائعه وشعائره ورابطته وتاريخه ورموزه، وأن يمجد الرابطة القومية، رابطة الأرض والدم البني إسرائيلية التوراتية، وبلاليص ستان التي أقيمت عليها، ومسارها الذي صُنع بها وتكون حولها، والأشخاص الذين صنعهم هذا المسار وصاروا مُمَجدين فيه، دون أن يكون في مقدور أحد أن ينتقده أو يرد عليه، لأن هذه هي عقيدة الدولة وجيشها منذ وضع أصولها أول الآتين من الخلف، ثم تعاقب على ترسيخها وبناء مؤسسات الدولة بها وبرمجة عموم الناس بالإعلام والتعليم عليها، كلُ مَن مر على

بلاليص ستان مِن الإمبراطوريات الماسونية، ومَن تسللوا إلى حكمها مِن الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود.

ويمكن لأي من هؤلاء البقر أن يصف الإسلام وشريعته بالرجعية وأنها دين الصحراء والبدو، ويتطاول على النبي ويصفه بأنه رجل حجازي لم يعش في مصر ولم تكن تجري في عروقه دماؤها فلا علاقة لها به، ويتهجم على الأزهر ويتهكم على العلماء، وهو مطمئن أنه لن يمسه أحد بسوء، لكن لن يُسمح لأحد كائناً من كان أن يخرج في صحيفة أو وسيلة إعلام لينتقد العقيدة القومية ويبين أصولها التوراتية وحقيقتها البني إسرائيلية، ويكشف من الذي بثها في بلاليص ستان وأقام بها دولتها ومؤسساتها، ولن يُسمح له أن يكشف حقيقة سعد زغلول أو عبد الناصر، أو يتعرض بنقد لطه حسين أو نجيب محفوظ أو أم كلثوم أو الكنيسة، وإذا فعل سيُنكلون به ويطلقون عليه الكلاب من كل جانب، لأن هؤلاء جميعاً من رموز المسار اليهودي الماسوني، ومن ثوابت بلاليص ستان، وفي حماية جيشها وأجهزة أمنها، والإسلام وحده هو البعيد عنها المستبعد من ثوابتها.

وإليك مثالاً، في أول يوم من شهر ديسمبر سنة ٢٠١٦م، استضاف أحد بقر الصحف، في برنامج: نظرة، الذي يقدمه على قناة صدى البلد، آخر من بقر الصحف أيضاً، والأول مسلم ورئيس تحرير مجلة: المصور، التي تصدرها دار الهلال، والثاني مسيحي، وكان رئيس تحرير مجلة: صباح الخير، التي تصدرها مؤسسة روز اليوسف، ودار الهلال وروز اليوسف، كلتاهما من المؤسسات الصحفية المملوكة للدولة، ودار بينهما الحوار التالي:

"حمدي رزق: "الشيخ الشعراوى البعض يرى أنه زرع التطرف، والبعض يرى أنه سلب العقول، والبعض يرى أنه مهَّد الأرض وخصَّبها لكل التيارات المتطرفة اللي جاية، والبعض يرى أنه كان عالِم دين مهماً جداً وتاريخياً فى تاريخ الحركة الإسلامية ... أنت شُفته إزاي؟"

مفيد فوزي: "شُفته بتمييزى أنه أرض خصبة لما جاء بعد ذلك".

حمدي رزق: "يعني خصَّب الأرض، حرث الأرض".

مفيد فوزي: "نعم، وشُفته وراء حجاب الكثير من الفنانات"[1].

وما أتيناك بهذا الحوار من أجله، هو أن نسألك: لو واتت الشجاعة أحداً، وهو ما لم يحدث، فخرج ليرد على مفيد فوزي وعلى البلاص الذي استضافه، فقال لهما: إذا كان الشيخ الشعراوي زرع التطرف ومهَّد الأرض وخصَّبها للتيارات المتطرفة، فماذا يكون البابا شنودة الذي قال إبان مواجهته للسادات رئيس الدولة: "**هخلي الدم للركب**"، وماذا يكون الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدس للكنيسة، الذي قال في أحد مؤتمرات المجمع، وفي تصريحات علنية نُشرت في الصحف: "**الأقباط أصل البلد، والمسلمون "ضيوف حلَّوا علينا ونزلوا فى بلدنا واعتبرناهم إخواتنا، كمان عايزين يحكموا كنايسنا؟**"، لو واتت الجرأة أحداً ورد على الاثنين من بقر الصحف اللذين تهجما على الشيخ الشعراوي، هل كان سيظل في عمله ومنصبه كما ظلا، وهل كان سيبيت في بيته كما باتا، وهل كان سيعرف أحد أين ذهب، أو يعلم ما الذي فعلته الدولة وأجهزة أمنها به وبأهله وبمن جاوره أو صافحه في يوم من الأيام؟!

وهاك مثالاً آخر، منذ وصل ثالث الآتين من الخلف إلى السلطة، وهو لا يترك مناسبة يلقي فيها خطاباً، إلا وحشر فيه الدعوة إلى تجديد الدين، بذريعة أن هناك نصوصاً وأفكاراً تم تقديسها ويجب تغييرها لتواكب العصر، وفي الاحتفال بعيد الشرطة، سنة ٢٠١٧م، وأمام مئات الحاضرين، وملايين المشاهدين للاحتفال المذاع تلفزيونياً وإذاعياً على جميع القنوات المصرية، ترك، وهو رجل عسكري، الشرطة وعيدها، والمشاكل السياسية والأمنية والاقتصادية، التي وظيفته العمل على إيجاد حل لها، وكان هذا ما يشغله، وهو يوجه حديثه للحضور، ويُنهيه بتوجيهه لشيخ الأزهر:

" سألت رئيس الجهاز المركزى للتعبئة عن عدد حالات الزواج، قال لي: ٩٠٠ ألف، ٤٠% منهم بينفصلوا بعد ٥ سنوات، إحنا كدولة معنية بالحفاظ على مجتمعها مَنْطَلَّعش

---

١) قناة صدى البلد على اليوتيوب، برنامج نظرة، حلقة ٢٠١٦/١٢/١م، فيديو بعنوان: مفيد فوزى يسترجع ذكرياته، ويكشف تفاصيل لقائه بفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي.

قانون يقول إن الطلاق لا يتم إلا أمام المأذون، علشان نعطي الناس فرصة تراجع نفسها، وما يكونش بكلمة يقولها كده، ولا إيه يا فضيلة الإمام، تعبتني يا فضيلة الإمام"[1].

والعبارة الأخيرة من كلام رئيس الدولة، تعني أنه سبق ان خاطب الأزهر وشيخه في شأن تعديل أحكام الطلاق، وأنه يضغط عليه من أجل ذلك، فسل نفسك: ما علاقة رئيس الدولة أصلاً بالفقه، وهل من سلطة ولي الأمر في الإسلام أن يغير في شرائعه أو يُدلي بدلوه فيها، وهل حدث في تاريخ الإسلام أن أقحم ولي الأمر، سلطاناً كان أو خليفة، نفسه في الأحكام الفقهية وضغط على الفقهاء من أجل تعديلها، وهل تجديد الإسلام والاجتهاد في الاستنباط من القرآن والسنة لمواكبة ما يستجد في الزمان يكون بأوامر من ولي الأمر وموافقةً لهواه، وهو لا يعرف فيها يمينه من شماله؟

وهنا ننبهك أن من يجدد الإسلام في أي زمن، قد يكون فقيهاً عالماً، وتجديده للدين يكون بالاجتهاد في الاستنباط واستخراج الأحكام وبيانها، وقد يكون سياسياً، وتجديده بإزالة المفاسد من المجتمع وإقامة العدل فيه وإعادة موازين الإسلام ومعاييره إليه وضبط دولته به وبالطبقة القوامة عليه، وقد يكون قائداً عسكرياً، وتجديده بجهاد أعدائه وردهم عن بلدانه، فإذا زعم ولي أمر أو قائد جيش أنه سيجدد الدين بتعديل شرائعه فهو ضال مضل، وما يريده هو تحريف الدين وليس تجديده.

ورداً على كلام رئيس الدولة، أصدرت هيئة كبار العلماء بالأزهر بياناً للأمة، في يوم ٥ فبراير سنة ٢٠١٧م، بعنوان: بيان من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بشأن الطلاق الشفوي، جاء فيه:

"وقد أعدَّت اللجان المختصَّة تقاريرها العلمية المختلفة، وقدَّمتها إلى مجلس هيئة كبار العلماء الذي انعقد اليوم الأحد ٨ من جمادى الأولى ١٤٣٨هـ، الموافق ٥ من فبراير ٢٠١٧م، وانتهى الرأي في هذا المجلس بإجماع العلماء على اختلاف مذاهبهم وتخصُّصاتهم إلى القرارات الشرعية التالية: أولاً: وقوع الطلاق الشفوي المستوفي أركانَه وشروطَه، والصادر

---

[1]) فيديو على موقع يوتيوب بعنوان: الرئيس يدعو إلى إصدار قانون ينظم الطلاق الشفوى.

من الزوج عن أهلية وإرادة واعية، وبالألفاظ الشرعية الدالة على الطلاق، وهو ما استقرَّ عليه المسلمون منذ عهد النبيِّ، صلَّى الله عليه وسلَّم، وحتى يوم الناس هذا، دونَ اشتراط إشهاد أو توثيق ... علماً بأنَّ كافَّة إحصاءات الطلاق المعلَن عنها هي حالاتٍ مُثبَتة ومُوثَّقة سَلَفًا، إمَّا لدى المأذون أو أمام القاضي، وأنَّ العلاج الصحيح لهذه الظاهرة يكون في رعاية الشباب وحمايتهم من المخدرات بكلِّ أنواعها، وتثقيفهم عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة، والفن الهادف، والثقافة الرشيدة، والتعليم الجادّ، والدعوة الدينية الجادَّة المبنيَّة على تدريب الدُّعاة وتوعيتهم بفقه الأسرة وعِظَمِ شأنها في الإسلام ... وتتمنَّى هيئةُ كبار العلماء على مَن يتساهلون في فتاوى الطلاق، على خلاف إجماع الفقهاء وما استقرَّ عليه المسلمون، أن يُؤدُّوا الأمانةَ في تَبلِيغ أحكامِ الشريعةِ على وَجهِها الصحيح، وأن يَصرِفوا جُهودَهم إلى ما ينفعُ الناس ويُسهم في حل مشكلاتهم على أرض الواقع، فليس الناس الآن في حاجةٍ إلى تغيير أحكام الطلاق، بقدر ما هم في حاجةٍ إلى البحث عن وسائل تُيسِّرُ سُبُلَ العيش الكريم"[١].

فتنبه أن نسب الطلاق المرتفعة التي سجلها جهاز التعبئة والإحصاء، هي كلها لحالات موثقة ومثبتة في الأوراق الرسمية، وهو ما يعني أنه لا علاقة لكون الطلاق شفوياً بارتفاع نسبته، ومن ثَم فلا يمكن أن يكون هذا هو السبب الحقيقي ولا الهدف من دعوة ثالث الآتين من الخلف لتعديل أحكامه، وضغطه على الأزهر من أجل ذلك.

ومرة أخرى، وثقة منا بفطنتك، نترك لك تحديد ماذا يكون السبب الحقيقي لأن يحشر ثالث الآتين من الخلف الدعوة لتجديد الإسلام في خطاباته، وهدفه من الضغط على الأزهر لتعديل أحكام الطلاق، بعد أن ننبهك إلى أن مسألة الطلاق تتصل بشرائع الأسرة، وبشكل المجتمع ونسيج علاقاته وقيمه، والمصدر الذي تنبع منه والحاكم لها، وهل هو الإسلام أم الابتكارات التي يبتكرونها من أجل إزاحة الإسلام ومحاكاة الغرب الماسوني والسير خلفه، وبعد أن نذكرك بولي الأمر الآخر في إحدى دول بلاليص ستان الذي افتخر في حوار له مع صحيفة لوموند

١) مشيخة الأزهر الشريف: بيان من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بشأن الطلاق الشفوي، بوابة الأزهر، ٥ فبراير ٢٠١٧م.

الفرنسية، بأن أعظم إنجازاته في دولته أنه تمكن من فصل تشريعات الأسرة والزواج والطلاق عن الإسلام!

ثم تنبه أن بيان هيئة كبار العلماء، كما ترى، وضع يده، ليس على الأسباب الحقيقية لشيوع الطلاق فقط، بل وللفساد في جميع مناحي الحياة وشؤون المجتمع.

والذي لم ينص عليه البيان وتقرأه بين سطوره، هو أن السبب الأول خلف هذه الأسباب جميعها هو الدولة نفسها، بالإعلام الفاسد الذي تغدق عليه، والفنون الهابطة التي ترعاها، والثقافة المنحلة التي تتبناها وتصدرها مؤسساتها الرسمية، وبالتعليم الذي تحذف منه كل ما له علاقة بالعقائد والقيم، وبتكبيل الدعوة الدينية التي تضع على رأس الوزارة التي تختص بشؤونها أحد المخبرين، وبالشعارات التي يرفعها ويبثها المجلس القومي للمرأة التابع للدولة، ولرئاسة الجمهورية تحديداً، وجمعيات المرأة التي تدور حوله، وهي الشعارات التي يُحوِّلها المجلس إلى دورات وبرامج تفكك الأسرة، وتنسف مرجعية الزواج الإلهية، وتُحرِّض النساء على أزواجهن باسم حقوق المرأة ومساواتها بالرجال.

وبعد نشر هيئة كبار العلماء لبيانها، وعرقلتها لما يريده ثالث الآتين من الخلف، شن بقر الصحف والشاشات حملات تطاولوا فيها على الأزهر وشيخه وهيئة كبار علمائه، فإليك نموذجاً من الذي كتبه أحد بقر الصحف في عموده اليومي، في صحيفة الأهرام الواقعة تحت سيطرة الدولة وتعبر عنها، وكانت مقالته بعنوان: هيئة كبار العلماء:

"هل كنا نتصور مثلاً أن يَصدر عن هيئة كبار العلماء بيان واضح وجريء يتصدى لكارثة فوضى الطلاق الشفوى، وقبلها فوضى الزواج الشفوي ... ولكننا نُكبنا بهيئة علماء الأزهر التى سبق أن ألغاها جمال عبد الناصر فى عام ١٩٦٠م، ضمن تطوير الأزهر، وحل محلها مجمع البحوث الإسلامية، غير أن هيئة كبار العلماء عادت فى يوليو ٢٠١٢م مع مشارف

حكم الإخوان، فى عهد الشيخ الطيب، ألا يدعو هذا الوضع إلى مراجعة هذه العودة لهيئة اتسمت مواقف كثيرة لها فى تاريخها منذ إنشائها فى ١٩١١م بالرجعية والجمود؟"[١].

وتنبه أن أحد بقر الصحف هذا، يُحمِّل الأزهر وهيئة كبار علمائه مسؤولية شيوع الزواج الشفوي، بينما الزنى في وسائل الإعلام الفاسدة والفنون الهابطة والثقافة المنحلة التي ترعاها الدولة وتنفق عليها ممارسة للحب وحرية شخصية، وفي قوانين الدولة المصرية ليس جريمة ولا هو بمستهجن، إذا كان برضا الطرفين والفتاة قد بلغت سن الثامن عشرة!

وإذا كنت ممن تغرر به الشعارات التي يرفعها بقر الصحف والشاشات، عن حرية التعبير والنقد، فإليك الصورة المقابلة، لتعرف أن حرية التعبير والنقد هذه ليست سوى لافتة يختبئون خلفها، ولا يرفعونها إلا في مواجهة الإسلام وعقائده وشرائعه وعلمائه، فقط لا غير.

منذ أقر المجلس المِلِّي للكنيسة الأرثوذكسية لائحة الأحوال الشخصية، في يوم ٩ مايو سنة ١٩٣٩م، صارت هذه اللائحة صُلب قوانين الدولة المصرية فيما يخص الأحوال الشخصية للمسيحيين، وكانت هذه اللائحة تبيح الطلاق لعدة أسباب، هي الزنى، والعجز الجنسى، والشذوذ، والجنون، والسجن، وعدم الإنجاب، والاختفاء لسنوات، وإساءة أحد الطرفين للآخر، واستحكام الخلاف بما يستحيل معه دوام المعاشرة.

وبعد وصول البابا شنودة الثالث إلى سُدة الكنيسة الأرثوذكسية، قام بإلغاء لائحة المجلس المِلي، وقصر حق الزوج أو الزوجة في الحصول على الطلاق في سبب واحد، هو الزنى، استناداً إلى عبارة في الإنجيل على لسان المسيح، يقول فيها:

"وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَب الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي"[٢].

---

١) **الكاتب الصحفي أسامة الغزالى حرب: هيئة كبار العلماء، صحيفة الأهرام، ١١ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ/٨ فبراير ٢٠١٧م.**

٢) **متى: ١٩: ٩.**

ومنذ ألغى البابا شنودة لائحة المجلس الملي، قام آلاف المسيحيين الأرثوذكس برفع قضايا أمام المحاكم المصرية، وحصلوا منها على أحكام بالطلاق، بناءًا على لائحة المجلس المِلي التي تعتمدها الدولة، ولكن الكنيسة الأرثوذكسية رفضت الاعتراف بهذه الطلاق، وامتنعت عن منح من حصلوا على أحكام الطلاق من محاكم الدولة تصاريح بالزواج، وعن عقد مراسم الزواج لهم في الكنيسة.

وفي أول مارس سنة ٢٠٠٨م، وبعد رحلة طويلة للقضايا المرفوعة في أروقة المحاكم ودرجات التقاضي:

"أصدرت المحكمة الادارية العليا حُكماً، بتأييد الحكم الصادر من محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة، والذي يُلزِم الكنيسة الأرثوذكسية باستخراج تصاريح زواج للمسيحيين المطلقين بأحكام صادرة من القضاء متى توافرت شروط هذه التصاريح"[(١)].

وبعد إعلان المحكمة الإدارية العليا لحيثيات حكمها، كانت هذه هي إحدى تعقيبات البابا شنودة العديدة على الحكم، في عظته الشهرية بالكنيسة المرقسية في الإسكندرية:

"نحن لا يُلزِمنا أحد إلا تعاليم الإنجيل فقط، ولن نخالف أحكام ديننا، ولا نأخذ أوامر من جهات مدنية، وهم يعلمون ذلك ... والشخص المطلق الذي لم تسمح له الكنيسة بزواج ثانٍ، لا يجوز لأي أب كاهن أن يُزوِّجه، وإلا سيتم شلحه من الكنيسة، والذين يوافقون على الزواج الثانى من المسيحيين لا ينتمون إلى المسيحية إلا شكلاً فقط ... أنا طيب جداً مع الناس الغلابة، ولكن إذا تعلق الموضوع بشئ يمس العقيدة، فسأتحول لشخص آخر"[(٢)].

١) الصحفية شيماء القرنشاوي: الإدارية العليا تُلزم الكنيسة باستخراج تصريح زواج للمسيحي المطلق، المصري اليوم، ٢ مارس ٢٠٠٨م

٢) الصحفية ماريا ألفي: البابا شنودة: "لا تستطيع أي جهة إرغامنا على شيء مخالف لعقيدتنا"، تقرير صحفي، الأقباط متحدون، العدد ٢٠٣٩، ٢٣ بشنس ١٧٢٦ قبطية/٣١ مايو ٢٠١٠م.

والبابا شنودة رأس الكنيسة، ويدافع عن عقائدها وشرائعها كما يراها ويعتنقها، وليس لنا تعقيب على ما قاله، وما جئناك بموقفه وتعليقه على حكم المحكمة الإدارية العليا من أجله، هو موقف الدولة وبقر صحفها وشاشاتها منه، لتقارنه بموقفهم من الأزهر وهيئة كبار علمائه.

فبقر الصحف والشاشات الذين تهجموا على الأزهر، ورموا هيئة كبار علمائه بالرجعية والجمود، هم هم، كانوا بين فريقين تجاه موقف الكنيسة من الدولة وأحكام قضائها، فالفريق الأول، وهو جُلهم، عموا وصموا، ولم يعلقوا على رفض البابا والكنيسة تنفيذ أحكام القضاء التي تصدرها محاكم الدولة، وتمسكه بشريعة الإنجيل، لا بكلمة ولا إشارة، فلا أحد هاجمه، ولا اتهم الكنيسة بالجمود والرجعية والتمسك بشريعة يزيد عمرها على ألفي سنة، ولا بالخروج على الدولة وقضائها، وكأن ما قاله رأس الكنيسة لم يصل إلى علمهم ولم يسمعوا به.

والفريق الثاني من بقر الصحف والشاشات، وهم قليلون، عقبوا على حكم قضاء الدولة ورفض البابا له، وكانت تعقيباتهم جميعاً في اتجاه واحد، فإليك نموذجاً على هذه التعليقات، في ما كتبه الشيوعي الملحد وعضو حركة حدتو، رفعت السعيد، في صحيفة الأهرام التي تملكها الدولة وتصدرها.

في مقالته الأسبوعية في صحيفة الأهرام، الصادرة يوم ١٩ يونيو ٢٠١٠م، وبعنوان: كتاب قديم للبابا شنودة، قال الشيوعي رفعت السعيد إن حكم المحكمة الإدارية العليا: "**صادم ويعنف للمسيحيين**"، ولذا سيسعى إلى بحث الأمر، ومعرفة مدي خطورة التداعيات التي سوف تترتب عليه.

ومن أجل ذلك نقل الشيوعي رفعت السعيد فقرات من كتاب قديم للبابا شنودة لم يذكر اسمه، ومن الإنجيل، ومن أقوال آباء الكنيسة عبر التاريخ، ومن أقوال فقهاء المسلمين، ومن نصوص القرآن والسنة، فإليك عينة مما نقله:

"**البابا شنودة: "وحدة الزواج في المسيحية أمر مسلم به عند جميع المسيحيين في العالم كله علي اختلاف مذاهبهم، وهذا الإجماع العام يعني أن الأمر هو عقيدة راسخة لم تتزعزع مدي عشرين قرناً، ورفضها يعني أن المسيحيين في العالم أجمع، إكليروساً وعلماء وشعباً،**

منذ نشأتهم وحتي الآن، مخطئون في فهم دينهم" ... الأنبا غريغوريوس: "أي مساس بهذا المبدأ المسيحي يهدم ركناً أساسياً من أركان ديانتنا، وكل تشريع لأحوالنا الشخصية يجب أن يضع مبدأ الزوجة الواحدة في قمة الاعتبار" ... وفي الأبحاث التي أصدرها المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية نقرأ أيضاً: "أما حرية الاعتقاد، فعلي الدول الإسلامية أن تترك الحرية لكل فرد من رعاياها أن تكون عقيدته بناءًا علي مايصل إليه عقله ونظره الصحيح" ... وفي الحديث الشريف: "..."، وقال الإمام أبو حنيفة: "..."، وفي القرآن نجد: " ..."[١].

وكان ما وصل إليه الشيوعي الملحد رفعت السعيد من بحثه في الأمر وتنقيبه عن مدى خطورته، نصيحة وجهها للدولة، فهاك هي:

"لابد من حكمة خالية من التريص ومن التسرع، فالأمر جد خطير، ولعل الحل الأسرع هو الإسراع بإصدار القانون الموحد للأحوال الشخصية للطوائف المسيحية، وإلي أن يتم ذلك لامخرج سوي الحكمة والتريث"[٢].

والشيوعي الملحد رفعت السعيد، شيوعي وملحد حين يتعلق الأمر بالإسلام وعقائده وشريعته، ولا يترك مناسبة إلا ويتهم من يتكلمون عن شريعة الإسلام بأنهم من المتأسلمين والمتطرفين والرجعيين، لكنه، كما ترى، تحول إلى فقيه أصولي وراهب مسيحي في وقت واحد، حين تعلق الأمر بديانة غير الإسلام.

ومن المضحكات المبكيات في بلاليص ستان، أن تعلم أنه في أحد مؤتمرات المجلس القومي للمرأة، وبعد أن تطرقت رئيسته لقوانين الطلاق في الشريعة الإسلامية والحاجة إلى تعديلها لتتواءم مع العصر وما حصلت عليه المرأة من حقوق، قامت صحفية مسيحية وسألتها: **"لماذا لا يتبنى المجلس مشاكل المرأة المسيحية مثل أختها المسلمة، ولماذا لا يوجد له نشاط بخصوص مشكلة الطلاق الخاصة بالمسيحيين، والتي تسببت في مآسي لآلاف من**

---

١) الكاتب الشيوعي رفعت السعيد: كتاب قديم للبابا شنودة، الأهرام، العدد ٤٥١٢٠، ٧ رجب ١٤٣١هـ/١٩ يونيو ٢٠١٠م،

٢) كتاب قديم للبابا شنودة، الأهرام، العدد ٤٥١٢٠، ٧ رجب ١٤٣١هـ/١٩ يونيو ٢٠١٠م،

النساء المسيحيات؟"، فكان رد رئيسة المجلس القومي للمرأة التابع للدولة عليها: "**إحنا مالناش دعوى بشرائع المسيحيين**"!

فالدولة في بلاليص ستان، منذ وضع أصولها وأرسى قواعدها أول الآتين من الخلف، واستكمل صنائع الإمبراطوريات الماسونية بناءها تحت حراستها، من أول رأسها، مروراً بجميع أجهزتها ومؤسساتها، وصولاً إلى إعلامها وبقر صحفها وشاشاتها، مهمتها التي تم برمجتها عليها ولا يشغلها غيرها، هي إزاحة الإسلام وتحريف عقائده وتذويب شرائعه، وحده دون الديانات والملل كلها.

وهاهنا نشير لك إلى مسألة ملتبسة في تاريخ بلاليص ستان، فجميع الآتين من الخلف، هم ومؤسسات الدولة التي أقامتها لهم الإمبراطوريات الماسونية، يتقربون من الكنيسة ويقربون رأسها ولا يسمحون لأحد أن يمس قساوستها، ويطلقون الكنائس، ويضعون عقائدها وشرائعها تحت حمايتهم، ويرفعون شعارات الدفاع عن حقوقها، ويطلقون أجهزة الأمن على من يمسها، ليس حباً في المسيحية وكنيستها، كما يفهم البعض، بل ليكون ذلك وسيلة وذريعة لتذويب عقائد الإسلام وشرائعه، والكيد للأزهر، وتكتيف المساجد، وإطلاق بقر الصحف والشاشات والمشخصاتية والأدباتية عليه وعليها، لأن المشروع اليهودي ما كان له أن يبدأ، ولا أن يتقدم ويقطع ما قطعه من أشواط، ولن يكتمل ويصل إلى غايته، إلا بإزاحة الإسلام ومعياره وميزانه.

والآن إليك لمحات مما فعلته الحملات العسكرية للإمبراطوريات الماسونية، وما فعلته الجيوش التي كونتها في بلاليص ستان حول الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود، وتضع مقاليدها في كل مرحلة في أيدي صنائعها ومن يدورون حولها، وإليك صلة ما فعلته هذه الحملات والجيوش بالمشروع اليهودي.

الوصلة بين المسار اليهودي الماسوني في الغرب والمسار اليهودي الماسوني في الشرق، هي حملة الماسوني نابليون العسكرية على مصر، وبها، كما علمتَ تفصيلاً، انتقل العمل من أجل المشروع اليهودي من كواليس السلطة وأدمغة الساسة في الغرب إلى كواليسها وأدمغتهم في الشرق.

ودولة أول الآتين من الخلف التي صنعها حوله جيشه، كانت هي وهو أداة شق المسار اليهودي الماسوني لمصر وتغيير هويتها، وإزاحة موازينها ومعاييرها، والإطاحة بالأزهر، وإذابة أهل حلها وعقدها، وتسليمها ليهود الغرب وماسونه، وأداة ضرب دولة الإسلام الجامعة لشعوبه، وإحلال الرابطة القومية التوراتية البني إسرائيلية محل رابطة الإسلام والعقيدة الإلهية، فوضع بدولته وجيشه جرثومة تفكيك الشرق كله وتمزيق ما يربطه، وتحويله سياسياً وجغرافياً إلى محضن للمشروع اليهودي، وتأهيله ذهنياً ونفسياً، بإزاحة العقائد والرابطة الإسلامية، لاستقبال اليهود، بل ولتواطؤ حكامه وسلطته ونخبه الجديدة التي صنعها الغرب على عينه مع اليهود، وأول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود في اليونان، كان هو نفسه أول هؤلاء المتواطئين، كما ستعلم في الجزء الثاني من هذا الكتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام.

وفي تركيا كان الجيش الثالث الذي اخترقه اليهود والماسون في حركة الاتحاد والترقي، هو الذي قاد الثورة على السلطان عبد الحميد في شهر يوليو سنة ١٩٠٨م، من سالونيكا مدينة اليهود، ثم كان هذا الجيش اليهودي الماسوني القادم من سالونيكا، بقيادة الجنرال الماسوني محمود شوكت، هو الذي حاصر قصر السلطان وأجبره على قبول قرار خلعه، الذي سلمته له لجنة من اليهود والماسون يرأسها اليهودي إيمانويل قره صو، الأستاذ الأعظم لمحفل مقدونيا ريزورتا في سالونيكا.

والآتي من الخلف في تركيا وخريج سالونيكا حارة اليهود العثمانية واليهودي الدونمي، كمال أتاتورك، كان جنرالاً في الجيش التركي، وبالجيش ومن خلاله أسقط الخلافة، وأبطل الشعائر والشرائع، ووضع دستوراً لتركيا نص فيه على أنها دولة لا دين لها، ولأنه جنرال واسمه الذي يتخفى فيه هو مصطفى كمال، فقد كان في زمنه حفظة للأكلشيهات، كالذين تراهم في زمن ثالث الآتين من الخلف، تعاموا عن كل ما فعله ولم يروا سوى اسمه ورتبته، فأوجبوا له الطاعة لأنه ولي الأمر المتغلب!!

فحفظة الأكلشيهات هؤلاء بأفهامهم السقيمة، وهم أنفسهم وأفهامهم السقيمة من آثار المسار اليهودي الماسوني، لكي يقولوا لولي الأمر ليس لك أن تفسد البلاد، ولا أن تظلم العباد، ولا أن تتعدى على الشرائع، ولا أن تأخذ الأموال من جيوبنا وجيوب عموم الناس لتنفقها على الفسقة

من المشخصاتية والمغنواتية والجورنالجية، ولا أن تهدرها على المؤتمرات والحفلات والاحتفالات والناس لا تجد قوت يومها، ولا أن تتهكم على الأزهر وتكيل له الضربات وتطلق عليه الفسقة والزنادقة وتعمل على هدمه، ولكي يقولوا لولي الأمر ليس لك أن أن تتواطأ مع اليهود وتجعل بوصلة جيشك ودولتك وإعلامك تسليمهم القدس والمسجد الأقصى، يريدون أولاً شهادة موقعة من اثنين من كفار قريش ومختومة بختم اللات والعزى أنه كافر!!

والحملة العسكرية الإنجليزية على مصر، التي شنتها حكومة اليهودي دزرائيلي، وقادها الجنرال الماسوني جارنت ولسلي، كانت بداية الجزء المرئي، السياسي والعسكري، من المشروع اليهودي، والخطوة العملية الأولى في بناء دولة بني إسرائيل، بتحويل مصر إلى قاعدة للقوات البريطانية، تنطلق منها في اتجاه الشام وفلسطين، لكي تقطعها وتهيأها بفرض الانتداب عليها لليهود.

وتحت سطوة الاحتلال والجيش البريطاني صارت مصر مقراً لتمركز الحركة الصهيونية، والبؤرة التي تنطلق منها أنشطة تكوين الدولة اليهودية، وواكب ذلك تكوين تيار وطني/قومي/بني إسرائيلي من أهل مصر، في حراسة الاحتلال البريطاني، ليصبحوا نخباً سياسية وثقافية واجتماعية وأدبية مقطوعة الأذهان عن الإسلام وتاريخه وبلاده، ولا يعنيها ما يحدث فيها، لكي يتسلموا مصر من بريطانيا، وتصبح بهم من أدوات إتمام المشروع اليهودي.

والصهيوني زئيف جابوتنسكي، مؤسس الصندوق القومي اليهودي وحركة الصهيونية التصحيحية، قدِم إلى مصر سنة ١٩١٤م، بعد نشوب الحرب العالمية الأولى، وقام باستنفار يهود مصر، ثم كوَّن منهم في سنة ١٩١٧م ميليشيات عسكرية، وأقام لها معسكرات تدريب في الإسكندرية، ثم أرسلها للقتال مع الجيش البريطاني في الجبهة العثمانية، لتصبح الكتيبة رقم ٤٠، إحدى الكتائب الثلاث التي يتكون منها الفيلق اليهودي في الجيش البريطاني، ثم انتقل الفيلق اليهودي من الجبهة العثمانية إلى الجبهة الغربية التي هي الشام، ومنها إلى فلسطين.

وفي يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩١٨م، وبعلم الحكومة المصرية التي كان يرأسها حسين رشدي باشا، وبموافقتها، أقام جابوتنسكي في الإسكندرية، عرضاً عسكرياً لهذه الميليشيات اليهودية،

بالزي العسكري والسلاح والرايات التي عليها نجمة داوود، وهو يودعها في طريقها للانضمام إلى الجيش البريطاني في الجبهة التركية.

وفي الوقت الذي كانت فيه الميليشيات اليهودية الصهيونية تتلقى تدريباتها العسكرية في مصر، ثم تنطلق منها لتقاتل القوات العثمانية ضمن الجيش البريطاني، وتنتظر الفرصة للوثوب على فلسطين، كان الجيش الذي يحمل اسم مصر، يقاتل ولا فخر مع القوات البريطانية، ويعاونها في رد القوات التركية عن سيناء والشام، لتقع في يد العصابات الصهيونية.

فبعد مقتل ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرانز فرديناند Franz Ferdinand، يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤م، على يد أحد الصرب، اندلعت الحرب العالمية الأولى، بين الصرب وحليفتها روسيا وبين النمسا وحليفتها ألمانيا، ثم انضمت فرنسا وبريطانيا إلى روسيا، وانضمت تركيا إلى النمسا وألمانيا، وفي يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤م نشر الجنرال جون ماكسويل John Maxwell، قائد القوات البريطانية في مصر، بياناً في الجريدة الرسمية، الوقائع المصرية، يعلن فيه دخول تركيا الحرب. وينص على أن:

"**إنجلترا تحارب لغرضين، أحدهما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التى كسبها محمد علي في ميدان القتال، واستمرار تمتع مصر بالسلام والرخاء**"[١].

وصدق الجنرال ماكسويل، فالاحتلال البريطاني لمصر وتحويلها إلى قاعدة لقواتها، والانطلاق منها للاستيلاء على الشام وتسليم فلسطين لليهود، لم يكن سوى الخطوة المكملة لما فعله أول الآتين من الخلف بجيشه ودولته في مصر والشام، بالضبط كما أن الدولة الوطنية مختلة المعايير والموازين التي أقامها البريطان في مصر، وساستها ونخبها التي صنعوها وسلموها مقاليدها، لم تكن سوى الخطوة التالية واستكمال لما فعلوه، وإحدى وسائل تأمين الدولة اليهودية، وضمان إتمام مشروع اليهود بتمدد الدولة وإقامة الهيكل.

---

١) المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: ثورة ١٩١٩م، تاريخ مصر القومي من ١٩١٤م إلى ١٩٢١م، ص٢٩، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

والأبالسة الذين رسموا مسار مصر، ووضعوا هندسة دولتها، ويتحكمون فيه وفيها من خارجها، على وعي، كما ترى من عبارة الجنرال ماكسويل، بهذا المسار وهذه الهندسة، ويدركون من حقائق تاريخها وما شهدته من أحداث وكيف توالد كل منها من الآخر، ما لا يدركه البقر من ساستها ونخبها ومؤرخيها.

وفي يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤م، أعلن وزير خارجية بريطانيا، السير إدوارد جراي Edward Grey، الحماية على مصر، فقطع بذلك آخر علائقها بتركيا والدولة العثمانية، وفي اليوم التالى أعلن في بيان رسمي نُشر في جريدة الوقائع المصرية، خلع الخديو عباس حلمى الثاني وتولية حسين كامل، ابن الخديو إسماعيل، سلطاناً على مصر.

والسير إدوارد جراي، صاحب الخطوة الأخيرة، في مسار فصل مصر عن بلاد العرب وعالم الإسلام، هو نفسه الذي وقَّع سنة ١٩١٦م اتفاقية سايكس بيكو، التي اتفقت فيها بريطانيا وفرنسا على تمزيق الشام، وفصل فلسطين عما حولها، تمهيداً لتسليمها للعصابات الصهيونية.

وبموافقة ولي الأمر حسين كامل، الذي نَصَّبه البريطان سلطاناً على مصر، وقَّع رئيس الحكومة المصرية حسين رشدي باشا اتفاقية اشتراك الجيش الذي يحمل اسم مصر في الحرب العالمية الأولى مقاتلاً مع الجيش البريطاني ضد الجيش العثماني والقوات العربية المسلمة الحليفة له.

وتولى الجيش الذي يحمل اسم مصر عبء القتال عن الجيش الإنجليزي في ثلاث جبهات، في الجبهة الغربية، ضد قوات السيد أحمد السنوسي، وفي الجبهة الجنوبية، ضد قوات علي دينار، سلطان دارفور.

وفي الجبهة الشرقية، تقدمت القوات التركية بقيادة جمال دويدار باشا في سيناء وصارت على بعد ٢٥ كيلومتراً من القناة، وكانت تستعد لعبورها بالزوارق لقتال القوات البريطانية وإجلائها عن مصر، فواجهتها قوات من المدفعية تحمل اسم مصر، في ليلة ٣ فبراير سنة ١٩١٥م، بقيادة الملازم أول أحمد حلمى، وتمكنت من منعها من عبور القناة، ثم انضمت إلى

القوات التي تحمل اسم مصر قوة هندية تابعة لبريطانيا وقدمت عبر قناة السويس، واشتركت القوتان المصرية والهندية معاً في قتال القوات التركية وردها عن سيناء.

وفي الوقت نفسه كان الشريف حسين الذي قرطسه المندوب السامي البريطاني في مصر، الماسوني هنري مكماهون Henry McMahon، وأوهمه أن بريطانيا ستقيم خلافة عربية وتُنصِّبه خليفة، قد جمع آلاف المقاتلين من القبائل العربية في الحجاز، ليقاتل بهم القوات التركية، ويكفي البريطان عبء مواجهتها في جبهة تمتد ألف كيلومتر، من الحجاز إلى تخوم الشام.

وبذلك أصبح طريق القوات البريطانية مفتوحاً إلى الشام، وسقطت فلسطين في قبضة الجنرال الماسوني إدموند آللنبي Edmund Allenby، ودخل القدس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٧م، ثم قامت بريطانيا بتعيين اليهودي هربرت صموئيل Herbert Samuel، ليكون أول مندوب سام بريطاني على فلسطين، فقام بفتحها للعصابات الصهيونية، لكي تبدأ مرحلة جديدة في المشروع اليهودي، وهي مرحلة بناء دولة بني إسرائيل.

وإليك هذا الخبر الذي نشرته الصحف المصرية في يوم ١٣ نوفمبر سنة ٢٠١٧م، وكان عنوانه: "**القوات المسلحة تحتفل بمرور ١٠٣ أعوام على المشاركة المصرية فى الحرب العالمية الأولى**"، ونصه من صحيفة الأهرام، التي نشرته في صفحتها الأولى، وهي صحيفة الدولة وتنطق باسمها:

"**احتفلت القوات المسلحة بمرور ١٠٣ أعوام على المشاركة المصرية فى الحرب العالمية الأولى، التى شهدت العديد من البطولات والأعمال الجليلة دفاعاً عن القيم والمبادئ الإنسانية ... وعُرض فيلم وثائقي تناول المشاركة المصرية ضمن قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى فى آسيا وإفريقيا، وعلى الجبهة الأوروبية، بمائة ألف مقاتل من سلاح العمال والهجانة، حيث كانوا سبباً رئيسياً فى انتصار الحلفاء، واستشهد عدد منهم**

ودفنـوا بمقـابر الكومونولـث بأوروبـا ... وحضـر الاحتفـال عـدد مـن قـادة القـوات المسـلحة والملحقين العسكريين وطلبة الكليات والمعاهد العسكرية وعدد من طلبة الجامعات"[١].

ولكي تتيقن، إليك المتحدث العسكري الرسمي في صفحته على الفيس بوك، في الاحتفال بالذكرى ٩٩ لمشاركة الجيش الذي يحمل اسم مصر في الحرب العالمية الأولى، في يوم ١٣ نوفمبر ٢٠١٣م، يُعرِّفك هو نفسه ببطولات هذا الجيش، وفي أي جبهات كان يقاتل، ومع مَن ضد مَن:

"... وتضمن الاحتفال على معرض للصور والوثائق السرية التى رُفع الحظر عنها من الأرشيف الوطنى البريطانى والفرنسى وكبرى الجامعات الأوروبية، والتى توثق الحرب العالمية الأولى ومشاركة الجيش المصرى فيها ... وعُرض فيلم وثائقى تناول المشاركة المصرية مع قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى فى ثلاث قارات، فصد هجوم العثمانيين من الشرق، وحارب فى الشام والعراق والجزيرة العربية دفاعاً عنهم فى آسيا، وصد هجوم السنوسى من الغرب، وهجوم سلطنة دارفور من الجنوب فى إفريقيا، كما شاركت مصر على الجبهه الأوروبية بمائه ألف مقاتل من سلاح العمال، المهندسين حالياً، والهجانة، حرس الحدود حالياً، وقاتلوا فى أربع دول، هى بلجيكا، فرنسا، إيطاليا، اليونان، واستشهد عدد منهم ودفنوا بمقابر الكومونولث بأوروبا، فكانوا سبباً رئيسياً فى انتصار الحلفاء، ومُنح العديد منهم وسام فيكتوريا، الذى يعد أرفع الأوسمة العسكرية التى تُمنح للقادة الذين أثروا فى تاريخ البشرية"[٢]!!

وكما ترى، الجيش الذي يحمل اسم مصر يحتفل كل عام بمشاركة الجيش الذي كان يحمل اسم مصر مع جيش بريطانيا الماسونية في الحرب العالمية الأولى، ويفخر ببطولاته وتضحياته التي هزمت العرب والمسلمين، ووضعت فلسطين في قبضة بريطانيا الماسونية، لتُلقي بها بين أنياب العصابات الصهيونية!

---

١) الصحفي عاطف زايد: القوات المسلحة تحتفل بمرور ١٠٣ أعوام على المشاركة المصرية فى الحرب العالمية الأولى، الأهرام، العدد ٤٧٨٢٤، الاثنين ٢٤ صفر ١٤٣٩هـ/١٣ نوفمبر ٢٠١٧م.

2) https://ar- ar.facebook.com/Egy.Army.Spox/photos/a. 394602110670777.1073741937.217455035052153/394602790670709

ولا تؤاخذنا على كثرة السهو والنسيان، فقد نسينا أن نخبرك أن حملة قوات بريطانيا الماسونية المتمركزة في مصر، وانطلقت منها لتستولي على الشام وتقطع فلسطين لليهود، كان اسمها التجريدة المصرية Egyptian Expedition!!

وهاهنا موضع لمسألة لحفظة الأكلشيهات، نحن الآن في زمن الحرب العالمية الأولى، ومصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية، والسلطان العثماني هو ولي الأمر الشرعي، فجاء البريطان وأقاموا حسين كامل سلطاناً على مصر، فأرسل الجيش الذي يحمل اسم مصر ليقاتل مع قوات بريطانيا الماسونية ضد القوات العربية والتركية المسلمة التي تقاتل بأمر السلطان العثماني، وجاء السؤال التالي من جندي مصري:

"هل أقاتل مع حسين كامل الذي سلْطنه الإنجليز ضد القوات العربية والتركية المسلمة التي أرسلها السلطان العثماني، وأعاون قوات بريطانيا الماسونية في الاستيلاء على الشام وتسليم فلسطين للعصابات الصهيونية، أم أطيع السلطان العثماني وأقاتل مع قواته في مواجهة القوات البريطانية والمصرية وأمنعها من الوصول إلى فلسطين، وهل أكون من الخوارج إذا خلعت طاعة ولي الأمر الذي سلْطنه الإنجليز على مصر، أم إذا خلعت طاعة السلطان العثماني الذي هو ولي الأمر الشرعي، وهل احتفل مع الجيش الذي يحمل اسم مصر بذكرى قتال الجيش الذي كان يحمل اسم مصر مع بريطانيا الماسونية وتسليمه فلسطين لليهود، أم ألطم على وجهي وأقيم مأتماً وعويلاً"؟!

فإذا وجدت أحداً من حفظة الأكلشيهات الذين تعرفهم وتراهم في زمانك، يمتلك الشجاعة أن يجيب على هذه المسألة، فأخبرنا بجوابه، لأن إجابته عليها هي الموقف الذي يجب أن يكون من تاريخ بلاليص ستان الماسونية كله، ومن جميع الآتين من الخلف في هذا التاريخ، وما صنعته لهم الإمبراطوريات الماسونية من دول وجيوش.

ثم اعلم أن الطاعة المطلقة لولي الأمر، دون قيد ولا شرط، ولا معيار ولا ميزان، ولا مراجعة ولا تصويب، ليس مذهب أهل السنة والجماعة، كما يزعم حفظة الأكلشيهات، أو كما يتوهمون، فالمسلمون من لدن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم يراجعون ولي الأمر، وإذا أخطأ

صوبوا له، وإذا خرج عن المعيار والميزان أعادوه إليه، وإذا أنكره وأطاح به قولاً أو فعلاً، أو ظاهر أعداء الأمة عليها، خلعوا طاعته وأسقطوا شرعيته.

وهو ما تجده نصاً لا لبس فيه، في أول خطبة لأبي بكر، بعد البيعة العامة، وقد صار ولي الأمر، وأول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

"**أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم**"[1].

فاعلم دون تفاصيل، لكي لا نفتح جبهة أخرى ليس هذا موضعها، أن الطاعة المطلقة لولي الأمر دون قيد من معيار ولا ميزان، ودون مراجعة وتصويب، ليس مذهب أهل السنة والجماعة، بل مذهب بريطانيا الماسونية، وقد انتقاه واختاره أبالستها لصنائعهم في بلاليص ستان، لأنها أقامت هندستها لدولها شرقاً وغرباً، على حبس شعوبها في سلة، يضعونها هم بسطوة جيوشهم في يد ولي الأمر، وولي الأمر هذا، هم الذين صنعوه وأقاموه، وهو شخشيخة في يدهم، فتكون بذلك الطاعة المطلقة لولي الأمر هي في حقيقتها طاعة مطلقة لهم!

وهؤلاء الأبالسة لا يفرق معهم أن تُطوِّل ثيابك أو تُقصرها، وأن ترسل لحيتك أو تحلقها، ولا أن تستعرض مواهبك في الخطابة وتصرخ في الميكروفونات وتقيم الدنيا ولا تقعدها من أجل مسائل هي من الفروع وفروع الفروع ويختلف فيها المسلمون في كل العصور، ولا أن تصلي أمام الكاميرات وأنت تذرف الدموع، بل سيرسلون كاميراتهم لتصويرك، طالما أنك داخل السلة، ومقاليدك في يدهم، وتسير خلفهم في المسار الذي يريدونه وينتهي بتحقيق غاية اليهود.

---

١) الإمام أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، ج٢، ص٦٦١، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

وهذه الهندسة والاستراتيجية الإبليسية تجدها صريحة في التصريح الذي أصدره اللورد الماسوني كرومر، سنة ١٩٠٥م، وهو في منصب قنصل بريطانيا العام في مصر، والمندوب السامي البريطاني فيها، والحاكم الحقيقي لها:

"نحن لا نحكم مصر، نحن نحكم فقط من يحكمون مصر"(١)!

We Don't Govern Egypt, We Govern Only Governers Of Egypt

وثاني الآتين من الخلف صنعه معمل صناعة الآتين من الخلف في حارة اليهود، وصنعت له الولايات المتحدة الماسونية أجهزة أمن ومخابرات وجيشاً، ليصادر بسطوتها الأوقاف ويُبطل القضاء الشرعي ويستكمل الإطاحة بالأزهر، وليوحد التنظيمات الشيوعية، وليفسد وعي أهل مصر بإعلامه وتعليمه، وينشر الانحلال في كل ركن وزاوية منها، ويهتك أنسجتها الأخلاقية والاجتماعية، ثم ليخترع المعارك ويخوضها ويرسل جيشه الضال في كل اتجاه، بعيداً عن اليهود ودولتهم، حتى إذا فعل ما أرادوه وصنعوه من أجله، فخرب مصر وألقى الرعب في نفوس أهلها، فعلوا به مثلما فعلوا بأول الآتين من الخلف من قبله، فسحقوا جيشه وقادته بين أحضان الغواني، وكسروا ظهر مصر، لينتقل المشروع اليهودي خطوة كبرى، وتتحول دولة اليهود إلى إمبراطورية.

ومثل ثاني الآتين من الخلف ثالثهم، فقد نقل متعمداً مواجهة الحركات الإسلامية من أجهزة الأمن الداخلي والشرطة، كما هو الوضع الذي ظل قائماً لعشرات السنين، وفي كل الأنظمة، سواءًا كانت ملكية أو جمهورية، إلى الجيش، ووضعه خصماً لها ولأنصارها، وهو ما أفضى إلى تكوين جماعات وحركات تعتبر الجيش عدواً لها وتستهدفه عسكرياً ومعنوياً، فترتب على ذلك تغيير عقيدة الجيش، وإحلال الحركات الإسلامية في مصر وبلاد العرب عموماً، وحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين خصوصاً، في عقيدة الجيش والدولة، أعداءًا محل اليهود ودولة بني إسرائيل، مع ما يتطلبه ذلك من تغيير الاستراتيجيات والتكتيكات، ونوعية السلاح والتدريب،

---

1) Carl Cavanagh Hodge, Editor: Encyclopedia Of The Age Of Imperialism,1800-1914,,Vol. I, P207, Greenwood Pub Group, Santa Barbara, California, 2007.

والخطط والأهداف المرحلية، والشعارات وما يضخه المرتزقة من بقر الصحف والشاشات في أذهان الناس.

فحقق ثالث الآتين من الخلف، عملياً وبالأمر الواقع، هدف دولة اليهود الذي لم تستطع الولايات المتحدة الماسونية تحقيقه بالضغط على دولة مبارك وجيشه، وكان الشيء الوحيد الذي يستعصي عليها ولا يوافقها فيه.

وأخرج ثالث الآتين من الخلف دولة اليهود من العقيدة القتالية للجيش، وكسر عداوتها في نفوس عموم الناس، ليحول بلاليص ستان إلى جناح لها، ويتفق معها على تسليم القدس والمسجد الأقصى، ثم أطلق المرتزقة في إعلامه ليبشروا في الناس بأنه من أجل إنهاء معاناة شعب فلسطين يجب تقديم بعض التنازلات، وأن يقبلوا أن تتحول القدس إلى أورشليم، وتكون عاصمة لدولة بني إسرائيل، وأنه لن تفرق القدس عن رام الله، وما يخفيه عنهم أنه يسلم القدس والمسجد الأقصى لليهود، ليس من أجل إنهاء معاناة الشعب الفلسطيني، بل لأن نفسه تهفو إلى أورشليم ويريد أن تكتحل عيناه برؤية الهيكل!

ولأن نفسه تهفو إلى أورشليم، ويأمل أن يرى هيكلها قائماً، فقد اخترع مؤتمراً لكي لا يوجد في المؤتمر الذي دعا إليه الأزهر لنصرة القدس وأعلن أنه تحت رعايته.

في يوم ٦ ديسمبر سنة ٢٠١٧م، أعلن رئيس الولايات المتحدة الماسونية دونالد ترامب Donald Trump، في خطاب ألقاه في البيت الأبيض، الاعتراف بأورشليم عاصمة لإسرائيل، وأنه أصدر قراراً ببدء إجراءات نقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى أورشليم.

ورداً على إعلان ترامب القرار، وهو في حقيقته مجرد تنفيذ لقانون السفارة في أورشليم Jerusalem Embassy Act، الذي أصدره الكونجرس الأمريكي، في سنة ١٩٩٥م، واعترف فيه بأورشليم/القدس عاصمة لإسرائيل، أصدر الأزهر الشريف، برئاسة شيخه الدكتور أحمد الطيب، بياناً يعلن فيه بطلان القرار، ورفضه استقبال نائب الرئيس الأمريكي مايك بنس Mike Pence في زيارته للقاهرة، بعد أن كان قد تم الاتفاق مع السفارة الأمريكية، قبل إعلان قرار ترامب، على اللقاء يوم ٢٠ ديسمبر سنة ٢٠١٧م.

وفي بيانه قال الأزهر وشيخه إن القدس فلسطينية عربية، ووجه نداءًا لأهل فلسطين، نصه:

"لتكن انتفاضتكم الثالثة بقدر إيمانكم بقضيتكم ومحبتكم لوطنكم، ونحن معكم ولن نخذلكم"[(1)].

ودعا الأزهر وشيخه إلى عقد مؤتمر دولي لنصرة القدس، واتخاذ خطوات عملية لدعم صمود الفلسطينيين، ولإبطال قرار ترامب، وإعلان القدس عاصمة لفلسطين، وانعقد المؤتمر في القاهرة في يومي السابع عشر والثامن عشر من يناير سنة ٢٠١٨م، واشترك فيه المؤسسات الإسلامية وكبار العلماء من بلاد العالم الإسلامي، ورجال الدين المسيحي، وممثلو الكنائس في فلسطين، ورئيس السلطة الفلسطينية، وممثلون عن ست وثمانين دولة.

وفجأة، ولكي لا يوجد ثالث الآتين الخلف في مؤتمر نصر القدس، الذي أعلن الأزهر أنه تحت رعايته، تم الإعلان قبل يومين من عقد مؤتمر نصرة القدس، عن عقد مؤتمر آخر في نفس أيام انعقاد مؤتمر نصرة القدس، اسمه: حكاية وطن، وحضره ثالث الآتين من الخلف، لكي يسمع الثرثرة التي يثرثرها المرتزقة وحاشية ولي النِعم، عن مشروعاته ومؤتمراته وحفلاته.

فالمشروع اليهودي، وإتمامه باستعادة أورشليم وبناء الهيكل، وهذا الذي رأيته، هو ما من أجله غزت الإمبراطوريات الماسونية بلاليص ستان، وشقت مسارها اليهودي الماسوني، وصنعت دولها وجيوشها، ووضعت مقاليدها في أيدي الآتين من الخلف، وصنعت لهم الطبقات التي تدور حولهم وتسبح بحمدهم من المرتزقة في مختلف المجالات، ليكونوا بديلاً عن الإسلام ومعياره وميزانه ومن يقومون عليه من أهل حله وعقده، وهو ما مِن أجله أطاحت الإمبراطوريات الماسونية، ومَن سلمتهم مقاليد بلاليص ستان من صنائعها، بالأزهر وعلمائه من هندسة الدولة وتكوين السلطة.

وما نريد أن نصل بك إليه، بعد هذه اللمحات مما فعلته الحملات العسكرية للإمبراطوريات الماسونية والجيوش التي كونتها في بلاليص ستان، وصلة ذلك بالمشروع اليهودي، وقبل أن

---

١) الصفحة الرسمية للأزهر الشريف، ٨ ديسمبر ٢٠١٧م.

https://ar-ar.facebook.com/OfficialAzharEg/posts/1924044020943015

نعرفك بحقيقة جيش أول الآتين من الخلف ودولته، هو أن نذكرك أولاً بما عرَّفناك به من قبل، وهو أن الحكم على الجيوش ليس بالأسماء التي تحملها، ولا بالأغاني والأناشيد التي يؤلفها لها من يدورون حولها ويرتزقون من الدوران حولها، كما هو شأن الأميين في الحكم.

الحكم على الجيوش بعقيدتها القتالية، ومن يكون أولياؤها وأعداؤها، وبالرسالة التي تحملها وتسري في ركابها، وبالأفكار التي أقيمت عليها، والغايات التي تدافع عنها وتقاتل من أجلها، فلا يستوي في الميزان الجيش الذي يحمل اسم مصر وقاتل الصلبيين وحرر القدس، بالجيش الذي يحمل اسم مصر واستعان بهم وتواطأ معهم، ولا الجيش الذي كان ظهيراً للخلافة ورابطاً للشرق، بالجيش الذي طعنها في ظهرها وكان سبباً في تفكيكه، ولا الجيش الذي قاتل اليهود صائماً يهتف الله أكبر، بالذي يسلمهم المسجد الأقصى ولا يوجد عنده فرق بين القدس ورام الله.

وثاني ما نريد أن ننبهك إليه، أن الجيوش ليست في نفسها معياراً ولا ميزاناً، بل الحكم عليها بالمعيار والميزان، والمعيار والميزان هو الإله وحده ووحيه.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الحج: ٦٢).

فمن وافق وحي الإله وميزانه فهو على الحق بقدر موافقته له، ومن خالفه فهو على باطل بقدر مخالفته له، فرداً كان أو جماعة أو جيشاً أو دولة، ولو فتح جيشٌ مشارق الأرض ومغاربها، ولو دان لدولة داني البلدان وقاصيها، ما أحله ذلك ولا أحلها معياراً وميزاناً محل الإله ووحيه.

ولو لم يكن ذلك كذلك، لكان ميزان الحق والباطل الإمبراطوريات ذوات الجيوش الجرارة التي دانت لها شعوب الشرق والغرب، مثل الإمبراطورية الرومانية والفارسية والبريطانية والأمريكية، ولكان معيار الصواب والخطأ فرعون والإسكندر ويوليوس قيصر ونابليون وكل طاغية جبار في زمنه.

وتقديس الجيوش والدوران حولها، فقط لقوتها وبأسها، ورفعها أعلى من الميزان، وإحلالها في وعي البشر معياراً للصواب والخطأ، وعبادة قادتها، فتنة وفساد كبير، وهو غاية من غايات الطائفة من بني إسرائيل التي أخبرك الإله عنها في بيانه، أنهم يشترون الضلالة ويريدون للناس أن تضل السبيل، لتكون الجيوش أداة نسف المعايير والموازين، وإزالة مسألة الألوهية التي تنبع منها هذه المعايير والموازين من وعي البشر، وهو ما مِن أجله تسلل مَن علمتَ مِن الآتين مِن الخلف من حواري اليهود إلى جيوش بلاليص ستان.

وثالث ما ننبهك إليه، هو المعادلة الفاسدة المُفسِدة التي قام عليها وحوّلها المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان، والتي تحكم الدولة الماسونية التي أنشأها الآتون من الخلف بسطوة الجيوش التي أقامتها لهم الإمبراطوريات الماسونية، وهي أن الأمن والسياسة والإدارة بدائل للعقائد والشرائع، أو نقيض لها ولا تجتمع معها، وأنه يجب تخيير المجتمعات وعموم الناس في كل مرحلة وعند كل أزمة، وأن يختاروا، إما السياسة والنظام وحفظ الأمن وضرورات الحياة اليومية في مقابل الانحراف بالمسار وطمس هويتهم والقبول بموالاة أعدائهم، وإما هويتهم وعقائدهم وشرائعهم وتاريخهم مع الفوضى.

وهي معادلة يهودية ماسونية يُحلها اليهود والماسون في كل مكان وزمان يَحلون فيه، ومعادلة الوحي التي قام عليها وحوّلها مسار عالمه، وتكونت بها جميع دوله منذ الدولة النبوية، وحتى استيلاء أول الآتين من الخلف على السلطة في مصر، وإسقاط الآتي من الخلف في تركيا للخلافة، هي أن الدولة وجيشها عمادها العقائد والشرائع، ومهمتها حراستها، وحفظ هوية المجتمعات، والقوامة على تاريخها، ومجاهدة أعدائها، الذين هم أعداؤها منذ نزل الوحي، وليس الذين يبتكرهم الآتون من الخلف وخريجو حواري اليهود لإلهاء الناس عن اليهود ودولة بني إسرائيل، ولذلك كانت الأمة كلها، وفي كل عصورها، في توافق مع الدولة، وهي التي تحرس جيشها وتقاتل معه طواعية.

وجميع الآتين من الخلف، أولهم وثانيهم وثالثهم، بدولهم وجيوشهم وأجهزة أمنهم، لا يرتفعون بالميزان الذي يوزن به رجال الدول والساسة وقادة الجيوش والفاتحين، إلى مرتبة عماد الدين زنكي، ولا نور الدين محمود، ولا صلاح الدين، ولا الصالح أيوب، ولا قطز، ولا بيبرس، ولا

قلاوون، وبميزان التاريخ هم إلى جوار هؤلاء الفاتحين والقادة العظام وصُناع الدول وساستها، أقزام وأشبه بجنرالات المقاهي.

وهؤلاء الفاتحون وفحول القادة وصُناع الدول والساسة، أقاموا الدول وأنشأوا الجيوش والأساطيل، وألحقوا بها فرقاً طبية وهندسية، وخبراء في صناعة الأسلحة، وفي الجغرافيا والطبوغرافيا، وكانوا يقودونها بأنفسهم، وهزموا بها جحافل الصليبيين والمغول، في توافق مع هوية أمة الإسلام وعقائدها وشرائعها وتاريخها، وهم أنفسهم يؤمنون بها ويُبجلونها، ويرون أنفسهم ودولهم وجيوشهم امتداداً لدولة الوحي التي أقامها النبي وحُراساً لها.

وتوافقهم مع الأمة وعقائدها وشرائعها وتاريخها، ومع أهل حلها وعقدها والطبقة القوامة على معيارها وميزانها، كان هو مصدر قوتهم وبأسهم، فأقاموا دولهم وبنَوا جيوشهم وكسحوا الصليبيين والمغول دون أن يُبيحوا بلاد الإسلام لأعدائها، ودون أن يكونوا تابعين لشرق ولا غرب، ودون أن يقترضوا ديناراً واحداً من خارج الأمة.

وريث نابليون:

وجاء أوان أن نسير بك مع جيش أول الآتين من الخلف، وما نريده منك أن لا تكون مثل المؤرخين الأميين، فتستهلك طاقة ذهنك في التفاصيل التي يكدسونها ويملأون بها كتبهم، عن تعداده وتسليحه وأزيائه، والشعارات التي رفعها، وتدريبه، وعدد المعارك التي خاضها، بل نريدك أن تكون واعياً وتدرك أن ما يجب أن تبحث عنه وتحكم عليه به، هو عقيدته القتالية، ومَن يوالي ومَن يعادي، ورسالته التي بُني عليها وتسري فيه وتحكم وجهته ومعاركه، وما الذي أفضت إليه معاركه، وكيف صار شكل الشرق بعدها، وصلة ذلك باليهود ومشروعهم فيه، وأن تدرك أن ما فعله أول الآتين من الخلف بجيشه نموذج لجميع الآتين من الخلف وما فعلوه بجيوشهم.

ما نريدك أن تنتبه إليه في جيش أول الآتين من الخلف، وفي جيوش بلاليص ستان كلها، ليس فقط كيف صنعوها، بل ومَن الذين صنعوها، ولأي شيء صنعوها.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، عن موقع جيش أول الآتين من الخلف من دولته، وهدفه من تكوينه:

"الجيش هو الدعامة الأولى التي شاد عليها محمد علي كيان مصر المستقلة، ولولاه لما تكونت الدولة المصرية ولا تحقق استقلالها ... وليس في منشآت محمد علي ما نال عنايته مثل الجيش المصري، ويكفيك دليلاً على مبلغ تلك العناية أن منشآته الأخرى متفرعة منه، لاستكمال حاجات الجيش، فهو الأصل وهي التبَع، فتقرير محمد علي باشا إنشاء مدرسة الطب مثلاً يرجع في الأصل إلى تخريج الأطباء الذين يحتاج إليهم الجيش، وكذلك دُور الصناعة ومصانع الغزل والنسيج، كان غرضه الأول منها توفير حاجات الجيش والجنود من السلاح والذخيرة والكساء ... واستلزم تخريج الضباط إنشاء المدارس الحربية على اختلاف أنواعها، وكذلك المدارس الملكية كان الغرض الأول منها تثقيف التلاميذ لإعدادهم على الأخص لأن يكونوا ضباطاً ومهندسين، وإرسال البعثات إلى أوروبا كان الغرض الأول منه توفير العدد الكافي من الضباط، ومن الأساتذة والعلماء والمهندسين ممن يتصلون عن بعد أو قرب بالأداة الحربية ... فالجيش إذن فضلاً عن مهمته الأولى في الدفاع عن استقلال البلاد كان أداة لتقدم العمران في مصر ... وكل ما بُذل من الجهود والنفقات في سبيله قد أصاب حقه وموضعه، إذ من المحقق أنه لولا قوة هذا الجيش لضاع الاستقلال الذي نالته مصر في عهده"[١].

وما تعرفه من كلام المؤرخ الأمي، أن الدول في بلاليص ستان أقيمت وتُقام حول الجيوش ومن أجلها، وإذا لم تجد في ذلك شيئاً تستغربه، لأن هذه هو المألوف والمعتاد في المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان، فاعلم أن الصحيح هو عكس ذلك، وهو أن تقام الجيوش من أجل الدول، وأن مهمة الجيوش والدول معاً هي الحفاظ على مسار الأمة وركائزها، والقوامة على تاريخها وثوابتها، ومجاهدة أعداء هذا المسار والتاريخ وهذه الثوابت.

---

١) عصر محمد علي، ص٣٢١.

والعكس الذي ألفته واعتدته في بلاليص ستان، من أن تكون دولها امتداداً للجيوش وتابعاً لها، فلِما أخبرناك به من قبل، وهو أن الغاية من هذه الجيوش والدول التي تقام من حولها، هو أن تكون أداة قاهرة لإرادة عموم الناس، تجبرهم على قبول تغيير المسار والانحراف به في اتجاه يناقض عقائدهم وتاريخهم ويسيرون فيه خلف أعدائهم.

وهذه هي الغاية الحقيقية من جيش أول الآتين من الخلف ودولته، والذي من أجله كونته له ودربته فرنسا الماسونية وضباط جيش نابليون وحملة الماسون على مصر، ألا وهي بناء جيش، عقيدته القتالية تدور حول الرابطة القومية وليس العقيدة الإلهية، وتخالف عقائد مصر وأهلها منذ دخلت الإسلام، من أجل تكوين هوية منفصلة لمصر، تفصلها وتعزلها عن محيطها العربي الإسلامي، وتقطعها عن الإسلام وتاريخه، وتصلها بالغرب اليهودي الماسوني، وتحوِّل الشرق كله إلى محضن لليهود ومشروعهم.

واستقلال مصر الذي يتغنى به المؤرخ الأمي، هو وجميع الأميين الذين أنتجهم المسار اليهودي الماسوني، والذي تجده في كتب الوزارة المقررة في بلاليص ستان، لم يكن يعني في أي لحظة من هذا المسار الاستقلال حقاً، بل يعني، كما رأيت، وكما ترى أمامك، أن تكون تابعة للغرب ومطية لإمبراطورياته الماسونية، وألعوبة في يدها، ومن أدواتها في تطوير المشروع اليهودي والوصول به إلى تمامه وغايته، بتحويل القدس إلى أورشليم وإقامة الهيكل محل المسجد الأقصى.

فإليك أولاً مَن يكون مَن كونوا جيش أول الآتين من الخلف، ومن صنعوا عقيدته القتالية، التي توارثتها جيوش بلاليص ستان، وما زالت تتوارثها إلى يومك هذا.

يقول كلوت بك في كتابه: لمحة عامة إلى تاريخ مصر:

"وكان لابد في تنظيم الجيش بحسب الأساليب والأنظمة الجديدة، من معلمين يتولون تدريب الجنود على فنون الحرب، وكان لا مناص لإصابة هذه الغاية، من الالتجاء إلى المسيحيين لاختيارهم من بينهم ... والذين عُهد إليهم تشكيل جيش الوالي بمقتضى النظام

الجديد، كانوا جميعاً من ضباط عهد الإمبراطورية الفرنسيين والإيطاليين، الذين حالت حوادث السياسة دون مواصلة العمل في وظائفهم، فنزحوا من بلادهم قاصدين إلى الشرق"[١].

فالذين أنشأوا جيش أول الآتين من الخلف الذي يحمل اسم مصر، هم ضباط جيش نابليون الذين غزوها مع حملته الماسونية على مصر، ثم جاء بهم أول الآتين من الخلف، ليتمموا من خلال دولته ما بدأوه مع نابليون.

وناظر مدرسة البيادة لتدريب ضباط المشاة في الخانكة، هو المسيو بولونيني Bolognini، ومدرسة الفرسان أشرف على إنشائها ثم صار مديرها المسيو فاران Varin، ومدرسة الموسيقى العسكرية مديرها المسيو كاريه Carre، ومدرسة الطوبجية أو المدفعية أنشأها وكان مديرها المسيو أنطونيو دي سيجرا Antonio De Seguera، وجميعهم من ضباط جيش نابليون.

وكان يعاون دي سيجرا أدهم باشا، وقد صار بعد ذلك قائد الطوبجية/المدفعية، وهو أيضاً الذي أشرف على إنشاء الترسانة الحربية في القلعة، وصار مدير مصانع السلاح وصب المدافع وإنتاج القنابل والذخيرة، ثم مدير ديوان المدارس/وزير المعارف.

فإذا تنهدت قائلاً: الحمد لله، هاهو واحد من أركان جيش أول الآتين من الخلف مصري أو مسلم وليس نابليونياً، نعتذر لك عن تخييب ظنك، فأدهم باشا ماسوني وكان عضواً في الشرق الأعظم الفرنسي، ومن المؤمنين بأفكار السان سيمونيين، وكان أكبر حلفائهم في مصر، بعد الكولونيل سيف/سليمان باشا الفرنساوي.

والذي أشرف على بناء دار الصناعة الكبرى، أو ترسانة صناعة السفن الحربية، سنة ١٨٢٩م، ومديرها، دي سريزيDe Cérisy، وهو مهندس فرنسي من طولون.

وحتى إنجلترا التي تقرأ في كتب التاريخ المزور في بلاليص ستان أنها كانت تعادي أول الآتين من الخلف ودولته، أمدته بضباط من قواتها البحرية ليخدموا في جيشه وأسطوله، قبل حملته على الشام، التي هي حربه الحقيقية والهدف الخبيء خلف دولته كلها، كما ستعلم.

---

١) لمحة عامة إلى تاريخ مصر، ص٤٩٦، ٤٩٧.

يقول المؤرخ الإنجليزي، وأستاذ التاريخ في جامعة كمبردج، هنري دوديل، في دراسته الأكاديمية وكتابه: مؤسس مصر الحديثة، إنه:

"في سنة ١٨٣١م كان محمد علي يأمل في معالجة القصور في أسطوله وقلة خبراته، بضم بعض الضباط والبحارة الإنجليز إليه، فاستعان بالكولونيل لايت Colonel Light، لكي يختارهم له، ولكن لم يحدث شيء حتى سنة ١٨٣٤م، حين اتخذت الحكومة البريطانية قراراً بالسماح لضباط البحرية أن يدخلوا في خدمة الباشا To Serve Under The Pasha"[1].

ومرة أخرى ننبهك إلى المؤرخين الأميين، من أعضاء نادي البقر في بلاليص ستان، الذين تكون الأفعال والتدبيرات والاتجاه الذي يسير فيه الأشخاص هو هو، ثم إذا كان اسم الشخص نابليون أو كرومر أو كورييل، وصفوا ما فعله بأنه إمبريالية وتخريب واحتلال، وإذا كان اسمه محمد علي أو سعد زغلول أو عبد الناصر، صار عندهم من الإصلاح ومن دلائل الوطنية وعلامات الاستقلال!

فتنبه ولا تكن أمياً، واعلم أن الحكم على الشخص بما فعله والمسار الذي يسير فيه، وليس باسمه الذي يتخفى فيه، ولا بالشعارات التي يختبئ خلفها، وحيئذ ستدرك أن أول الآتين من الخلف هو نفسه نابليون، وسعد زغلول هو كرومر، وعبد الناصر هو كورييل، وأن الآتين من الخلف جميعاً نسخة واحدة، يُعاد طبعها كل حقبة من الزمان في بلاليص ستان.

وأما الكولونيل سيف، الذي أشرف على تكوين جيش أول الآتين من الخلف، وتدريب ضباطه، ثم صار رئيس رجال الجهادية وقائد الجيش في كل حروبه، فيقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي:

"وقد وجد محمد علي عضداً كبيراً في ضابط فرنسي عظيم من ضباط الإمبراطورية النابليونية، وهب نفسه لخدمة مصر وتقدمها، وهو الكولونيل سيف، الذي عُرف بعد ذلك

---

1) The Founder of Modern Egyp, P224.

بسليمان باشا الفرنساوي، فإليه يرجع الفضل الأكبر في معاونة محمد علي ومؤازرته في تأسيس الجيش المصري على النظام الجديد"[١].

ويقول الأمير عمر طوسون، في كتابه: الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي، وهو أحد كتبه عن دولة جده، أول الآتين من الخلف، إن:

"الكولونيل سيف جاء بنفسه إلى مصر، ملتمساً خدمة محمد علي، ومعه كتاب توصية من الكونت دي سيجورا"[٢].

فتفهم من ذلك أن الكولونيل سيف، أو سليمان باشا الفرنساوي، هو الذي جاء مصر سنة ١٨١٩م من تلقاء نفسه، والخطاب الذي حمله من كونت دي سيجورا Comte De Ségur، سفير فرنسا في ألمانيا والنمسا، كان توصية لأول الآتين من الخلف أن يستعين به في تنظيم جيشه، فدخل في خدمة أول الآتين من الخلف وبدأ في تكوين جيشه سنة ١٨٢٠م.

وفي كتابه: كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، وهو ترجمة لأطروحته بالإنجليزية التي حصل بها على الدكتوراة من جامعة أكسفورد، ينقل دكتور خالد فهمي، عن سجلات ديوان المعية السنية الخاص بدولة أول الآتين من الخلف، والمحفوظ بدار الوثائق القومية، أنه:

"حين أراد محمد علي أن يقيم نظاماً قوياً ومتماسكاً يدرب عليه جنوده، قرر أن يطلب المساعدة من مسيو دروفيتي، القنصل الفرنسي العام، الذي اقترح عليه اسم الجنرال بوييه

---

١) عصر محمد علي، ص٣٢٦.

٢) الأمير عمر طوسون: الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي، ص٦، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

Boyer، ووصل الجنرال بوييه في الموعد المحدد، على رأس بعثة عسكرية، كان مأمولاً أن تتمكن من تنظيم إدارة قوات الباشا النظامية الجديدة"[1].

فبعد إنشاء المدارس العسكرية، والبدء في تكوين الجيش، كان الذي تولى تنظيم هذا الجيش والإشراف مع الكولونيل سيف على تدريبه، بعثة عسكرية فرنسية، على رأسها بيير فرانسوا بوييه Pierre François Boyer، وكان جنرالاً في جيش نابليون الإمبراطور، وقبلها كان أحد قواد حملته الماسونية على مصر، وكان الذي رشحه لأول الآتين من الخلف قنصل فرنسا وصديق أول الآتين من الخلف، والماسوني ومؤسس جمعية مصر السرية، برناردينو دروفيتي.

سليمان باشا وستي ماريا:

والكولونيل سيف/سليمان باشا الفرنساوي، الرجل الذي كوَّن جيش أول الآتين من الخلف، ودربه، وقائده في حروبه التي خاضها، والذي صنع عقيدته القتالية، التي تتوارثها جيوش بلاليص ستان إلى زمانك هذا، يستحق أن نقف بك عنده وقفة، بقدر ما صنعه وآثاره في بلاليص ستان.

وأول ما يجب أن تنتبه إليه، أن الكولونيل سيف لم يأت من فرنسا ليدخل في جيشٍ موجود وقائم ومنظم على غرار الجيوش الأوروبية، بل جاء ومن تلقاء نفسه لينشئه، وهي مهمةٌ مَن يسعى إليها ليس مجرد عسكري محترف، ولا أحد الباحثين عن الثروة والمجد، ولو كانت هذه هي غاية الكولونيل سيف وحدها، لكانت وجهته جيوش أوروبا المنظمة والقائمة فعلاً.

وقد أصاب الكولونيل سيف بإنشائه لجيش أول الآتين من الخلف ثروة هائلة ومجداً كبيراً، ولكنه نالهما بعد كفاح شاق ومعارك عديدة، وبعد تعرضه للاغتيال عدة مرات من تلاميذ المدرسة العسكرية في أسوان، الذين أجبرهم أول الآتين من الخلف على تلقي التعليم والتدريب فيها، ليكونوا النواة الأولى لضباط جيشه.

---

١) دكتور خالد فهمي: كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ص١١٦، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

وقدوم الكولونيل سيف إلى مصر، في الوقت الذي قدِم فيه ودخل في خدمة أول الآتين من الخلف، مغامرة أو مخاطرة لا تُعلَم نتائجها، وضابط محترف مثله لم يكن بحاجة إلى المخاطرة والمغامرة، إلا إذا كان يحمل في ذهنه ونفسه رسالة ومهمة فوق البحث عن الثروة والمجد وتسبقهما.

وجوزيف أنتيلمي سيف Joseph Anthelme Sève، أو سليمان باشا الفرنساوي، قدَّم نفسه لأول الآتين من الخلف على أنه كولونيل/عقيد Colonel، وصار هذا لقبه الذي اشتهر به، ولكن آخر رتبة وصل إليها في الحقيقة هي كابتن/نقيب Captain، وينقل عبد الرحمن الرافعي عن المؤرخين الفرنسيين، كادلفين وباروستان، والأمير عمر طوسون عن المؤرخ الفرنسي مانجان، أنه ابن تاجر من مدينة ليون في فرنسا، كان يملك سفناً تعمل في النقل التجاري عبر نهر الجارون.

وفي دراسة موسوعة ويكيبديا الفرنسية عنه:

"**أبو الكولونيل سيف، أنتيلمي سيف Anthelme Sève، كان تاجر منسوجات في ليون، ويعمل في التجارة بين فرنسا وإسبانيا عبر نهر الجارون Garonne، وجده كان تاجراً للنبيذ من بوجي Bugey**"[1].

ولا يوجد في موسوعة ويكيبيديا العربية ولا الإنجليزية ولا الفرنسية أي معلومات عن أصول الكولونيل سيف وأسرته ونشأته فوق هذا، ولا في الموسوعة البريطانية، ولا في ما نقله المؤرخ عبد الرحمن الرافعي والأمير عمر طوسون عن المؤرخين الفرنسيين المعاصرين له وكانوا قريبين منه ويعيشون في بلاط أول الآتين من الخلف، مثل مانجان وفولابل والمارشال مارمون.

فسيرة الكولونيل سيف تبدأ منه هو نفسه، وبعد مجيئه إلى مصر، وأصوله في فرنسا مجهولة ويحيط بها غموض شديد، وكان هو نفسه يتعمد في مصر إخفاء أصوله وحجب المعلومات التي تخص أسرته ونشأته عمن يحيطون به.

---

1) Wikipédia, L'Encyclopédie Libre Que Chacun Peut Améliorer: Soliman Pacha.

وهاهنا نذكرك بما أخبرناك به من قبل(•)، وهو أن:

"اليهود الأخفياء في كل العصور وفي كل الأمم، تكوينهم الذهني والنفسي واحد، وسلوكهم لا يتغير، غير أنهم يختلفون في درجة الخفاء وأمده، فمنهم من يُخفي هويته عن عموم الناس ولا يعلمها إلا دائرة ضيقة من أصفيائه ومن يحيطون به، أو أبناؤه، أو واحد منهم يختاره ليورثه هويته، ومنهم من يخفيها عن كل أحد حتى عن أولاده وزوجته التي تنام إلى جواره، ومنهم من يكشف هويته في أواخر حياته بعد أن حقق غايته ووصل بالغلاف الذي كان يرتديه إلى ما يريده، ومنهم من يُدفن في مقابر المسلمين أو المسيحيين، ويُدون في كتب التاريخ على أنه من هؤلاء أو أولئك، فيظل من الأخفياء إلى آخر الزمان".

والكولونيل سيف كان من الطراز الذي يخفي أصوله وهويته ويحجبها عن أقرب الناس إليه، حتى حجبها عن ابنه الذي من صُلبه ويبيت في حضنه!

في الفصل الأول، الذي خصصه لأصول الكولونيل سيف ونشأته La Jeunesse، من كتابه الذي صدر بالفرنسية سنة ١٨٨٦م: سليمان باشا، كولونيل سيف، جنرال الجيش المصري Soliman Pacha, Colonel Sève Généralissime Des Armées Egyptiennes، يقول إيمي فنترنييه Aimé Vingtrinier، وهو مؤرخ فرنسي من ليون، وأمين مكتبتها، وله عدة كتب عن تاريخها وأشهر أعلامها عبر التاريخ:

"أصول الكولونيل سيف ونشأته يحيط بها ظلام دامس Profonde Obscurité، فلا أحد في بلدته يعرف أصول أسرته، وكل الوثائق التي تتعلق بأسرته ونشأته خاطئة أو غير قاطعة ... والمعلومات التي أوردها من كتبوا سيرته من المؤرخين متضاربة وأغلبها غير صحيح، وعذرهم الوحيد أن الكولونيل سيف نفسه كان يتعمد ذلك، ويضرب حجاباً كثيفاً على

(•) في الجزء الخاص بجمال الدين الأفغاني وما فعله في مصر وآثاره فيها، نرجو من الله أن نعود إليه ونتمه، ليكون الجزء الثالث من كتاب بلاليص ستان.

كل ما يخص أصوله ونشأته قبل أن ينخرط في جيش الإمبراطورية، وحتى ابنه المحبوب اسكندر بك Skander Bey لم يكن يعلم شيئاً عن أصول أبيه، ولا عن نشأته"[١]!!

فهل تشعر وأنت تقرأ ما كتبه المؤرخ الفرنسي فنترنييه، عن الكولونيل سيف/سليمان باشا الفرنساوي، أنه كلام مألوف، وأنه هو نفسه ما كتبه مؤرخون آخرون في وصف شخصيات أخرى، مرت عليك في الكتاب الذي بين يديك؟!

نعم، ونهنئك على ذاكرتك وعلى فطنتك، وعلى اقترابك من باب الخروج من نادي البقر في بلاليص ستان.

ثم يورد فنترنييه، النص الكامل للرسالة التي أرسلها اسكندر بك، ابن الكولونيل سيف، من القاهرة، إلى ابن عمته، دكتور لويس جوبيان Louis Gubian ، في ليون، وقد أرسلها إليه عقب وفاة الكولونيل سيف مباشرة، سنة ١٨٦٠م.

وفي بداية الرسالة يقول اسكندر بك لابن عمته لويس جوبيان، إن أباه توفي فجأة، ورغم أنه كان في السبعين من عمره، فقد كانوا يتوقعون أن يعيش عشر سنوات أخرى، لأنه كان في صحة جيدة، وكان ينوي العودة إلى ليون وقضاء بقية حياته فيها.

ثم طلب اسكندر بك من جوبيان أن يسدي إليه خدمة، هو وأمه، فهاك هي:

"أريد من عمتي أن تساعدني في معرفة معلومات عن أبي، فلا أعرف أين وُلد بالضبط، وما هي أصول أسرته، ومن كان أبوه وأمه، وأتوسل إليك بصفة خاصة أن تُعرفني ماذا كان يفعل أبي في شبابه، وما هي المهنة التي كان يمتهنها أجدادي، وما هو اسم أسرتنا وأصلها، أعتقد أنها من إيطاليا Je Crois, D'Italie"[٢].

---

1) Aimé Vingtrinier: Soliman Pacha, Colonel Sève Généralissime Des Armées Egyptiennes, P2, 6, Liberairie De Firmin Didot Et Cie., Impreurs De Institut, Paris, 1886.
2) Soliman Pacha, Colonel Sève Généralissime Des Armées Egyptiennes, P3-4.

ومما لم ينتبه إليه المؤرخون الأميون، موقع ليون المحوري، هي وتجارها، في دولة أول الآتين من الخلف وجيشه، وفي تكوينه هو نفسه وسيرته، والذي يتخطى حدود المصادفات، ويحتاج إلى تفسير، فالذي رباه وكان يعمل في محله لتجارة التبغ في قَوَلة/كافالا، حارة اليهود في اليونان، تاجر من ليون، وهو الذي دفعه للقدوم إلى مصر، وكلوت بك صديقه وأشهر أعلام دولته، والذي أسس له مدرسة الطب، وصار المسؤول عن الشؤون الصحية في الجيش والدولة كلها، جاءه بتوصية من تاجر في ليون، وكلوت بك نفسه من جرينوبل Grenoble، في مقاطعة أوفرن رون ألب Auvergne Rhône Alpes، وهي المقاطعة نفسها التي تقع فيها ليون، والكولونيل سيف الذي أنشأ له جيشه ابن تاجر من ليون، ومن أسرة تعمل كلها بالتجارة فيها، وزوجة الكولونيل سيف، ماريا، هي الأخرى ابنة تاجر، ولكن من اليونان، ومن أقارب أول الآتين من الخلف!

والسؤال: هل هذه مصادفة، وهل هم مسلمون ومسيحيون حقاً، والتجارة وحدها هي الرابط بين هؤلاء التجار من ليون وبين أول الآتين من الخلف الذي كان يعمل بتجارة التبغ في حارة اليهود في اليونان، أم أن بينهم رابطة أخرى هي التي جمعت بينهم على اختلاف أماكنهم، والتجارة وعلاقات العمل هي نفسها ليست وسيلة للترابط والحفاظ على هذه الرابطة، كما رأيت في نماذج عديدة من قبل في كتابنا هذا، وكما يخبرك المؤرخ الألماني وأستاذ الاقتصاد في جامعة برلين في النصف الأول من القرن العشرين فيرنر سومبارت Werner Sombart، في كتابه: اليهود والرأسمالية الحديثة Jews And Capitalism، الذي تتبع فيه علاقة اليهود بتكَوُّن النظام الرأسمالي في الغرب، وارتباط حركة التجارة والبنوك بحركتهم وانتقالهم من بلد لآخر:

"عند البحث عن صلة اليهود بالمال وأثرهم في الحياة الاقتصادية الحديثة، يجب الانتباه إلى أن كثيراً من الرجال الذين يظهرون على المسرح الاقتصادي على أنهم مسيحيون، هم في الحقيقة يهود Men Who Appear On The scene As Christians, In Reality Are Jews، وهم أو آباؤهم تعمَّدوا، وهذا هو كل ما في الأمر، وتغيير اليهود لديانتهم من الأمور المألوفة في كل العصور، ولكنهم يظلون يهوداً من جهة أنسابهم

وخصائص عرقهم Race Characteristics، ويرون أنفسهم يهوداً وفروعاً من أسرة واحدة تتوزع بين بلدان مختلفة"[1]!

وما نزيده لك على سومبارت، أنه ليست حركة التجارة والبنوك وحدها هي التي ترتبط بحركة اليهود وتسير في ركابهم وتنتقل معهم من بلد لآخر، بل وترتبط بهم وبها أيضاً حركة القبالاه والأفكار الباطنية، وإزاحة مسألة الألوهية، وبث الإلحاد والنظريات العلمانية، وتوظيف الآداب والفنون في إشاعة الانحلال ونشر الإباحية.

ويتبع السؤال الأول سؤال آخر، هل توصيف العلاقة الذي يفسرها ويجعلها مفهومة، أن أول الآتين من الخلف تاجر، وفتح مصر لهؤلاء ومكَّنهم فيها وسلمهم مقاليدها، وزوَّج إحدى قريباته للكولونيل سيف، فقط لأنهم تجار، أم من أجل الرابطة الأخرى، فهي توحِّد بينهم في الغاية والأسلوب، وهي التي اجتمعوا بها ولها في مصر، لتغيير مسارها، كما اجتمع جمال الدين الأفغاني ويعقوب صنوع ورياض باشا وإسماعيل راغب/يني وعشرات غيرهم، من بلدان شتى، في المرحلة التالية من تاريخ بلاليص ستان؟!

وربما يعينك على الإجابة على السؤالين، أن تعلم أصول أسرة الكولونيل سيف، وموقع ليون من التجارة، وصلتها بالتجار القادمين من إيطاليا، ومن يكون هؤلاء التجار، في الزمن الذي وصلت إليها فيه أسرة الكولونيل سيف واشتغلت بالتجارة.

أما أسرة الكولونيل سيف، فيقول مؤرخ ليون إيمي فنترنييه، إنها أسرة إيطالية الأصل، واسمها سيفو Sevoz، وليس سيف Sève، وكانت الأسرة تعيش في بلدة بوجي Bugey ومنطقة نانتوا Nantua، وهي مناطق ريفية في الألب، جنوب شرق فرنسا، وتقع بين ليون وجنيف، وكانت جزءًا من مملكة سافوي Savoy الإيطالية، التي تحكمها أسرة سافوي، وهي الأسرة التي ينحدر منها ملوك إيطاليا، وكان آخرهم أمبرتو الثاني Umberto II، آخر ملوك إيطاليا قبل إعلان الجمهورية سنة ١٩٤٦م.

---

1) Werner Sombart: Jews And Modern Capitalism, P7, 171, Translated From German By: M. Epstein, E. P. Dutton & Company, New York, 1913.

وفي أوائل القرن السابع عشر، صارت بوجي ونانتوا جزءًا من فرنسا، بمقتضى معاهدة ليون Traité De Lyon، ورغم أن أسرة سيفو ظلت تستوطن بوجي بعد ضمها لفرنسا، وهي إحدى الأسر التي تسيطر على زراعة الكروم وتجارة النبيذ في بوجي والمناطق المحيطة بها لقرون، فقد كانت مجهولة وغامضة Oscure.

ومع انتقال بعض فروع الأسرة من بلدة بوجي إلى مدينة ليون، غيرت اسمها من سيفو إلى سيف الفرنسي، وكان أول من استوطن ليون من الأسرة وغير اسمه فرانسوا سيفو François Sevoz، جد الكولونيل سيف، الذي انتقل للعمل في بلدة لويز L'Huis، على ضفاف نهر الرون، ومنها إلى ليون، حيث أضاف إلى تجارة النبيذ، تجارة المنسوجات والحرير الذي اشتهرت ليون بصناعته وكانت مركز تصديره لأوروبا كلها لقرون عديدة، وكان ذلك عند منتصف القرن الثامن عشر، ثم ورث ابنه أنتيلمي، أبو الكولونيل سيف، التجارة عنه.

وأما أم الكولونيل سيف، أنطوانيت جولييت Antoinette Julliet، فهي من أسرة ميلو، وهي أيضاً أسرة من أصل إيطالي وليست فرنسية، وكانت تعيش في بلدة فونتان سور سُون Fontaine Sur Saone، قرب ليون، وأبوها جوزيف ميلو Joseph Millo، كان يعمل بطحن الحبوب ويمتلك جميع الطواحين في البلدة، ويمتلك أيضاً مقهى في ليون، وأُطلق على الكولونيل سيف اسم جوزيف على اسم جده لأمه هذا.

وإذا كانت هذه المعلومات عن أصول أسرة الكولونيل سيف تبدو وكأنها لا تعني شيئاً، ولا تضيف جديداً أو تكشف الغموض الذي يحيط به، ولا تفسر لماذا كان يخفي أصوله، فربما يستبين لك خيط من الضوء، وتقل شدة هذا الظلام الدامس، حين تعلم صلة ليون ومنطقة جنوب شرق فرنسا التي تقع فيها بالتجارة وتجار إيطاليا وأسرها.

قد علمت من قبل أن باريس بعد الثورة الفرنسية، في عهد حكومة الديركتوار، ثم في عهد نابليون القنصل والإمبراطور، استوطنتها بنوك الميليشيات السويسرية وبنوك اليهود، وأسست فيها بالاتفاق مع نابليون بنك فرنسا المركزي، ثم بنك باريس الأعلى، وصارت باريس محور الأنشطة الرأسمالية وقِبلة التجار من خارجها، ومركز تبادل العملات وعقد الصفقات وتسوية

الديون في أوروبا كلها، ومركز صناعة المنسوجات والخمور والسكر والزيوت والطباعة والآلات، وهؤلاء التجار وبنوكهم هم من مولوا حملة نابليون والماسون على مصر، وكانوا هم الغزاة الحقيقيين لها.

وقد ورثت باريس هذه المكانة والمنزلة عن مدينة أخرى، كانت هي مركز التجارة والمال في فرنسا طوال القرون السابقة على الثورة، وهذه المدينة هي ليون، وليون نالت هذه المنزلة بحركة التجار والتجارة والبنوك التجارية من إيطاليا إليها، والأسر اليهودية في إيطاليا وبنوكها التجارية، كما أخبرناك من قبل ونذكرك، هي أحد الوريثين لثروات فرسان الهيكل، والثاني هو بنوك الميليشيات السويسرية.

ومنذ العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة، واليهود يرتبطون نفسياً بليون، إذا شاعت بينهم، كما تقول الموسوعة اليهودية المطبوعة في إسرائيل Encyclopaedia Judaica:

"أسطورة تقول إن أحد المراكب الثلاثة التي فر على متنها اليهود بعد سقوط أورشليم، رسا في ليون Docked At Lyon"[1].

وفي القسم الذي خصصه لموقع مدينة ليون من تاريخ فرنسا الاقتصادي، من الجزء الثالث من كتابه: الحضارة والرأسمالية Civilization And Capitalism, 15th-18th Century، كان هذا هو وصف المؤرخ الفرنسي فرنان برودل Fernand Braudel لعلاقة التجار الطليان بليون ومكانتها الاقتصادية:

"ليون صنعها التجار الإيطاليون A Creation Of Italian Merchants"[2].

---

1)Bernhard Blumenkranz, David Weinberg: Lyon, The Encyclopaedia Judaica, Vol.XIII, P296, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.
2) Fernand Braudel: Civilization And Capitalism,15th-18th Century, Vol. III, Perspective Of The World, P327, Translated From The French By: Sian Reynolds, Collins Sons & Co. Ltd., London, 1984.

وليون عاصمة إقليم الرون ألب جنوب شرق فرنسا، وتتاخمه إيطاليا شرقاً، وسويسرا شمال شرقاً، ويلتقي في ليون نهر الرون Rhône، الذي ينبع من جبال الألب أقصى شرق سويسرا، ويصب في البحر المتوسط، ونهر السون Saône، الذي ينبع من تلال فوج Vosges، أقصى شرق فرنسا، ويلتقي بنهر الرون في ليون.

وأنهار ليون، وموقعها بين جنوب أوروبا وشرقها وبين شمالها وغربها، جعلها أول مدينة في أوروبا، بعد جنيف، تتحرك في اتجاهها البنوك في إيطاليا، وتصبح هدفاً لغزو الأسر المالكة لها والمسيطرة على حركة التجارة في فلورنسا وجنوة وفينيسيا وفيرونا.

وأول هذه البنوك التي مدت نشاطها من إيطاليا إلى ليون، وهي بنوك تجارية نشاطها الرئيسي التجارة وجلب البضائع، إلى جانب التمويل والإقراض، بنك أسرة دي مديتشي De Medici، وهم من اليهود الأخفياء.

ومن المثير أن تعلم أن أسرة دي مديتشي، التي احتضنت وهي تحكم فلورنسا يهود القبالاه المهاجرين من إسبانيا والبرتغال، وصنعت علوم عصر النهضة وأفكاره بهم وبها، وأحيت فيه فلسفات الإغريق وعقائدهم الوثنية، وصبغت آدابه وفنونه بالإلحاد والإباحية، وكانت ضرباتها للكنيسة الكاثوليكية وعقيدتها بداية الإطاحة بها، وصل أربعة من أبنائها إلى عرش الكنيسة، إبان عصر النهضة، وخلال قرن واحد، وهم البابا ليو العشر، جيوفاني لورنزو دي مديتشي Giovanni Lorenzo De'Medici، والبابا كليمنت السابع، جوليو دي مديتشي Giulio De'Medici، والبابا بيوس الرابع، جيوفاني أنجلو دي مديتشي Giovanni Angelo De'Medici، والبابا ليو الحادي عشر، أليساندرو دي مديتشي Alessandro De'Medici!

ويقول مايكل ستيفن سميث Michael Stephen Smith، أستاذ التاريخ في جامعة جنوب كارولينا، في كتابه: ظهور المشروعات التجارية الحديثة في فرنسا The Emergence Of Modern Business Enterprise In France، إنه:

"في سنة ١٤٦٧م نقلت أسرة دي مديتشي المقر الرئيسي لبنكها ونشاطها التجاري خارج إيطاليا، من جنيف إلى ليون، وبعد ذلك بعشرين سنة أصدر الملك لويس الحادي عشر

Louis XI، الذي كانت يعتمد في تمويل حكومته وحروبه على القروض من بنك دي مديتشي، مرسوماً يوافق فيه على إقامة أربعة أسواق تجارية كبرى Fairs في ليون كل سنة"[1].

وهو ما يؤكده فرنان برودل:

"أسواق ليون التجارية كانت من ابتكار التجار الطليان Invention Of Italian Merchants، وقد اختاروا مواقعها في أماكن يمكنهم الوصول إليها بسهولة"[2].

وأصبحت أسواق ليون، أو معارضها السنوية، مركز حركة التجارة داخل فرنسا، ومنها وإليها، وكان عدد التجار الذين يشتركون في هذه المعارض، ويجلبون البضائع إليها، يصل إلى ستة آلاف تاجر، أغلبهم من تجار إيطاليا وشركائهم من تجار ليون والمناطق المحيطة بها، وكان ما يتم عقده من صفقات تجارية في ليون في يوم واحد يفوق، كما يقول برودل، ما يتم عقده في باريس في أسبوع.

ومع ازدهار الأسواق والمعارض التجارية ونشاط التجار الطليان في ليون، نقلت أسر البنوك والشركات التجارية في إيطاليا مقراتها ونشاطها الرئيسي إلى ليون، وعند منتصف القرن السادس عشر كان يوجد في فرنسا كلها ٢٠٩ شركة تجارية، منها ١٦٩ شركة في ليون، وتمتلك ١٤٣ منها أسر إيطالية أو فروع منها استوطنت ليون، ونشاطها الرئيسي التبادل التجاري مع أصولها في إيطاليا.

وكانت الشركات الإيطالية تصدر من ليون الأصواف والمنتجات الزراعية، وتجلب إليها التوابل والزجاج والنباتات الطبية والتبغ والبن والشاي والخمور والحرير، ومع الوقت نقلت أسر التجار الإيطالية صناعة الحرير من إيطاليا إلى ليون، فصارت المركز الرئيسي لتجارته

---

1) Michael Stephen Smith: The Emergence Of Modern Business Enterprise In France, P15, Harvard Studies In Business History, Book 49, Harvard University Press, 2006.
2) Civilization And Capitalism, 15th-18th Century, Vol. III, Perspective Of The World, P326,

وتصدير منسوجاته، ولصناعة الملابس الفاخرة منه، وأصبحت عاصمة الموضة التي تصنع أحدث خطوطها وتوردها للطبقات الحاكمة والنبيلة والأرستقراطية في أوربا كلها.

وينقل فيرنر سومبارت عن تقرير بخصوص صناعة الحرير في ليون، صادر عن رابطة تجارها، يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٦٠م، أن:

"التجار اليهود تسببوا في انهيار أسعار الحرير وإفلاس غيرهم من تجاره، وبذلك صاروا سادة صناعة الحرير في جميع الأقاليمMasters Of The Silk Industry"[1].

ونقلت الأسر الإيطالية إلى ليون أيضاً صناعة الخمور، خصوصاً النبيذ، ووطنتها فيها، فازدهرت زراعة الكروم، وصارت بوجي والمناطق الريفية المحيطة بليون مركز صناعة النبيذ الرئيسي في فرنسا، وإلى يومك هذا ما زالت بوجي تنتج أحد أفخر أنواع النبيذ الفرنسي، ويحمل اسمها: Bougy Vin.

وفي سنة ١٧٤٩م، أنشات أسر التجارة والبنوك الإيطالية في ليون أول بورصة وسوقاً للأموال وتسوية الحسابات في فرنسا، ومنذ أواخر القرن الخامس عشر صارت هذه الأسر مصدر تمويل أنشطة حكومات الأقاليم الفرنسية، والحكومة الفرنسية، والملوك أنفسهم، وأشهر ملوك فرنسا لويس الرابع عشر Louis XIV، ورمز العصر الذهبي للملكية فيها، كان يمول حكومته وحروبه وما ينفقه على إنشاء القصور وما يعيش فيه من بذخ وترف، بإصدار سندات على الخزانة، مع ضمانها بالأراضي والإقطاعيات، وكان المشتري الرئيسي لها بنك اليهودي صمويل جاكوب برنار Samuel Jacob Bernard في ليون، وفي مقابل ذلك صار مستشار لويس الرابع عشر، وجعله هو وأسرته من الأسر النبيلة.

فهل أهاجت هذه القصة أشجانك، وذكرتك بالنسختين المصريتين منها، القديمة والجديدة، والتي قرأتها في باب: قناة السويس ومصيدة الديون؟!

---

1) Jews And Modern Capitalism, P142.

وكانت أسر البنوك التجارية الإيطالية، هي التي أدخلت المطابع إلى ليون، سنة ١٤٧٣م، فكانت أول مدينة تُطبع فيها الكتب في فرنسا، وربما يُعينك على معرفة حقيقة هذه الأسر الإيطالية أن تعلم أنها أنشأت في ليون مطبعتين، الثانية منهما كانت بالحروف الفرنسية، أما أولاهما والتي أنشأتها أسرة دي مديتشي، فكانت بالحروف العبرية!

وإليك الآن أسماء أشهر أسر التجار الإيطالية التي نقلت نشاطها إلى ليون واستوطنتها، وكانت تتوارث أجيالها السيطرة على الأنشطة البنكية وحركة التجارة منها وإليها، وتعمل عندها وتدور حولها بقية الأسر المهاجرة من إيطاليا، منذ أواخر القرن الخامس عشر، وقد نص عليها مايكل سميث وفرنان برودل: أسرة دي مديتشي، أسرة فوجر Fugger، أسرة جوندي Gondi، أسرة كابوني Capponi، أسرة جواداني Guadagni ، أسرة سلفياتي Salviatti.

وأسرة دي مديتشي، كما علمت، من اليهود الأخفياء، وموقعها من عصر النهضة وتجاره وبنوكه، هو نفسه موقع أسرة روتشيلد في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، إذ كانت كلها ترتبط بها وتدور حولها.

وأسرة فوجر ألمانية إيطالية، وهم من اليهود الصرحاء، ومؤسس الأسرة وبنكها هو اليهودي يوهان فوجر Johann Fugger، وقد ورثت أسرة فوجر بنك أسرة دي مديتشي بعد انهياره في االقرن السابع عشر، وبييرو كابوني Piero Capponi، مؤسس بنك أسرة كابوني وشركتها التجارية، كان سفير لورنزو دي مديتشي Lorenzo De Medici.

وأسرة جوندي من فلورنسا، وهم شركاء أسرة دي مديتشي في إيطاليا وليون، وهي أسرة من الطراز الذي أخبرك عنه فيرنر سومبارت، وهو الذي يتعمد في المسيحية ويتغلف بها، وهو يوقن في نفسه أنه فرع من بني إسرائيل، وفي كتابها عن أسرة جوندي وتاريخها في فرنسا: The Gondi, Family Strategy And Survival In Early Modern France، تقول مؤرخة الأسرة جوانا ملشتاين Joanna Milstein إنها:

"من أصول يهودية Having Jewish Roots"[1].

وأول من استوطن ليون من أسرة جوندي وأسس بنك الأسرة فيها، أنطونيو جوندي Antonio Gondi، سنة ١٥٠٥م، بعد أن فرنس اسمه إلى أنطوان جوندي Antoine Gondi، ووضعته ملكة فرنسا كاترين دي مدسيس Catherine De Médicis تحت رعايتها، وجعلته مستشاراً لها، فأسس فرعاً آخر لبنك الأسرة في باريس.

وكاترين دي مدسيس هي زوجة ملك فرنسا هنري الثاني Henry II، وأم ثلاثة آخرين من ملوك فرنسا، وهم فرانسيسكو الثاني Francesco II، وشارل التاسع Charles IX، وهنري الثالث Henry III.

وكاترين دي مدسيس، زوجة ملك فرنسا الكاثوليكية وأم ثلاثة آخرين من ملوكها، والتي كان نفوذها في البلاط يفوق نفوذ زوجها وأبنائها، وكانت هي التي تدير الدولة فعلاً لانشغالهم في الحروب، كاترين دي مدسيس من أسرة اليهود الأخفياء من آل دي مديتشي، فهي كاترينا دي مديتشي Caterina De Medici، ابنة حاكم فلورنسا لورنزو الثاني دي مديتشي Lorenzo II De Medici.

والذي زوَّج كاترينا دي مديتشي لملك فرنسا هنري الثاني، عمُها البابا كليمنت السابع، جوليو دي مديتشي، وهنري الثاني نفسه من أسرة فالوا Valois، وهي الأسرة الملكية الحاكمة في فرنسا من سنة ١٣٢٨م إلى سنة ١٥٨٩م، وهي إحدى فروع الأسرة الميروفنجية Mérovingiens، وهي القوة الدافعة خلف الحروب الصليبية، والتي كانت خلف تكوين منظمة فرسان الهيكل، فارجع إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، لتعرف حقيقة الأسرة الميروفنجية وتراجع سيرتها، وسوف تدرك حينئذ أنه لم يكن زواجاً بين إيطالية وفرنسي، بل هي المصاهرة المعتادة بين أسر اليهود الأخفياء، وهذا هو تاريخ العالم الحقيقي، وليس ما تجده في ما يكتبه الأميون.

---

1) Joanna Milstein: The Gondi, Family Strategy And Survival In Early Modern France, P48, Ashgate Publishing Limited, England, 2014.

وأسرة سلفياتي هي الأخرى من فلورنسا، وفي أوائل القرن السادس عشر كان لبنك الأسرة وشركتها التجارية خمسة فروع، اثنان في فلورنسا، وفرع في كل من بيزا في إيطاليا Pizza، وأنتويرب في هولندا Antwerp، وليون في فرنسا، وهو الفرع الذي أسسه الأخوان بييرو وأفيراردو سلفياتي Pierro And Averardo Salviati، سنة ١٥٤٠م.

وهذه الأسر التي كانت تسيطر على حركة المال والتجارة في إيطاليا، ونقلت نشاطها معاً إلى ليون في زمان واحد، كانت كلها مترابطة بالمصاهرات، ومن يصل منها إلى السلطة يقوم برعاية باقيها، كما رأيت، وأسرة سلفياتي نموذج مثالي على ذلك.

فأسرة سلفياتي كانوا أصهاراً لأسرة دي مديتشي وأسرة جوندي في الوقت نفسه، إذ أم جاكوبو سلفياتي Jacopo Salviati هي مادلينا جوندي Maddalena Gondi، وتزوج من لوكريتسيا دي مديتشي Lucrezia De Medici، ابنة حاكم فلورنسا لورنزو الأول Lorenzo I، الملقب بالعظيم Magnifico، الذي ورث أباه كوزيمو دي مديتشي Cosimo De Medici، في احتضان يهود القبالاه القادمين من إسبانيا والبرتغال، وإحياء الفلسفات الوثنية، ونشر الآداب والفنون الإباحية.

وبعد زواج جاكوبو سلفياتي من لوكريتسيا دي مديتشي، أرسله لورنزو العظيم إلى المقر البابوي، ليكون سفيره عند البابا، فلما وصل البابا ليو العاشر إلى العرش البابوي سنة ١٥١٣م، منحه حق احتكار مناجم الملح في رومانيا، والبابا ليو العاشر هو جيوفاني دي لورنزو دي مديتشي، ابن لورنزو العظيم، وأخو لوكريتسيا، زوجة جاكوبو سلفياتي!

وبرناردو سلفياتي Bernardo Salviati، ابن جاكوبو ولوكريتسيا، كان راهباً وضابطاً في منظمة فرسان مالطا، واشترك في القتال معها ضد الدولة العثمانية، ثم لحق بابنة خالته كاترين دي مديتشي، بعد أن صارت ملكة فرنسا، فعينته في بلاطها مسؤولاً عن جمع الصدقات في الكنائس والمشرف على توزيعها، ثم رشحته ليصبح أسقف سان بابول Saint Papoul، في جنوب فرنسا، وفي سنة ١٥٦١م نصَّبه البابا بيوس الرابع كاردينالاً وعضواً في مجمع الكرادلة عن فرنسا، رغم أنه إيطالي،، والبابا بيوس الرابع هو جيوفاني دي مديتشي Giovanni De

Medici، وأبو برناردو سلفياتي، هو أنجلو دي مديتشي Angelo De Medici، خال البابا بيوس الرابع!!

وأما أسرة جواداني، فهي أيضاً من فلورنسا، وفي أواخر القرن الخامس عشر نقل توماسو جواداني Tommaso Guadagni مقر بنكها ونشاطها التجاري إلى ليون، ثم صار أحد أكبر بنوكها التجارية، وصارت أسرة جواداني أغنى أسرة في فرنسا كلها.

وفي سنة ١٥٢٥م انتهت معركة بافيا Pavia في إيطاليا، بين فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة، بهزيمة فرنسا وأسر ملكها فرانسيسكو الأول Francesco I، وهو أيضاً من أسرة فالوا، وعجزت فرنسا عن توفير الفدية التي طلبها الإمبراطور كارل الخامس Charles V، فقام بنك توماسو جواداني بإقراض الدولة الفدية المطلوبة، فألحقه الملك فرانسيسكو الأول ببلاطه، وجعله من النبلاء، ووهبه عدة قلاع وأراض واسعة.

وخلال القرون التالية صار بنك أسرة جواداني أحد الممولين الأساسيين، بالإقراض، لحروب الدولة الفرنسية وأنشطتها المعمارية، ومع عجزها عن سداد القروض، كالمعتاد، بادلت الدولة الفرنسية قروضها مع الأسرة بمنحها أراض وإقطاعيات واسعة في أماكن مختلفة من فرنسا، وبتعيين أفرادها مستشارين ماليين في البلاط الملكي، ثم صارت للأسرة دوقية في شرق فرنسا يحكمونها حكماً ذاتياً وتحمل اسمهم بعد فرنسته: دوقية جاداني Duché De Gadagne.

ومرة أخرى نعتذر إليك عن إهاجة مشاعرك وتذكيرك بالنسخ المصرية من هذه القصة المكررة في كل بلد في الغرب أو في الشرق يغزوه اليهود ويمتطونه، لكي يقتربوا من غايتهم على ظهر بقره أو في بطن بلاليصه.

وبعد هذه الجولة القصيرة مع اليهود الأخفياء في عصر النهضة، وما بينهم من مصاهرات وعلاقات، والتي أتيناك بها لتدرك أن ما حدث في بلاليص ستان، وتسلل الآتين من الخلف من حواري اليهود إلى موقع السلطة فيها، ليس فريداً من نوعه، ولتكون هذه الجولة في الوقت نفسه نموذجاً تفهم منه حقيقة ما شهدته بلاليص ستان في تاريخها، وتفسير المسار اليهودي الماسوني الذي تسير فيه منذ شقه ودفعها فيه أول الآتين من الخلف، وتعرف لماذا كانت كل

خطوة في هذا المسار هي في الوقت نفسه لبنة في المشروع اليهودي وبناء دولة بني إسرائيل، بعد هذه الجولة نعود بك إلى ليون.

مع نقل أسر التجار والبنوك في إيطاليا مقرات شركاتهم إلى ليون، واستقرارهم هم أنفسهم فيها، انتقلت بضع عشرات من الأسر الإيطالية التي ترتبط بهم أو تعمل عندهم إلى ليون والأرياف المحيطة بها واستوطنتها، فكانت الشركات التجارية تجلب البضائع إلى ليون بالجملة في الأسواق الكبرى، وتقوم هذه الأسر الأقل ثراءًا بعد ذلك بتسويقها في فرنسا كلها، وتنقلها غرباً إلى إسبانيا والبرتغال، وشمالاً إلى هولندا وإقليم فلاندرز Flanders في بلجيكا.

ويقدر المؤرخ الفرنسي فرنان برودل عدد هذه الأسر بحوالي ثمانين أسرة، وهذا هو وصفه لها ولعلاقتها بما حولها من الأسر الفرنسية، في القسم الذي أفرده لليون، من الجزء الأول من كتابه: هوية فرنسا The Identity Of France:

"وشكلت هذه الأسر الإيطالية مستوطنة قوية مترابطة ومغلقة على نفسها Close Knit And Powerful Colony، وتتزاوج فيما بينها، وتتجنب الاختلاط بالأسر الفرنسية أو مصاهرتها، وهو السلوك النموذجي المعتاد للرأسماليين في جميع العصور"(١).

والعبارة الأخيرة للمؤرخ الأمي برودل، تدرك منها لماذا اشتهرت كتبه وذاع صيته، لأنها بنسبة الفعل وحركة التاريخ للمدن والأنهار وحركة البضائع والأموال، وبحجبها لهوية التجار والروابط فوق التجارية بينهم، نموذج على كيف يطمس الأميون الحقائق، ويحشدون المعلومات لإخفاء حقيقة الفاعل في التاريخ، وعلى نقلهم الفعل والغاية وتوجيه مسار التاريخ من البشر وتدبيرهم إلى الظروف والملابسات ومصادفاتها.

وربما يُعينك على الاقتراب خطوة أخرى من معرفة حقيقة هذه الأسر المغلَّفة في إيطاليتها، أن تصنع تعديلاً طفيفاً في العبارة الأخيرة للمؤرخ الأمي برودل، لتصبح هكذا:

---

1) Fernand Braudel: The Identity Of France: Vol.I, History And Environment, P291, Translated From French By:Sian Reynolds Harper & Row, NewYork, 1988.

" وهو السلوك النموذجي المعتاد لليهود، خصوصاً الأخفياء منهم، في جميع العصور"

وإليك خطوة أخرى، فيما يخبرك به أستاذ الاقتصاد ومؤرخه فيرنر سومبارت في كتابه: اليهود والرأسمالية الحديثة، عن اليهود الأخفياء في جنوب فرنسا وموقعهم من التجارة وحركة المال فيها:

"... وعلى سبيل المثال، فإن اليهود في جنوب فرنسا في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر، كانوا يمارسون جميع طقوس الكاثوليكية ومظاهرها الخارجية، فيسجلون أسماءهم في الكنائس، ويتلقون طقوس التعميد، ويتزوجون بمراسم كاثوليكية، بل ودخل بعضهم في سلك الرهبنة وصاروا كهنة Priests، فلا عجب أنهم لا يظهرون في التقارير عن البنوك والمشروعات التجارية والصناعية على أنهم يهود، وهكذا تمرس اليهود الأخفياء على إخفاء أصولهم بمهارة So Skilfully Did The Crypto Jews Hide Their Racial Origin، وإلى اليوم لا يزال المتخصصون في تاريخ اليهود في حيرة من بعض الأسر، وفي شك هل هي يهودية أم لا، وأيضاً فقد كان بين المهاجرين البروتستانت إلى فرنسا في القرن السابع عشر عدد كبير من اليهود"[1].

وما حار فيه مؤرخو اليهود، ندلك على مفتاح الفصل فيه، فعلامة اليهود التي تعرفهم بها، ليست وثائق الهوية والانتساب للمجتمعات، التي يُزوِّرونها، بل إزاحة عقيدة الوحي الإلهية منها وإحلال العقيدة القومية التوراتية محلها، وإزاحة شرائعها بالشعارات، وتفكيكها شيعاً وفرقاً بالأفكار الخلابة المتضاربة والنظريات، وإفساد أخلاقها وتذويب معيارها وميزانها بالفنون الماجنة والثقافة المنحلة، وتغيير طباع أهلها وإغرائهم بالإسراف، وإشاعة اللهو والترف، وبذر بذور الربا فيها وإقامة اقتصادها ومؤسساتها عليه وحوله، فإذا رأيت هذه المياه الملوثة تسري في مجتمع، فتتبعها وسر معها حتى تصل إلى منابعها وتضع يدك على من لوثها وأطلقها، وتيقن أنه يهودي حتى لو كان يرتدي العمة والجبة والقفطان وتقول بطاقة هويته إنه من آل البيت!

---

1) Jews And Capitalism, P8-9.

فهل خفَّ الآن الظلام الدامس، وفسرت لك عبارة برودل بعد تعديلها، وما أخبرك به سومبارت، غموض أصول الكولونيل سيف، وحرصه الشديد على إخفائها، والانغلاق الذي كانت تعيش فيه أسرته ووصَفه لك مؤرخ ليون إيمي فنترنييه، وكذلك المصاهرة التي أنجبته بين أسرة سيفو وأسرة ميلو الإيطاليتين، ثم هل صرت ترى بصيصاً من الضوء تفهم منه سر تزويج أول الآتين من الخلف له من إحدى قريباته؟!

وقد أخرنا إخبارك بأصول زوجة الكولونيل سيف/سليمان باشا الفرنساوي، لأنها أكثر الأضواء تفسيراً لسبب هذا الغموض الذي يحيط بأصوله وسيرته، وتفسيراً للرابطة التي تجمعه بزوجته وبأول الآتين من الخلف.

لا يوجد في المصادر العربية التي أرخت لأول الآتين من الخلف ومن شادوا له دولته، مثل عبد الرحمن الرافعي وإلياس الأيوبي وعمر طوسون، وهم ينقلون عن المؤرخين الفرنسيين المعاصرين لإنشاء الدولة وللكولونيل سيف، ولا في كتاب كلوت بك، ولا في الموسوعة البريطانية، ولا في موسوعة ويكيبيديا بلغاتها العربية والإنجليزية والفرنسية، أي معلومات عن زوجة الكولونيل سيف سوى أنها ماريا هانم، وفي كتاب الأمير عمر طوسون: الجيش المصري في عهد محمد علي، إضافة صغيرة، وهي أنها فتاة عاد بها الكولونيل سيف من اليونان بعد حرب المورة وتزوجها.

وفي موسوعة ويكيبيديا الفرنسية إضافة أخرى، هي أنها مِريام Meryam وليست ماريا[١]، وماريا هو اسم مريم عليها السلام، أما مِريام فهو اسم أخت موسى عليه السلام، وأيضاً أنها من شبه جزيرة بيلوبونيزيا في اليونان، وبعد ذلك فلا معلومات مطلقاً عن هويتها، أو اسم أبيها وأمها، ومن تكون أسرتها، أو أين تقع أصولها، ولا كيف وأين عرفها الكولونيل سيف وتزوجها.

وفي عددها الصادر في ٢٠ ديسمبر سنة ٢٠٠٢م، نشرت مجلة لوبوان Le point الفرنسية، وهي مجلة سياسية وإخبارية، تحقيقاً لفرانسوا ماليه François Malye، عن: سليمان باشا الفرنساوي Les Français Du Sultan Soliman.

---

1) Wikipédia, L'Encyclopédie Libre Que Chacun peut Améliorer: Soliman Pacha.

وفي سيرته للكولونيل سيف، التي ذكر في تحقيقه أن مصادره لها، تقارير الجنرال موندان Général Mondain، والأرشيف العسكري المحفوظ في قلعة فنسين شرق باريس Militaire Conservé Aux Archives De Vincennes، يقول فرانسوا ماليه إن:

"سليمان باشا الفرنساوي كان يقود جيش محمد علي باشا في حملته على شبه جزيرة المورة Morée، في اليونان، سنة ١٨٢٤م، وخلال غزوه لجزيرة سفاختيريا Sphactérie، أصيب سليمان باشا، وإبان إصابته وعلاجه تعرَّف على الجميلة ماريا إليسِّي La Belle Maria Elessi، التي صارت زوجته"[(١)].

وجزيرة سفاختيريا التي اختار الكولونيل سيف زوجته منها، هي إحدى جزر أرخبيل بيلوبونيزيا Peloponnese، أقصى جنوب اليونان، وكان إبراهيم باشا قد أرسله للاستيلاء عليها، ليتمم حصاره لشبه جزيرة المُورة، وهو الاسم التركي لبيلوبونيزيا، إبان الحملة التي أرسلها أول الآتين من الخلف لقمع ثورة اليونان ضد الدولة العثمانية، فأطلق أهلها المدافع على سفن الكولونيل سيف وأصابوه.

فهل فهمت شيئاً، وهل تجد تفسيراً لأن يتزوج فرنسي من يونانية، وبلدها وأهلها في ثورة عنيفة مسلحة، وهو على رأس حملة لقمعها؟!

وربما تفهم وتجد التفسير، حين تعلم أن أسرة إليسِّي التي تزوج الكولونيل سيف ابنتها ماريا ليست يونانية في الحقيقة، بل هي من أصل إيطالي!

وربما تفهم أكثر وتقترب من التفسير الحقيقي للعلاقة بين الكولونيل سيف وبين زوجته ماريا، وبينهما وبين أول الآتين من الخلف، حين تعلم سيرة أسرة إليسِّي وأصولها.

وأسرة إليسي تقع أصولها في جزيرة صقلية، أقصى جنوب إيطاليا، ومنها انتقلت فروع مختلفة من الأسرة إلى جزر اليونان القريبة منها، واسم الأسرة يكتب بطرق متعددة، منها إليسِّي Elessi، وأليسِّي Alessi، وأليسيو Alessio، وإليسياني Elessiani، وهي كلها الصورة

---

1) **François Malye: Les Français Du Sultan Soliman, Le Point, 20-12-2002.**

الإيطالية التي تقابل اسم ألكسيوس الإغريقي اليوناني λεξιος/ Alexios، ومعناه الحامي أو الراعي، ومنه اسم ألكساندر/الإسكندر، وقد ظلت الأسرة تحتفظ بالصورة الإيطالية لاسمها رغم أنها تعيش في جزيرة يونانية، والطرق المختلفة في كتابة اسم الأسرة مصدرها اختلاف طريقة نطقه في ما تفرقت فيه من بلدان.

وفي دراستهما عن صقلية وتاريخ اليهود فيها، في الموسوعة اليهودية المطبوعة في الولايات المتحدة سنة ١٩٠٦م The Jewish Encyclopedia، يقول المؤرخان اليهوديان جوزيف جاكوب Joseph Jacobs، وشوليم أوشر Schulim Ochser، إن وجود اليهود في صقلية يعود إلى القرن الأول الميلادي، ومن قبل سقوط الهيكل الثاني سنة ٧٠م، وفي أوائل القرن الثاني كانت توجد تجمعات كبيرة لليهود في مدن صقلية الكبرى، باليرمو Palerm ، ومِسينا Messina، وكاتانيا Catania، وكان أغلبهم يعملون في التجارة.

وفي سنة ١٢١٠م، أصدر فدريكو ملك صقلية Fidiricu مرسوماً بحماية اليهود من الهجمات التي كان يشنها عليهم المسيحيون في الجزيرة، ثم أصدر مرسوماً آخر في سنة ١٢٢٤م، وقد صار على رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة باسم فردريك الثاني Frederick II، بوضع اليهود في صقلية تحت حماية الإمبراطورية، ومنحهم حق احتكار تجارة الحرير والأصباغ.

وفي سنة ١٣٩٣م، وبعد مصادمات بين اليهود والمسيحيين، وبتحريض من أسقف الجزيرة جوليان Julian، الذي اتهم اليهود بالغش والتعامل بالربا لسلب أموال المسيحيين، أصدر مارتن الثاني Martin II، ملك أرجون وفالنسيا وكورسيكا وصقلية، مرسوماً بإقامة اليهود في أماكن مغلقة عليهم، جيتوهات، وأن يضعوا شارة تميزهم على ملابسهم، وفي ٥ فبراير سنة ١٤٢٨م أصدر الملك ألفونسو الخامسAlfonso V، مرسوماً بإجبار اليهود على الاشتراك في الاحتفال بالأعياد المسيحية وحضور جلسات لهدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية Conversionist Sermons، ثم أُوقف العمل به بعد وفاة ألفونسو الخامس.

وفي ٣١ مارس سنة ١٤٩٢م، وبعد سقوط آخر دول الطوائف العربية في الأندلس، أصدر فرديناندو وإيزابيلا Ferdinando & Isabella، ملكا أرجون وقشتالة، مرسوم الهمبرا The Alhambra Decree، الذي ينص على طرد كل من يبقى على يهوديته من مملكتهما.

ولأن مرسوم الهمبرا يسري على صقلية التي تتبع مملكة أرجون، فقد تم تخيير يهود جزيرة صقلية بين الخروج منها أو التحول إلى المسيحية، وكانوا بضع عشرات من الآلاف يعيشون في اثنين وخمسين تجمعاً في المدن الكبرى، وتقدر الموسوعة اليهودية المطبوعة في الولايات المتحدة أوائل القرن العشرين عددهم بمائة ألف يهودي[١]، بينما تقدرهم الموسوعة اليهودية المطبوعة في إسرائيل في سبعينيات القرن العشرين Encyclopedia Judaica بسبعة وثلاثين ألف يهودي[٢].

وقد اختار أغلب يهود صقلية الخروج منها، وكانت وجهتهم الرئيسية في اتجاهين، الأول مدن شمال إيطاليا ووسطها، حيث أسرة دي مديتشي تبسط نفوذها وتحمي اليهود، والثاني جزر اليونان في شبه جزيرة بيلوبونيزيا القريبة من صقلية، وكانت قد صارت منذ سنة ١٤٦٠م جزءًا من الدولة العثمانية.

Nardo Bonomi, The Dispersion of the Jews of Sicily

خريطة بالأماكن الرئيسية التي استوطنها اليهود المهاجرون من صقلية، بعد مرسوم الهمبرا.

1) Joseph Jacobs, Schulim Ochser: Sicily, The Jewish Encyclopedia, Vol. XI, P325, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1906.
2) Sergio Joseph Sierra: Sicily, The Encyclopedia Judaica, Vol. XVIII, P543, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

وبعض الأسر اليهودية اختارت البقاء في صقلية والتحول إلى المسيحية، وغيرت أسماءها إلى أسماء مسيحية، ويُقدر عددهم ببضع مئات من الأسر، ومثل يهود المارانو في إسبانيا، كان تحولهم إلى المسيحية ظاهرياً، وصاروا إحدى التجمعات في ظاهرة اليهود الأخفياء، وهم اليهود الذين يعيشون بين الشعوب فيعتنقون دياناتها ظاهراً ويمارسون طقوسها وشعائرها، دون أن يؤمنوا بها، بينما عقيدتهم الحقيقية أنهم من نسل بني إسرائيل، وتسري دماؤهم المقدسة في عروقهم، وأن مهمتهم في أي مكان ينزلون فيه من العالم توجيهه في الاتجاه الذي يفضي يوماً ما إلى إعادة دولة بني إسرائيل واستعادة الهيكل، من خلال السيطرة الناعمة على مقاليد الشعوب، بزعزعة العقيدة الإلهية وإزاحتها بالعقيدة القومية، والتسلل إلى الجيوش، وإشاعة الربا وامتلاك أعصابها المالية والاقتصادية، واستيطان وعيها وإذابة معاييرها وموازينها عبر وسائل الإعلام ووسائط اللهو والترفيه.

فهاك ما أتيناك بسيرة اليهود في صقلية من أجله، في موقع: أنساب اليهود في إيطاليا Jewish Genealogy In Italy، وهو موقع يهودي متخصص في تاريخ الأسر اليهودية في إيطاليا، دراسة لليهودي الإيطالي ناردو بونومي Nardo Bonomi، وهو باحث في جامعة فينيسيا وعضو في المعهد الدولي لأنساب اليهود International Institute For Jewish Genealogy، التابع للمكتبة الوطنية في إسرائيل، والدراسة عن: أنساب اليهود في صقلية Jewish Genealogy In Sicily.

وفي دراسته عرض بونومي سيرة يهود صقلية عبر التاريخ، من المصادر الإيطالية التي وضع قائمة بها في نهاية الدراسة، ثم ختمها بوضع قائمة بألقاب الأسر اليهودية التي تحولت إلى المسيحية في صقلية بعد مرسوم الهمبرا، مرتبة حسب ترتيب حروف الإنجليزية التي كتب بها دراسته Surnames Of The Former Jews Of Sicily، وضمن ألقاب الأسر التي تبدأ بحرف: A، وضع بونومي اسم أسرة أليسِّي/أليسيو Alessi/Alessio[1]!

---

1) Nardo Bonomi: Jewish Genealogy In Sicily.
http://www.italian-family-history.com/jewish/genealogy.html

فهل صارت المسألة مفهومة الآن، ووجدت ما يمكنك أن تفسر به السر خلف هذا الزواج الغريب بين الكولونيل سيف الفرنسي وماريا اليونانية، ورغم أنه أصيب بمدافع أهل الجزيرة التي تعيش فيها هي وأسرتها، والتي جاء في حملة عسكرية لحصارها والاستيلاء عليها؟!

وقد تقول: فلتكن أصول الكولونيل سيف وهوية أسرته كما تكون، فالرجل قد أسلم وسمى نفسه سليمان، والإسلام يَجُب ما قبله.

وردنا على براءتك منقطعة النظير التي تعودناها منك، أن نذكرك أولاً أن الكولونيل سيف، كما علمت من رسالة ابنه اسكندر، كان ينوي العودة إلى ليون بعد أن أتم مهمته في مصر لولا أن عاجله الموت، وليون لم يكن فيها إسلام ولا مسلمون، وهو ما يعني أنه كان يريد العودة إلى ما جاء منه.

ونذكرك ثانياً أن هذا الذي أسلم، هو الذي استقبل، وبعد إعلان إسلامه، الأب إنفانتان وأتباعه من المشعوذين والقباليين الذين جاءوا إلى مصر لاستقبال المخلصة اليهودية، في قصره، وكانوا يقيمون معه فيه ويمارسون طقوسهم.

وهنا ننبهك إلى أن ثمة فرقاً بين من يولد في الإسلام وبين من يتحول إليه من ديانة أخرى، فالذي يتحول من ديانة إلى أخرى، وليس فقط الإسلام، لا يفعل ذلك إلا بعد روية وتفكير عميق، ومعاناة ذهنية ونفسية شديدة، لكي يتمكن من تغيير تكوينه الداخلي، وإعادة بنائه بما اختاره، وإحلاله محل ما تركه.

أما اليهود الأخفياء، فالأسماء والديانات عندهم ليست سوى أردية يلبسونها، وليس أسهل عليهم من تبديلها وارتداء غيرها، فينتقلون مع انتقالهم بين البلدان من المسيحية إلى الإسلام، أو العكس، وقد يترددون مرات بين هذا وتلك، دون أن يتغير شيء في تكوينهم وبنائهم الذهني والنفسي، ولا في سلوكهم وطريقة حياتهم وما يحبونه ويكرهونه وما يمارسونه من عادات فيما بينهم، فالذي يغيرونه فقط هو أسماؤهم وخانة الديانة في هوياتهم والمظاهر الخارجية للديانة التي يموهون بها أنفسهم، لكي يسهل لهم استيطان المجتمعات والتوغل في أنسجتها، والصعود إلى مناطق النفوذ فيها واختراق جيوشها.

فهاك تفسير إعلان الكولونيل سيف إسلامه، وإطلاقه لشاربه على الطريقة التركية، بخلاف كلوت بك وغيره من الفرنسيين الذين كانوا يحيطون بأول الآتين من الخلف وأقاموا له دولته، وظلوا على مسيحيتهم الظاهرة.

يقول كلوت بك عن تأسيس أول مدرسة لتدريب الضباط وتخريجهم، إن أول الآتين من الخلف قدم للكولونيل سيف خمسمائة من مماليكه، لكي يعلمهم استعمال السلاح ويدربهم على فنون الحرب، وتبعه في ذلك عظماء القطر المصري، أو اضطروا لذلك، كما ينقل الأمير عمر طوسون عن كتاب: تاريخ مصر الحديثة للمسيو مانجان، فاجتمع لدى الكولونيل سيف ألف من هؤلاء المماليك، وتم إرسالهم تحت قيادته إلى المدرسة العسكرية التي تم إنشاؤها في أسوان، وكانت تتكون من أربع ثكنات عسكرية، للإقامة والتدريب.

ويقول كلوت بك إن فترة التعليم والتدريب كانت تقتضي البقاء في المدرسة ثلاث سنوات، ولكن واجهت النظام داخل المدرسة عقبات عديدة أهمها:

"ما فُطر المسلمون عليه من الشمم وإباء الضيم والصفات النفسية التي تحول دون رضوخهم لمعلمين مسيحيين ... وقد دبروا المؤامرات مراراً ضد المسيو سيف لاغتياله"[١].

فمِثل بقية المدارس في دولة أول الآتين من الخلف، كانوا يختطفون التلاميذ ويجبرونهم وأسرهم عللى التعلم فيها من أساتذة غير مسلمين، ولكن التلاميذ في المدارس المدنية كانوا مغلوبين على أمرهم وليس عندهم وسيلة للاحتجاج ولا قوة في أيديهم، أما الكولونيل سيف فأسس مدرسة عسكرية تلاميذها من صغار المماليك، وهؤلاء يملكون مهارات عسكرية أصيلة، والسلاح في المدرسة كان بين أيديهم، فانفرد الكولونيل سيف من بين بقية الفرنسيين في دولة أول الآتين من الخلف بإعلان إسلامه وتغيير اسمه إلى سليمان، لأنه لم تكن ثمة وسيلة يمكنه السيطرة بها على تلاميذ مدرسته، وتجعل ضباط الجيش الذي يقوده يطيعونه ويخضعون لأوامره، سوى أن يعلن إسلامه، وتصير طاعتهم له من باب طاعة ولي الأمر!!

---

١) لمحة عامة إلى مصر، ص٤٩٨- ٤٩٩.

وإذا كان الكولونيل سيف قد خلع رداء المسيحية الذي كان يرتديه في فرنسا وارتدى لباس الإسلام في مصر، فقد عادت حفيدته من رداء الإسلام إلى رداء المسيحية حين تركت مصر إلى فرنسا، وبالسهولة نفسها التي انتقل بها جدها من المسيحية إلى الإسلام.

أثمر زواج الكولونيل سيف الفرنسي وماريا اليونانية عن ابن واحد، هو اسكندر بك، وفتاتين، والكبرى منهما، نازلي، تزوجها محمد شريف، وكان أبوها الكولونيل سيف قد اختاره كبيراً لياورانه، بعد أن عاد من دراسته في باريس، وقد صار بعد ذلك محمد شريف باشا، واتخذه الخديو إسماعيل نائباً له، وكان يفوضه في إدارة شؤون مصر إبان سفره إلى أوروبا والأستانة.

وتولى محمد شريف باشا تشكيل الحكومة المصرية ورئاستها أربع مرات، بين سنة ١٨٧٩م وسنة ١٨٨٢م، وكان أيضاً وزير الخارجية والداخلية في الحكومات التي شكلها، ويوصف بأنه أبو الدساتير المصرية، إذ بعد تشكيل حكومته الثالثة في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١م، قام بتأليف مجلس نيابي على مثال المجالس النيابية الأوربية، ودعا إلي إجراء انتخابات عامة، طبقاً للائحة مجلس شورى النواب الذي أسسه الخديو إسماعيل، وفي يوم ٢ يناير سنة ١٨٨٢م عرض شريف باشا مشروع القانون الأساسي للمجلس النيابي، كي يبحثه المجلس ويقرر ما يراه فيه، وقد حوى كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، القواعد الرئيسية للنظم الدستورية الحديثة، ولذا:

"لا غرو أن يُعد شريف باشا بحق مؤسس النظام الدستوري بمصر"[١].

فإذا ذهبت إلى سيرة محمد شريف باشا التي كتبها عبد الرحمن الرافعي، نقلاً عن سيرة شريف باشا الرسمية التي نشرتها صحيفة الوقائع المصرية بعد وفاته في النمسا، يوم ٢٧ أبريل سنة ١٨٨٧م، ستعرف لماذا اختاره الكولونيل سيف كبيراً لياورانه ثم زوَّجه ابنته، فقد كان أحد أعضاء البعثة التعليمية التي أرسلها أول الآتين من الخلف إلى المدرسة العسكرية المصرية في باريس، وبعد أن أنهى دراسته فيها التحق بأكاديمية سان سير العسكرية الفرنسية St. Cyr،

---

١) عصر إسماعيل، ج٢، ص٢٣٣.

وتخرج منها إلى الجيش الفرنسي، فخدم فيه إلى أن وصل إلى رتبة يوزباشي، قبل أن يأمر الخديو عباس حلمي بإيقاف البعثات واستدعاء المبعوثين.

وربما تفهم أكثر لماذا زوَّج الكولونيل سيف شريف باشا من ابنته، حين تعرف من أين جاء مؤسس المجالس النيابية على الطريقة الأوروبية وأبو الدساتير المصرية.

فإذا ذهبت إلى السيرة الرسمية التي نقلها عبد الرحمن الرافعي وأمثاله من الأميين، ستجد فيها أن محمد شريف باشا وُلد في القاهرة، وأن أسرته تركية الأصل، وقدِمت إلى مصر في عهد أول الآتين من الخلف، مع أبيه الذي كان قاضياً مبعوثاً من الأستانة.

فاترك هذه السيرة الرسمية، التي هي سيرة ملفقة، مثل كل السِيَر الرسمية للمجاهيل الذين غزوا مصر بعد أن فتحها أول الآتين من الخلف لهم، فانحرفوا بها إلى المسار اليهودي الماسوني وأقاموا مؤسساته، ثم سلموها لأبنائهم الذين وُلدوا في مصر فصاروا مصريين، ولمن ربوهم وصنعوهم على شاكلتهم من الأميين أبناء بلاليص ستان، ليسيروا على القضبان التي وضعوها لهم في الاتجاه الذي أرادوه من غزوهم لمصر، والذين لن تجد في سيرتهم وأفكارهم وسلوكهم أي شيء له علاقة بالإسلام سوى الأسماء التي يرتدونها.

في عدد شهر يوليو سنة ٢٠١٣م، من مجلة زمان Zman، وهي مجلة تُصدرها بالإنجليزية مؤسسة زمان اليهودية، في الولايات المتحدة وكندا، تحت إشراف الربي يوسف فينر Yosef Viener، أجرى أحد محرريها شيمون روزنبرج Shimon Rosenberg حواراً طويلاً مع موشيه مزراحي Moshe Mizrachi، وهو من أسرة مزراحي اليهودية التي كانت تعيش في مصر، ومن أشهر أعلامها توجو مزراحي منتج أفلام لِيلِي مردخاي/لَيلى مراد، ومخرجها، وكذلك المؤرخ اليهودي موريس مزراحي الذي كان يعيش في حارة اليهود في مصر وهاجر إلى فرنسا، وهو أول من كشف الأصول اليهودية لثاني الآتين من الخلف.

وفي سنة ١٩٤٩م هاجر موشيه مزراحي، وكان في الثامنةعشرة، مع أسرته إلى إسرائيل، ثم إلى الولايات المتحدة، وصار مستشاراً لوزير الدفاع الأمريكي، ثم رئيساً للجنة البحوث العلمية

والتكنولوجية في البنتاجون، وعمِل مع أحد عشر وزيراً للدفاع الأمريكي، يأتون هم ويذهبون، وهو في موقعه لا يتغير، ودون أن يظهر في صحف ولا شاشات.

وفي حواره الطويل مع مجلة زمان اليهودية، استعرض موشيه مزراحي تاريخ اليهود في مصر، والمراحل التي مروا بها، ومنها أنه:

"في بداية القرن التاسع عشر، صار صديق اليهود A Friend of Jews، محمد علي Mhammed Ali والياً على مصر، فرحب بقدوم اليهود من كل مكان إلى مصر واستيطانها، وتيار اليهود الكبير الذي تدفق على مصر Large Influx، كان السبب في نهضتها الاقتصادية، وأنتج المجتمع اليهودي في مصر وزراء وأطباء وتجاراً وأصحاب بنوك"(١).

وبناءًا على دعوة أول الآتين من الخلف لليهود أن يقدموا من كل مكان في العالم ويستوطنوا مصر، كما يقول أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العبرية في تل أبيب، يعقوب لانداو، في كتابه: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية:

"تدفق يهود السفارديم على مصر من كافة أنحاء الإمبراطورية العثمانية، بدءًا من أزمير وحتى تونس والجزائر ... وكانوا يدخلون إلى الإسكندرية دون جواز سفر أو بطاقة هوية"(٢).

وما نزيده لك على مزراحي ولانداو، أن كثيراً من هؤلاء اليهود الذين غزوا مصر دون أن يسألهم أحد عن هوياتهم، كانوا يدخلونها على أنهم مسلمون، ويعيشون حياتين، إحداهما في الظاهر على أنهم مسلمون، والأخرى في داخلهم وبينهم على أنهم يهود، وبعد أن أتم هؤلاء وأولئك مهمتهم في مصر وأقيمت دولة إسرائيل، هاجر الصرحاء منهم ليُسهموا في بناء إسرائيل، وبقي الأخفياء ليحكموا مصر!

---

1) Shimon Rosenberg: From Perseution To The Pentgon, An Interview With Dr. Moshe Mizrachi, Zman Magazine, July 2013, P139.

٢) تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص١٦٥.

فإذا تركت السيرة الرسمية لمحمد شريف باشا، وذهبت إلى سيرته في موسوعة ويكيبيديا الإنجليزية، وفي قاموس أعلام مصر الحديثة Biographical Dictionary Of Modern Egypt، الذي وضعه أرثر جولدسميد Arthur Goldschmid، أستاذ تاريخ الشرق الأوسط في جامعة ولاية بنسلفانيا Pennsylvania State University، وهو متخصص في تاريخ مصر الحديثة، وله بضع مؤلفات فيه، ستجد أن أسرة محمد شريف باشا ليست تركية، بل كانت تعيش في بلدة تابعة للدولة العثمانية، ومحمد شريف باشا وُلد فيها وليس في مصر، وهذه البلدة هي قَوَلة/كافالا Kavala، حارة اليهود في اليونان العثمانية، التي رمت مصر بأول الآتين من الخلف[١]،[٢]!

وزواج ابن قَوَلة/كافالا، محمد شريف باشا، من نازلي ابنة الكولونيل سيف الفرنساوي وماريا اليونانية، أنتج ابناً وابنتين، وتزوجت كبراهما، توفيقة هانم، من عبد الرحيم صبري باشا، وقد صار وزير الزراعة في عهد السلطان/الملك فؤاد، وأسرة عبد الرحيم صبري باشا يونانية هي الأخرى، وهبطت على مصر في عهد أول الآتين من الخلف، مع جده إبراهيم المُورلي، الذي هو من المورة، وهي نفسها شبه جزيرة بيلوبونيزيا، التي جاءت منها ماريا زوجة الكولونيل سيف الفرنساوي!

فإذا لم تفهم ما الذي يعنيه هذا، فارجع بضع صفحات إلى الخلف، وراجع النموذج الذي أتيناك به من عصر النهضة في إيطاليا، ربما تفهم.

وأنجبت توفيقة هانم وعبد الرحيم صبري ابنين وثلاث بنات، وإحداهن، نازلي الصغري، صارت زوجة السلطان/الملك فؤاد وأم ابنه الملك فاروق، وليس هذا ما أتيناك بسيرة أسرة الكولونيل سيف ونسله من أجله، بل لنخبرك أن الملكة نازلي هاجرت إلى فرنسا سنة ١٩٤٦م، في صحبة ابنتها فتحية ورياض غالي، وكان دبلوماسياً في القنصلية المصرية في مارسيليا، واتخذته سكرتيراً خاصاً لها، ولكي تتزوج الأميرة فتحية من رياض غالي المسيحي، تركت

---

1) Wikipedia, The Free Encyclopedia :Mohamed Sherif Pasha.

2) Arthur Goldschmidt: Biographical Dictionary Of Modern Egypt, P191, Lynne Rienner Publishers, 2000.

الإسلام واعتنقت المسيحية هي وأمها نازلي، وسمت نفسها على اسم جدتها، زوجة الكولونيل سيف وابنة بيلوبونيزيا في اليونان: ماريا!!

وبقي من وقفتنا مع الكولونيل سيف، أن تعلم أنه بعد أن عاجله الموت، قبل أن يعود إلى ليون، كما كان ينوي، دُفن في ضريح فخم بُني على الطراز الإسلامي في منطقة مصر القديمة، ثم دفنت زوجته ماريا في ضريح صغير إلى جواره، ويُعرف عند العوام بقبر سِتي ماريا!

فإن كنت لا تزال داخل نادي البقر في بلاليص ستان ولم تخرج منه بعدُ، فلا تنس أن تقرأ الفاتحة على روحهما الطاهرة!

جيش أول الآتين من الخلف:

وبعد أن علمتَ مَن الذين كونوا لأول الآتين من الخلف جيشه ودربوه وكانوا قادته في الحروب، إليك مشاهد تعرف منها كيف كان يتم تجنيد أبناء مصر في جيش أول الآتين من الخلف بالكره والإجبار، بعد خطفهم من قراهم ومن بين أهلهم، وموقع هؤلاء الجنود المصريين في هذا الجيش.

بدأ أول الآتين من الخلف التجنيد لجيشه، بعد حملاته التي أرسلها على السودان بقيادة ابنه إسماعيل، سنة ١٨٢٠م، بأن استعبد أهل السودان وجلب منهم ثلاثين ألفاً، وأقام لهم معسكرات تدريب في قرية بني عدي، قرب منفلوط في أسيوط، ولما فشت فيهم الأمراض ومات عدد كبير منهم، بدأ في استعباد الفلاحين من المصريين، فأمر في ١٨ فبراير سنة ١٨٢٢م، بجمع أربعة آلاف من الفلاحين من مديريات الصعيد لتجنيدهم، وأرسل ضباطاً من مماليكه إلى القرى لاعتقالهم وإرسالهم إلى معسكرات التدريب في منفلوط، وأسوان، وفرشوط شمال أسوان.

وكان الذي أشار عليه بتجنيد الفلاحين المصريين، وجعلهم دعامة جيشه، صديقه ومستشاره، قنصل فرنسا في مصر، الماسوني دروفيتي(١).

وبعد عام من الحملات على القرى والبلدات، وصل عدد الفلاحين الذين تم تجنيدهم إلى ثلاثين ألفاً، وتم تنظيمهم في ست آلايات، وكل آلاي يتكون من خمس أورط، وكل أورطة فيها ثمانمائة جندي، وفي سنة ١٨٣٥م كان عدد المجندين مائة وثلاثين ألفاً، من تعداد أهل مصر البالغ خمسة ملايين نسمة.

وقبل أن تنتفخ منتشياً في زهو، إليك ما تعرف منه أنه، ككل جيوش بلاليص ستان، لم يكن جيش مصر، بل جيش فرنسا الماسونية في مصر.

يقول الأمير عمر طوسون، في كتابه: الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي:

"**أُخذ نظام الجنود المصرية جميعها، من مشاة وفرسان ومدفعية، عن النظام الفرنسي، وجرى الأمر على ما هو متبع عندنا في التمرينات والحركات العسكرية، حتى الموسيقى، فتُرجمت اللوائح الفرنسية حرفياً ليجري الأمر على مقتضاها في الجيش المصري، وكذلك اتُبعت في الترقية بين الجنود والضباط نفس الدرجات المعمول بها في جيش فرنسا، ولولا الاختلاف في النداء (اللغة) لكان التشاكل ين الجيش المصري والفرنسي تاماً في كل شيء**"(٢).

ويقول القائمقام عبد الرحمن زكي، مدير المتحف الحربي، في كتابه: التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، الذي كتبه بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة أول الآتين من الخلف، ونشرته الجمعية التاريخية المصرية، سنة ١٩٥٠م، إنه بعد تشكيل الجيش النظامي الجديد وتنظيمه على غرار الجيش الفرنسي، وفي شهر نوفمبر سنة ١٨٢٣م، ذهب أول الآتين من الخلف إلى معسكرات بني عدي، مع قنصل فرنسا الماسوني دروفيتي، وقنصل إنجلترا، ليشهد في صحبتهم

---

1) The Foundr Of Modern Egypt, P65.

٢) الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي، ص٤٦-٤٧.

مناورات يقوم بها من تم تجنيدهم، وأشرف على وضع خطتها الكولونيل سيف، فهنأ القنصلان أول الآتين من الخلف، وكان هذا هو تعليق الماسوني دروفيتي على الجيش الجديد في رسالته إلى وزير الخارجية الفرنسي:

"إن هذا الجيش التام النظام والترتيب على الطريقة الفرنسية ... وقد بلغوا في دقة المناورات درجة تستوجب الفخار للضباط الفرنسيين الذين علموهم"(١).

فأول الآتين من الخلف لم يكن سوى وكيلهم في تكوين الجيش، ليكون أداته وأداتهم في قهر أهل مصر، وفصلها عن عقائدها وتاريخها، والسير بها خلفهم في اتجاه المشروع اليهودي، وهو ما ستتيقن منه حين نصل بك إلى العقيدة القتالية لهذا الجيش الضال وحروبه.

وقهر أهل مصر على السير خلف الغرب اليهودي الماسوني، وفي عكس اتجاه عقائدهم وتاريخهم، هو السبب الأول في أن تكوين هذا الجيش كان استعباداً لأهل مصر، وفي أنهم اتخذوا كل وسيلة من أجل تجنبه والهروب منه، حتى لو كان ذلك بتشويه أجسامهم.

وقد كان التجنيد استعباداً، لأنه بدأ بثلاث سنوات للمجند، ثم صار مدى الحياة، جبراً وبلا اختيار، ولا ينتهي إلا بالموت أو الإعاقة الكاملة، أما من يصاب في الحروب أو يُعاق إعاقة بسيطة لم يكن يُعفى من الخدمة، بل ينقل إلى فرق نافخي الأبواق وقارعي الطبول والموسيقى والأعمال الأخرى غير القتالية.

وكان استعباداً، لأن الجنود فيه، بل والضباط من أهل مصر، لم يكونوا سوى وقود يُلقى به في أتون الحروب، فإذا ماتوا فيها:

"لم يتم دفن المئات والآلاف من الرجال الذين ماتوا في مختلف حملات محمد علي بطريقة مشرفة، وانحصر اهتمام السلطات الوحيد في الإبلاغ عن تواريخ الوفاة بسرعة، لكي

---

١) القائمقام عبد الرحمن زكي، مدير المتحف الحربي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، ص١٦٩، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

تُوقف الرواتب التي كانت تسلم لعائلات الرجال في مصر، فلم يكن المتوفى، ضابطاً كان أو جندياً، أكثر من اسم يجب أن يُشطب من دفاتر الجيش وكشوف الماهيات"[١].

وفي بداية حملات التجنيد حاول أول الآتين من الخلف أن يُوهم أهل مصر أن التجنيد في جيشه جهاد ونصرة للإسلام، فأرسل إلى ابنه إبراهيم باشا، السرعسكر أو قائد الجيش، في ٢٩ مارس سنة ١٨٢٢م، يخبره أنه يجب ترغيب الفلاحين في دخول الجيش، وذلك عن طريق:

"تعيين بعض الوعاظ والفقهاء الذين يجب أن يقنعوا الفلاحين بأن الخدمة العسكرية ليست كالسخرة ... وتذكرهم بأن الفرنسيين استطاعوا بسهولة أن يجمعوا الأقباط للخدمة في جيشهم، بسبب تلهفهم على خدمة عقيدتهم، فلا شك أن حال المسلمين سيكون أفضل، فقلوبهم تمتلئ بالتقوى والحماس للدفاع عن الدين"[٢].

وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٢٢م أرسل أول الآتين من الخلف خطاباً إلى محمد بك، المسؤول عن معسكرات التجنيد في أسوان وفرشوط، وكنت أوامره فيه:

"إن فاتحة الكتاب لا ريب في أنها جامعة للفيوضات الأزلية، فإذا ما قرأها جنود الجهادية في أيام التدريب قبل الشروع فيه، ثم باشروا التمرينات عقب القراءة، لكان ذلك مستوجباً للفيض والبركات، فالمأمول منكم أن تبلغوا حضرات البكباشية سلامنا، وأن تفهموهم أن إرادتنا تقضي بقراءة الفاتحة قبل التمرينات"[٣].

فتنبه أنك في رحلتك معنا في سيرة أول الآتين من الخلف، أنه منذ أن أنشب أنيابه ومخالبه في السلطة، وبدأ في شق المسار اليهودي الماسوني لمصر، بالإطاحة بالأزهر، والإزراء بعلمائه وعزلهم عن السلطة، والاستيلاء على أوقافه، ومزاحمته بالمدارس العلمانية والتبشيرية، وإحاطة نفسه بالقباليين من أتباع سان سيمون، وبالمستشارين من الفرنسيين والطليان واليونان والأروام والأرمن، من كل الملل والنحل ما عدا الإسلام، اختفى المشايخ ولم تعد تقابلهم أو

---

١) كل رجال الباشا، ص٢٦٤-٢٦٥.

٢) كل رجال الباشا، ص١٣٨.

٣) التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، ص١٧١.

تسمع عنهم، وغاب كل ما له علاقة بالإسلام عن دولته، ولم يعد له أي موقع في مشاريعه، وفجأة ظهر لك المشايخ والوعاظ يخاطبون الفلاحين من أهل مصر، ليلقوا فيهم خطباً عن أن التطوع في جيش أول الآتين من الخلف جهاد في سبيل الله!!

وهي إحدى سمات الآتين من الخلف جميعاً، وقد صارت من علامات المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان في كل العصور، فتراهم يكافحون لعزل الإسلام عن السلطة، ويبتكرون الشعارات والقوانين والمؤسسات، من أجل تقليص شرائع الإسلام في المجتمع، وإزالة مظاهره وآثاره من التعليم والإعلام، ويُحقِّرون المتدينين، ويحجبون خريجي الأزهر عن الدخول في الكليات العسكرية التي تؤهل من يدخلها لأن يكون قريباً من دوائر السلطة، ويبسطون حمايتهم على الفسقة والزنادقة من المشخصاتية والمغنواتية وبقر الصحف والشاشات، ويطلقونهم على عقائد الإسلام وشعائره وشرائعه ورموزه وتاريخه، ولا تراهم إلا في أحضان من لا ينكرون عداوتهم للإسلام، وفي الوقت نفسه يحرصون على الصلاة أمام الكاميرات ولا يصلونها إلا في وجودها، وعلى حضور الاحتفال بمولد النبي، وتزيين احتفالاتهم ومؤتمراتهم بالموظفين من المشايخ ولابسي العمم، وتصدير خطبهم التي لا يوجد فيها أي شيء له صلة بالإسلام بالبسملة!

وتراهم يصنعون جيوش بلاليص ستان في كل العهود على أعين الإمبراطوريات الماسونية، وهي التي تسلحها وتدربها وتمولها، ولا يصل إلى قيادتها إلا من يوافقها وترضى عنه، وهي التي تصنع عقيدتهم القتالية في مدارسها وأكاديمياتها، وهي التي ترسم الأهداف العليا لهذه الجيوش واستراتيجياتها، وتحدد لها جبهاتها وحروبها، فلا تخوضها إلا بأمرها أو بإذنها، وهي في حقيقتها حروب هدفها الاقتراب من غاية اليهود، ثم إذ فجأةً يُخرجِون الموظفين من المشايخ ولابسي العِمم من المخازن، ليلقوا في الناس خطباً عن أن هذه الحروب جهاد في سبيل الله!

وجميع الآتين من الخلف، ومن أنتجهم المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان من الحكام، يفعلون ذلك وهم يتوهمون أنهم يستغفلون عموم المسلمين، وأن حضورهم الاحتفالات ووجود المشايخ حِلية فيها، وتصدير خطاباتهم بالبسملة، يمكن أن يكون إلهاءًا للناس عن حقيقة المسار اليهودي الماسوني الذي يُجبرونهم على السير فيه، وبديلاً في وعيهم عن الشرائع التي

يطيحون بها، وعن معالم الإسلام وآثاره في المجتمع التي يذيبونها، وعن معاييره وموازينه التي يزيحونها، وعن الفسقة والزنادقة الذين يحيطون بهم ويغدقون عليهم.

وعموم المسلمين، ليسوا في حاجة إلى احتفالات، ولا خطب ومواعظ، ولا لابسي عِمم، ولا لأغانٍ وأناشيد، ليعرفوا من يجاهد في سبيل الله، ويدركوا الفرق بينه وبين من يريد أن يقرطسهم باسم الجهاد في سبيل الله، وهو في الحقيقة يقطع هذا السبيل، ويجاهد في سبيل أهوائه، ولا ليدركوا الفرق بين هذا وذاك وبين الآتين من الخلف خريجي حواري اليهود الذين يجاهدون في سبيل بني إسرائيل.

ولأن عموم المسلمين يدركون بفطرتهم الفرق بين الذي يبني دولته وجيشه بالإسلام وفي سبيل الله، وبين من يبنيها على استئصاله ومن أجل أهوائه وفي سبيل بني إسرائيل، يخبرك الكابتن تشارلز سكوت Charles Rochfort Scott، وهو ضابط في الجيش البريطاني، في كتابه الذي سجل فيه مشاهداته في مصر في عهد أول الآتين من الخلف، ووضع فيه تقريراً عن دولته وجيشه ونظامه الاقتصادي: جولات في مصر وكانديا(•) Rambles In Egypt And Candia، يقول سكوت إن:

"مفرزة التجنيد قد تسير من رشيد إلى أسوان، بكل ما تحمله من إغراءات وجاذبية الطبول والأوشحة والوعود، دون أن تلتقط متطوعاً واحداً Without Picking Up A Single Volunteer"(1)!

فإليك الصورة المقابلة، لترى أن عموم المسلمين ليسوا في حاجة إلى من يُعرِّفهم الفرق بين جيش ولي الأمر الذي يتغلب على خصومه ومنافسيه ثم يجاهد بجيشه في سبيل الله ومن أجل تحرير القدس، وبين الآتين من الخلف الذين يذبحون خصومهم ثم يجاهدون بالجيوش التي يبنيها لهم الماسون في سبيل بني إسرائيل ومن أجل تسليمهم أورشليم.

•) كانديا عاصمة جزيرة كريت.

1) Charles Rochfort Scott: Rambles In Egypt And Candia, With Details Of The Military Power And Resources Of Those Countries, And Observations On The Government, Policy, And Commercial System Of Mohammed Ali, Vol.2, P219, Henry Colburn Publisher, London, 1837.

وهو في طريقه لقتال الصليبيين في حطين، عسكرَ الناصر صلاح الدين بجيشه في عشترا، جنوب سوريا، واجتمعت إليه جيوش حلب والموصل، وانضمت إليه جموع من المتطوعين من الفقهاء والعلماء وشباب القبائل العربية، وقد وصف المؤرخون الإسلاميون جيش صلاح الدين وصفاً مفصلاً، ولكن إليك وصف المستشرق والمؤرخ الإنجليزي ستانلي لين بول Stanley Lane Poole، لجيش صلاح الدين وهو يتأهب لملاقاة الصلبيين، في كتابه: صلاح الدين وسقوط مملكة أورشليم Saladin And The Fall Of The Kingdom Of Jerusalem:

"**وصار صلاح الدين على رأس اثني عشر ألف فارس، إلى جانب أعداد غفيرة من المتطوعين في سبيل الله Numerous Volunteers For The Path Of God**"[١].

وقد كان لهؤلاء الذين تطوعوا في جيش صلاح الدين لمقاتلة الصلبيين دور طريف في موقعة حطين، إذ وجيش صلاح الدين يحاصر الصليبيين ويمنعهم عن الماء ويكادون يهلكون من العطش، لاحظت بعض فرق المتطوعة هبوب الرياح في اتجاه الجيش الصليبي، فقاموا بإشعال النيران في الحشائش والأعشاب الكثيفة، وحملت الرياح الشرر والدخان في اتجاه الصليبيين، يقول ابن الأثير في كتابه: الكامل في التاريخ:

"**وألقى بعض متطوعة المجاهدين في تلك الأرض ناراً، وكان الحشيش كثيراً، فاحترق، وكانت الريح، فحملت حر النار وحر الدخان إليهم، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال**"[٢].

ولأن مسار مصر وعالم الإسلام منذ نزل الإسلام واحد، وظل واحداً إلى أن قطعه أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، ولأن ولاة الأمر في هذا المسار كانوا يتنافسون ويخلف كل منهم سابقه، دون أن ينحرفوا عنه، أو يغيروا أنسجة المجتمع وهندسة المعيار

---

1) Stanley Lane Poole: Saladin And The Fall Of The Kingdom Of Jerusalem, P204, G.P. Putnam's Sons, New York ; London, 1898.

٢) المؤرخ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٤٧، راجعه وصححه: دكتور محمد علي الدقاق، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.

والميزان التي تحكم علاقة السلطة به، ولأن عدوهم جميعاً واحد، وإن تقاتلوا هم فيما بينهم، وهو عدو الأمة كلها، وكانوا يتقاتلون وبعد أن يتغلب المتغلب منهم، يستكمل بجيشه ما كان يفعله سابقه الذي تغلب عليه، فقد كان عموم المسلمين من أهل مصر يتطوعون من تلقاء أنفسهم للجهاد مع الجيوش، أياً كان ولي الأمر الذي يقودها.

يقول الشيخ محمد عبده في مقالته التي كتبها في مجلة المنار، في غرة ربيع الأول ١٣٢٠هـ/٧ يونيو ١٩٠٢م، بمناسبة الاحتفال بذكرى أول الآتين من الخلف، وعدَّد فيها سيئاته:

"يقولون إنه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ الملوك ... فهل علَّم المصريين حب التجنُّد وحبب إليهم الخدمة في الجندية وعلمهم الافتخار بها، لا بل علمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا عليهم معتقدين أنهم يساقون إلى الموت، بعد أن كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء ويحاربون ولا يبالون بالموت أيام حكم المماليك ... كان المصري يَعُد ذلك الجيش عوناً لظالمه وقوة لخصمه"[1].

وحين شن نابليون حملته الماسونية على مصر، تحول أهل مصر في كل مدينة وبلدة، والفلاحون في كل نجع وقرية، في دلتاها وصعيدها، إلى مقاتلين مغاوير، وظهر منهم قادة ميدانيون بالفطرة، وواجهوا نابليون وجيشه تلقائياً، وكبدوه خسائر فادحة، ولم يجعلوه يهنأ بليلة واحدة في مصر، دون أناشيد ولا خُطب.

فإليك مشهداً وحداً في الدلتا، لتتيقن أن أهل مصر يميزون بفطرتهم بين من يجاهد في سبيل الله ومن يجاهد في سبيل بني إسرائيل، ولترى كيف كانوا قبل أن ترمي حارة اليهود في اليونان مصر بأول الآتين من الخلف، وتقارنه بما صاروا عليه بعدها.

يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في الجزء الأول من كتابه: تاريخ الحركة القومية، نقلاً عن المصادر الفرنسية وتقارير قادة حملة نابليون:

---

١) آثار محمد علي في مصر، مجلة المنار، مجلد٥، ج٥، ص١٨٢، غرة ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م.

"قصد الجنرال لكلرك بكتيبته يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٩٨م قرية أبي زعبل، ولكن صدهم عنها جمع من العرب والفلاحين مسلحين بالبنادق والعصي، فعادت الكتيبة أدراجها إلى الخانكة، وأخذ الأهالي من العرب والفلاحين يتعقبونها إلى مستقرها، وفي يوم ٥ أغسطس هاجم الأهالي المخافر الأمامية لمعسكر الخانكة بقوة أكبر من قوتهم الأولى، إذ انضم إليهم مائتان من المماليك، وبدأ الهجوم فبرزت من غابة أبي زعبل قوة من فرسان العرب يتبعهم عدد حاشد من الفلاحين ... فأحاطوا بالفرنسيين من كل جانب، تخفيهم الزروع والغيطان، وانضم إليهم سكان القرى المجاورة، فأطلقوا النار على الفرنسيين من كل صوب، ولكن نيران المدفعية والبنادق أوقفتهم بعيداً عن المعسكر، فأعادوا الهجوم كرة بعد كرة، واضطروا جنود المقدمة إلى التراجع، وأدرك الجنرال لكلرك الخطر من الإصرار على الدفاع عن الخانكة، فأجمع أن ينسحب منها ويرتد غرباً، وفي أثناء المعركة ثارت قرية الخانكة نفسها، فوثب أهلها برجال الحرس الفرنسيين الموجودين فيها، فجردوهم من السلاح وقتلوهم"[١].

وهذا مشهد واحد من الصعيد:

"سبق الجنرال ديزيه عند سفره من قوص أسطولَه الذي كان يسير ببطء في النيل، ليلحق بالجيش في أسيوط، وبعُدت الشُقة بينهما، فانتهز الأهالي هذه الفرصة لمهاجمة الأسطول، وكان عدده نحو ١٢ سفينة حربية تُقل ذخيرة الجيش ومؤونته، تتقدمها السفينة الحربية إيتاليا، هاجم الأهالي هذه السفن يوم ٣ مارس سنة ١٧٩٩م، على مقربة من قرية البارود، فأجابت السفينة الحربية إيتاليا على هجمات الأهالي بإطلاق المدافع، فقتلت منهم عدداً كثيراً، لكن الأهالي ومعهم العرب القادمون من القصير تجمعوا وازداد عددهم، ونزلوا النيل سباحة، وهجموا على السفن، فاستولوا عليها عنوة وأفرغوا شحنتها من الذخائر على شاطئ النيل، ثم ركبوها وقصدوا إلى السفينة الحربية إيتاليا للاستيلاء عليها، وكان يقودها القومندان موراندي، فضاعف إطلاق الرصاص على المهاجمين، ولكنه رأى رجال مدفعيته قد أثخنتهم الجراح على ظهر السفينة، ورأى من جهة أخرى جموع الأهالي من الشاطئ الأيسر يتحفزون للهجوم عليه، ففكر في الانسحاب ولكن الريح عاكسته فجنحت سفينته، وإذ ذاك

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج١، ص٢٥٩.

هُرع إليها الأهالي والعرب من كل حدب وصوب وصعدوا على ظهرها، فتحقق موراندي الخطر المحدق به ولكنه أبى التسليم، فأشعل النار في مستودع البارود، وألقى هو ورجاله بأنفسهم في اليم قاصدين النجاة، وانفجر مستودع البارود فنسف السفينة نسفاً، وتفجرت شظايا القنابل على الشاطئ فقتلت عدداً كثيراً من الأهالي، ولكن الباقين منهم قاتلوا موراندي ورجاله في اليم، فمات مثخناً بجراحه، وقُتل جميع الفرنسيين الذين كانوا على ظهر السفينة إيتاليا وعلى ظهر السفن الأخرى، وكانت خسارة الفرنسيين جسيمة، فبلغ عدد قتلاهم من البحارة والجنود خمسمائة قتيل"[١].

ولكي تدرك أن حيازة السلاح ليست فقط بالسير خلف الغرب الماسوني، ولا بالتواطؤ مع بني إسرائيل وتسليمهم القدس، إليك كيف كان مِن جهاد أهل مصر، أن تمكن الصُناع والحدادون، إبان ثورة القاهرة الثانية، من صناعة البارود والقنابل، بل وصنعوا المدافع.

يقول الجبرتي إنه في شهر شوال ١٢١٤هـ/مارس ١٨٠٠م:

"صار جميع أهل مصر إما بالأزقة ليلاً ونهاراً، وهو من لا يمكنه القتال، وإما بالأطراف وراء المتاريس، وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب، ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف ... وأنشأ عثمان كتخدا معملاً للبارود ببيت قائد أغا بخط الخرنفش، وأحضر القندقجية[•] والعربجية والحدادين والسباكين لإنشاء مدافع وبنبات (قنابل)، وإصلاح المدافع التي وجدوها في بعض البيوت، وعمل العجل والعربات والجلل، وغير ذلك من المهمات الجزئية، وأحضروا لهم ما يحتاجون اليه من الأخشاب وفروع الأشجار والحديد، وجمعوا إلى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك، فصار هذا كله يُصنع ببيت القاضي والخان الذي بجانبه والرحبة التي عند بيت القاضي من جهة المشهد الحسيني"[٢].

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج١، ص٤٠٨.

•) القندقجية هم صناع الأسلحة.

٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص١٥٦-١٥٧.

وينقل المؤرخ عبد الرحمن الرافعي عن كتاب: الحملة الفرنسية في مصر، للمسيو مارتان، أحد مهندسي الحملة، وكان شاهداً على أحداث ثورة القاهرة، أن:

"**سكان القاهرة قاموا بما لم يستطع أحد أن يقوم به، فقد صنعوا البارود، وصنعوا القنابل من حديد المساجد وأدوات الصُناع، وفعلوا ما يصعب تصديقه، وما رأى كمن سمع، ذلك أنهم صنعوا المدافع**"(١).

فإليك الآن كيف صار أهل مصر، وكيف واجهوا التجنيد الإجباري الذي فرضه عليهم أول الآتين من الخلف ليقاتلوا في جيشه، بعد أن أدركوا من سياسات أول الآتين من الخلف وسمات دولته، وممن يحيطون به، ومما فعله بالأزهر، أن غاية هذا الجيش الذي يبنيه له ضباط جيش نابليون، لا يمكن أن تكون الجهاد في سبيل الله، فلم يكن سوى أداة لاستكمال شق المسار اليهودي الماسوني لمصر، وتفكيك الشرق وتمهيده للمشروع اليهودي.

كانت مفرزة التجنيد تصل إلى القرى عبر الإبحار في النيل، مصحوبة بمراكب لشحن الفلاحين، وكان شيخ القرية في كل بلدة أو قرية هو المسؤول عن إرشاد ضابط التجنيد إلى من يصلحون للتجنيد، وعن تقييد أسمائهم في دفاتر مع أسماء آبائهم وعائلاتهم وقراهم، فإليك الكابتن سكوت في كتابه وتقريره: جولات في مصر وكانديا، يخبرك بما كان يفعله شيوخ البلد هؤلاء، لإنقاذ أقاربهم ومعارفهم من هذا الاستعباد:

"**كان شيوخ البلد يوشون بمفرزة التجنيد، ويدلون أهل القرية على أماكن المراكب، وهكذا تم اختطاف أطقم مراكب بأكملها Whole Boats' Crews Have Been Thus Kidnapped**"(٢)!

---

١) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص١٣٢.

2) Rambles In Egypt And Candia, With Details Of The Military Power And Resources Of Those Countries, And Observations On The Government, Policy, And Commercial System Of Mohammed Ali, Vol.2, P217.

فإذا وصلت مفرزة التجنيد، وتمكنت من اعتقال المطلوبين للتجنيد في جيش أول الآتين من الخلف، كانوا ينتهزون أي فرصة تسنح لهم للهروب، وينقل دكتور خالد فهمي في رسالته للدكتوراة وكتابه: كل رجال الباشا، عن سجلات ديوان المعية السنية، أن

"**الجنود كانوا يتسحبون من المعسكرات، وخلال الزحف، ويفرون من المستشفيات العسكرية، والسفن الحربية، ومن المدارس العسكرية، ولم يقتصر الفرار على الجنود، بل امتد إلى ضباط الصف**"[1].

وفي البداية كان الجنود الفارون يعودون إلى قراهم، فأصدر أول الآتين من الخلف أوامر بأن يُعاقَب شيخ القرية الذي يُضبط هارب من الجيش في قريته، بجلده مائة جلدة بالكرباج وغرامة قدرها خمسون قرشاً عن كل هارب، وأن يعاقب الهارب الذي يتم ضبطه بخمسمائة جلدة، فترك الهاربون قراهم إلى القاهرة، ولما صدرت أوامر للبوليس باعتقالهم، فروا إلى الحجاز، بل وأرسل محمد أمين أفندي، وهو موظف أرسله أول الآتين من الخلف إلى فرنسا، رسالة إليه، في ٢٦ مايو سنة ١٨٣٥م، يخبره أنه:

" **وجد عدداً من الهاربين من الجيش في باريس**[2]**!**

وفي تقرير رُفع لأول الآتين من الخلف، سنة ١٨٣٧م، كان عدد الهاربين من الجيش ستين ألفاً، ومن الأسطول عشرين ألفاً.

بل وصل كره أهل مصر لأول الآتين من الخلف ودولته ونفورهم من جيشه، أن شوهوا أنفسهم، وأحدثوا إعاقات بأجسامهم، لكي لا يتجندوا ولا يقاتلوا فيه، فمنهم من كان يقتلع أسنانه، ومنهم من يقطع أصابعه، بل ومنهم من يفقأ إحدى عينيه ليصير أعور، وبعضهم كان يضع سم الفئران في عينيه ليصير أعمى!

---

١) كل رجال الباشا، ص٣٣٦-٣٣٧.

٢) كل رجال الباشا، ص٣٣٩.

في سنة ١٨٣٧م، أرسلت الحكومة البريطانية، السير جون بَوَرنج John Bowering، على رأس لجنة من البرلمان، لوضع تقرير عن دولة الآتين من الخلف، من مختلف جوانبها، وفي تقريره الذي قدمه لوزير الخارجية اللورد بالمرستون Palmerston، وتم عرضه في مجلس العموم، يقول بَوَرنج :

"من أجل تجنب التجنيد يقوم الفلاحون بتشويه أنفسهم بطرق لا تصدق Incredible، ففي القاهرة قام رجل بقطع أصابع قدميه، واحداً إثر الآخر، حتى قطعها كلها، وفي أخميم رأيت بعض الفلاحين ويدهم اليمنى ملفوفة في خرقة Cloth، وحين نزعوها رأيت أصابعهم الأربعة مقطوعة من عند المفصل الثاني، وكانوا يقولون إن قطع أصابعهم أفضل من أن يضعوا السم في أعينهم، وكان شائعاً جداً منذ سنوات قلائل أن تقوم الأمهات بتشويه أطفالهن وبتر أصابعهم، ولم يتوقف هذا التشويه المنظم والمرعب إلا حين أصدر الباشا قراراً بأنه حتى المشوهين لن يُعفَوا من التجنيد، وفي أسيوط كان يوجد آلاي كامل، جميع المجندين فيه من المشوهين، فمنهم من فقد عينه، أو أصابعه، أو أسنانه الأمامية"(١).

بل وأمر أول الآتين من الخلف بمعاقبة الأمهات والزوجات التي يساعدن أزواجهن وأبنائهن على تشويه أنفسهم، فينقل الدكتور خالد فهمي في كتابه: كل رجال الباشا، عن وثائق دائرة المعية السنية، والبروفسور هنري دوديل في كتابه: مؤسس مصر الحديثة، عن تقارير الكولونيل كامبل Campbell، قنصل بريطانيا في مصر، أن أول الآتين من الخلف:

"أرسل خطاباً إلى مأمور الفيوم، في يوم ١ رمضان سنة ١٢٤٥هـ/٢٥ يناير ١٨٣٠م، وفيه أمر بشنق امرأة على مدخل قريتها، وأن يُترك جسدها معلقاً أمام الناس ثلاثة أيام، لأنها ساعدت زوجها ووضعت سم الفئران في عينيه، وفي يوم ١٣ من ذي القعدة سنة

---

1) John Bowering: Repor On Egypt And Candia, P52, Addressed To Hon, Lord Viscount Palmerston, Printed By: W. Clowes And Sons, Stamford Street, For Her Majesty' Stationary Office, London, 1840.

١٢٤٥هـ/٦ مايو ١٨٣٠م، أصدر أمراً لمأمور طنطا بإغراق امرأة في النيل، لأنها فقأت عين ابنها لكي يهرب من التجنيد"[١]، [٢].

وتشويه نساء مصر لأجسام أطفالهن، ومساعدتهن لأولادهن وأزواجهن على الهروب من جيش أول الآتين من الخلف، بفقأ أعينهم وإصابتهم بالعمى، يجعلنا نعيدك إلى حملة الماسون على مصر، لترى كيف كانت نساء مصر يدفعن أولادهن وأزواجهن للجهاد، بل ويقاتلن بأنفسهن، ولم يصبحن كما رأيت إلا بعد أن انحرف أول الآتين من الخلف بمصر إلى المسار اليهوي الماسوني، وسار بها في عكس اتجاه عقائد أهلها وتاريخهم وهويتهم، لتصبح الدولة في بلاليص ستان هي وجيوشها والمرتزقة من المغنواتية والمشخصاتية وبقر صحفها وشاشاتها في وادٍ، وأهل مصر في واد آخر، فلا يُجندون فيها إلا جبراً ولا يقاتلون معها إلا قهراً.

وهو في طريقه مع قواته من منوف إلى الغربية، اصطدم الجنرال فوجبيه بأهل قريتي غمرين وتتا، شمال منوف، إذ حملوا السلاح في مواجهة قواته وقاتلوه فلم يستطع دخول القريتين، فأرسل يطلب مدداً من الجنرال زايونشك في منوف، فإليك وصف الكابتن فيروس Ferus، للمعركة التي نشبت بين قوات الجنرال فوجبيه والجنرال زايونشك وبين أهالي غمرين، في ١٣ أغسطس سنة ١٧٩٨م:

"جاءنا المدد وتعاونت الكتيبتان على مهاجمة قرية غمرين، فأخذناها عنوة بعد قتال ساعتين، وقتلنا من الأعداء (الأهالي) من أربعمائة إلى خمسمائة، بينهن عدد من النساء كن يهاجمن جنودنا بكل بسالة وإقدام"[٣].

والفاصل بين المشهد الذي يقاتل فيه نساء مصر مع رجالهن جيش الحملة الفرنسية بكل بسالة وإقدام، وبين المشهد الذي يشوهن فيه أجسام أطفالهن ويضعن سم الفئران في أعين أزواجهن لكي يفروا من التجنيد في جيش أول الآتين من الخلف، ثلاثون عاماً فقط، والفرق بين

---

١) كل رجال الباشا، ص٢٤٢.

2) The Founder Of Modern egypt, P227.

٣) عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية، ج١، ص٣٢٥.

المشهدين هو آثار ما فعله في مصر أول الآتين من الخلف وأول من يصل من خريجي حواري اليهود إلى حكمها.

فهلا أدركت أن ما فعله جميع الآتين من الخلف في كل عصور بلاليص ستان، ويغلفونه في شعارات التحديث والتمدين وبناء المؤسسات، ليس سوى تخريب منظم ومُمنهج لأذهان أهلها ونفوسهم، ونزع لأنيابهم ومخالبهم، من أجل استئناسهم وتحويلهم إلى مطايا لهم، ودواجن في حظائر الإمبراطوريات الماسونية، ودعامة للمشروع اليهودي، الذي يدور حوله كل شيء في بلاليص ستان من خليجها السائم إلى محيطها الهائم.

يقول الشيخ محمد عبده، في مقالته التي كتبها في مجلة المنار سنة ١٩٠٢م، وعدَّد فيها سيئات أول الآتين من الخلف:

" **ظهر الأثر العظيم عندما جاء الإنجليز لإخماد ثورة عرابي، دخل الإنجليز مصر بأسهل ما يدخل دامر على قوم، ثم استقروا، ولم توجد نخوة في رأس تُثْبِت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها، وهو ضد ما رأيناه عند دخول الفرنساويين إلى مصر، وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الأولى والموت الأخير**"[١].

وإليك سؤالاً، نترك لك إجابته، وأن تحدد من هذه الإجابة موقع جيوش بلاليص ستان من نفوس أهلها، والدرجة التي تتوافق عقيدتها وغاياتها وحروبها مع هويتهم وعقائدهم وتاريخهم.

في جميع عهود بلاليص ستان، منذ أن شق أول الآتين من الخلف مسارها اليهودي الماسوني، لا ترى إلا الشعارات ولا تسمع سوى الأغاني والخطب التي تمجد في جيوشها، وفي الوقت نفسه تحتال الأسر وأبناؤها لتجنب التجنيد، ويصطنعون العاهات، ومن يملك المال الكافي للرشوة لا يتأخر عنها، وعلى رأس هؤلاء من يؤلفون الأغاني ويغنونها، والسؤال هو: لو رُفع الإجبار عن التجنيد وصار اختيارياً، كم سيكون عدد الأسر التي ترسل أبناءها للتجنيد في جيوش بلاليص ستان، وكم من هؤلاء الأبناء سيوافق ويقاتل معها؟

---

١) آثار محمد علي في مصر، مجلة المنار، مجلد٥، ج٥، ص١٨٢، غرة ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م.

حروب أول الآتين من الخلف

العقيدة القتالية لجيش أول الآتين من الخلف:

والآن جاء أوان أن تعرف العقيدة القتالية لجيش أول الآتين من الخلف، والتي ورثتها عنه جيوش بلاليص ستان في كل عهودها.

ومرة أخرى، العقيدة القتالية لجيش أول الآتين من الخلف، ولأي جيش، تعرفها من الحروب التي خاضها، ومع مَن ضد مَن، ومَن يكون أولياؤه وأعداؤه، ومِن تكوين قادته وجنوده وسمتهم، ومن توجهات الدولة التي تُنشئه، والمسار الذي تسير فيه، وليس من الأغاني التي تقول إنها جيوش بلاليص ستان، وهي في حقيقتها، كما ترى، امتداد لجيوش الغرب اليهودي الماسوني، وهو الذي صنعها ويُرضعها بالمال والسلاح، أو تقول إنها تحمي بلاليص ستان، بينما هي توطئها لأعدائها وتقربهم من مآربهم، وأيضاً ليس من الخطب، التي يُخرِجون الموظفين من المخازن من حين لآخر، ليلقوها في الناس عن أن الحروب التي تخوضها جهاد في سبيل الله، وهي في حقيقتها جهاد في سبيل بني إسرائيل، ولا تراهم فيها يقاتلون ولا يقتلون إلا من يستقبلون القبلة ويُصلون ويصومون.

ولكي لا تضللك الأغاني والخطب والشعارات، لا تنس أبداً ولا يغب عن وعيك، أن الجيوش ليست معياراً ولا ميزاناً، وأن الحكم عليها بموافقتها أو مخالفتها للمعيار والميزان، وليس بما تحرزه من انتصارات، ولا ما تحققه من أمجاد لمن يقودونها، وإلا لكان أولى الناس بالاتباع الأباطرة والقياصرة من ذوي الإمبراطوريات الجبارة والجيوش الجرارة.

فإليك المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، يخبرك بالعقيدة العليا لجيش أول الآتين من الخلف، والغاية من حروبه كلها، وما أفضت إليه:

"حروب مصر في عهد محمد علي باشا هي التي مكنتها من تحقيق استقلالها القومي، ولولا تلك الحروب لما تكوَّن ذلك الاستقلال ورجعت البلاد الى عهد الحكم التركي ... ففي ميدان الحروب تكونت الدولة المصرية الحديثة، وحققت استقلالها ... وإذا ما تراخت قوة

الأمة وإعتراها الوهن والضعف، أو تطوحت وركبت متن الشطط، أو تخاذل أبناؤها وتفرقت كلمتهم، استُهدف استقلالها للخطر، ولا يلبث أن تعصف به أطماع الغزاة والمستعمرين، فتلك الحروب التي خاضت مصر غمارها في عهد محمد علي هي السبيل التي أوصلتها الى تحقيق استقلالها، وتأليف وحدتها، وحفظ كيانها، وبلوغ مركزها الدولي، والمكانة التي نالتها بين الدول هي ثمرة تلك الحروب أولاً"[1].

وما قرأته للمؤرخ الأمي نموذج على الأغاني التي يؤلفها الأميون، فيُزورون فيها التاريخ ويطمسون الحقائق، ويذيبون بها المعايير والموازين، في أذهان عموم الناس، ويستغفلونهم بشعاراتها الفخمة الخاوية وعباراتها الرنانة المجوفة.

فتتبه أن المؤرخ الأمي يخبرك في أغنيته أن حروب أول الآتين من الخلف حققت لمصر استقلالها ومكانتها الدولية، بينما كتابه: عصر محمد علي، الذي وضع فيه هذه الأغنية، ألفه سنة ١٩٣٠م، ومصر تحت الاحتلال البريطاني، وجيوش بريطانيا ترابط فيها، ولا يتنفس ملكها ولا حكومتها إلا بإذن من المندوب السامي البريطاني، واليهود يسيطرون على اقتصادها وإعلامها، ونشروا فيها المحافل الماسونية والحركات الشيوعية، والصهاينة يسرحون فيها ويمرحون.

ثم تنبه أنه يخبرك في ثنايا أغنيته عن جيش أول الآتين من الخلف وحروبه، أن الأمة إذا تفرقت كلمتها اعتراها الوهن وعصف بها الغزاة والطامعون، وهذا الجيش وهذه الحروب التي يتغنى بها، هي التي فرقت الأمة، وجعلت مصر غرضاً للغزاة والطامعين، فلولا ما فعله أول الآتين من الخلف بجيشه ودولته، ما صارت مصر تابعة لفرنسا، ولا تمكنت بريطانيا من غزوها، ولا سارت في المسار الذي رسمه لها القباليون والماسون في هذه وتلك، ولا تسرب اليهود في غلاف الجميع ليبتلعوا كل شيء فيها، ويحولوها إلى مطية لهم يصلون على ظهرها إلى غايتهم.

---

١) عصر محمد علي، ص١١٧.

والاستقلال القومي الذي يتغنى المؤرخ الأمي بالجيش والحروب التي حققته، معناه الحقيقي كما أخبرناك، تكوين هوية منفصلة لمصر، وإزاحة عقيدة الوحي الإلهية منها بعقيدة بني إسرائيل القومية، من أجل عزلها عن بلاد الإسلام، وضرب الدولة الجامعة لشعوبه، وتفكيك الشرق كله بهذه العقيدة التوراتية، وتهيئته للمشروع اليهودي، وتحويل الدول التي تكونت بها إلى حمير للإمبراطوريات الماسونية، وتسييرها من خليجها السائم إلى محيطها الهائم، في المسار الذي ينتهي بإعادة دولة بني إسرائيل وإقامة هيكلهم.

خاض أول الآتين من الخلف بجيشه أربع حروب، هي حملته على الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، وحربه في السودان، وفي شبه جزيرة المُورة في اليونان، وحملته على الشام والأناضول.

وحملة أول الآتين من الخلف على الشام وحربه مع الدولة العثمانية، هي حربه الحقيقية، وما من أجله بَنت له الإمبراطوريات الماسونية، فرنسا وإنجلترا، جيشه وأسطوله، وهي الهدف الخبيء من دولته كلها، وأول خطوة في المشروع اليهودي، ولكنها الحملة والحرب التي ما كان في إمكانه أن يخوضها إلا بعد أن يستولي على مصر، وينشب أنيابه ومخالبه فيها، ويزيح منها كل قوة تنازعه أو تعرقل ما يريده، الأزهر والمماليك، ثم يبني دولته وجيشه الموصول بالغرب، فيكون عسيراً على الدولة العثمانية إزاحته من مصر، لتكون الخطوة التالية أن يقاتلها وينتزع منها الشام نيابة عن الإمبراطوريات الماسونية، لينتزعوها هم منه في الخطوة الثالثة، فتصير مهيئة بعزلها عن الدولة العثمانية وعن مصر معاً للخطوة الرابعة، ألا وهي إقطاعها لليهود وجلبهم إليها وبدء مشروعهم فيها.

وحروب أول الآتين من الخلف كلها، قبل حملته على الشام، ليست سوى تمهيد لهذه الحملة، ولحربه الحقيقية مع الدولة العثمانية، وخطوات نحوها، يستكمل بها قوته، وهي غايته الخبيئة في نفسه، والتي كان يضمرها وهو يكوِّن جيشه الضال ويصنع دولته.

وينقل المؤرخ البريطاني هنري دودويل، في كتابه: مؤسس مصر الحديثة، عن المؤرخ العسكري الفرنسي جورج دَوين George Douin، أنه مع بداية الحرب في المُورة، سنة

١٨٢٥م، أرسل الجنرال بوييه Boyer، أحد المستشارين العسكريين لأول الآتين من الخلف، رسالة إلى الجنرال بليار Pilliard، يخبره فيها أن أول الآتين من الخلف، ولم يكن قد استكمل بناء جيشه بعدُ، قال له:

"**بعد أن تنتهي الحرب في المُورة، سأستدعي قواتي، وأنظم صفوفها، وأدرب قوات جديدة، وسأصل بجيشي إلى مائة ألف جندي، وحينئذ سأغزو اليمن، وأسيطر على البحر الأحمر والخليج الفارسي، وسأنتزع باشويتَي دمشق وعكا، ولن أتوقف إلا عند دجلة والفرات**"[1].

وقبل أن نعرفك بحملة أول الآتين من الخلف على الشام وحربه الحقيقية، وغايته الخبيئة هو والإمبراطوريات الماسونية منها، إليك نبذة عن حروبه قبلها، وأهدافه منها.

الحملة على الحركة الوهابية:

أما حملة أول الآتين من الخلف على الحركة الوهابية في نجد والحجاز، فبعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود، حاكم الدرعية، تمكن جيش الحركة الوهابية من إخضاع قبائل نجد، ثم غزا الحجاز، وأخذ مكة سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، والمدينة سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، بعد أن أخرج الحاميات العثمانية منها.

وبناءًا على أوامر السلطان العثماني محمود الثاني، وجَّه أول الآتين من الخلف حملتين إلى الجزيرة العربية، الأولى سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م، بقيادة ابنه طوسون، والثانية سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م، بقيادة ابنه إبراهيم، يصاحبه فريق من الضباط الفرنسيين، على رأسهم رئيس أركان جيشه المسيو فسيير Vaissiere، وانتهت الحملتان باستعادة مكة والمدينة من الحركة الوهابية في الأولى، والاستيلاء على الدرعية في الثانية.

فإليك المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، يخبرك بأهداف أول الآتين من الخلف، من حملتيه على الحركة الوهابية:

---

1) The Founder Of Modern Egypt, P76-77.

"ولم يخض غمارها الا استجابة لنداء تركيا ... رأى محمد علي أنه إذا نجح حيث أخفقت تركيا، واستطاع بقوة جيشه أن يقضي على دولة الوهابيين، ويستخلص منهم الأراضي المقدسة، فلا جرم أن يتوطد مركزه وتسمو مكانته حيال تركيا، فلا تعود تفكر في عزله أو تغييره، ولا تستطيع أن تعامله معاملة سائر الولاة الذين كانت تتصرف فيهم بالعزل والنقل، بل يدعوها تطور الحوادث إلى أن تعامله معاملة الند للند، أو الحليف للحليف، ويتدرج مركزه من والٍ تابع إلى حاكم مستقل ... أضف إلى ذلك أنه إذا لم يُلب دعوة السلطان ويتأهب لمحاربة الوهابيين، فإن ذلك يكون مبرراً لعزله، ولم يكن مركزه بعدُ قد استقر حتى لا يحسب حساباً لأوامر الأستانة، بل كان عليه أن يتقي شرها حتى ترسخ دعائم ملكه، فالحرب الوهابية كانت إذن وسيلة لتوطيد مركز محمد علي، كما أنها سبيل لرفع شأن مصر وإعلاء مكانتها، وتمهيداً لتتبوأ المركز الذي نالته من بعدُ بين الدول، وليس ثمة حرب تُعلي مكانة مصر وتُنِيلها مركزاً ممتازاً وتكسبها عطف الشرق والعالم الإسلامي مثل الحرب الحجازية، فقد كان الغرض منها إنقاذ الحرمين الشريفين من حكم فرقة الوهابية، وتجديد ما بين الأمم الإسلامية من الصلات الأدبية والاقتصادية، وإعادة مناسك الحج، وتأمين السبيل للحجاج الذين يأتون كل عام من مشارق الأرض ومغاربها"[١].

فحملة أول الآتين من الخلف على الحركة الوهابية، لم تكن حربه، بل اضُطر إليها، لكي لا يصطدم بالدولة العثمانية وتعزله، فكانت حرباً من أجل توطيد سلطته في مصر، وخطوة في طريق إعداد عدته وتأهيل جيشه لقتال الدولة العثمانية وفصل مصر عنها.

أما ما ذكره المؤرخ الأمي عن رفع شأن مصر وإعلاء مكانتها، بإنقاذ الأراضي المقدسة، وتجديد الصلات بين الأمم الإسلامية، وتأمين الحج، فليست سوى أغنية أخرى لا علاقة لها بأهداف أول الآتين من الخلف الحقيقية، وهي نموذج مثالي يجعلك على يقين مما أخبرناك به، وهو أن الحكم على الجيوش ليس بالشعارات التي ترفعها ولا بالأغاني التي تُؤلَف فيها، بل بعقيدتها القتالية، وسمات الدولة التي كونتها وتقاتل باسمها، وبسلوك قادتها وجنودها.

---

١) عصر محمد علي، ص١١٩-١٢٠.

فإليك الجبرتي في تاريخه، يخبرك بوصف جيش أول الآتين من الخلف، إبان حملته الأولى على الحركة الوهابية، وقد وصفه له أحد أكابر العسكر، بعد أن مُني بهزائم عدة وخسائر جسيمة، قبل أن يستعيد مكة والمدينة:

"قال لي بعض أكابرهم (العسكر) من الذين يدعون الصلاح والتورع: "أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا ينتحل مذهباً، وصحبتنا صناديق المُسكرات، ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وينتظمون صفوفًا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة، أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف، فتتقدم طائفة للحرب، وتتأخر الأخرى للصلاة، وعسكرنا يتعجبون لأنهم لم يسمعوا به، فضلًا عن رؤيته، وينادون في معسكرهم: هلموا إلى حرب المشركين، المحلقين الذقون، المستبيحين الزنا واللواط، والشاربين للخمور، التاركين للصلاة، الآكلين الربا، القاتلين الأنفس، المستحلين للمحرمات، وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غُلْفاً غير مختونين، ولما وصلوا بدراً واستولوا عليها، وعلى القرى والخيوف، وبها خيار الناس، وبها أهل العلم والصلحاء، نهبوا وأخذوا نساءهم وبناتهم، وأولادهم وكتبهم، فكانوا يفعلون فيهم ويبيعونهم من بعضهم لبعض، ويقولون: هؤلاء الكفار الخوارج، حتى اتفق أن بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته، فقال له: "تبيت معي هذه الليلة، وأعطيها لك من الغد"[1].

فالجيش الذي يقول لك المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي في أغنيته إن هدفه من حملته، كان إعلاء شان مصر بإنقاذ الأراضي المقدسة وتجديد الصلات بين أمم الإسلام وتأمين الحج، كان جيشاً من الخمورجية والزناة واللواطين.

أما ما ذكره الجبرتي، من أن العسكر في جيش أول الآتين من الخلف، كانوا يسمون جيش الحركة الوهابية الذي خلع طاعة الدولة العثمانية وقاتل قواتها خوارج، ويكفرونهم بذلك

---

١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، ص٢٢٦.

ويستحلون دماءهم ونساءهم وأموالهم، فهي مسألة أخرى لحفظة الأكلشيهات، بعد أن دار الزمان، وصاروا هم مَن يُحلون للآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود دماء من يصلون ويصومون بدعوى أنهم خوارج.

وليست هذه هي المفارقة فقط، بل الشيء العجيب الذي لا تجد له تفسيراً، أن بلاليص ستان في مسارها اليهودي الماسوني، تمتليء بمن يعارضون الحكام من العلمانيين والشيوعيين، وما ينشئونه من أحزاب ليبرالية ويسارية تنص في برامجها على العمل للوصول إلى السلطة، وتحشد أنصارها وتخوض الانتخابات من أجل ذلك، ثم لا تجد حفظة الأكلشيهات قد هاجوا وماجوا، ولا وصموا أحداً بأنه من الخوارج، إلا إذا كان ممن يطالبون بشرائع الإسلام ويصلون ويصومون!

وبعد أن صارت كلمة الخوارج مضغة في أفواه حفظة الأكلشيهات، يرمون بها دون تمييز كل من لا يوافق حكام بلاليص ستان، أو يوافق مذهبهم في طاعتهم، فالمسألة هي: مَن يكون الخوارج، وما هي ضوابط إدخال أحد في هذا الوصف أو إخراجه منه، وإذا خلع أحد طاعة مَن خلع طاعة الذي قبله، فلماذا وبأي ميزان يُفرِّق حفظة الأكلشيهات بينهما، فيوجبون الطاعة لأحدهما، ويكون الآخر عندهم من الخوارج؟!

وأما حملة أول الآتين من الخلف على السودان، والتي بدأها سنة ١٨٢٠م واستمرت أربع سنوات، فأسبابها وتفسير المؤرخين لها، هي:

"**رغبة محمد علي في اكتشاف مناجم الذهب والماس التي تناقل الناس أنها موجودة في أصقاع السودان، وخاصة في سنار، ثم إمكان تجنيد السودانيين في الجيش المصري النظامي، لما اشتهر به الجنود السودانيون من الصبر والشجاعة والطاعة للرؤساء ... ومن أغراضه أيضاً القضاء على البقية الباقية من المماليك الذين كانوا لاجئين الى إقليم دنقلة، وهم على ما بلغوا إليه من الضعف كانوا مصدر قلق لمحمد علي، فاعتزم القضاء عليهم لكي لا يستردوا قوتهم يوماً ما ويزحفوا على مصر، وكان يرمي كذلك إلى توسيع ملك مصر من الجنوب، واكتشاف منابع النيل، وايجاد الروابط الاقتصادية بين مصر والسودان، وتوسيع**

نطاق المعاملات التجارية بينهما ... ويلوح لنا أن ضمان سلامة مصر وتأليف وحدتها السياسية والاطمئنان على منابع النيل كانت من أهم البواعث التي حفزت محمد علي إلى فتح السودان"[1].

وهي كلها، كما ترى، أسباب تخص أول الآتين من الخلف وحده، ويسعى من خلالها إلى توطيد سلطته وتوسيع نفوذه والتخلص من غرمائه، واستعباد أبناء السودان لتجنيدهم في جيشه، والبحث عن مصادر المال اللازمة لذلك.

أما ما ذكره المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، من أن هدفه الاطمئنان على سلامة مصر وتأليف وحدتها السياسية، فتنبه مرة أخرى أن المؤرخ الأمي، لأن هواه مع أول الآتين من الخلف وما فعله بمصر، وذهنه ونفسه تكونت في ظلال الدولة التي وضع أسسها، وكتب كتبه كلها في عهد أبنائه وأحفاده، فهو يقرطس من يخاطبهم بتاريخه، ويحدثهم عن أول الآتين من الخلف الذي لا يتكلم العربية مطلقاً، وليس في حملته على السودان مصري واحد، ووُلد وشب على شاطيء بحر إيجة في حارة اليهود في اليونان، وكأنه ابن قرية في دلتا مصر أو نجع في صعيدها.

حرب المُورة:

وأما عن حملة أول الآتين من الخلف على شبه جزيرة المورة في اليونان، ففي أوائل القرن التاسع عشر بدأ اليونان في تكوين جمعيات سرية ثورية من أجل الانفصال عن الدولة العثمانية، بتحريض ودعم من روسيا والنمسا، وكانتا تحتضنان زعماء هذه الحركات وقادتها، وفيهما مقراتها الرئيسية، وكانت روسيا والنمسا في حروب متواصلة مع الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر.

واندلعت ثورة مسلحة في شمال اليونان، تقودها الجمعيات السرية والحركات الثورية، ثم امتدت في شهر مارس سنة ١٨٢١م إلى المورة في الجنوب، بقيادة جرمانوس Germanus،

---

١) **عصر محمد علي، ص١٥٦-١٥٧.**

أسقف مدينة باتراس Patras، شمال المورة، وهي ثالث أكبر مدن اليونان، وقام الثوار بمهاجمة السفن العثمانية في الممرات المائية بين جزر أرخبيل المُورة، وفي البحر المتوسط، بالحراقات Fireships والسفن الحربية، التي أمدتهم بها روسيا، واستولوا على مدن المورة، وفي ٢٣ سبتمبر من السنة نفسها تمكنوا من دخول عاصمة المورة، تريبوليتسا Tripolitza، وذبحوا، كما يقول المؤرخ الإنجليزي وأستاذ التاريخ هنري دودويل، ثمانية آلاف من المسلمين، رجالاً ونساءاً واطفالاً Sloughtered 8000 Muslem Men, Women and Chidren [١].

وفي ١٤ جمادى الأولى ١٢٣٩هـ/١٦ يناير ١٨٢٤م، أصدر السلطان محمود الثاني فرماناً، يكلف فيه أول الآتين من الخلف بإرسال أسطوله لمعاونة الأسطول العثماني في إخماد ثورة المورة، فإليك وصف المؤرخ عبد الرحمن الرافعي لأسباب اشتراك أول الآتين من الخلف في الحملة على المُورة:

"كان هذا الفرمان بمثابة توسيع لنطاق الدولة المصرية، وبسط لنفوذها في ما وراء البحار، وبالتالي يرفع من شان محمد علي ويزيد من مكانته ... كما أن استنجاد تركيا بجيشه كلما قصرت يدها وعجزت عن مقاومة الثورات، سواءًا في الحجاز أو اليونان، مما يزيده فخراً ويوطد مركز الدولة المصرية التي أنشأها، فلم يكن هناك بد من تلبية دعوة تركيا ... فقد كان لا يزال والياً، وللسلطان رسمياً أن يعزله"[٢].

والمؤرخ الأمي يخبرك أن أول الآتين من الخلف اشترك في الحملة على المورة انصياعاً لفرمان السلطان العثماني، ومن أجل توطيد مكانة مصر وتوسيع نفوذها، وما في أغنية المؤرخ الأمي، ليس سوى تزوير وتدليس وإخفاء، فأول الآتين من الخلف اشترك في حملة المورة مكرهاً، واشترك فيها وهو يتواطأ مع فرنسا وإنجلترا على الدولة العثمانية، ويتفاوض معهما على الاشتراك في الحملة ظاهرياً وإبقاء جيشه وأسطوله خاملاً قدر الإمكان، بل وهو يشجع الحركات الثورية اليونانية، ويراها تتكون تحت سمعه وبصره في مصر!

---

1) The Founder Of Modern Egypt, P69.

٢) عصر محمد علي، ص١٩٣-١٩٤.

يقول المؤرخ الإنجليزي وأستاذ التاريخ في جامعة لندن هنري دوديل، في دراسته الأكاديمية: مؤسس مصر الحديثة، إنه مع بداية الثورة على الدولة العثمانية في اليونان:

"تكونت جمعيات ثورية يونانية Greek Revolutionary Societies، في القاهرة والإسكندرية، ولم يفعل محمد علي شيئاً لمنع نشاطها وإعاقة تدفق المتطوعين اليونان على الإسكندرية، بل قام هو نفسه بتكوين جمعية من العبيد اليونان الذين أرسلهم إليه داي الجزائر Dey Of Algiers"(١).

ويفسر دودويل ذلك، بأن أول الآتين من الخلف كان يدرك أن الثورة في اليونان ضربة للباب العالي، وكل إضعاف للدولة العثمانية يزيد من قوته في مواجهتها، ويُقربه من تحقيق أغراضه.

فلا تعجب وأنت تقرأ ما يخبرك به هنري دودويل، من أن السفن الحربية التي كوَّن بها أول الآتين من الخلف أسطوله الذاهب إلى المورة للقضاء على ثورة اليونان، جاءته من مختلف دول أوروبا، وبعضها جاءه من الثوار اليونان أنفسهم!!

يقول دودويل، نقلاً عن المؤرخ العسكري الفرنسي جورج دَوين، وعن تقارير فرنسية وإنجليزية أخرى، إن:

"الباشا لم يكن عنده أسطول في البحر المتوسط يكفي لشن الحملة، ولزيادة قوته البحرية، وصلته بناءًا على طلبه أربع سفن من البحرية الإيطالية، واشترى خمساً أخرى بطريقة غير مباشرة Indirectly من المتمردين اليونان Greek Rebels(!)، وأعاد ضابطا فرنسياً إلى فرنسا، ليقوم ببناء بارجتين وسفينة شراعية في مارسيليا لحسابه، بالاتفاق مع البحرية الفرنسية وتحت إشراف ضباطها، وجلب التجار اليونان عدداً من السفن لحساب محمد علي، رغم أن آباءهم كانوا يُقتلون في خايوس Chios، وبُني عدد آخر من السفن في فينيسيا ولِجهورن"(٢).

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 69.
2) The Founder Of Modern Egypt, 73.

والذي أخبرك به المؤرخ الإنجليزي دودويل، هو تفسير تلك العبارة الغريبة، التي يخبرك المؤرخ المصري إلياس الأيوبي، أن أول الآتين من الخلف قالها، حين بلغه نبأ تدمير الأسطولين الفرنسي والبريطاني لأسطوله مع أسطول الدولة العثمانية في معركة نفارين.

في ٦ يوليو سنة ١٨٢٦م، وقَّعت بريطانيا وفرنسا وروسيا معاهدة لندن الأولى، واتفقوا فيها على استقلال اليونان مع بقاء السيادة التركية الاسمية عليها، ثم أرسلوا أساطيلهم إلى اليونان، لإجبار الدولة العثمانية على قبول المعاهدة.

ومع وصول الأساطيل الأوروبية إلى اليونان، كانت تعليمات أول الآتين من الخلف لابنه إبراهيم، الذي كان يقود الحملة على المورة، بمعاونة أركان حربه الكولونيل سيف، وأسطوله يرابط في ميناء نفارين، هي:

"**التزام خطة السلم، وتجنب الاصطدام مع الدول الأوروبية أو التحرش بها، حتى ولو طلب الباب العالي ذلك**"[١].

وفي يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧م، اقتحم الأسطولان الإنجليزي والفرنسي ميناء نفارين Navarin، وقاما بتدمير الأسطول العثماني وأسطول أول الآتين من الخلف، فكان هذا هو تعليقه حين بلغه النبأ:

"**لا أدري كيف صوَّب الفرنساويون مدافعهم على سفنهم**"[٢]!!

فهلا تيقنت الآن، أن جيش أول الآتين من الخلف، وجيوش جميع الآتين من الخلف، ليست جيوش بلاليص ستان وأهلها، بل هي امتداد لجيوش الإمبراطوريات الماسونية فيها، وهم ليسوا سوى وكلاء عنهم في قيادتها وركوب بلاليص ستان بها!

---

١) **عصر محمد علي، ص٢٠٧.**

٢) **محمد علي سيرته وآثاره، ص١١٧.**

ومن تصويب الفرنساويين مدافعهم على أسطول أول الآتين من الخلف وتدميره، وهو رَجلهم، وأسطوله هم من صنعوه، تعلم أن جميع الآتين من الخلف في بلاليص ستان لهم وظيفة محددة داخل السيناريو الواسع الذي رسمته الإمبراطوريات الماسونية لبلاليص ستان، ولهم أن يفعلوا ما شاءوا داخل السيناريو، فإذا تجاوزوا حدود الدور المرسوم لهم، أو تحقق الهدف من توظيفهم وانتهى دورهم، وجاء أوان خطوة جديدة، خلعوهم من أرجلهم وانتعلوا غيرهم، كما فعلوا بثاني الآتين من الخلف من قبلُ، وكما سيفعلون بثالث الآتين من الخلف من بعدُ، وكما فعلوا بأول الآتين من الخلف نفسه، حين تركوه يستنزف الدولة العثمانية ويقطع منها الشام بأموال مصر وأرواح أبنائها، ليشدوا هم على يديه ويشكروه ويأخذوها منه، دون أن يتكلفوا عناء القتال وخسارة الرجال والأموال.

وهو ما يصل بك إلى علاقة أول الآتين من الخلف بإنجلترا، التي يزعم كُتاب الأغاني والمؤرخون الأميون أنها كانت عدواً له.

يقول دودويل، إن أول الآتين من الخلف بعد أن صرَّح لمستشاره العسكري الفرنسي، الجنرال بوييه، بنيته في غزو اليمن وانتزاع باشويتي عكا ودمشق، والوصول لدجلة والفرات، قال له بوييه:

"وهل سيتركك الإنجليز، ويمنحونك الفرصة لتحقيق مشروعك؟"

وكانت إجابة أول الآتين من الخلف، أنه:

"يدرك أنه لن يتمكن من تحقيق مشاريعه إلا إذا حدث تفاهم Understanding بينه وبين بريطانيا العظمى، ووافق الإنجليز على التعاون معه، ولكنه في الوقت نفسه أكثر واحد في العالم يدرك أنه لكي يحدث ذلك لابد أن تتوتر علاقته مع السلطان توتراً شديداً Severly Strained، إن لم تكن قطيعة كاملة Absolutely Broken"[١].

---

1) **The Founder Of Modern Egypt, 77.**

وما قاله أول الآتين من الخلف لمستشاره الفرنسي، هو خلاصة المسار اليهودي الماسوني الذي شقه لبلاليص ستان، وسارت وما زالت تسير فيه، وهو حقيقة الاستقلال الوهمي الذي يؤلف الأميون فيه الأغاني والأناشيد، ألا وهو قطعها عن الاسلام وبلاده وتاريخه، ووصلها بالغرب، والسير بها خلف إمبراطورياته الماسونية نحو غاية اليهود.

ومن أجل التفاهم مع بريطانيا والتعاون مع الإنجليز، أرسل أول الآتين من الخلف قنصل بريطانيا في مصر، سولت Salt، سنة ١٨٢٠م، إلى لندن، في مهمة، فهاك هي من تقرير سولت نفسه وبنص كلماته:

"رجلنا الكبير Our Great Man طلب مني أن أجري اتصالات وتفاهمات لا يمكنني تسجيلها على الورق I Can Not Commit On Paper"[1]!

وفي ١٠ يونيو سنة ١٨٢٦م، أرسل سفير بريطانيا في الأستانة ستراتفورد كانينج Stratford Canning، رسالة إلى القنصل في مصر، سولت، يخبره فيها أن:

"أسهل وسيلة لهز الدولة العثمانية، وإزالة تصلبها بشأن اليونان، هي تقديم المساعدة لباشا القاهرة To Enlist The Aid Of The Pasha Of Cairo، على أن يكون ذلك جزءًا من صفقة، يدفع فيها اليونان ثمن استقلالهم للباب العالي، ويكون لإبراهيم باشا باشوية سوريا، وهي صفقة أكثر فائدة وربحاً لمحمد علي من قتال اليونان وتكلفته الباهظة"[2].

والسيناريو الذي رسمه البريطان لأول الآتين من الخلف، كما ترى، هو نفسه السيناريو الذي يريده ورسمه لنفسه، وهم يعلمون ذلك، ولكنه ككل الآتين من الخلف في بلاليص ستان، لا يدرك أن دوره في سيناريو الإمبراطوريات الماسونية له حد، فإذا بلغه افترق السيناريوهان، وانتهى السيناريو الذي رسمه هو ويتوهمه ويعيش فيه، وانتقل سيناريو الإمبراطوريات الماسونية نقلة جديدة لا مكان له فيها.

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 83.
2) The Founder Of Modern Egypt, 83.

والصفقة التي وصفها سفير بريطانيا في الأستانة، صارت إحدى ركائز المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان في كل عصورها، وإحدى وسائل تطويره والانتقال به من مرحلة إلى أخرى، من أول الصفقة مع أول الآتين من الخلف في القرن التاسع عشر وحتى صفقة القرن في القرن الحادي والعشرين، وعناصرها كما رأيت في رسالة السفير، وكما تراها في زمانك، هي إقطاع الإمبراطوريات الماسونية إحدى دول بلاليص ستان للحاكم وتنصيبه عليها، وإمداده بما يُخضِع له أهلها، أو إعطاؤه الضوء الأخضر لتوريث الحكم لأولاده، في مقابل حل رابطة الإسلام والابتعاد عنه درجة أو درجات، وإحلال الرابطة القومية التوراتية محله، والسير خلف هذه الإمبراطوريات في اتجاه غاية بني إسرائيل، والاقتراب منها خطوة أو خطوات.

وبناءً على رسالة السفير كاننج وتعليماته، بدأ القنصل سولت سلسلة من اللقاءات والنقاشات مع أول الآتين من الخلف، وطلب فيها سولت منه التعاون مع الحكومة البريطانية في مسألة اليونان، وأن يقوم بسحب قواته من شبه جزيرة المُورة، فكان رد أول الآتين من الخلف عليه، أنه:

"لا يوجد شيء يرغب فيه أكثر من التعاون بين إنجلترا ومصر England And Egypt Might Be Of Use Of Each Other, There Is Nothing I Desire More، ولكنها ليست مسألة سهلة، لأن السلطان متعصب Bigoted، ولكي يفعل ذلك يحتاج إلى معاونة من بعض الرجال النافذين"[1].

وفي آخر لقاء بين سولت وأول الآتين من الخلف، وكان يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٢٦م، صارت المطالب صريحة، ودار بينهما الحوار التالي، الذي ينقله المؤرخ دودويل من رسالة سولت إلى السفير كاننج في الأستانة، التي أرسلها إليه يوم ١ أكتوبر ١٨٢٦م، والمحفوظة في أرشيف الخارجية البريطانية:

"الباشا: أنا الآن أضع قدمي في ركابين In Two Stirrups، وسوف تظل الأمور هادئة ومستقرة حتى الربيع القادم، وإذا قدمت لي حكومتك خلال هذه الفترة مقترحات ترضيني،

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 84.

فسوف أقبل عرضها، وسوف أجد بالتعاون معها الطريقة التي أتمكن بها من سحب قواتي من اليونان ...

سولت: وما هي الخدمات التي تتوقعها من إنجلترا في مقابل ذلك؟

الباشا: المعاونة في بناء قواتي البحرية، وحريتي في التوسع في البلاد العربية Liberty To Expand In Arabia"[1].

وكانت إضافة القنصل سولت في رسالته إلى السفير كاننج، عن مطالب أول الآتين من الخلف:

"أنا مقتنع أنا الباشا يريد من كل قلبه كسب موافقة حكومتنا واعترافها باستقلاله His Indipendence، إذا انفجرت علاقته مع الباب العالي، ولكنه حذر في الاقتراب من هذه النقطة"[2].

وفي انتظار رد الإنجليز على عرضه ومطالبه، أرسل أول الآتين من الخلف رسالة في ٧ يناير سنة ١٨٢٧م إلى الصدر الأعظم في الأستانة، يشترط فيها لكي يستكمل حملته على المُورة، إزالة خسرو باشا من قيادة الأسطول العثماني، وخسرو باشا هو خصمه السابق في مصر، إبان زحفه بالدسائس والمؤامرات حتى وصل إلى حكمها.

ورغم موافقة الباب العالي على تنحية خسرو باشا من قيادة الأسطول العثماني، وإصدار فرمان بأن تكون القيادة العليا في المورة لأول الآتين من الخلف وابنه إبراهيم، ظل يتلكأ في إرسال التعزيزات إلى المورة، وترك الأسطول مرابطاً في الإسكندرية إلى منتصف شهر يونيو، وكان يتكون من ١٨ سفينة حربية مصرية، و١٦ سفينة تركية، و٦ حراقات، و٤٠ مركبة لنقل الجنود.

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 84.
2) The Founder Of Modern Egypt, 85.

وفي الوقت نفسه:

"بدأ في الضغط على قنصل بريطانيا، للحصول على رد على عرضه ومطالبه، وأخبره أنه لن يستطيع تأخير حركة أسطوله إلى الأبد His Flett Could Not Be Delayed Forever"[١].

وفي ١١ يونيو سنة ١٨٢٧م:

"أخبر محمد علي القنصل سولت، أن رغبته تتوافق مع ما تريده الحكومتان البريطانية والفرنسية، واقترح أنه في حالة إذا ما قررت الحكومتان التدخل بالقوة في اليونان، فمن الأفضل أن تظهر أساطيلهما أولاً أمام الإسكندريةAppear Before Alexandria، للقيام باستعراض للقوة، يجبر الباب العالي على إيقاف الحرب، وحيئذ سيسحب الباشا قواته وابنه إبراهيم فوراً من المورة"[٢].

وفي يوم ٦ أغسطس، وتحت ضغط الباب العالي، اضُطر أول الآتين من الخلف، إلى تحريك أسطوله من الإسكندرية إلى المورة، وبعد يومين من إقلاعه وصل الرد الإنجليزي على عرضه ومطالبه مع مبعوث خاص، وينقل المؤرخ دودويل عن كتاب: معركة نَفارين Navarin، للمؤرخ العسكري الفرنسي جورج دَوين، أن سفير بريطانيا في الأستانة، ستراتفورد كاننج، كتب في أحد تقاريره، إنه:

"لو أخر محمد علي تحريك أسطوله هذين اليومين، أو وصل المبعوث الإنجليزي قبل إقلاعه، لما وقعت معركة نَفارين، ولما خسر أسطوله Navarino Would Never Have Been Fought"[٣]!

ويقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 87.
2) The Founder Of Modern Egypt, 87.
3) The Founder Of Modern Egypt, 91.

"وأرسلت إليه الحكومة الإنجليزية تُبدي أسفها الشديد على ما لحق بالأسطول المصري في موقعة نفارين"(١).

والمؤرخ الأمي لم يهتم بأن يفسر لمن يكتب لهم، لماذا أبدت الحكومة الإنجليزية أسفها الشديد لأول الآتين من الخلف على تدمير أسطوله، وهو يقول في كتابه إنها كانت عدواً له، وتريد عرقلة مشروعه في الاستقلال بمصر، فإليك التفسير.

في ٨ أغسطس سنة ١٨٢٦م، وصل إلى الإسكندرية الميجور كرادوك Cradock، مبعوثاً من السفير كاننج في الأستانة، في مهمة خاصة وسرية، هي:

"إغراء الباشا بالتخلي عن المُورة، وإبلاغه أن القوى الكبرى اتفقت على التدخل في اليونان، وأن تدخلهم لن يكون لصالح الأتراك، وإذا عاند الأتراك، وانحاز الباشا إلى الباب العالي، فإن عواقب ذلك ستكون وخيمة Fatal على خططه لتطوير قدراته البحرية، وعلى مشاريعه التجارية، واللتان أحرز فيهما بالفعل قدراً كبيراً من النجاح"(٢).

وكان تقدير السفير كاننج، كما يقول دودويل، أن أول الآتين من الخلف، سيتخلى عن المورة والباب العالي، ويتعاون مع الحلفاء، لأنه رجل حذر وداهية، ويبحث عن مصالحه، وليس مسلماً متعصباً Not Fanatical Mussulman، ولا تابعاً مخلصاً للباب العالي.

ومر أسبوع من اللقاءات والمفاوضات بين أول الآتين من الخلف والقنصل سولت والمبعوث الإنجليزي الخاص كرادوك، كان خلالها أول الآتين من الخلف متعاوناً ومرناً Amenable، وقال للميجور كرادوك إنه:

"سيرسل أوامره إلى ابنه إبراهيم بإيقاف الهجوم على هيدرا Hydra، وتوقيع هدنة مع أساطيل الحلفاء، وإبقاء أسطوله ساكناً"(٣).

---

١) عصر محمد علي، ص٢١٦.

2) The Founder Of Modern Egypt, 87-88.

3) The Founder Of Modern Egypt, 88.

وهيدرا هي إحدى جزر أرخبيل المورة، وكانت مركز الثورة ومعقل الثوار اليونان، ومقر حراقاتهم وسفنهم الحربية، وكان إبراهيم باشا يتأهب للهجوم عليها، بالاشتراك مع الأسطول العثماني، ودخولها والاستيلاء عليها يعني القضاء على الثوار وانتهاء ثورة اليونان.

وأشار القنصل سولت على أول الآتين من الخلف، أن ينتهز فرصة اتفاقه مع القوى الأوروبية الكبرى، ويعرض رغباته على إنجلترا، لأنه ربما لا تسنح له فرصة مثل هذه مرة أخرى، فكان رده:

"أريد من انجلترا أن تقف بجانبي Stand By Me، وسأرد لها دَينها I Shall Be Repaid، فمنذ فترة طويلة وأنا أرغب بشدة في الالتقاء معها وتكوين حلف تجاري دائم بيننا Lasting League Of Commerce، وأنا أشعر الآن أنها يمكن أن تساعدني"[1].

وكان رد القنصل سولت، أنه لن يخذله، وفي أول فرصة سيحمل مطالب أول الآتين من الخلف إلى إنجلترا، ويساعده في تحقيقها.

وهنا، كما ينقل دودويل عن مذكرة كتبها القنصل سولت نفسه، بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٨٢٧م:

"احمَّر وجهه Lit Up، وبرقت عيناه Flashed، وقال: "سوريا ودمشق والبلاد العربية هي رغبتي الحقيقية، وإذا ساعدتني حكومتكم، كما آمل، وإذا اعترفت بي كأمير مستقل Independent Prince، عندما تسنح لي الفرصة لذلك، سأكون ممتناً لها"[2].

وينقل دودويل عن تقرير القنصل سولت إلى السفير كاننج في الأستانة، أن المبعوث الخاص الميجور كرادوك، تعهد شخصياً لأول الآتين من الخلف، أنه:

"إذا تمكن من الاستقلال بمصر، فإن إنجلترا ستعترف به Would Be Recognized By England"[1].

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 88.
2) The Founder Of Modern Egypt, 88-89.

وهو ما يعني ضوءاً أخضر، بموافقة إنجلترا على دخوله في مواجهة عسكرية مع الدولة العثمانية، وتأييدها له فيها.

أرأيت إلى تاريخ بلاليص ستان المزور، الذي يبيعها فيه الآتون من الخلف من خريجي حواري اليهود، للإمبراطوريات الماسونية، خلف الأبواب المغلقة، ويبيعون معها شعوبها وعقائدها وتاريخها، من أجل ان تُقطعهم هذه الإمبراطوريات بلادها، وتُنصِّبهم حكاماً عليها، ثم لا تجد في كتاب الوزارة المقرر، وفي كتب التاريخ التي يكتبها البقر من الأميين، سوى الأغاني عن بناة النهضة والزعماء الخالدين والمنقذين المخَلِّصين.

وهذه كما أخبرناك، هي خلاصة تاريخ بلاليص ستان، منذ أول الآتين من الخلف، وحتى ثالث الآتين من الخلف، وما بينهما، وما حولهما.

وهدف إنجلترا الحقيقي من إيهام أول الآتين من الخلف بموافقتها على الإمبراطورية العربية التي يريد تكوينها، ليس تكوين هذه الإمبراطورية فعلاً، بل أن يكون كفاح أول الآتين من الخلف وقتاله لتحقيق ما أوهموه به، أداة هز الدولة العثمانية واستنزافها ثم قطع الشام منها، كما قرأت في رسالة السفير كاننج إلى القنصل سولت.

وهو السيناريو الذي تكرر بحذافيره بعد ذلك بقرن من الزمان، حين أغوى السير هنري مكماهون الشريف حسين بالتحالف مع إنجلترا في مواجهة الدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى، في مقابل مساعدته في نقل الخلافة إلى العرب وإنشاء خلافة عربية، لينتهي السيناريو فعلياً بهدم الدولة العثمانية وتمزيق بلاد العرب وإقامة الخلافة الإسرائيلية!!

وتكرار سيناريو كاننج وسولت مع أول الآتين من الخلف بحذافيره، في سيناريو مكماهون والشريف حسين، يثبت لك أن بلاليص ستان تستحق فعلاً اسمها، وعن جدارة!!

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 89.

الحملة على الشام والحرب مع الدولة العثمانية

غاية خبيثة وذريعة:

والآن جاء أوان حملة أول الآتين من الخلف على سوريا والشام، وحربه مع الدولة العثمانية، أو النسخة الأولى من سيناريو مكماهون والشريف حسين.

وغزو أول الآتين من الخلف للشام، لم يكن هدفه وحده، بل أيضاً هدف الإمبراطوريات الماسونية، فرنسا وبريطانيا، لأنه في الحقيقة غاية اليهود المتوطنة في رأس الجميع، من أجل تمهيده لمشروعهم، والفرق بينهم أن كلاً منهم يسعى لتحقيق هذه الغاية بطريقته، وبالتوافق مع مصالحه.

وهي الغاية التي كان يخفيها أول الآتين من الخلف في نفسه، وصرح بها لمستشاره العسكري الفرنسي، الجنرال بوييه، كما علمتَ، سنة ١٨٢٤م، إبان حرب المورة.

وأقدم ما سجله المؤرخون عن إضمار أول الآتين من الخلف لهذه الغاية في نفسه، الرسالة التي أرسلها مستشاره وقنصل فرنسا في مصر، الماسوني دروفيتي، إلى وزير الخارجية الفرنسي، في ١١ سبتمبر سنة ١٨١١م، وفيها أن:

"محمد علي يعتقد بإمكانية تنفيذ مخططاته للاستيلاء على سوريا ... وهو يدعي بإمكانية البرهنة على طموح مشروعاته وخطط استقلاله، من خلال العداوة التي نشبت بينه وبين سليمان باشا، الوزير الحالي لسوريا"(١).

فأول الآتين من الخلف أخبر مستشاره الماسوني وقنصل فرنسا، أنه يريد فصل مصر عن الدولة العثمانية، وغزو سوريا، سنة ١٨١٠م، قبل حملته على الحجاز وعلى المورة، وقبل أن

---

١) المؤرخ إدوارد دريو: محمد علي ونابليون، مراسلات قناصل فرنسا في مصر، ١٨٠٧م-١٨١٤م، ص٢١٦، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

يبدأ في تكوين جيشه النظامي، بل قبل أن يستقر في السلطة وينفرد بمصر، بمذبحة المماليك في القلعة، وإزاحة الأزهر ومشايخه.

وفي ٢٠ يونيو سنة ١٨١٢م، كتب الكولونيل مِسيت Misset، قنصل بريطانيا في مصر، تقريراً لوزارة الخارجية، وفيه، أن:

"**الباشا أخبرني أنه ينوي غزو فلسطين To Conquer Palestine، متى سمحت له الظروف بذلك**"[(١)].

أما نحن، فنقول لك إن هذه الغاية كانت خبيئة في نفس أول الآتين من الخلف، منذ أول يوم وطأت فيه قدمه أرض مصر، وهو يزحف إلى السلطة بالدسائس وضرب جميع الأطراف في بعضها، ومن أجلها رمت حارة اليهود في اليونان وتجار ليون مصر به، وما بين استيلائه على السلطة في مصر، وبين خروج هذه الغاية من نفسه إلى سياساته وحركة جيشه، ليس سوى الزمان اللازم لاستكمال عدته من أجل تحقيقها، وانتظار توافر الظروف والملابسات المناسبة والفرصة السانحة.

وقد تهيأت له الظروف والملابسات التي كان يريدها ويسعى بدولته وسياساته وجيشه من أجل توافرها، بهزيمة الدولة العثمانية في حرب المورة وتحطم أسطولها، وأتته الفرصة التي كان ينتظرها بدخول الباب العالي في حرب مع روسيا، بالضبط كما فعل ربيب اليهود من قبله، والنسخة البدائية منه، جوزيف دافيد/علي بك الكبير.

إبان الحرب مع اليونان، وفي عقب معركة نفارين مباشرة، أصدر السلطان محمود الثاني فرماناً في شهر أكتوبر سنة ١٨٢٧م، بإلغاء معاهدة آق كرمان، مع روسيا، التي كانت المحرض والحاضن الرئيسي لثورة اليونان الأرثوذكسية مثلها، وأتبع الفرمان في ٢٢ فبراير سنة ١٨٢٨م بإعلان إغلاق مضيقي البسفور والدردنيل أمام السفن الأوروبية، فشنت روسيا في أبريل سنة ١٨٢٨م الحرب على الدولة العثمانية، في سلسلة حروبهما المتواصلة منذ القرن

---

1) The Founder Of Modern Egypt,P107.

السادس عشر، وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة أدرنة في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩م، وكان أهم بنودها إعادة فتح المضايق أمام السفن الروسية، وتصديق الباب العالي على معاهدة لندن ١٨٢٧م، التي تقضي باستقلال اليونان.

وبعد أن أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية، طلب السلطان محمود الثاني من أول الآتين من الخلف أن يرسل مدداً عسكرياً، باعتبار مصر ولاية من ولايات الدولة، فتعلل بأعذار واهية، فإليك المؤرخ عبد الرحمن الرافعي يعرفك بأعذاره، وبالسبب الحقيقي من نكوصه عن معاونة الدولة التي هو والٍ على إحدى ولاياتها:

"**ألح عليه السلطان في إرسال المدد، لكنه أصر على الامتناع، واعتذر ببعد المسافة بطريق البر، وعدم توافر السفن التي تنقل الجنود بطريق البحر، واعتذر أيضاً بتفشي الوباء في مصر والشام، وكل هذه أعذار ظاهرة، أما السبب الحقيقي فهو طموحه إلى الانفصال عن تركيا وتحقيق استقلال مصر**"[١].

فتنبه أن المؤرخ الأمي قد ألبس خيانة أول الآتين من الخلف لباس البطولة، ويحدثك بكل فخر عن استغلاله لخوض الدولة التي هو تابع لها وجزء منها الحرب، وتدبيره للانفصال بولايته عنها.

ولكي تفهم ما الذي يعنيه هذا، فهو مثل أن ينتهز أحد المحافظين أو قادة الجيوش في زمانك خوض بلاليص ستان حرباً، فيتواطأ مع دولة اليهود على عدم الاشتراك في الحرب في مقابل مساعدته في الانفصال عن بلاليص ستان، ثم بعدها بخمسين سنة يأتي المؤرخون الأميون البقر ليؤلفوا الأغاني والأناشيد في الأبطال الذين جاهدوا حتى حققوا الاستقلال لإمارة السويس وسلطنة مطروح ومملكة أسوان والنوبة، وهي نبوءة إن عَمَّرتَ ستراها يوماً ما.

أما عن تفسير حملة أول الآتين من الخلف على سوريا وأسبابها، فيقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي:

١) **عصر محمد علي، ص٢١٦.**

"مشروع محمد علي كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة في مصر، تضم إليها البلاد العربية في إفريقيا وآسيا، ففي إفريقيا استقل بمصر وفتح السودان، وفي آسيا فتح معظم جزيرة العرب وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية، وبطموحه إلى سوريا أراد أن يؤسس الدولة المصرية الكبيرة"(١).

ومرة أخرى، إليك ما تعرف به حقيقة هذا الاستقلال، وكيف وبأي ثمن أراد أول الآتين تحقيقه.

في يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٣٠م، كتب قنصل بريطانيا في مصر، جون باركر John Barker، تقريراً لوزارة الخارجية البريطانية، يقول فيه إنه انتقل من مقره في الإسكندرية إلى القاهرة، للقاء أول الآتين من الخلف، من أجل التنسيق معه بعد معاهدة أدرنة، وخروج الدولة العثمانية منهكة من حربها مع اليونان وروسيا.

وبدأ أول الآتين من الخلف لقاءه بالقنصل باركر، بتذكيره بلقاءاته مع سلفه هنري سولت، ووعده له بمساعدة إنجلترا له في الاستقلال عن الباب العالي حين تسنح الفرصة، ثم قال له:

"لقد تمزق الباب العالي، ومن المستحيل إنقاذه، ويجب على إنجلترا أن ترفع قوة أخرى في آسيا لمواجهة الروس، ولن تجد حليفاً يقوم بهذه المهمة أفضل مني ومن ابني من بعدي(!) ... ثم انفجر Burst Out قائلاً: "بمساعدة الإنجليز أصدقائي يمكنني أن أفعل أي شيء With The English My Friends I Can Do Anything، وبدون صداقتهم لا يمكنني فعل شيء، وقد أدركت منذ فترة طويلة أنني لن أتمكن من تحقيق شيء من أهدافي إلا إذا سمحت لي إنجلترا بذلك"(٢).

ومما قرأته في تقرير القنصل البريطاني عما قاله له أول الآتين من الخلف خلف الأبواب المغلقة، تدرك أن الدولة القومية المستقلة التي يؤلفون فيها الأغاني، هي في حقيقتها الدولة

---

١) عصر محمد علي، ص٢١٩.

2) The Founder Of Modern Egypt, 105.

العميلـة، التـي انسـلخت مـن الإسـلام وتاريخـه ودولتـه، وارتمـت فـي أحضـان الإمبراطوريـات الماسونية وتحت أقدامها، لتفعل بها وفيها ما تشاء.

وتنبه أنَّا لا نأتيك بهذه التفاصيل لكي نعرفك بما حدث فيما مضى فقط، بل لكي يكون نموذجاً تدرك منه ما يحدث في حاضرك، ويفسر لك ما رأيته وتراه فيه من أحداث، ويكشف لك المسار الذي يصل هذا بذاك، والوجهة التي يتجه إليها.

ولا تنس وأنت تقرأ تحريض أول الآتين من الخلف لإنجلترا على تمزيق الدولة العثمانية، التي هو أحد ولاتها ويحكم باسمها، وعرضه على القنصل البريطاني أن يكون عميلاً لإنجلترا هو وابنه من بعده، في مقابل أن تساعده في مواجهة الباب العالي عسكرياً، والانفصال بمصر وضم الشام إليها، لا تنس أن تعود إلى كتاب: ولي الأمر المتغلب، وتراجع ما فعله الظاهر بيبرس وسلاطين المماليك العظام من بعده، حين بحثوا عن الخليفة وأحيوا الخلافة بعد أن أسقطها التتار فعلاً، لكي يجمعوا بإحيائها شمل بلاد الإسلام، ويحافظوا على دولته، ويحفظوا اتصالها بتاريخ الإسلام والدولة النبوية.

فإذا عدت وراجعت وقارنت، ستعرف الفرق بين ولي الأمر المتغلب في عالم الإسلام وبين الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود في بلاليص ستان.

وبعد أن تيقن أول الآتين من الخلف أن الفرصة سنحت له، وأن الدولة العثمانية في وضع وأحوال لا يمكنها معها مواجهته، وبعد أن حصل على موافقة إنجلترا ومباركتها، بدأ في إخراج الغاية الخبيثة في نفسه منذ جاء مصر إلى دولته وجيشه.

علمتَ من قبلُ أن كثيراً من الفلاحين المصريين هجروا قراهم فراراً من التجنيد، وكذلك من الضرائب التي فرضها عليهم أول الآتين من الخلف، ومن تسخيره لهم للعمل في المصانع التي أنشأها، وكانت الشام والحجاز الوجهة الرئيسية لهؤلاء الفارين، وفي سنة ١٨٣١م بلغ عدد هؤلاء في الشام نحو ستة آلاف، فأرسل أول الآتين من الخلف رسالة إلى عبد الله باشا الجزار، والي عكا، يطلب منه إعادتهم، فرد عليه بأن هؤلاء من رعايا الدولة العثمانية، ولهم أن يقيموا في أي بلد شاءوا من بلدانها، وأجاب الصدر الأعظم في الأستانة على طلب أول الآتين من

الخلف بإعادتهم إلى مصر، بأن مصر وسوريا ولايتان من ولايات الدولة، ورعايا الدولة أحرار في أن يتنقلوا داخلها، وأن يقيموا في الولاية التي يفضلون الإقامة بها، طالما أنها داخل أملاك الدولة.

وكانت هذه ذريعة أول الآتين من الخلف لشن حملته، فأصدر في يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٣١م أوامره بأن تتحرك حملتان لغزو الشام، الأولى برية، ويقودها ابن أخته إبراهيم يكن باشا، وتتكون من ٥ آلايات مشاة، و٤ آلايات خيالة/فرسان، وأورطة مدافع بها ٤٠ مدفع ميدان، و٢٠ مدفع حصار، و١٠ مدافع هاون، ووصل عدد الجنود إلى ٢٥,٠٠٠ جندي، منهم ٣٠٠٠ من الخيالة، والحملة الثانية بحرية بقيادة ابنه إبراهيم باشا ورئيس أركان حربه الكولونيل سيف، وكان الأسطول يتكون من ٢٣ سفينة حربية، منها ٧ فرقاطات، و٧ سفن مدفعية[1].

صفحات من الخزي والعار:

وكانت خطة أول الآتين من الخلف لغزو الشام، كما يقول القائمقام عبد الرحمن زكي، في كتابه: التاريخ الحربي لعصر محمد علي، هي نفسها خطة نابليون، فانطلقت الحملة البرية فاستولت على غزة، ثم وصلت يافا، والتقت فيها بالحملة البحرية، فاستسلمت حاميتها العثمانية لجيش أول الآتين من الخلف، وكانت الحامية ٢٥٠ جندياً، وتحركت الحملة إلى حيفا، وحوَّلها إبراهيم باشا إلى قاعدة حربية يتمركز فيها لشن الحملة الكبرى على عكا.

وفي ٢٦ نوفمبر ١٨٣١م بدأت حملة أول الآتين من الخلف حصار عكا من البر والبحر، وظلت تحاصرها ثلاثة أشهر دون أن تتمكن من اقتحامها أو إجبارها على التسليم، وإبان الحصار أرسل إبراهيم باشا كتيبة إلى القدس فاحتلتها، وأرسل قوات أخرى للاستيلاء على صور وصيدا وطرابلس.

وأرسل السلطان العثماني مندوباً إلى أول الآتين من الخلف يطالبه بالكف عن القتال، ولكن، كما يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

---

١) التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٣٩٠-٣٩١.

"كان الباشا يعلم بارتباك أحوال تركيا وعجزها عن حشد جيش يصد الحملة المصرية، فأخذ يماطل في الجواب، وتظاهر بالإخلاص للدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه أرسل إلى إبراهيم باشا يأمره بمواصلة الحرب وتشديد الحصار على عكا حتى يفتحها قبل أن يصل الجيش التركي لنجدتها"[١].

وينقل القائمقام عبد الرحمن زكي، عن سجلات المعية السنية، أن إبراهيم باشا عقد وليمة لقادة جيشه وضباطه، يوم ٨ يناير سنة ١٨٣٢م، وألقى فيهم خطبة يحرضهم فيها على السلطان العثماني ويخلع طاعته، وقال فيها:

"ما الذي استفدناه أنا وأنتم من السلطان، ألسنا في الحقيقة كلنا أولاد محمد علي الذي ربانا وعلمنا، ألم نأكل جميعاً من خيره، إن مصر لمحمد علي، حق اكتسبه بالسيف، ولا نعرف لنا ملكاً غيره"[٢].

وفي آخر ذي القعدة ١٢٤٧هـ/٢٢ أبريل ١٨٣٢م:

"أصدر السلطان العثماني فرماناً يعلن عصيان محمد علي وخروجه عليه"[٣].

ويقول المؤرخ البريطاني دودويل، إن الباب العالي أصدر في أوائل شهر مارس سنة ١٨٣٢م قائمة بالتعيينات والتجديدات للولاة، ليس فيها اسم محمد علي، وكان والياً على مصر وجزيرة كريت، ولا ابنه إبراهيم، وكان والياً على الحجاز، فبدت في القاهرة والإسكندرية بوادر التذمر، وبدأت الهمهات Murmur تسري بين العلماء والجنود، تعترض على سياسات أول الآتين من الخلف، وقتاله للسلطان، ثم ينقل دودويل عن تقرير جون باركر، قنصل بريطانيا، إلى ستراتفورد كاننج، سفير بريطانيا في الأستانة، أنه:

---

١) عصر محمد علي، ص٢٢٤.

٢) التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٣٧٧.

٣) التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٣٩٨.

"في صبيحة أيام ١٤، و٢١، و٢٣، من مارس، وُجدت ثلاث جثث مقطوعة الرأس معلقة على باب زويلة، جثتان منهما لجنديان، والثالثة لأحد العلماء Ulema، وقد عُلقت على صدر كل جثة لافتة كُتب عليها: "هذا هو مصير من لا يستطيعون التحكم في ألسنتهم The Fate Which Awaits Those Who Can't Govern Their Toungues"، وفي يوم ٧ أبريل، عُلقت جثتان جديدتان، وعليهما هذا التحذير: "هذا هو عقاب من يستمعون لمن يعترضون على الحكومة"[1]!

وهاهنا موضع لإحدى المسائل الموجهة لحفظة الأكلشيهات، هل أول الآتين من الخلف الذي خرج على الدولة الجامعة لبلاد الإسلام والحامية لها ثلاثة قرون، وقاتلها بالسلاح، وتواطأ مع الإمبراطوريات الماسونية عليها، هل هو ودولته وجيشه من الخوارج؟

فإن كان من الخوارج، وجميع الآتين من الخلف مثله، فمن خرجوا عليهم لم يفعلوا إلا ما فعلوه، وإن لم يكونوا من الخوارج فالذين فعلوا بهم ما فعلوه بغيرهم، هم في الحكم مثلهم، فهل تكسب فينا ثواباً وتجد من حفظة الأكلشيهات من يخبرنا بالجواب، إن استطاعوا أن يفهموا المسألة؟!

وفي ١٤ أبريل سنة ١٨٣٢م التقى الجيشان، جيش أول الآتين من الخلف، الذي انضم إليه الدروز والموارنة الكاثوليك، وجيش عثماني يقوده عثمان باشا والي صيدا، ومحمد باشا والي حلب، وانضم إليهم فرسان العرب والأكراد، في سهل الزرَّاعة، جنوب حمص، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش العثماني، وتراجعه إلى حماه في انتظار المدد.

وبعد معركة الزرَّاعة عاد إبراهيم باشا لإتمام حصار قلعة عكا والاستيلاء عليها، وكان أول الآتين من الخلف قد أرسل إليه مهندساً فرنسياً، ليسهم في تشديد الحصار، ويحدد أضعف نقاط القلعة وكيف يمكن اختراقها، وفي يوم ٢٧ مايو ١٨٣٢م تمكنت مدافع إبراهيم باشا من إحداث ثغرتين كبيرتين في سور القلعة، وثغرة ثالثة صغيرة، وتمكنت قواته من دخول القلعة والاستيلاء عليها.

---

1) The Founder of Modern Egypt, P110.

وينقل القائمقام عبد الرحمن زكي، عن تقرير إبراهيم باشا الخاص بحصار عكا والاستيلاء عليها، أن خسائر جيشه بلغت ٥١٢ قتيلاً و١٤٢٩ جريحاً[١]، بينما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، نقلاً عن المسيو مانجان، إن الخسائر كانت جسيمة وعدد القتلى ٤٥٠٠ قتيلاً، وكانت خسائر حامية عكا ١٤٠ جندياً فقط[٢].

ومن عكا اتجه ابن أول الآتين من الخلف بجيشه إلى دمشق، تصاحبه القوات المتطوعة معه من الموارنة والدروز، وعلى رأسها بشير الشهابي أمير الدروز[•]، فدخلها في يوم ١٦ يونيو ١٨٣٢م، وجعلها قاعدة حكمه في الشام.

وكان الباب العالي قد جهز جيشاً من ٦٠ ألف جندي، بقيادة حسين باشا، وكان يتمركز في قونية وولاية أضنة، وبعد استيلاء جيش أول الآتين من الخلف على عكا ودمشق، تقدم إلى أنطاكية، وأرسل حسين باشا مقدمة جيشه بقيادة محمد باشا إلى حمص، وفي يوم ٨ يوليو ١٨٣٢م التقى الجيشان، وكان الذي يتولى ترتيب الأوضاع القتالية لجيش أول الآتين من الخلف ويقوده ميدانياً أركان حربه الكولونيل سيف، وانتهت موقعة حمص بهزيمة الجيش العثماني وخسارته لألفي جندي، وكانت خسارة الكولونيل سيف ١٠٢ قتيل من المصريين.

---

١) **التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٤٠٦.**

٢) **عصر محمد علي، ص٢٢٧-٢٢٨.**

●) **الأمير بشير الشهابي، كان يعتنق المسيحية سراً، ويتظاهر بالإسلام، وقد تبعه في ذلك الشهابيون جميعاً، في كتابه: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، يقول المؤرخ الروسي قسطنطين بازيلي، وهو أيضاً قنصل روسيا في الشام في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، إبان حكم أول الآتين من الخلف وابنه لها: "كان الأمير بشير الشهابي أول أمير حاكم في لبنان يعتنق المسيحية ضمناً، وقد اقتدى به كل أقربائه في جبل لبنان تقريباً، وبقي حتى سقوطه يخفي دينه، وحتى في عهد الحكم المصري الذي امتاز بتسامح ديني سديد في سورية، كان يراعي الطقوس الظاهرية في الإسلام ويؤدي الصلاة في المساجد حين يزور الباشوات، وكان يقسم بمحمد أمام المسلمين، وكان يحرص على أن يصوم رمضان، فيرفض حتى شرب كأس من الماء في حر الصيف، وتدخين الغليون الذي لا يكاد يفارق شفتيه في الأوقات الأخرى، وكان في قصره مصلى جميل يؤدي فيه قس كاثوليكي القداس يومياً، ولكن كان ذلك بذريعة لائقة، وهي أن زوجته شركسية اعتنقت المسيحية، ويعتبر السيد لامارتين الذي زار الأمير في عام ١٨٣٢م دينه لغزاً، ويؤكد أنه لم تكن له أي قناعة داخلية، وكان درزياً مع الدروز، ومسيحياً مع المسيحيين، ومسلماً مع المسلمين"، فهل فهمت الآن لماذا كان حليف أول الآتين من الخلف؟! (المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في يافا قسطنطين بازيلي: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص٩٦، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م).**

وبعد معركة حمص عادت مقدمة الجيش العثماني بقيادة محمد باشا إلى حلب، والتقت عندها بجيش حسين باشا، وتراجع الجيش العثماني كله ليتحصن في مضيق بيلان، شمال سوريا وجنوب الإسكندرونة، فاستولى جيش أول الآتين من الخلف على حلب وحماة، ثم تقدم إلى مضيق بيلان، وانتهت معركة بيلان، في ٣٠ يوليو ١٨٣٢م، بهزيمة الجيش العثماني، وخسارته ٢٥٠٠ جندي، فعبر جيش أول الآتين من الخلف حدود سوريا ودخل إلى الأناضول واستولى على طرسوس وأضنة.

ومن أضنه تقدم جيش أول الآتين من الخلف إلى قونيه، بقيادة ابنه إبراهيم، فالتقى الجيش العثماني الذي أرسله السلطان محمود الثاني بقيادة الصدر الأعظم محمد رشيد باشا، وانتهت معركة قونية، ٢١ ديسمبر ١٨٣٢م، بهزيمة الجيش العثماني وتشتته، فأصبح الطريق أمام جيش أول الآتين من الخلف مفتوحاً وخالياً إلى الأستانة، وليس بينه وبين مضيق البسفور سوى ستة أيام.

ومن قونية اتجه إبراهيم باشا إلى كوتاهية على بعد ٥٠ كيلومتراً من الأستانة فاحتلها، في ٢ فبراير سنة ١٨٣٣م، ثم أرسل قوة لاحتلال إقليم مغنيسيا في أزمير.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"فلا غرو كانت معركة قونية نصراً مبيناً للجيش المصري، وصفحة فخار في تاريخ مصر الحربي"[1].

والأحداث والوقائع والمعارك التي يؤلف فيها الأميون الأغاني والأناشيد، على أنها نصر مبين للجيش المصري وصفحة فخار في تاريخ مصر، لم تكن في حقيقتها إلا صفحة خزي وعار، وهي مثل صفحة الفخار التي رأيتها من قبل، والتي قاتل فيها الجيش الذي يحمل اسم مصر بكل بسالة مع بريطانيا الماسونية، إبان الحرب العالمية الأولى، واشترك معها في إخلاء الشام من الجيش العثماني، وفي الاستيلاء على فلسطين وتسليمها للعصابات الصهيونية.

---

١) عصر محمد علي، ص٢٤٧.

فهذه الوقائع، كانت الخطوة الأولى في تذويب الرابطة الإسلامية للشرق كله، وإحلال الرابطة القومية التوراتية البني إسرائيلية محلها، وفي تفكيكه ووضعه تحت وصاية الإمبراطوريات الماسونية، وفي تكوين بلاليص ستان التي تراها أمامك، ممزقة مهيضة، ودولها المستقلة دواجن في حظيرة الغرب، وتتأهب للانتقال منها إلى حظيرة بني إسرائيل.

وهذه الانتصارات وصفحات الفخار، التي لا ترى فيها ولا تسمع عن يهودي واحد، كانت اللبنة الأولى في المشروع اليهودي، وحجر الأساس غير المرئي لدولة بني إسرائيل.

فهاك خريطة لمعارك جيش أول الآتين من الخلف في الشام والأناضول، التي يصفها البقر في بلاليص ستان بأنها صفحات مجد وفخار، وهي حجر الأساس لدولة بني إسرائيل، ومن صفحات الخزي والعار.

معارك جيش أول الآتين من الخلف في الشام والأناضول.

وهاهنا، وبعد أن استنزف أول الآتين من الخلف الدولة العثمانية وهزها بعنف، بأرواح المصريين الذين يستعبدهم، ظهرت الإمبراطوريات الماسونية، لتفرض وصايتها على الطرفين، فأرسل الأدميرال روسان Roussin، سفير فرنسا في الأستانة، رسالة إلى إبراهيم باشا ينذره بقطع فرنسا، التي كانت تحرضه على مواجهة الباب العالي، علاقاتها مع أبيه، وبالعواقب الوخيمة إن لم ينسحب من أزمير، وأرسل رسالة أخرى مع ياوره الخاص إلى أول الآتين من الخلف، في اليوم نفسه، يعلنه فيها أن ما هو مسموح له أن يطالب به، هو عكا والقدس ونابلس وطرابلس فقط، وينذره إن لم يسحب جيشه من الأناضول بمجيء أساطيل فرنسا وإنجلترا وروسيا معاً إلى مصر!

وأرسل هنري جون تمبل بالمرستون Henry John Temple Palmerston، وزير خارجية بريطانيا، التي أعطى قناصلها أول الآتين من الخلف موافقتهم على مواجهته للباب العالي، رسالة إلى قنصله في مصر، الكولونيل وليم كامبل William Campbell، يأمره أن يعمل على الوصول إلى اتفاق بين السلطان وأول الآتين من الخلف، على أن تقتصر ولاية أول الآتين من الخلف على سوريا، ولا تصل إلى بغداد، فطلب كامبل من أول الآتين من الخلف سحب جيشه من آسيا الصغرى والعودة إلى حدود سوريا، وهدده بحصار الإسكندرية إن لم يستجب.

وأرسلت روسيا أسطولها فرسا في مضيق البسفور، وأعلنت أنها على استعداد للدفاع عن تركيا(!)، وفي الوقت نفسه أرسلت الجنرال مورافيف Mouravief إلى مصر، فالتقى أول الآتين من الخلف، وأنذره بمواجهة روسيا له في البر والبحر إن لم ينسحب جيشه من الأناضول[١].

وفي كوتاهية، وبعد أربعة أيام من المفاوضات بين إبراهيم باشا ومندوب الباب العالي، رشيد باشا، وبرعاية ممثل فرنسا البارون دي فارين، تم إبرام اتفاقية كوتاهية، في ١٨ ذو القعدة ١٢٤٩هـ/٨ أبريل ١٨٣٣م، وتقضي بانسحاب جيش أول الآتين من الخلف من الأناضول،

1) The Founder Of Modern Egypt, P115-121.

وتثبيت ولايته على مصر وكريت، وإسناد ولاية سوريا إليه، وتجديد ولاية إبراهيم باشا على الحجاز، وتخويله إدارة إقليم أضنة[١].

وفي سنة ١٨٣٤م جمع أول الآتين من الخلف قناصل الدول الأوروبية، وأخبرهم عن عزمه إعلان استقلال مصر والشام عن الباب العالي، ولما رفضوا تراجع.

ومرة أخرى، ولا نمل من تذكيرك، أن هذه هي بلاليص ستان من خليجها السائم إلى محيطها الهائم، يتمرد فيها الوالي أو الأمير أو الملك أو الرئيس على دولة الإسلام، ويقطع علائقه بتاريخه وبلاده، وهو ينفخ صدره، ويغني هو وإعلامه للاستقلال، ويحتفلون بعيده، ويستأسدون على شعوبهم ويفترسونها، بينما هم في حقيقتهم عبيد عند الإمبراطوريات الماسونية، وسفاراتها هي الحاكم الحقيقي لهم ولدولهم، فلا يخرجون عن طوعها، ولا يفعلون إلا ما يسمح لهم به قناصلها وسفراؤها.

وفي شهر مايو سنة ١٨٣٨م، جمع أول الآتين من الخلف القناصل مرة أخرى، وأخبرهم أنه مصمم على إعلان الاستقلال، فرفضوا أيضاً، وأبلغ اللورد جون بونسونبيJohn Ponsonby، سفير بريطانيا في الأستانة، السلطان محمود الثاني بنواياه، وحرضه على مواجهته، ولا تنس أن الحكومة البريطانية كانت قد أصدرت قراراً في سنة ١٨٣٤م، تسمح فيه لضباط جيشها وبحارة أسطولها، بالخدمة في جيش أول الآتين من الخلف وأسطوله، وأن قناصلها هم الذين منحوه موافقتها على الدخول في مواجهة عسكرية مع الباب العالي وطلب الاستقلال!

وفي شهر أبريل ١٨٣٩م عبر الجيش العثماني نهر الفرات، وتحصن قرب قرية نصيبين، في الأناضول، فأرسل إبراهيم باشا إلى أول الآتين من الخلف، فأرسل إليه المدد من الجنود والسلاح والذخائر.

وفي يوم ٢٤ يونيو ١٨٣٩م، التقى الجيشان في معركة نصيبين، الجيش العثماني يقوده السرعسكر حافظ باشا، وجيش أول الآتين من الخلف يقوده ابنه إبراهيم وأركان حربه الكولونيل

١) عصر محمد علي، ص٢٥٦.

سيف، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش العثماني، ليصبح طريق جيش أول الآتين من الخلف مفتوحاً إلى الأستانة، ولتظهر الإمبراطوريات الماسونية مرة أخرى، وتفرض وصايتها الكاملة على الدولة العثمانية وعلى أول الآتين من الخلف معاً، وهي النتيجة الحقيقية للمعركة، وما من أجله صدمتهما معاً، وليس الأغاني التي كتبها ويكتبها المؤرخون الأميون عن:

"**أعظم الوقائع التي خاض غمارها الجيش المصري من جهة أهميتها الحربية ونتائجها السياسية ... وأما من الوجهة السياسية فلأنها حفظت استقلال مصر**"[١].

فإليك المؤرخ الأمي الذي كتب هذا الكلام، هو نفسه، يخبرك بعد بضع صفحات بالنتيجة الحقيقية للمعركة، فلا تدري أهو مسطول، أم أنه كغيره من الأميين، رؤوسهم مفككة تائهة، بدورانها مع الشعارات والأشخاص، وفراغها من المعيار والميزان، وعمائها عن المسار، فالمؤرخ الأمي يخبرك أنه:

"**حسبك دليلاً على عِظم هذه الانتصارات أنها هزت كيان التوازن الأوربي هزاً، وتداعت أركان السلطنة العثمانية، وفتحت باب المسالة الشرقية، فتجددت أطماع الدول المختلفة بشأنها ... السياسة الدولية الأوروبية قضت لليونان باستقلالها التام، أما مصر فقد حكمت عليها أن تبقى تحت السيادة التركية، وأن تتخلى عن سوريا وجزيرة العرب وأضنة وكريت، وائتمرت بها الدول وحاربتها وقصت أجنحتها، وقضت عليها بإضعاف قوتها البرية والبحرية، وهذه المقارنة تصور لك الفرق بين معاملة أوروبا لأمة غربية ومعاملتها للأمم الشرقية، وتريك المكيال الواحد يكبر ويصغر، كأن فيه روح الشيطان**"[٢].

فهل تذكرك عبارات المؤرخ الأمي عن الكيل بمكيالين، والتي يصف بها مواقف دول أوروبا في القرن التاسع عشر، بما يكتبه الأميون في بلاليص ستان عن الأمم المتحدة والمجتمع الدولي طوال القرن العشرين والحادي والعشرين؟

---

١) **عصر محمد علي، ص٢٨١.**

٢) **عصر محمد علي، ص٢٨٥-٢٨٦.**

والمشكلة ليست في أوروبا، بل في هؤلاء الأميين الذين أنتجهم المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان، فغاية إمبراطوريات أوروبا الماسونية واحدة ولكن أعينهم العمياء لا تراها، والمسار الذي كانت تدفع فيه هذه الإمبراطوريات مصر والشرق كله هو هو ولكنهم لا يدركونه، ومكيالها الذي تكيل به لا يتغير ولكن أذهانهم الفارغة من المعيار والميزان لا تعيه، ويتوهمون أن خلاف إمبراطورية منها مع أخرى، أو اختلافهما في الوسائل والأساليب، أو في الأولويات، يعني اختلاف غاياتها، أو أنه سيجعلها حضناً دافئاً للبلاليص ودولهم المستقلة.

ثم هل انتبهت أن المؤرخ الأمي يخبرك أن الإمبراطوريات الماسونية ائتمرت بمصر، وهو في غيبوبة تامة عن أن أول الآتين من الخلف الذي يهيم به، هو الذي فتح لهم مصر، ومكَّن هذه الإمبراطوريات من إنشاب أنيابها ومخالبها فيها، وقناصلها كانوا يحيطون به وهم مستشاروه، ولا يخطو خطوة إلا بإرشادهم أو بإذنهم، وضباط هذه الإمبراطوريات، وبموافقتها، هم الذين صنعوا له جيشه ويقودونه.

فالمؤرخ الأمي يبكي على المؤامرة التي دبرتها الإمبراطوريات الماسونية لأول الآتين من الخلف، والذي لا يدركه أو يتعمد حجبه، أن أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود في اليونان هو نفسه جزء من المؤامرة، وهو رأس الحربة فيها، ولولاه ما كانت.

معاهدة لندن:

في ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٩م، قدم سفراء الدول الخمس الكبرى في الأستانة، إنجلترا وفرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا، بناءًا على اتفاق بين وزراء خارجيتها، مذكرة الى السلطان عبد المجيد، يطلبون منه أن لا يتخذ قراراً فيما يخص المسالة المصرية إلا بعد إطلاعهم عليه وموافقتهم.

وكان السلطان عبد المجيد في الثامنة عشرة من عمره، وصار السلطان بعد وفاة السلطان محمود الثاني في بداية شهر يوليو ١٨٣٩م، بعد أسبوع من معركة نصيبين، وقبل أن يعلم بنتيجتها، فأرسل السلطان عبد المجيد، في ٧ أغسطس سنة ١٨٣٩م، رسالة إلى أول الآتين من الخلف يخبره أن:

"الأمور الآن ليست في يدي أو في يد خسرو (الصدر الأعظم)، وإنما سيقررها السفراء الأوربيون في الأستانة"[١].

وفي الوقت نفسه التقى قنصل بريطانيا وقنصل فرنسا في مصر أول الآتين من الخلف، وطلبا منه إيقاف قواته، وعدم اتخاذ أي قرار بشأن خلافه مع الباب العالي إلا بمعرفتهما، وأنذراه إن لم يفعل بمجيء الأسطولين الفرنسي والبريطاني إلى مصر ومحاصرة الإسكندرية، وأرسل وزير خارجية بريطانيا بالمرستون إليه رسالة مع القنصل كامبل، وفيها أن:

"الباشا يجب أن يعي جيداً أنه من الناحية الجغرافية والسياسية، ومن جهة الاعتبارات العسكرية والبحرية، ليس في وضع يسمح له بمعاندة الحكومات الأوروبية، خصوصاً القوى البحرية Especially The Maritime Powers"[٢].

وفي ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠م، ودون علم أول الآتين من الخلف، وقَّع وزراء خارجية إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا معاهدة لندن، وكان الفاعل الرئيسي فيها والذي وضع شروطها وزير خارجية بريطانيا، اللورد بالمرستون، وكانت أهم هذه الشروط:

"أولاً: أن يُخول محمد علي وخلفاؤه حكم مصر الوراثي، ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سورية المعروفة بولاية عكا، بما فيها مدينة عكا ذاتها وقلعتها، بشرط أن يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز عشرة أيام من تاريخ تبليغه هذا القرار، وأن يُشفع قبوله بإخلاء جنوده من جزيرة كريت وبلاد العرب وإقليم أضنة وسائر البلاد العثمانية عدا ولاية عكا.

ثانياً: إذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة أيام يُحرم الحكم على ولاية عكا، ويُمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر وسحب جنوده من جميع البلاد العثمانية، فإذا انقضت هذه المهلة دون قبول تلك الشروط كان السلطان في حِل من حرمانه من ولاية مصر...

---

١) كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ص٣٨٠.

2) The Founder of Modern Egypt, P179.

سادسا: يتكفل الحلفاء في حالة رفض محمد علي باشا لتلك الشروط أن يلجأوا إلى وسائل القوة لتنفيذها، وتتعهد إنجلترا والنمسا في خلال ذلك أن تتخذ باسم الحلفاء، بناءًا على طلب السلطان، كل الوسائل لقطع المواصلات بين مصر وسورية ومنع وصول المدد من إحداهما للأخرى"[١].

وفي يوم ١٦ أغسطس ١٨٤٠م، التقى رفعت بك، مندوب الباب العالي، أول الآتين من الخلف في سراي رأس التين، وأبلغه بمعاهدة لندن وشروطها، فغضب أول الآتين من الخلف ورفضها، وهو يقسم أنه لن يتخلى عن شيء من الأرض التي ملكها بجيشه.

وفي اليوم التالي، ١٧ أغسطس، ذهب قناصل إنجلترا وروسيا والنمسا إلى أول الآتين من الخلف، وأبلغوه بشروط المعاهدة، وأمهلوه ١٠ أيام لقبولها، وقدموا له مذكرة مكتوبة بذلك وعليها توقيعاتهم، وبعد مرور الأيام العشرة ذهبوا إليه مرة أخرى وأبلغوه الإنذار الثاني، فأجابهم غاضباً أنه سيزحف على الأستانة، فأعلنوه أنه لم يعد له حق في ولاية عكا، وأمهلوه ١٠ أيام أخرى، وإن لم يوافق فلن يكون له حكم مصر أيضاً.

وإبان الأيام العشرة ، استدعى أول الآتين من الخلف مندوب السلطان، وأبلغه أنه يريد التصالح مع الباب العالي دون تدخل الدول الأوروبية، وأنه سيتنازل عن أضنة وكريت وجزيرة العرب، على أن يكون حكم مصر وراثياً له ولأبنائه من بعده، وحكم ولاية سوريا في حياته، وهي نفسها شروط معاهدة لندن.

ولاتَ حين مندم، فقد تراجع أول الآتين من الخلف، وبدأ في البحث عن التصالح مع الدولة العثمانية، بعد أن استنزفها وأنهكها بجيشه الضال، وصار هو وهي داخل مصيدة الإمبراطوريات الماسونية وبين أنيابها.

فبعد انقضاء مهلة الأيام العشرة الثانية، ذهب قناصل الدول الأوروبية إلى أول الآتين من الخلف، وقد علموا برسالته إلى السلطان، فرفض مقابلتهم، وأبلغهم ناظر خارجيته، الماسوني

---

١) عصر محمد علي، ص٢٩٠-٢٩١.

الأرمني بوغوص بك، أنه أرسل رسالة للتصالح مع السلطان، فاعتبروا عدم توقيعه على شروط معاهدة لندن المكتوبة رفضاً لها، وحرروا محضراً رسمياً بذلك!

وكان السلطان عبد المجيد، عقب توليه السلطنة مباشرة، وقبل اتفاق دول أوروبا في معاهدة لندن، قد أرسل رسالة ودية لأول الآتين من الخلف، مع مندوبه عاكف أفندي، يدعوه للتصالح، وسحب جيشه من الأناضول، على أن يكون حُكم مصر وراثياً له ولأبنائه، ولكن أول الآتين من الخلف رفض عرض السلطان، وقد غره تأييد فرنسا وتحريضها له وسكون إنجلترا عنه، قبل أن ينتصر جيشه في نصيبين، حتى إذا انتصر، وهز الأستانة، وفتح مياهها أمام أساطيلهم، فحقق لهم ما أرادوه، ووصل إلى نهاية دوره المرسوم له في سيناريو الإمبراطوريات الماسونية، جاء أوان أن ينقلبوا عليه ويُخرجوه منه.

وحين وصلت رسالة أول الآتين من الخلف إلى الأستانة مع رفعت بك، مال السلطان عبد المجيد لقبول عرضه والتصالح، ولكن سفراء إنجلترا وروسيا والنمسا، وقد صارت مقاليد الأستانة في أيديهم، وأساطيلهم تحاصرها بزعم الدفاع عنها، رفضوا، وباتفاقهم معاً أصدر السلطان فرماناً بخلع أول الآتين من الخلف من ولاية مصر، ووصل الفرمان إلى الإسكندرية في يوم ٢٢ سبتمبر ١٨٤٠م، فغادرها قناصل دول الحلفاء في اليوم التالي، وأعلنوا الحرب على أول الآتين من الخلف باسم تركيا وحلفائها.

وقبل إعلان الحرب، كان الأسطول الإنجليزي قد وصل فعلاً إلى بيروت، بقيادة الأدميرال مونتاجو ستوبفورد Montagu Stopford، وبدأ في قصفها بالمدافع، بالاشتراك مع بعض السفن الحربية النمساوية والتركية، وفي ١٠ سبتمبر ١٨٤٠م وصلت حملة برية إنجليزية، ونزلت في ميناء جونيه شمال بيروت، تحت حماية الأسطول، ثم استولت على حيفا وصور وصيدا، وبعد أن هزمت قوات إنجلترا والدول الحليفة معها قوات أول الآتين من الخلف في معركة بحر صاف، دخلت بيروت في أكتوبر سنة ١٨٤٠م، ثم استولت على طرابلس واللاذقية وأضنة، فصارت ثغور الشام كلها في يدها.

وفي بداية شهر نوفمبر ١٨٤٠م، بدأ الأسطول الإنجليزي في حصار عكا، وظل يقصف قلعتها ثلاثة أيام، إلى أن أصاب القصف مستودع الذخائر فانفجر انفجاراً هائلاً، وتهدم ثلث مباني المدينة، وقُتل في الانفجار طابور كامل من قوات أول الآتين من الخلف، فأخلى الباقون القلعة وانسحبوا من المدينة في يوم ٤ نوفمبر وسلموها للإنجليز، فاستسلمت في إثرها يافا ونابلس، وأعلن أمير الدروز بشير الشهابي الانضمام إلى الحلفاء، وكان رجل أول الآتين من الخلف ونصيره في الشام.

وبعد إتمام الاستيلاء على الثغور السورية، وقطع خطوط اتصال جيش أول الآتين من الخلف وطرق إمداده عبر البحر، أرسل الأدميرال ستوبفورد جزءًا من أسطوله إلى الإسكندرية بقيادة الكومودور(•) تشارلز نابيير Charles Napier، فأرسل رسالة إلى أول الآتين من الخلف، يعرض عليه أن يكون له حُكم مصر وراثياً، على أن ينسحب من سوريا، ولما لم يرد عليه، نزل الكومودور نابيير إلى الإسكندرية، والتقى أول الآتين من الخلف، وخاطبه خطاباً عنيفاً، وهدده إن لم يوافق على عرضه بحرق الإسكندرية، وأمهله ٢٤ ساعة.

وكانت فرنسا، كما ستعلم، قد تخلت عن أول الآتين من الخلف، بعد أن كانت تحرضه وورطته بتحريضها وتظاهرها بتأييده، وفي الوقت نفسه وصلت أنباء استيلاء الحلفاء على ثغور سوريا كلها، وسقوط عكا وهي أمنعها، فلم يجد أول الآتين من الخلف أمامه، وقد صار محاصراً محصوراً، سوى أن يوافق على عرض الكومودور نابيير، ففوض وزير خارجيته الماسوني الأرمني بوغوص بك في توقيع الاتفاق، ثم أعلن اللورد بالمرستون موافقة حكومته على الاتفاق في ٣٠ يناير ١٨٤١م، بعد أن أضاف إليه تعديلاً، وهو تخفيض عدد جيش أول الآتين من الخلف إلى ١٨,٠٠٠ جندي، ثم أرسله إلى الباب العالي وإلى روسيا والنمسا وبروسيا، فصدقت عليه.

وقبل التصديق على الاتفاقية، كان أول الآتين من الخلف قد أصدر أمراً لابنه إبراهيم باشا، في ديسمبر ١٨٤٠م، بالانسحاب من سوريا إلى مصر، فجمع قواته من مدن سوريا كلها،

•) الكومودور Commodore، رتبة عسكرية بحرية، فوق الكابتن Captain، وتحت الأدميرال Admiral، ويكون قائداً لأسطول صغير، أو جزء من الأسطول الكبير.

وحشدها بالقرب من دمشق، وكان عددها سبعين ألف مقاتل، ومعهم عشرات الآلاف من أفراد أسر الموظفين المصاحبين للجيش، وفي أثناء الانسحاب إلى مصر، وكان يقوده إبراهيم باشا والكولونيل سيف، هلك عشرات الآلاف من الجوع والعطش والأوبئة وهجمات الأعراب عليهم.

وبلغ عدد القتلى إبان الانسحاب من الجيش وحده ثلاثين ألفاً، وينقل المؤرخ عبد الرحمن الرافعي عن المؤرخ الفرنسي مورييه Maurier، أن العدد الكلي للجنود والمدنيين من الموظفين وأسرهم، قبل الانسحاب كان ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، ولم يصل منهم إلى مصر سوى ٦٠,٠٠٠، أي أن الخسائر في الأرواح بلغت ١٤٠,٠٠٠، وهم في عمومهم من المصريين.

ويصف المؤرخ مورييه انسحاب جيش أول الآتين من الخلف ومن يتبعونه، وما اقترن به من الأهوال والضحايا، بأنه:

"من أفظع ما رُوي عن فجائع تقهقر الجيوش في التاريخ"[١].

وقد جئناك بهذه التفاصيل عما فعلته الإمبراطوريات الماسونية بأول الآتين من الخلف لسببين، أولاً: لكي ترى كيف مزقوا جيشه وهم الذين صنعوه، وبعد أن نفخوه بمنفاخ العظمة والمجد أذلوه وأهانوه، وحرَّضوه على الاصطدام بالدولة العثمانية وتركوه يتمدد على حسابها ثم قصوه وحصروه، فتدرك من ذلك أن المسافة بين هذه وتلك هي وظيفته التي من أجلها صنعوه ومجَّدوه، وهو دوره في السيناريو المرسوم في أذهانهم، فلما أتم مهمته بنجاح منقطع النظير، انتهى دوره وخلعوا عنه ملابس البطولة التي ألبسوه إياها من أجله.

ودور أول الآتين من الخلف ووظيفته في سيناريو الإمبراطوريات الماسونية، هو زلزلة الدولة الجامعة لبلاد الإسلام، وبث الشقوق والصدوع فيها، وفصل مصر عنها، وتكوين هوية لها تعزلها عن الإسلام وتاريخه وبلاده، وفصل الشام عن هذه وتلك، لتكون بالأمر الواقع تحت وصاية الإمبراطوريات الماسونية، وإن ظلت اسماً تحت السيادة العثمانية، وهي كلها أجزاء في شيء واحد، هو الرابط بينها والذي يفسرها، وهو الرابط الذي لا يدركه الأميون في بلاليص

---

١) عصر محمد علي، ص٣٠٤.

ستان حتى يومك هذا، ولذا يرون ما حدث مفككاً مبعثراً، ولا يدركون الرابط بينه وبين ما تلاه من أحداث، وصولاً إلى ظهور اليهود وإنشاء إسرائيل، ثم المشاهد التي تعيشها بلاليص ستان في زمانك، ويتوهمون أن هذه الأحداث اندلعت وحدها، ولأسباب مختلفة، وأن كلاً منها يرتبط بظروف زمانه وملابسات مكانه، وأن المسار الذي سارت فيه تكَوَّن تلقائياً بتراكم الأحداث دون أن يريده أو يقصده أحد.

والرابط الواحد والحقيقي بين كل ما فعله أول الآتين من الخلف، وما فعلته الإمبراطوريات الماسونية به ومن خلاله، والذي من غيره تبدو وكأنها مسائل مختلفة ومبعثرة ولا رابط بينها، ولا بينها وبين ما تلاها، هو الجراحة اللازمة لإعادة رسم الشرق، وتهيئته عقائدياً وسياسياً وجغرافياً لاستقبال اليهود واحتضان المشروع اليهودي، وأول الآتين من الخلف كان أول من بذر بذور هذا المشروع إبان حكمه للشام، وقبل أن تخرجه الإمبراطوريات الماسونية منها، لتستكمله هي بطريقتها، وتفعل ما لا يمكنه فعله.

والسبب الثاني الذي جئناك بهذه التفاصيل من أجله، هو أن ننبهك إلى أمر آخر لا يدركه الأميون من ذوي الأدمغة المفككة، الذين يغرقون في تفاصيل الأحداث، ويذهلون بها عن الانتباه إلى الروابط بينها والمسار الذي يتكون منها والفاعل من خلفها، فالذي رأيته من نفخ الإمبراطوريات الماسونية لأول الآتين من الخلف بمنفاخ العظمة والمجد، وتركها له يُمدد جيشه ويتمدد به في زهو، والأميون يتولهون به، ثم ضربه بعد أن أدى دوره ووظيفته، وقهره وإذلاله، ما رأيته ليس سوى نموذج يتكرر وسيناريو يُعاد تمثيله في بلاليص ستان كل حين من الزمان، فما فعلته إنجلترا وفرنسا بأول الآتين من الخلف، هو نفسه وبحذافيره سيناريو إنجلترا وفرنسا مع الخديو إسماعيل، وبريطانيا والشريف حسين، والولايات المتحدة الماسونية وثاني الآتين من الخلف، وهو نفسه سيناريو ثالث الآتين من الخلف، وما سيفعلونه بعد أن ينتهي دوره، وهو نفسه سيناريوهات أخرى في بلاد أخرى من بلاليص ستان عن يمينك وعن يسارك.

بقي لكي تتيقن أن أول الآتين من الخلف، هو والسيناريو الذي رسمه لنفسه وما فعله بمصر وفي الشام، كان يؤدى وظيفة محددة ودوراً مرسوماً وموقوتاً داخل سيناريو رسمه الماسون، أن نذكرك أنه صعد إلى السلطة في مصر، بتدبير قناصل فرنسا ومستشاريه وأصدقائه من

الماسون، ماتيو ديليسبس وبرناردينو دروفيتي، وكون جيشه تحت رعايتهم وبضباط جيوشهم، وأن تعلم أن الذين وجَّهوا له الضربة التي قصمته وأذلوه ومزقوا جيشه، بعد أن انتهى دوره، هم أيضاً من الماسون، والأميون لا يفقهون، لأنهم لا يرون سوى أن هؤلاء إنجليز وأولئك فرنسيون.

فاللورد بالمرستون، الذي أذل أول الآتين من الخلف، ومزق جيشه، وأجبره على الانسحاب من الشام، وصاغ معاهدة لندن، وأجبره على قبولها، هو وزير خارجية بريطانيا من سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٤١م، ورئيس الحكومة البريطانية من سنة ١٨٥٥م إلى وفاته سنة ١٨٦٥م، وهو المسيطر الحقيقي على سياسة بريطانيا الخارجية لأكثر من ثلاثين سنة.

فإذا اكتفيت بذلك، وكان هذا هو ما ستفسر من خلاله ما فعله بأول الآتين من الخلف، فواحسرتاه، فأنت ما زلت داخل نادي البقر في بلاليص ستان، ولن تفهم شيئاً من السيناريو الحقيقي والمشترك بين الماسون في مختلف الجبهات والبلدان ويتعاونون كلٌ من موقعه على إتمامه.

أما إذا أفقت وأردت الخروج من نادي البقر في بلاليص ستان، فينبغي أن تجعل تفسيرك لما فعله بالمرستون، بعد أن تضيف إلى معلوماتك أنه ماسوني، ومن الطبقة العليا والرفيعة من الماسون.

فاللورد بالمرستون ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، أعلى درجات الطقس الاسكتلندي، وتصفه مؤرخة الحركات السرية إديث ميللر Edith Miller، الشهيرة باسم مدام كوين بورو Lady Queen Borough، في كتابها: حكم العقائد الخفية Occult Theocracy، بأنه:

"راعي الماسونية في أوروبا Patriarch Of European Freemasonry"[1].

وفي كتابه: عبادة الشيطان في فرنسا Devil Worship In France، ينقل الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، آرثر إدوارد ويت Arthur Edward Waite، وهو أيضاً الأستاذ

---

1)Edith Miller, Lady Queen Borough: Occult Theocracy, P264, Published Posthumously For Private Circulation Only, Reprinted By The Christiam Book Club Of America, 1976.

الأعظم لحركة الروزيكروشيان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ينقل عن مؤرخ الماسونية الرسمي راجون Ragon، أنه:

"في يوم ٢٠ مايو ١٧٣٧م، تم تأسيس منظمة ماسونية منفصلة عن مذاهب الماسونية الرئيسية، واسمها تنظيم الحكمة Order Of The Palladium، وعقيدتها الرئيسية هي عبادة لوسيفر"[١].

وينقل ويت عن كتاب: الشيطان في القرن التاسع عشر Le Diable Au XIXe Siècle، للماسوني دكتور بتالي Dr. Bataille، أنه في القرن التاسع عشر، ومن أجل رأب الصدع والتقريب بين الفرع الأوروبي، الفرنسي والإيطالي، من الطقس الاسكتلندي، الذي يؤمن بالإنسان فقط وينكر الوجود الإلهي ويطرد من يؤمن به من محافله، وبين الفرع الأنجلوسكسوني الأمريكي، الذي يشترط في عضويته الإقرار بموجود أعلى وإن لم يشترط له صفة ولا وصفاً، أسس الجنرال ألبرت بايك Albert Pike، القائد الأعلى للمجلس السامي للطقس الاسكتلندي في الولايات المتحدة Supreme Council، أسس طقساً جديداً، أعاد به إحياء تنظيم الحكمة، ودمج فيه بين الماسونية الاسكتلندية وعبادة لوسيفر، وقصر عضويته على الماسون في الولايات المتحدة وأوروبا، من حائزي الدرجتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين في الماسونية الاسكتلندية.

ولوسيفر هو اسم في التراث الغربي للشيطان الذي دل الإنسان على شجرة المعرفة في سفر التكوين، وعند بايك، كما يقول في كتابه: عقيدة الطقس الاسكتلندي القديم وآدابه Morals And Dogma Of The Ancient And Accepted Scottish Rite Of Freemasonry، هو:

"لوسيفر إله النور، وكفء أدوناي Adonay، إله الظلام، وهما في تقابل دائم وصراع خالد، ولا يجب أن يرد على الخاطر أن أحدهما أدنى من الأخر أو أقل قوة منه"[١].

---

1) Arthur Edward Waite: Devil Worship In France, Or The Question Of Lucifer P30, George Redway, London, 1896.

ويقول ويت ومدام كوين بورو، وكلاهما ينقل عن الماسوني الفرنسي دكتور بتالي، وعن الماسوني الإيطالي دومنيكو مارجيوتا Domenico Margiotta، إنه بالاشتراك مع صديقه الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين جوتزيب ماتزيني Giuseppe Mazzini، أحد أبطال الثورة والوحدة الإيطالية، وأحد مؤسسي ألمافيا:

"كوَّن بايك وماتزيني أربعة محافل مركزية لنشر عقيدة لوسيفر بين ماسون الطقس الاسكتلندي من الدرجات العليا، الأول في محفل شارلستون Charleston في ولاية كارولينا الجنوبية في الولايات المتحدة، وأستاذه الأعظم ألبرت بايك، وهو نفسه الأستاذ الأعظم لمحفل شارلستون، والمحفل الثاني في روما، وأستاذه الأعظم ماتزيني، والمحفل الثالث في برلين، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، الزعيم الألماني وموحد ألمانيا ومستشارها أوتو فون بسمارك Otto Von Bismark، والمحفل الرابع في لندن، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وزير خارجية بريطانيا ورئيس حكومتها اللورد هنري جون تمبل بالمرستون، وفي سنة ١٨٧٠م (بعد وفاة بالمرستون) تم دمج المحافل الأربعة في طقس الحكمة الجديد Palladian Rite"[٢]،[٣] .

وربما تسمع أحد البقر من الأميين، الذين يحاصرونك من كل جانب، يقول ثائراً أو ساخراً: وهل كانت الحكومة البريطانية نائمة والأسرة الملكية في غيبوبة، وماسوني من الدرجة العليا وأحد عُبَّاد لوسيفر يسيطر على سياستها الخارجية، ويصعد إلى رأس حكومة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس وتسيطر أساطيلها على البحار شرقاً وغرباً؟

فقل للأمي: هديء من ثائرتك وخفف من سخريتك، فاليهود والماسون لم يصلوا إلى أن يسيطروا على العالم ويضعوا زمامه في أيديهم، ولم يفككوا بلاليص ستان، ويغرسوا دولة بني إسرائيل في قلبها، سوى بالمغفلين من أمثالك.

---

1) Albert Pike: Morals And Dogma Of The Ancient And Accepted Scottish Rite Of Freemasonry, P859, Published By The Authority Of The Supreme Council Of The Thirty Third Degree, Charleston, 1871.
2) Occult Theocracy, P242 .
3) Devil Worship in France, P35.

فالحكومة البريطانية كلها ماسونية، ورئيس الحكومة البريطانية التي كان بالمرستون وزير خارجيتها وأصدر معاهدة لندن باسمها، هو الماسوني وليم لامب، كونت ملبورن William Lamb, Viscount Melbourne، والأسرة الملكية البريطانية أيضاً ماسونية، وقد أخبرناك من قبل أن ثمة تحالفاً بين الأسرة المالكة في بريطانيا، وبين محفل إنجلترا الأعظم منذ تكوينه سنة ١٧١٧م، ويوجد تقليد سائر عبر السنين، منذ سنة ١٨١٣م، وهو أن يكون الأستاذ الأعظم لمحفل إنجلترا الأعظم من الأسرة المالكة، والأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم عند وضع معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م، هو دوق سوسيكس، الأمير أوجستس فردريك Augustus Frederick, Duke Of Sussex، أحد أبناء الملك جورج الثالث.

والملكة فكتوريا نفسها، والتي ظلت على العرش البريطاني طوال القرن التاسع عشر، من سنة ١٨٣٧م إلى سنة ١٩٠١م، هي أول من يحكم بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا Saxe Coburg And Gotha، وهي أسرة ألمانية الأصل وليست انجليزية، وهي من فروع الأسرة الميروفنجية، وهم من اليهود الأخفياء، وقد ظل ساكس كوبرج جوتا لقب الأسرة المالكة رسمياً، إلى سنة ١٩١٤م، حين اندلعت الحرب العالمية الأولى، وأصبحت بريطانيا في حرب ضد ألمانيا، فاضطر الملك جورج الخامس مراعاة لمشاعر الإنجليز الذين يحكمهم إلى تغيير لقب الأسرة إلى وندسور الإنجليزي Windsor.

فالأسرة المالكة البريطانية هي نفسها من اليهود الأخفياء Crypto Jews، إضافة إلى أنها ورثت عن الأسر السابقة التحالف مع الماسونية ومحفل انجلترا الأعظم، فهل يفسر لك ذلك تواطأها مع فرنسا على إسقاط خلافة الإسلام وتمزيق بلاد العرب، من أجل صناعة بلاليص ستان وغرس دولة بني إسرائيل في قلبها، بديلاً عن تفسيرات الأميين من أعضاء نادي البقر في بلاليص ستان، الذين يفسرون سياسات بريطانيا وفرنسا والغرب كله في كل حقبة من الزمان بما يحدث فيه من ظروف وملابسات، وبتفسيرات مختلفة لا علاقة بينها، دون أن ينتبهوا أو يفسروا لك لماذا هذه السياسات ثابتة ولا تتغير عبر السنوات والقرون، رغم تباين الزمان وتغير الظروف واختلاف الأحداث؟

فهذه هي أصول الملكة فكتوريا ونسبها، من سيرتها: Queen Victoria، التي كتبها المؤرخ الإنجليزي ليتون ستارشي Lytton Strachey:

وُلدت الملكة فكتوريا سنة ١٨١٩م، وأبوها الأمير إدوارد دوق كنت Edward, Duke Of Kent، رابع أبناء الملك جورج الثالث، ومات أبوها وجدها معاً وهي في السنة الأولى من عمرها، فربتها أمها فكتوريا ماري لويزا Victoria Mary Louisa، ابنة فرانز فريدريك Franz Frederick، دوق ساكس كوبرج، وهي دوقية في ألمانيا وداخل الإمبراطورية المقدسة، وكانت أسرته تحكمها بالوراثة منذ الحروب الصليبية، إلى أن سقطت الإمبراطورية الألمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى، سنة ١٩١٩م.

وبعد وفاة عمها الملك وليم الرابع William IV، سنة ١٨٣٧م، وكان جميع أعمامها من ورثة العرش قد ماتوا قبله، أصبحت فكتوريا ملكة بريطانيا وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وفي سنة ١٨٤٠م، تزوجت من ابن خالها الأمير فرانز أوجستس ألبرت ساكس كوبرج جوتا Franz Augustis Albert Of Saxe Coburg And Gotha، وأنجبت منه تسعة أبناء[١].

وأم الملكة فكتوريا، ماري لويزا، من اليهود الأخفياء، وأبوها إدوارد دوق كنت، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل إنجلترا الأعظم العتيق Ancient Grand Lodge، قبل أن يندمج مع محفل إنجلترا الأعظم الأصيل Premier Grand Lodge، سنة ١٨١٣م، ليتكون باندماجهما محفل إنجلترا الأعظم الموحد United Grand Lodge Of England [٢].

وبعد وفاة الملكة فكتوريا، سنة ١٩٠١م، وقد جلست على عرش بريطانيا أربعة وستين عاماً، خلفها أكبر أبنائها، ألبرت إدوارد ساكس كوبرج جوتا Albert Edward Of Saxe Coburg And Gotha، ليصبح ملك بريطانيا والهند، وأول من يعتلي عرش بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا من الرجال، ولتتحول بذلك وراثة العرش البريطاني إلى الأسرة.

---

1) Lytton Strachey: Queen Victoria, P19, 134, Harcourt, Brace, And Company, New York, Copyright, 1921.

2) Albert Mac Key: Encyclopaedia of Freemasonry, Revised And Enlarged Edition, Vol. 2, D-L, P86, The Masonic History Company; 1929.

والأمير ألبرت ساكس كوبرج جوتا، هو الذي اعتلى عرش بريطانيا باسم الملك إدوارد السابع Edward VII، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان قبل أن يعتلي العرش ويصبح ملك بريطانيا، وفي عهد أمه الملكة، كان عضو المجلس السامي للماسونية في إنجلترا Supreme Council، والأستاذ الأعظم لمحفل إنجلترا الأعظم ستة وعشرين عاماً، من سنة ١٨٧٥م إلى سنة ١٩٠١م، فانتقل من سدة محفل إنجلترا الأعظم إلى عرش بريطانيا مباشرة، اتباعاً للحلف الذي بين المحفل والمملكة، والتقليد الذي يقضي بأن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل من الأسرة المالكة، ولكنه يمنع الجمع بين عرش الماسونية والعرش البريطاني في وقت واحد.

وبعد أن اعتلى إدوارد السابع العرش، منحه محفل إنجلترا الأعظم لقب حامي الأخوية Protector Of The Craft، وخلفه في رئاسة محفل إنجلترا الأعظم ومنصب أستاذه الأعظم أخوه وثالث أبناء الملكة فكتوريا، الأمير آرثر ألبرت دوق كانوت Arthur Albert Duke[١] .Of Cannaught

وبعد بريطانيا، أو قبلها، ولكي لا تتوهم أن ما فعلته بأول الآتين من الخلف، بعد أن انتهى دوره في السيناريو الماسوني، موقف تنفرد به، إليك ما فعلته به فرنسا، وهي حاميته والتي كونت له كل شيء في دولته، مع تفسيره الأمي.

يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي عن سلوك فرنسا بعد توقيع معاهدة لندن، وحتى انسحاب جيش أول الآتين من الخلف من الشام:

"واعتزم محمد علي ألا يعمل بها ولا يُقر شروطها، وكانت فرنسا تحرضه على رفضها وتعده ألا تتخلى عنه، وتمنِّيه بأنها تدافع عنه بقوة جيوشها وأساطيلها، فازداد تمسكاً بموقفه، ولو لم تعده الحكومة الفرنسية بمعاونته إذا حزب الأمر، لكان له موقف غير موقفه هذا، لأن محمد علي كان مشهوراً عنه الحكمة وبعد النظر، وهو لا يفوته أن من وراء الطاقة ومن المتعذر على مصر محاربة دول خمس مجتمعات متألبات عليها، ولكنه كان مطمئناً إلى

1) **Encyclopedia Of Freemasonry And Its Kindred Sciences, Revised and Enlarged Edition, Vol. 2, D-L, P87.**

معاونة فرنسا الحربية، فركب الشطط وارتدف العناد ... في غضون هذه الحرب تغير مسلك فرنسا حيال مصر تغيراً عظيماً، فبعد أن كان المسيو تييرس Thiers رئيس الوزارة الفرنسية يشجع محمد علي ويطوع له رفض مطالب الحلفاء ويعده بمعاضدة فرنسا له، تراجع ونكص على عقبيه ... وعمد المسيو تييرس الى سياسة التسويف، فلم يعمل ولكنه سيعمل(!!) ... وأمعن في تراجعه، فاستدعى الأسطول الفرنسي الذي كان يراقب الأحوال في مياه الشرق، وأمره بالعودة الى فرنسا، وهكذا أخفقت سياسة تييرس، وتخبط من فشل إلى فشل، وعرَّض كرامة بلاده للامتهان، وجنى على مصر بأن ورطها في رفض شروط معاهدة لندره، وسوَّل لها ثم تخلى عنها وتركها وحدها ازاء الدول المتألبة عليها، فأذعنت واضُطرت الى قبول شروط أسوأ مما عُرض عليها في المعاهدة، وكانت هذه السياسة الخرقاء من فرنسا سبباً في ..."[١].

والأخرق ليس فرنسا ورئيس حكومتها، بل الأميون في بلاليص ستان الذين يعتقدون ذلك، ويفسرون سلوك دول الغرب وسياساتها عبر مختلف الأزمان والحقب بتفسيرات مختلفة، لا علاقة بينها، ويعلقونها على أوضاع أو ملابسات متغيرة، رغم أن هذا الموقف واحد ولا يتغير، وهذه السياسات هي هي، وهو ما يعني وجود غاية ثابتة ملفوفة في الغايات الظاهرة، هي مصدر هذا السلوك الواحد والسياسات التي لا تتغير.

فالمؤرخ الأمي يصف سياسات فرنسا التي وضعت أول الآتين من الخلف بين أنياب إنجلترا ومخالبها بالفشل وأنها خرقاء، وكأن ذلك مصادفة، أو موقف عابر في التاريخ، أو يرتبط بشخص رئيس الحكومة الفرنسية إذ ذاك، فكأنه وقد كتب كتابه سنة ١٩٣٠م، لم يسمع عن تواطؤ ديليسبس الفرنسي مع إنجلترا سنة ١٨٨٢م وفتحه قناة السويس أمام قوات الجنرال ولسلي لتحتل مصر، أو كأنه لم يشهد في حياته اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٧م وتواطؤ فرنسا مع إنجلترا على تمزيق الشام من أجل قطع فلسطين عما حولها وتوطئتها لليهود، وهي الخطوة الكبيرة الثانية في المشروع اليهودي، بعد الخطوة الكبيرة الأولى، التي هي ما تقرأه الآن عن أول الآتين من الخلف وما فعله بجيشه ودولته.

---

١) عصر محمد علي، ص٢٩٥-٣٠٠.

والمؤرخ الأمي يتهم فرنسا وحكومتها بالفشل والتخبط، لأنه يتوهم أنها لم تكن تريد ما حدث، وأن تغريرها بأول الآتين من الخلف، وتحريضه لرفض معاهدة لندن ومواجهة الحلفاء عسكرياً، ثم خذلانها له وسحب أسطولها لتخلي البحر المتوسط للأسطول الإنجليزي، يتوهم أن ذلك ينفصل عما فعلته إنجلترا به وتمزيقها لجيشه وشروط معاهدة لندن، وقد كان سيفهم لو أنه افترض بدلاً من ذلك أن هذا هو ما كانت تريده فرنسا، وأن بينها وبين إنجلترا غاية مشتركة، من أجلها صنعته فرنسا وغضت إنجلترا الطرف عنها، ثم مزقته إنجلترا وغضت فرنسا الطرف عنها.

وغاية إنجلترا وفرنسا المشتركة، هي عصر أول الآتين من الخلف، واستنزافه، وإخراجه من الشام بعد أن فصلها عن الدولة العثمانية وأدى مهمته فيها، وحصره في مصر، لأن بقية دوره هو وأسرته في السيناريو الماسوني ينحصر فيها، وهو استكمال عزلها عن محيطها العربي الإسلامي، وبناء مؤسساتها بالعقيدة القومية التوراتية البني إسرائيلية.

وهو ما تجده فيما يخبرك به المؤرخ الأمي، وهو يشمخ ولا مؤاخذة بأنفه، عن النتيجة النهائية لحروب أول الآتين من الخلف:

" **فأجدر بمصر أن تفخر بحروبها في عصر محمد علي ... فهذه الحروب هي إذن من أقوى دعائم الدولة المصرية المستقلة، ومن أعظم أركان القومية المصرية ... وحروب سوريا والأناضول كانت من أقوى المقومات المصرية، إذ لا يخفى أنها فتحت أذهان المصريين إلى أن لمصر شخصية منفصلة تمام الانفصال عن القومية التركية، وجاء قيام محمد علي في وجه تركيا، وهي وقتئذ دولة الخلافة الاسلامية، تحطيماً لفكرة اندماج مصر في السلطنة العثمانية، وعملاً بعيد المدى كان له أثر كبير في تشييد صرح القومية المصرية**"[١].

والذي يشمخ المؤرخ الأمي بأنفه مفتخراً به هو في حقيقته خزي وعار، فهذه الحروب وما ترتب عليها، هي التي ربطت مصر في عجلة إمبراطوريات الغرب الماسونية، وحولتها في

---

١) **عصر محمد علي، ص٣٢٠.**

غلاف الاستقلال إلى نعل في أقدامها، والشخصية المنفصلة التي كونتها لها، عزلتها عن الإسلام وميزانه، فلم يعد يفرق عند حكامها ونخبها الضالة في كل المجالات أن يكون مَن في فلسطين عرباً أو يهوداً، ولا أن تكون القدس قدساً أو أورشليم، ووصل بها الضلال إلى أن تقاتل مع بريطانيا الماسونية وتشترك معها في تسليم فلسطين للعصابات الصهيونية، ثم تحتفل بعد مائة عام بذلك على أنه من صفحات المجد والفخار!

فالآن عُد إلى سيرة السان سيمونيين، وراجع رسالة زعيمهم في مصر الأب إنفانتان، إلى صديقه وأحد أتباعه أرليس دوفور، في ١٣ يناير سنة ١٨٣٦م، يخبره أنه:

"**... ويمكن وضع مصر تحت الوصاية الأوروبية المؤقتة بعد نزهة عسكرية، بهدف القضاء على الهيمنة التركية، والاحتلال يجب أن يكون أنجلوساكسونياً للأسباب التالية ...**"[١].

فإذا عدت وراجعت، ستدرك أن فرض وصاية إنجلترا على مصر والشرق كله، هدفٌ كان يريده ويخطط له اليهود والقباليون والماسون في فرنسا وليس إنجلترا، وأول الآتين من الخلف في أوج قوته، بعد اتفاقية كوتاهية وقبل معاهدة لندن، ومن قبل أن تظهر إنجلترا على مسرح الأحداث في الشرق بجيشها وأسطولها، ليس من أجل إنجلترا، بل من أجل دفع مسار التاريخ والوصول به إلى أهدافهم.

والآن وأنت تقرأ ما فعلته الإمبراطوريات الماسونية بأول الآتين من الخلف وجيشه بذريعة حماية الباب العالي، ربما يثب إلى ذهنك سؤال، وهو: بعد استنزاف أول الآتين من الخلف للباب العالي، وبعد أن صارت أساطيلها تحاصر الأستانة، لماذا لم تنتهز هذه الإمبراطوريات ضعف الدولة العثمانية، وتُفكِّكها وتحتل بلدانها، ولماذا أخرت هذه الخطوة إلى زمن الحرب العالمية الأولى، بعد أكثر من سبعين عاماً؟

---

١) **المؤرخ فيليب رينيه: السان سيمونيين في مصر ١٨٣٣م-١٨٥١م، ص١١٢.**

والجواب: لأن الغرض الحقيقي لهذه الإمبراطوريات وجيوشها، ليس مجرد تفكيك الدولة العثمانية، ولا أن تملأ هي الفراغ الناشيء عن تفكيكها، ولا أن تسمح لقوة غيرها في الشرق بملئه، حتى لو كانت حليفة لها، ولذا ضربت أول الآتين من الخلف وحصرته رغم أنه عرض عليها صراحة، كما رأيت، أن يشترك معها في تمزيق الدولة العثمانية، وأن يكون قوة عميلة لهذه الإمبراطوريات، ولإنجلترا تحديداً، تحل محل الدولة العثمانية.

وتفسير ذلك، أن الغرض الحقيقي للإمبراطوريات الماسونية، هو تفكيك الدولة العثمانية، وإحداث فراغ في الشرق، لكي يملأه اليهود ويتمددوا فيه، واليهود إذ ذاك مازالوا في مكامنهم في كواليس السلطة وأدمغة الساسة في الغرب، وداخل رأس أول الآتين من الخلف في الشرق، ولم يكونوا قد ظهروا بعدُ وصاروا مرئيين على مسرح الأحداث في الشرق، ولم تكن لهم قوة سياسية ولا عسكرية صريحة، تُمكنهم من ملء الفراغ الذي ينتجه تفكيك الدولة العثمانية، فلما صارت لهم هذه القوة وأخذوا أهبتهم، وصار الشرق كله مهيئاً لهم، آن أوان التفكيك وإحداث الفراغ.

والآن إليك تفسيرات الأميين، لتقارنها بتفسيرنا، وترى أيها أقدر على ربط الأحداث معاً وتفسيرها مجتمعة، دون فجوات ولا التواءات، وعلى تفسير المسار الذي تسير فيه بلاليص ستان كاملاً، منذ حملة نابليون والماسون في فرنسا، وزمان أول الآتين من الخلف، وحتى زمان ثالث الآتين من الخلف، وصفقة القرن.

يقول دكتور خالد فهمي في كتابه: كل رجال الباشا، وهو الأطروحة التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة أوكسفورد في بريطانيا:

"كان هذا التوقع لتزايد نفوذ روسيا في إسطنبول وتوسعها جنوباً في اتجاه الهند هو الذي أجج مشاعر بالمرستون المعادية لسياسات الباشا الاحتكارية، وذلك لأن نظام الاحتكار الذي أقامه الباشا هو الذي أتاح له أن يحول الفائض المجموع من الزراعة والتجارة إلى الجيش، فتمكن بذلك من بناء جيش قوي وأسطول مرهوب الجانب، استخدمه بعد ذلك في تهديد أملاك السلطان، ففي النهاية كان اهتمام بالمرستون الأعظم هو الأملاك البريطانية في آسيا، وقد نظرت كل من لندن وبومباي إلى محمد علي من حيث هو مصدر تهديد خطير

لهذه الأسواق المهمة، وكان خوفه الأكبر أن تتمكن روسيا من التدخل فيها ... وكان شعار بالمرستون: الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية، المتراس الأكثر فعالية الذي وضعه للحيلولة دون العدوان الروسي المحتمل"[1].

فتنبه أن الدكتور يفسر حيلولة إنجلترا دون تفكيك الدولة العثمانية، بأنها كانت تريد تقليص نفوذ روسيا فيها ومنع سيطرتها عليها، والوصول للهند، مع أن روسيا كانت الحليف الرئيسي لإنجلترا في ضرب أول الآتين من الخلف، والضغط عليه عسكرياً لإيقاف زحفه على الدولة العثمانية، وفي معاهدة لندن التي أجبرته على الانسحاب بجيشه من الشام، ومنعت تفكك الدولة العثمانية!

وما غاب عن الدكتور ولم ينتبه إليه، وينسف تفسيره، أن روسيا القيصرية، هي نفسها، كانت أحد أطراف اتفاقية سايكس بيكو، التي مزقت الدولة العثمانية، بعد معاهدة لندن بستة وسبعين عاماً، وإنجلترا ما زالت تحتل الهند.

فاتفاقية سايكس بيكو، التي تم توقيعها سراً في ١٦ مايو سنة ١٩١٦م، كانت في الأصل ثلاثية، وطرفها الثالث، مع إنجلترا وفرنسا، روسيا القيصرية، وقد وقعها عنها وزير خارجيتها سيرجي سازونوف Sergey Sazonov، ثم انسحبت روسيا من الاتفاقية وكشفتها، في نوفمبر ١٩١٧م، مع اندلاع الثورة البلشفية وسقوط روسيا القيصرية، وكان الاتفاق أن يكون نصيب روسيا من أراضي الدولة العثمانية بعد تمزيقها، المنطقة التي تقع فيها الأستانة ومضيقا البسفور والدردنيل.

فروسيا القيصرية. كما ترى، كانت حليفاً لإنجلترا في ضرب أول الآتين من الخلف ومنع تفكك الدولة العثمانية، ثم شريكاً لها في تمزيقها وتقسيم بلدانها، ولم يكن عند إنجلترا أي مانع أن تمنحها السيطرة على عاصمة الدولة العثمانية، ومنطقة المضايق الاستراتيجية، معبر التجارة بين آسيا وأوروبا، لأن هدفها الحقيقي، وهدف جميع اليهود والماسون، في الشام ومصر.

---

١) كل رجال الباشا، ص٣٨٤، ٣٨٥.

وتنبه أيضاً أن الدكتور يفسر إذلال إنجلترا لأول الآتين من الخلف، ومنعه من تفكيك الدولة العثمانية، بالحفاظ على تجارتها في الهند، رغم أن أول الآتين من الخلف كان يعي ضآلة حجمه مقارنة بإنجلترا وجيوشها وأساطيلها ونفوذها في قارات العالم كلها، وصرَّح لقناصلها بذلك، بل وعرض عليهم دون مواربة أن يكون عميلاً لإنجلترا، يأتمر بأمرها، ويحالفها في تجارتها.

وثمة أحد الأسئلة البريئة التي نترك لك الإجابة عليها، لو أدخل دكتور خالد فهمي في أطروحته وتفسيره، ولو كأحد العناصر، المشروع اليهودي وتوطئة الشرق له، وموقع اليهود ومشروعهم من الماسونية، وموقع الماسونية من إجلترا وساستها وسياساتها، والهوية الحقيقية للتجار وإمبراطورية بريطانيا التجارية في الهند، التي سنعرفك بها، لو مزَّق الدكتور الشرنقة، وأدخل في تفسيره هذه العناصر، هل كانوا سيسمحون له أن يُتم رسالته ويمنحونه في أكسفورد درجة الدكتوراة، بل هل كانوا سيسمحون له أن يبدأها أصلاً؟!

والآن جاء أوان أن نعرفك بحقيقة إمبراطورية التجارة البريطانية في الهند، التي يدور حولها تفسير الأميين لسياسات الامبراطوريات الماسونية في الشرق، فهي عندهم سبب حملة الماسوني نابليون على مصر، لكي يقطع طريق إنجلترا إلى الهند، وهي التي من أجلها ضربت بريطانيا أول الآتين من الخلف، وأبقت الباب العالي في معاهدة لندن، لكي تحافظ عليها وتمنع روسيا من الاقتراب منها، وهي تفسير معارضة إنجلترا لمشروع حفر قناة السويس، ثم استيلائها عليها واحتلال مصر.

فإليك أولاً تفسير المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي لسياسات إنجلترا في بلاد الشرق كلها:

"لم تكن المحافظة على كيان السلطنة العثمانية هي وجهة نظرها الحقيقية، بل غايتها الجوهرية هي إضعاف الدولة المصرية، لأنها ترى فيها إذا قويت مزاحماً لها في سيادتها بالبحر الأبيض المتوسط ورقيباً عليها في طريقها إلى الهند، ومن هنا كانت إنجلترا تتمسك بكل عزم وقوة بوجوب رد سوريا الى تركيا ... فالسياسة الإنجليزية هي التي سعت جهدها

لتقليم أظفار مصر وقص أجنحتها، وإبقائها تحت السيادة التركية، وإنقاص قوتها البرية والبحرية، كأن استعمارها للهند يقتضي استعباد جميع البلاد التي في طريقها إليها"[1].

وكما ترى، الأميون يفسرون ما شهدته بلاليص ستان من أحداث عبر تاريخها بأشياء مفككة ومبعثرة ولا رابط بينها، والبعد الوحيد الغائب عن تفسيراتهم، ويتجنبونه غفلة أو عمداً، هو المشروع اليهودي، رغم أنه الثابت الوحيد والمستديم والذي لا يتغير في هذا التاريخ، وكل ما عداه يتغير ويزول ويحل محله غيره.

فالدولة العثمانية كانت ثم تفككت، وبلاليص ستان لم تكن وكانت، ومصر كانت ملكية وصارت جمهورية، وإمبراطورية إنجلترا التجارية في الهند بادت والهند استقلت، وبريطانيا نفسها لم تعد إمبراطورية وحلت محلها في الشرق الولايات المتحدة الماسونية، وروسيا القيصرية سقطت وصارت شيوعية، والشيء الوحيد الباقي، ومع كل تغيير أو زوال لأي عنصر آخر يتراكم ويتقدم ويتطور، هو المشروع اليهودي الذي لا تراه أعين الأميين العمياء وتخلو منه تفسيراتهم[•].

---

١) عصر محمد علي، ص٢٨٧.

•) من هذا الموضع في الكتاب الذي بين يديك، أبحرنا في مسار جانبي، لاستكشاف مسألة التجارة في الشرق واحتلال بريطانيا للهند، وعلاقتها بالمشروع اليهودي عبر التاريخ، وهي المسألة التي يفسر بها الأميون سياسات بريطانيا في بلاد العرب، فأوصلنا هذا الإبحار إلى محيط مسألة الكشوف الجغرافية وعلاقتها هي الأخرى بالمشروع اليهودي وغايات اليهود، وقد أسفر هذا الإبحار عن كتابنا: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية.

الماسونية في عهد أول الآتين من الخلف

وقبل أن نعرفك بالماسونية في بلاليص ستان في عهد أول الآتين من الخلف، ننبهك أولاً إلى أن دوائر عالم السر والخفاء متعددة، وبينها ترافد وتلاقح، ولكنها ليست واحدة، ولا تنحصر في الحركات السرية أو الماسونية، كما يتوهم من لا يعنيهم سوى التنقيب عن أي شيء له صلة بالماسونية ليصموا به من يخالفونهم، أو لأن الماسونية من شهرة اسمها وما يرتبط به من إثارة، تجذب كتل العوام، وتجعل من يتكلم عنها يبدو عندهم وكأنه من الخبراء في الحركات السرية والعليمين ببواطن الأمور، أو لأن الكلام عن الماسونية صار إحدى موضات العصر.

فالماسونية ليست سوى إحدى دوائر عالم السر والخفاء، وغير الماسونية من الحركات السرية دائرة أخرى، واليهود الأخفياء دائرة ثالثة، وخريجو حواري اليهود دائرة رابعة.

ومن الشائع في تاريخ اليهود الأخفياء والحركات السرية بمختلف أنواعها، أن ينتمي رجل لدوائر متعددة من عالم السر والخفاء، ويوظف دائرة منها لأخرى، أو يصطدم بهذه من أجل تلك، فيذهل من يتتبعونه بالظاهر منها عن الخفي، وبالخفي عن الأبعد خفاءًا.

فآدم فَيسهاوبت Adam Weishaupt يهودي مشكوك في يهوديته، وكان من الماسون وأحد قادة محفل تيودور بون كونسيل في ميونيخ Theodor De Bon Conseil، ولكن الدائرة الرئيسية التي ينتمي إليها هي منظمة الإليوميناتي Illuminati، التي غزا بها المحافل الماسونية في ألمانيا وفرنسا، وحولها إلى أداة لها، وكانت الفاعل الحقيقي خلف الثورة الفرنسية.

وكمال أتاتورك كان عضواً في محفل فريتاس Lodge Veritas، في سالونيكا، وهو يتبع الشرق الأعظم الفرنسي، ولكن الدائرة الرئيسية من عالم السر والخفاء التي تكوَّن فيها وينتمي إليها هي الدُونمة، وهم أحد الفروع الكبرى في شجرة اليهود الأخفياء،

وأتاتورك الآتي من الخلف وولي الأمر المتغلب في تركيا هو ابن سالونيكا، مستوطنة الدونمة، وهي مع قَوَلة حارة اليهود في اليونان العثمانية.

ومِثل أتاتورك ثاني الآتين من الخلف في بلاليص ستان، فقد كان عضواً في قسم الأحذية في تنظيم حدتو الشيوعي(•)، تحت قيادة اليهودي هنري كورييل، وبعد أن وصل إلى السلطة في بلاليص ستان وحَّد التنظيمات الشيوعية، وله صلة بالماسونية سنعرفك بها إذا أراد الله ووصلنا بسلسلة كتب بلاليص ستان إليه، ولكن الدائرة الرئيسية التي ينتمي إليها وصنعت بناءه الذهني والنفسي هي اليهود الأخفياء ومعمل صناعة الآتين من الخلف في بلاليص ستان، حارة اليهود، وثالث الآتين من الخلف مثلهما.

وقبلهم جميعاً أول الآتين من الخلف، فهو مثل جميع الآتين من الخلف، ومثل جمال الدين الأفغاني، له صلة بالماسونية والحركات السرية، ولكن الدائرة الرئيسية من دوائر عالم السر والخفاء التي ينتمي اليها هي دائرة اليهود الأخفياء وخريجي حواري اليهود، وهي أشد خطراً وأعمق أثراً في المجتمعات من الماسونية ومن جميع الحركات السرية.

ولأن دائرة اليهود الأخفياء وخريجي حواري اليهود، هي الدائرة الرئيسية والحقيقية من دوائر عالم السر والخفاء التي ينتمي إليها أول الآتين من الخلف، وهي مصدر تكوينه، وصانعة بنائه الذهني والنفسي، وما فيه من غايات ودوافع، وهي تفسير ما فعله بمصر، ورأيته طوال الكتاب الذي بين يديك، وما فعله في الشام، وستراه في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فقد أخرنا الكلام عن الماسونية في عهده وصلته بها إلى آخر الكتاب، لإتمام كشف الجوانب الخفية والمجهولة من سيرته.

ومن الطريف، ومن تصاريف الأقدار وإشاراتها الموحية، أن أول ظهور لأول الآتين من الخلف على مسرح التاريخ في بلاليص ستان، كان من خلال الماسون، ولولاهم ما وصل مصر، ولا كان له فيها تاريخ.

(•) كان لكل قسم في تنظيم حدتو الشيوعي، اسم رمزي، والاسم الرمزي لقسم ضباط الجيش هو: قسم الأحذية!

يقول المؤرخ البريطاني وأستاذ التاريخ في جامعة لندن، هنري دودويل، في سيرته الأكاديمية لأول الآتين من الخلف: مؤسس مصر الحديثة، إنه بعد وصول الأسطول العثماني والأسطول البريطاني إلى أبي قير في الإسكندرية، لمواجهة نابليون وحملته وإخراجه من مصر، وكان أول الآتين من الخلف على متن الأسطول العثماني، قائداً لفصيلة من الباشي بوزوق، وهي كما علمتَ، فصائل من المرتزقة، وتتكون من أفراد متطوعين تستعين بهم الدولة للقتال في مقابل المال:

"وكان وصول القوة التركية إلى أبي قير عاصفاً، وواجهتها عند نزولها إلى الميناء عوائق عديدة، قبل أن يتمكن الفرنسيون من ردها إلى البحر، ووقع محمد علي نفسه في البحر وكاد يغرق Nearly Drowned، لولا أن أنقذه أحد القوارب الحربية لقائد القوات البريطانية"[1].

وفي رواية أكثر تفصيلاً، يقول المؤرخ المصري أحمد حافظ عوض في كتابه: فتح مصر الحديث، أو نابليون بونابرت في مصر:

"وتلاقى الجيشان (الفرنسي والعثماني) وجهاً لوجه، ثم بدأت المدافع الكبيرة تقذف نيرانها على مراكب صغيرة للأتراك دخلت بحيرة إدكو، فغرق بعضها وانسحب البعض الآخر، وتقدم الجنرال مورات بفرسانه وبأربعة من بطاريات المدفعية، ونزل الأتراك إلى السهل، حيث كان الفرسان الفرنسيون ينتظرونهم، وقذفت المدافع عليهم النار، وفغرت البنادق أفواهها تمطرهم الرصاص، فحاولوا العودة والنزول إلى المراكب، واختل نظام الجيش العثماني، فأركن جنوده إلى الفرار طالبين النجاة بالالتجاء إلى القوارب في مياه أبي قير، ولكن الجزء الأكبر منهم لم يتمكن من اللحاق بالسفن، فغرق منهم خلق كثير ... وكان بين الجنود العثمانيين الذين ألقوا بأنفسهم في البحر فراراً من الفرنساويين جندي من الباشبوزوق قد غلبته الأمواج، وحامت حوله رسل الموت، وهو يطفو مرة ويرسب أخرى، حتى ألقته المقادير إلى جوار قارب السرعسكر سيدني سميث، الذي أبصر ذلك الجندي المشرف على الهلاك فمد يده لإنقاذه، وتمكن بمساعدة من معه من رفعه إلى القارب، فلم يكن من المغرقين، ذلك الجندي هو

---

1) The Founder Of Modern Egypt, P110.

محمد علي من بلدة قَوَلة الحقيرة، قدم مع القادمين المتطوعين لخلاص مصر من أيدي الفرنساويين"[١].

والأدميرال سيدني سميث، قائد الأسطول البريطاني، الذي أنقذ أول الآتين من الخلف من الغرق، واستبقاه ليتسلل إلى السلطة، ويبدأ المسار اليهودي للشرق، من مشاهير الماسون ورجال الحركات السرية، ككل ساسة بريطانيا وقادة جيوشها في القرن التاسع عشر.

فهاك سيرته في الماسونية من كتاب: عشرة آلاف من مشاهير الماسون، للماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين وليم دنسلو، وهو الكتاب الذي كتب مقدمته الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، والرئيس الأمريكي الثالث والثلاثين أيضاً، هاري ترومان:

"نال الأدميرال وليم سيدني سميث الدرجات الثلاث كلها، في سمرست هاوس Somerset House، في محفل إنفرنيس رقم: ٤ Inverness Lodge No. 4، وفي سنة ١٨٢٩م صار عضواً في محفل الأساتذة العظام Grand Masters Lodge في لندن"[٢].

وفي الباب الذي خصصه للتنظيمات العسكرية، من كتابه: التقليد السري في الماسونية The Secret Tradition In Freemasonry، يقول الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين والأستاذ الأعظم لمنظمة الروزيكروشيان أو الصليب الوردي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، آرثر إدوارد ويت Arthur Edward Waite، وهو أيضاً من الخبراء وكبار الباحثين في تاريخ الماسونية والحركات السرية، إنه:

في سنة ١٨٣٨م، مات فابري بالابرا Fabré-Palaprat، الأستاذ الأعظم لتنظيم الهيكل Order Of The Temple، وتم تنصيب أدميرالنا الإنجليزي السير وليم سيدني سميث Our English Admiral Sir William Sydney Smith، أستاذاً أعظم للمنظمة"[٣].

---

١) فتح مصر الحديث، أو نابليون بونابرت في مصر، ص٣٤٠.

2) William Denslow: 10,000 Famous Freemasons, Vol. IV, P163 Published By Macoy Publishing & Masonic Supply Co., Inc., Richmond, Virginia, 1957.

3) Arthur Edward Waite: The Secret Tradition In Freemasonry, Vol. I, P163, Rebman Ltd., London, 1911.

وتنظيم الهيكل، هو الاسم المختصر للتنظيم العسكري السامي لهيكل أورشليم ، واسمه الرسمي هو: Ordo Supremus Militaris Temple Hierosolymitani، وهو تنظيم أنشأه الماسوني الفرنسي فابري بالابرا، سنة ١٨٠٤م، في باريس، ثم صار له فروع في أغلب مدن أوروبا الكبرى، وزعم بالابرا أن تنظيمه هو نفسه منظمة فرسان الهيكل التاريخية التي أُنشئت إبان الحروب الصليبية، وحلها البابا كلمنت الخامس Clement V، بالاتفاق مع ملك فرنسا فيليب الرابع Philip IV، سنة ١٣١٤م.

وقال فابري بالابرا إن آخر أستاذ الأعظم لفرسان الهيكل، جاك دي مولاي Jacques De Molay، عهد قبل اعتقاله بقيادة المنظمة إلى يوهانس لارمينيوسJohunnes Larmenius، وظل الأساتذة العظام يتعاقبون على قيادة المنظمة دون انقطاع عبر القرون، وأن ما فعله بالابرا هو إخراجها من الظلام إلى النور، ومن السر إلى العلن، بعد سقوط الملكية وتدهور سلطة البابوية بالثورة الفرنسية.

وضمن وثائق تنظيم الهيكل، التي يضعها في موقعه الرسمي على الإنترنت، قائمة بأساتذة المنظمة العظام عبر التاريخ، وتبدأ بمؤسس منظمة فرسان الهيكل التاريخية وأول أساتذتها العظام، هوج دى بايان Hugues De Payens، ولا تنتهي بجاك دي مولاي، بل يتصل فيها الأساتذة العظام حتى القرن العشرين، والأستاذ الأعظم السابع والأربعون لمنظمة فرسان الهيكل في هذه القائمة، والأستاذ الأعظم الثاني لتنظيم الهيكل بعد إحيائه أو إعلانه على يد فابري بالابرا، هو الأدميرال وليم سيدني سميث(١).

والآن إلى الماسونية في مصر في عهد أول الآتين من الخلف.

أخبرناك في بدايات هذا الكتاب الذي بين يديك، نقلاً عن مؤرخ الماسونية توكيت، أن محافل الطقس المصري من الماسونية كانت توجد في مصر قبل قدوم حملة الماسوني نابليون اليها، وأنه

---

1) https://osmtj.net/grand-masters/

"كان يوجد في مصر من قبل قدوم الحملة جمعية سرية يرأسها مصري يعيش بين بكوات المماليك، وأدخل كليبر فيها، وتصف الوثائق هذا المصري بأنه الأستاذ الأعظم للعمل الكبير Le Supreme Matre Du Grand Auvre"[1].

وأنه طبقاً للوثائق الماسونية، كما يقول الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي فريك جولد:

"الماسونية من طقس ممفيس Rite Of Memphis أُدخلت إلى مصر سنة ١٧٩٨م، بواسطة نابليون وكليبر وعدد آخر من قادة الجيش الفرنسي"[2].

وفي كتابه: تاريخ الماسونية العام، الذي أصدره سنة ١٨٨٩م، وهو أول كتاب عربي عن الماسونية، والمصدر العربي الوحيد لنشأة الماسونية في مصر، يقول الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، ومؤسس محفل الهلال وأستاذه الأعظم، ومؤسس دار الهلال المصرية ومجلتها، جورجي زيدان:

"أما الماسونية الرمزية فلم تظهر في مصر قبل سنة ١٧٩٨م، أي أثناء الحملة الفرنساوية، وتفصيل ذلك أن نابليون بونابرت لما جاء الديار المصرية وافتتحها كان في معيته نخبة من رجال فرنسا، وفيهم الجنرال كلابر/كليبر المشهور، فلما وصلوا القاهرة اتفق بونابرت والجنرال كلابر وعدة من الضباط، وكانوا من الإخوة الماسونيين، على تأسيس محفل يجتمعون إليه، فأسسوه في أغسطس من تلك السنة في القاهرة، ودَعَوه محفل إيزيس، وهو يشتغل على طريقة دعاها نابليون طريقة ممفيس، ولعلهم قصدوا بذلك مقصداً سياسياً، لأنهم أدخلوا فيه كثيراً من عُمد البلاد ورجالها ... ومما يليق ذكره أن احد اعضاء هذا المحفل من الوطنيين، ويدعى صموئيل جِنس لما انفصمت عُرى محفل إيزيس ما زال ميالاً إلى نشر المبادئ الماسونية مغرماً بها، ففي سنة ١٨١٤م سافر إلى فرنسا، وأنشأ في مونت أمبو محفلاً على الطريقة الممفيسية، في ١٣ أفريل سنة ١٨١٥م، بمساعدة الأخ جبرائيل

---

1) Napoleon I And Freemasonry, In: A.R.C. Transactions Of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, P108.
2) History Of FreemasonryThroughout The World, Vol. IV, P232.

متى مركونيس، والبارون دوماس، والماركيس دي لاروك، وهيبوليت لابرونيه، دَعَوه محفل تلامذة ممفيس، وقد تفرع من هذا المحفل في فرنسا محافل أخرى كثيرة تعمل على الطريقة الممفيسية"[١].

وما ذكره جورجي زيدان عن انضمام بعض الأقباط، الذين سماهم الوطنيين، إلى محفل إيزيس الذي أنشأه قادة حملة الماسون على مصر، طواعية، وما أخبرك به من حماسة صموئيل حِنس للماسونية وسفره لفرنسا ونشره لمحافل طقس ممفيس فيها، وهي في الأصل مهدها، يؤكد لك المعلومتين التي انفرد بهما توكيت من بين جميع مؤرخي الماسونية، وهي أن محافل الطقس المصري كانت موجودة وعاملة في مصر، وأنه كان ثمة جمعيات سرية تعمل في أوساط الأقباط، من قبل قدوم الحملة إليها.

وتحريراً لما قاله فريك فريك جولد وجورجي زيدان، ينبغي أن تعلم أولاً أن طقس ممفيس غير الطقس المصري، وقد بدأ كل منهما منفصلاً عن الآخر، ولكن كثيراً من مؤرخي الماسونية قد يستخدمون اسم احدهما للدلالة على الآخر، لأنهما قريبان، ولأنه تم التوحيد بينهما واندمجا في طقس واحد أُطلق عليه: طقس ممفيس مصرايم The Rite of Memphis Misraïm، وكان اندماجهما سنة ١٨٨٢م على يد الجنرال الماسوني جاريبالدي Garibaldi، أحد أبطال الوحدة الإيطالية.

وثانياً: أن كليبر كان عضواً في محافل فيلادلفي العسكرية، وقد عرَّفناك بها تفصيلاً، وأنها كانت على علاقة وثيقة بالطقس المصري في فرنسا وفي مصر، وبينهما محافل مشتركة، ومن ثَم فمحافل فيلادلفي تُصنف على أنها جزء من الطقس المصري أو فرع منه.

ومحفل إيزيس La Loge Isis ، وهو في الماسونية أول محفل رسمي تم إنشاؤه في مصر، أنشأه كليبر مع مجموعة من قادة الحملة الفرنسية وعلمائها، وكان كليبر أستاذه الأعظم، وهو

---

١) الماسوني: جورجي زيدان: تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى هذا اليوم، ص٢١١-٢١٢، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، طبع بمطبعة المحروسة بمصر، سنة ١٨٨٩م.

ما يعني أن كليبر ومن اشتركوا معه في تكوين المحفل، كانوا جميعاً من حائزي درجة الأستاذ على الأقل Master.

والذين اشتركوا مع كليبر في تكوين محفل إيزيس من قادة الحملة الفرنسية، هم الجنرال جواكيم مورا Joachim Murat، زوج كارولين بونابرت أخت نابليون، وفي سنة ١٨٠٨م نصبه نابليون ملكاً على نابولي، والجنرال أوجست دي مارمون Auguste De Marmont، والجنرال لويس ألكساندر بِرتييه Louis Alexandre Berthier، والجنرال أندريه مِسينا André Masséna، والمهندس جاسبار مونج Gaspard Monge، رئيس المجمع العلمي المصري Institut D'Égypte، الذي أنشاه نابليون في مصر، والكيميائي كلود بِرتوليه Claude Berthollet، أحد أعضاء المجمع العلمي، وعالم الآثار فيفان دينو Vivant Denon، أحد أعضاء المجمع العلمي.

وهذه هي رواية الماسوني جورجي زيدان لسيرة الماسونية في مصر بعد انتهاء الحملة الفرنسية، وفي عهد أول الآتين من الخلف:

"لما بارح بونابرت مصر، وقُتل الجنرال كلابر/كليبر، توقفت أشغال المحفل (محفل إيزيس)، أو بالحري انحلت عراه ... وفي سنة ١٨٣٠م جاء بعض الإخوة الإيطاليين، وكانوا على الطريقة الاسكوتلاندية، فأسسوا في الإسكندرية محفلاً قانونياً، جعلوا يجتمعون إليه، إلا أنهم لم يكونوا يستطيعون التظاهر خوفاً من الاضطهاد، وما زالوا في المواظبة على العمل حتى كثر عددهم، وانتشروا في أنحاء القُطر، وكان فيهم جماعة من وجهاء البلاد، فاشتد أزر المحفل بهم ونشطوا للعمل، وفي سنة ١٨٣٨م تأسس في القاهرة محفل تحت رعاية المجلس العالي الممفيسي الفرنساوي، واسمه مينيس، وفي سنة ١٨٤٥م تأسس في الإسكندرية تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنساوي محفل اسمه الأهرام، انضم إليه كثيرون من الإخوة الماسونيين من جميع الطوائف والنزعات وكثر أعضاؤه، وكان يشتغل بعلم الحكومة المحلية، لا يخشى اضطهاداً ولا يبالي بما يقوله القائلون على غير هدى، ولهذا المحفل بالحقيقة الفضل الأعظم في بث التعاليم الماسونية في القطر المصري، والتحق به قسم عظيم من رجال البلاد من وطنيين وأجانب، وفي جملتهم البرنس حليم باشا ابن ساكن

الجنان محمد علي باشا، ولم تمض على تأسيس هذا المحفل خمس عشرة سنة حتى أصبح عدد أعضائه نحو الألف، وفي جملتهم الأخ الكلّي الاحترام سولوتوري أفنتوري زولا، الذي أصبح بعد ذلك أستاذاً أعظم للشرق الأعظم والمحفل الأعظم المصري، وفي أواسط سنة ١٨٤٩م تأسس المحفل الأول الإيطالياني على الطريقة الاسكوتلاندية في الإسكندرية تحت رعاية المجلس العالي الإيطالياني، وفي سنة ١٨٥٦م أنفذ المجلس العالي الممفيسي في فرنسا مندوباً ببراءة رسمية ليقيم في الإسكندرية، وفوض إليه أن ينشئ محافل فرعية تحت رعايته، وتأسس بين سنة ١٨٥٩م وسنة ١٨٦٢م محافل أخرى تحت رعاية المجلس العالي الإيطالياني، منها محفل كايوغراكو ومحفل بمباي، جميعها في الإسكندرية، وتأسست أيضاً محافل أخرى تحت رعاية هذا المجلس في القاهرة، منها محفل أهرامي منف ومحفل الكون وغيرهما، وقد كانت جميع هذه المحافل في وفاق تام مع محفل الأهرام الفرنساوي المتقدم ذكره ... وفي أثناء تلك المدة أنشأ المجلس العالي الفرنساوي على الطريقة الاسكوتلاندية محفلاً نمرة ١٦٦ في الإسكندرية ومحافل أخرى في أماكن أخرى في مصر، ومثل ذلك فعل الشرق الأعظم الفرنساوي فأنشأ محافل في بورت سعيد والسويس والإسماعيلية وغيرها، وفي سنة ١٨٦٤م أسس المجلس العالي الإيطالياني في الإسكندرية مجمعاً يشتغل في الدرجات العليا، وفوض إليه أن يقيم مجامع أخرى تشتغل بهذه الدرجات إلى درجة ٣٣، فكانت الماسونية في تلك السنة منتشرة في القطر المصري انتشاراً حسناً، ولها محافل ومجامع في أكثر الأقاليم المصرية، منها ما هو تحت المجلس العالي الإيطالياني، ومنها ما هو تحت المجلس العالي الفرنساوي، ومنها ما هو تحت الشرق الأعظم الفرنساوي، كلها عاملة على بث التعاليم الماسونية وتهذيب الأفكار، وفي سنة ١٨٦٧م أنشأ المحفل الإنكليزي في القاهرة محافل رمزية تحت رعايته، منها محفل الكونكورديا ومحفل البلور، ولا يزال كلاهما حياً ويشتغلان في القاهرة، ومعظم أعضاء ثانيهما من ضباط الجيش الإنكليزي، وبعد ذلك أُسست محافل أخرى في جملتها محفل كوكب الشرق، وفي ٤ سبتمبر ١٨٦٤م اجتمع سبعة من قدماء الإخوة الحائزين على الدرجات العليا، بعضهم إيطاليون وبعضهم سوريون، وقرروا وجوب إنشاء مجلس عالٍ على الطريقة الاسكوتلاندية، وأن يدعوه المجلس العالي المصري، أو الشرق الأعظم المصري، ثم حاولوا تنفيذ قرارهم ولم ينجحوا، وما زالت الحال كذلك إلى سنة ١٨٧١م، ففي ٨ نوفمبر من تلك السنة اتحد تسعة من الإخوة الذين تقدمت الإشارة

عنهم، وقرروا الاجتهاد ثانية في تأسيس مجلس عال على الطريقة الاسكوتلاندية، ففازوا لأن البراءة كانت في يد أحدهم، فاجتمع هؤلاء الإخوة وقرروا إنشاء هذا المجلس إلى درجة ٣٣، ثم اجتمعوا اجتماعاً رسمياً لتأسيسه، تحت رئاسة الأخ دومانيكو شاروني، وفي نحو ذلك التاريخ نهض الأخ الماركيس دي بورغارد إلى إحياء المجلس العالي الممفيسي، ثم تأسس المجلس العالي الفلسفي، ثم اتحد هذان المجلسان والمجلس العالي الاسكوتلندي في ١٥ سبتمبر من السنة التالية، فتألف من اتحادها جميعاً الشرق الأعظم الوطني المصري، وهو الدولة الماسونية المصرية، ولم تمض فترة وجيزة حتى أصبحت المحافل الوطنية المصرية تحت رعاية الشرق الأعظم المصري عديدة، وبعد تثبيت الشرق الأعظم عمدوا إلى انتخاب أستاذ أعظم يرأس أعماله، فوقع الانتخاب على الأخ الكلّي الاحترام زولا، واستلم زمام الرئاسة على الشرق الأعظم في ٢١ مارس ١٨٧٣م"[١].

ومما أخبرك به الماسوني جورجي زيدان، تعلم أن الماسونية بعد أن جاءت إلى مصر مع حملة الماسوني نابليون، وتم ضم رجال الإدارة والعُمد الذين نصَّبتهم الحملة إلى محفل إيزيس، أصابها الخمول بعد انتهاء الحملة وتوقف نشاط محفل إيزيس، ثم عادت مرة أخرى، وفي هذه المرة ازدهرت وانتشرت في طبقة الحكم والأمراء ورجال الدولة، وبين الساسة ورجال السلطة والإدارة، ثم وطنت نفسها وتغلغلت في الطبقات العليا ووضعت أصول دولتها، وذلك كله كان في عهد أول الآتين من الخلف.

فإذا عدت إلى رواية جورجي زيدان، فستجده يخبرك أن الطقس الاسكتلندي، وهو أعرق مذاهب الماسونية وأوسعها انتشاراً، وحين تطلق الماسونية دون تحديد يكون هو المقصود بها، دخل مصر، وتم تأسيس محفل رسمي له في الإسكندرية، سنة ١٨٣٠م، وأن طقس ممفيس المصري عاد إليها وتم تأسيس محفل مينيس سنة ١٨٣٨م، وأن محفل الأهرام التابع للشرق الأعظم الفرنسي تم تأسيسه سنة ١٨٤٥م، وكان يعمل بعلم دولة أول الآتين من الخلف وحكومته وبموافقتها، وانضم إليه الأمراء والوجهاء ورجال السياسة والإدارة، ومنهم الأمير عبد

---

١) تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى هذا اليوم، ص٢١١-٢١٩.

الحليم، ابن أول الآتين من الخلف، وهذه التواريخ كلها تقع في عهد أول الآتين من الخلف، الذي استولى على السلطة في مصر سنة ١٨٠٥م، ومات سنة ١٨٤٩م.

وهاك رواية الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، روبرت فريك جولد، وهو باحث في الماسونية ومؤرخ ماسوني رسمي، وله عدة مؤلفات عن الماسونية وتاريخها ورموزها، أشهرها وأكبرها كتابه: تاريخ الماسونية في العالم كله، ويقع في ست مجلدات، وفي القسم الذي خصصه لمصر من المجلد الرابع، يقول فريك جولد:

"طبقاً للوثائق، دخلت الماسونية إلى مصر سنة ١٧٩٨م، عن طريق طقس ممفيس Rite Of Memphis، وبواسطة نابليون وكليبر وغيرهما من ضباط الجيش الفرنسي، ومع ذلك لا توجد معلومات مؤكدة عن محافل فرنسية منظمة حتى سنة ١٨٠٢م، عندما تم تأسيس محفل بينفيسانس/محفل البِر Loge La Bienfaisance في الإسكندرية، وفي سنة ١٨٠٦م تم تأسيس محفل أصدقاء نابليون العظيم Loge Les Amis De Napoleon Le Grand، في الإسكندرية أيضاً، وكلا المحفلين تحت سلطة الشرق الأعظم الفرنسي، وتم تأسيس محافل أخرى تابعة للشرق الأعظم الفرنسي في الإسكندرية سنة ١٨٤٧م، وسنة ١٨٦٣م، وفي القاهرة سنة ١٨٦٨م ... وهذه هي المحافل التي تم تأسيسها تحت سلطة محفل إنجلترا الأعظم قبل سنة ١٨٩٤م ... محفل كونكورديا رقم ١٢٢٦ La Concordia Lodge, No. 1226، وتم تشكيله في القاهرة سنة ١٨٦٨م"[1].

وطبقاً لتاريخ فريك جولد، فإن محافل الشرق الأعظم الفرنسي، ويتبع الطقس الاسكتلندي، وصلت إلى مصر مبكراً، بعد سنة واحدة من رحيل حملة نابليون الماسونية عن مصر، وأن أول محفل في عهد أول الآتين من الخلف تم تأسيسه بعد وصوله للسلطة بسنة واحدة، سنة ١٨٠٦م، وليس سنة ١٨٣٠م، كما قال جورجي زيدان، وهو محفل أصدقاء نابليون العظيم، وكان يتبع الشرق الأعظم الفرنسي.

---

1) Robert Freke Gould: History Of FreemasonryThroughout The World, Vo. IV, P232, Revised By Duddley Wright, Charles Scribner's Sons, New York, 1936.

وجورجي زيدان وفريك جولد، كلاهما من مشاهير الماسون ومؤرخي الماسونية، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والمصادر قليلة والاطلاع علي وثائق الماسونية عسير، والجمع بين المصادر في مختلف البلدان أشد عسراً، فإليك رواية جيرار جالتييه، أستاذ التاريخ والديانات، وهو أيضاً ماسوني وعضو في الشرق الأعظم الفرنسي وباحث في تاريخ الماسونية، في دراسته: جمعية دروفيتي المصرية السرية La Société Secrète Egyptienne De B. Drovetti، التي نشرها في مجلة: دراسات البحر المتوسط Cahiers De La Méditerranée، التي يصدرها مركز دراسات البحر المتوسط، في جامعة صوفيا أنتيبوليس، في نيس في فرنسا Université de Nice Sophia Antipolis.

يقول جالتييه إنه في سنة ١٨٥١م، نُشر كتاب بالإيطالية في عدة أجزاء، وعنوانه: الوثائق الرسمية والسرية للمخابرات النمساوية في إيطاليا، من ٤ يونيو ١٨١٤م إلى ٢٢ مارس ١٨٤٨م Map Segrete E Attiufficiali Della Polizia Austriaca In Italia, Dal 4 Giugno 1814 Al 22 Marzo 1848، وقام على تحريره المؤرخ الإيطالي لويجي أرنالدي Luigi Arnaldi.

وضمن وثائق الكتاب تقرير من جزئين، في بداية شهر ديسمبر ١٨١٨م، يحملان رقم ٤٥، ورقم ٤٦، عن: جمعية مصرية سرية Société Secrète Egyptienne، والتقرير مرسل من فينيسيا إلى قنصل النمسا العام، بناءًا على معلومات تم تبادلها مع أنجلو كازيتي Angelo Cazzaiti، وكيل القنصل العثماني في ليفورنو.

فإليك قصة الجمعية، كما نقلها جالتييه عن الوثائق النمساوية المنشورة بالإيطالية، ومما أضافه إليها من تنقيبه في وثائق المحافل الماسونية في فرنسا.

يقول تقرير المخابرات النمساوية إنه تم تأسيس جمعية سياسية سرية في مصر، تحت رعاية الباشا/أول الآتين من الخلف Sous La Protection Du Pacha، من أجل معاونته في توطيد سلطته في مصر وتنفيذ سياساته، عبر زرع وكلاء وعملاء في الجزر والمواني الأوروبية في البحر المتوسط، وأن:

"الهدف السياسي الأعلى للجمعية استقلال مصر والجزر الأيونية، كمقدمة لاستقلال اليونان، ومن ثَم فالواضح أن العدو الرئيسي للجمعية هو الإمبراطورية العثمانية L'ennemi Est Clairement L'Empire Ottoman، التي تتقارب مصالحها مع مصالح الإمبراطورية النمساوية، بينما تحظى الجمعية بدعم محمد علي باشا وإنجلترا والقوميين الطليان واليونان، والباشا يرى فيها وسيلةً لتحقيق أغراضه والاستقلال عن الدولة العثمانية، وهو الهدف الذي من أجله ساعده ديليسبس ودروفيتي في الوصول إلى السلطة"(١).

ويقول التقرير النمساوي إن:

"الجمعية السرية المصرية ماسونية بالكامل Est Toute Maçonnique، فهي منظمة بطريقة الأخوية، وتستخدم الطقوس والرموز الماسونية، ولا تستبعد أي ديانة، وأعضاؤها يُطلق عليهم الفئة المطلعة Assecli، وقَسم الانضمام إليها: "أتعهد وأقسم ألا أُفشي أبداً الأسرار التي سأعرفها في هذا الهيكل، وأن أطيع من هم أعلى مني طاعة عمياء"، وبعدها يتلو العضو الجديد من مزامير داوود: "تذكر يا رب داوود وكل ما قدمه Memento Domine David Et Omnis Mansuetudinis"، وقد أحل فيه القبطي الأعظم Grand Cophte، محل داوود، وكانت الجمعية تَعِد من يدخلها بأنها تقوده إلى الكمال، عبر إعادة تكوينه بدنياً وأخلاقياً، وتجعل أعضاءها المطلعين يعتقدون أن الماسونية المصرية تنحدر من أخنوخ وإيليا Enoch Et Elijah، وفي الوقت نفسه يقوم القبطي الأعظم بدور خاص، وهو توجيه أعضاء الجمعية نحو هدفها الحقيقي، وهو العمل على استقلال الشعوب"(٢).

ومؤسس الجمعية المصرية السرية، ولقبه الرسمي: القبطي الأعظم Grand Cophte، هو الماسوني الفرنسي الإيطالي الأصل برناردينو دروفيتي، قنصل فرنسا في مصر، وصديق أول

---

1) Gérard Galtier: La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P290.
2) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P287.

الآتين من الخلف ومستشاره، لأكثر من عشرين سنة، والذي قدح في ذهنه فكرة البعثات العلمية إلى فرنسا، وساعده في بناء جيشه، وقد أسسها بالاشتراك والتنسيق مع صديقه ماتيو ديليسبس، وكان إذ ذاك في كورفو Corfu، أكبر جزر البحر الأيوني في اليونان، وقد كان ديليسبس قنصل فرنسا في مصر، وكان دروفيتي نائبه، قبل أن يغادرها سنة ١٨٠٤م إلى ليفورنو، وكان ديليسبس ودروفيتي، كما يقول جالتييه، يرون في أول الآتين من الخلف أنه نابليون الشرق Napoléon De L'Orient.

وقد أتيناك من قبل بسيرة ماتيو ديليسبس الماسونية، كما ذكرها جالتييه في دراسته، فهاك هي مرة أخرى:

"كان ديليسبس ذا مكانة سامية في الماسونية، فكان عضواً في الطقس المصري، قبل أن يأتي إلى مصر، وحين انتقل من مصر مفوضاً عاماً لفرنسا في ليفورنو Livorno في إيطاليا، أسس فيها محفلاً يتبع الشرق الأعظم الفرنسي، وسماه: محفل نابليون La Loge Napoléon، ومن ليفورنو انتقل إلى كورفو Corfu، في اليونان، سنة ١٨١٠م، وكانت معقلاً من معاقل الماسونية، فقام بتنظيم المحافل فيها، وتم تنصيبه قائداً لتنظيم الفرسان حماة الماسونية العالمية Commandeur De L'Ordre Des Chevaliers Défenseurs De La Franc-Maçonnerie Universelle، وفي سنة ١٩٢٢م صار الرئيس الشرفي لتنظيم أتباع الحقيقة Les Sectateurs De La Vérité، في بيزانسو Besançon شرق فرنسا"(١).

ويقول جالتييه إنه:

"طبقاً لكتاب توري Thory، عن تاريخ الماسونية وأعمالها(•) Acta Latomorum، تم تأسيس محفلين رئيسيين لجمعية دروفيتي الماسونية، محفل فرسان الأهرام Les

---

1) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P298.

•) كتاب الماسوني كلود أنطوان توري Claude Antoine Thory، صدر في مجلدين بالفرنسية، في باريس سنة ١٨١٥م، وتوري هو الذي قام بتنظيم محافل الطقس الاسكتلندي في فرنسا.

Chevaliers Des Pyramides، في القاهرة، في ٢٦ ديسمبر ١٨١١م، وهي السنة التي انفرد فيها محمد علي بالسلطة، ومحفل أصدقاء الكونكورد Les Amis De La Concorde، وهو الرئيس، في الإسكندرية، في ٤ مايو ١٨١٢م، والمعلومة نفسها تظهر في سجلات الطقس الاسكتلندي الفلسفي Rite Ecossais Philosophique، سنة ١٨١٨م، والقبطي الأعظم لمحفل القاهرة هو الأب بيلوجلي L'Abbé Belogli، الذي طرده الملك بسبب أفكاره الثورية، والقبطي الأعظم لمحفل الإسكندرية وللجمعية هو دروفيتي، وكلاهما كان مقرباً من الباشا وعلى علاقة وثيقة به"(١).

وبعد أن استعرض جالتييه نشاط الطقس المصري والطقس الاسكتلندي من الماسونية في فرنسا وموانى البحر المتوسط، وعلاقة جمعية دروفيتي المصرية السرية ومحافلها بهما، وما كان يمارس فيها من طقوس، وصل إلى أنه:

"يبدو لنا أن محفلي الجمعية المصرية السرية في مصر، محفل فرسان الأهرام ومحفل أصدقاء الكونكورد، كانا ينتسبان في الأصل للطقس الإيكوسي/الاسكتلنديRite Ecossais، ويتبعان طريقة تنظيم المحافل الاسكتلندية ودرجاتها، ولكنهما بعد ذلك كانا يمارسان طقس كاجليو سترو المصري Le Rite De Cagliostro، وهي ليست مفاجأة، لأنه من الشائع جداً في الماسونية أن يقوم محفل ما بتعديل الطقوس التي يمارسها، أو أن يكون مقراً لعدة طقوس في وقت واحد"(٢).

ويؤكد جالتييه فرضيته أن محافل جمعية دروفيتي السرية في مصر كانت تابعة للطقس الاسكتلندي، بأمرين، الأول: أن المحفل الاسكتلندي الأم في فرنسا، وهو محفل القديس ألكساندر الاسكتلندي Loge Saint Alexandre D'Ecosse، في باريس، كان بالفعل قد أقام شبكة عاملة من المحافل في موانى البحر المتوسط نفسها التي أقام فيها دروفيتي محافل جمعيته المصرية السرية، وجزيرة كورفو كان يوجد بها محفلان، هما محفل القديس نابليون

---

1) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P290, 296.

2) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P 296.

Saint Napoleon، ومحفل البر والتطور Beneficenza E Filogenia، وماتيو ديليسبس هو الذي أسس محفل القديس نابليون، وكان عضواً في محفل البر والتطور، الذي يتبع المحفل الاسكتلندي الأم في باريس.

والأمر الثاني: أن كلود أنطوان توري الذي انفرد في كتابه الصادر سنة ١٨١٥م بذكر محفل فرسان الأهرام في القاهرة ومحفل أصدقاء الكونكورد في الإسكندرية، وتحديد تواريخ تأسيسها بدقة، كان عضواً في المحفل الاسكتلندي الأم، وهو الذي قام بإعادة تنظيم محافل الطقس الاسكتلندي في فرنسا.

فالآن إذا قارنت ما جاء في دراسة جالتييه ومصادره، برواية جورجي زيدان وفريك جولد، ستجد أنه طبقاً لدراسة جالتييه تم تأسيس محفل ماسوني باسم فرسان الأهرام في القاهرة سنة ١٨١١م، ومحفل آخر باسم أصدقاء الكونكورد في الإسكندرية سنة ١٨١٢م، بينما ستجد في كتاب جورجي زيدان أنه تم تأسيس محفل تابع للشرق الأعظم الفرنسي اسمه الأهرام، سنة ١٨٤٥م، في الإسكندرية وليس في القاهرة، وفي كتاب جورجي زيدان وتاريخ فريك جولد معاً، أنه تم تأسيس محفل اسمه الكونكورد، سنة ١٨٦٨م، في القاهرة، وليس في الإسكندرية.

ولا يوجد احتمال للخطأ في التواريخ في دراسة جالتييه، لأن تقرير المخابرات النمساوية الذي ينقل عنه قصة جمعية دروفيتي المصرية السرية، تاريخه شهر ديسمبر سنة ١٨١٨م، وكتاب توري صدر سنة ١٨١٥م، ولذا ثَمة ثلاثة احتمالات، الأول: أن محافل جمعية دروفيتي السرية في مصر، فرسان الأهرام وأصدقاء الكونكورد، هي محافل أخرى غير التي ذكرها جورجي زيدان وفريك جولد، محفل الأهرام ومحفل كونكورديا، وأن المسألة تشابه في أسماء المحافل، وهو أمر شائع في الماسونية، أو أن جورجي زيدان وفريك جولد أخطآ في تحديد تواريخ تأسيس المحافل وأماكنها، خصوصاً وأن كلاً منهما يقول إنه ينقل عن وثائق الماسونية ومصادرها، ولكنه لا يذكر مصادره هذه، ومن أين أتى بمعلوماته تحديداً، بخلاف جالتييه، والاحتمال الثالث: أن تكون هذه المحافل تم تأسيسها فعلاً في التواريخ التي ذكرها توري في كتابه، ثم خملت وأُعيد إحياؤها، وما ذكره جورجي زيدان وفريك جولد هو تواريخ إحيائها وليس تاريخ إنشائها، وهو أيضاً أمر شائع في تاريخ الماسونية.

وأما عن أعضاء محافل جمعية دروفيتي الماسونية في مواني البحر المتوسط، فيقول جالتييه:

"جميع ممثلي الباشا السياسين والتجاريين في المواني الأوروبية كانوا من أعضاء الجمعية، أورفيلا Orfilla في ليفورنو، وصالح أفندي Salech-Effendi في جنوة، وبولكو Bolco في تريستا، ولاسكوني Lasconi في مرسيليا، وعثمان أغاOsman Aga، في فلورنسا، وكوتوروجولا Cotorogola في برشلونة، وجميعهم مصريون(!!) Ils Sont Tous Egyptiens، وفي بولونيا أليباردي دي تيرني Alibardi Di Terni، وهو اسمه في جواز السفر، واسمه الحقيقي جوتزيب دينس Giuseppe Dainese، وأورسيني بيترو Orsini Pietro في روما، وهذان الاثنان عميلان إنجليزيان Emissaires Anglais، وفي جنوة كان يوجد فرنسيان، المسيو نسيلفو Nasselfault، والمسيو رولو Rollo، والجمعية السرية المصرية هي التي تدفع لهما، ودكتور جويدوتي Guidotti، من توسكانيا، وماتسي Mazzi من ليفورنو، وجاستولدي Gastoldi ونتسولا Nizzoli وريبولا Ribolla، من ميلان، وساريس Saris وداري Dary، من بيمونتي Piemonte، ولويجي جريجي Luigi Greggi، جميع هؤلاء كانوا يقيمون في القاهرة، ويتراسلون مع أصدقائهم وممثلي الجمعية المصرية، ويستخدمون أحياناً الوسطاء الإنجليز، وأحياناً يرسلون رسائلهم مع رجال الباشا"[1].

فإذا تساءلت: لماذا كان أعضاء الجمعية المصرية الماسونية، يستخدمون الوسطاء الإنجليز، بينما مؤسسها فرنسي، فإليك الإجابة:

"قناصل القوى الكبرى المختلفة كانوا أعضاء في الجمعية، ولكن باستثناء القنصل الإنجليزي، لم يكن أحد منهم على علاقة وثيقة بقنصل فرنسا السابق في القاهرة، دروفيتي، ومن ثَم لم يكونوا على علم بجميع أنشطتها، والقنصل الإمبراطوري، المسيو روزيتي

---

1) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P 289.

Rosetti، كـان مسنـاً ولـم يكـن عضـواً فـي الجمعيـة، بينمـا كـان نائـب القنصـل ماكـاردي Macardi من أعضائها، ولكن لم يكن له وزن كبير داخلها"[١].

وأمـا محافـل الجمعيـة الماسـونية المصـرية الرئيسـية، أصـدقاء الكونكـورد فـي الإسـكندرية، وفرسان الأهرام في القاهرة، فقد:

"بلـغ أعضـاء المحفلين فـي الإسكندرية والقـاهرة ١٣,٠٠٠ عضـو، وكانـت الجمعيـة تقبـل عضـوية النسـاء، وكـان يوجـد فـي المحفلـين ٣٠٠ امـرأة مـن العربيـات واليونانيـات Les Femmes Arabes Et Grecques، ولم يكـن مسموحاً للنسـاء التركيات بالـدخول Les Femmes Turques Ne Sont Pas Admises"[٢].

والآن إلـى مـا نعلـم أنـك تتلهـف علـى معرفتـه، وهـو موقـع أول الآتـين مـن الخلـف مـن جمعيـة دروفيتي الماسونية السرية، فهاك هو:

"والي مصر، محمد علي باشا، كان قد قرر منذ زمن طويل أن يستقل عن البـاب العـالي، ويصـرح بأشـد المبـادئ ليبراليـة وتحـرراً Professe Les Principes Les Plus Libéraux، ومن ثَم كان يحمي الجمعية المصرية السرية، وينفق عليها من خزانتـه Fait Profiter Celle Ci De Ses Trésors، وكان أيضاً يزود أعضاءها بالمعلومـات، ويمـنح المقيمين منهم في الخارج رواتب القائمين بالأعمال له، وكان دروفيتي يتواصل مع بوغوص، الوزير الأول للباشا Boghos, Le Premier Ministre Du Pacha"[٣].

ولأن أول الآتـين مـن الخلـف، هـو الـذي كـان يمـول الجمعيـة المصـرية الماسـونية، فهـو فـي الحقيقة رأسها ورئيسها الأعلى، ودروفيتي ليس سوى مديرها أو رئيسها التنفيذي.

1) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P 288.
2) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P 288.
3) La société secrète égyptienne de B. Drovetti, Cahiers de la Méditerranée, 72, 2006, P 288.

المراجع

أولاً: العربية:

١) أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، الإمام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

٢) أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر، المؤرخ: مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٢٥م.

٣) أحمد عزت عبد الكريم، دكتور: تاريخ التعليم في عصر محمد علي، كتب مقدمته: دكتور محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.

٤) إدوارد دريو، المؤرخ: محمد علي ونابليون، مراسلات قناصل فرنسا في مصر، ١٨٠٧م–١٨١٤م، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٥) إدوارد وليم لين، المؤرخ: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، ترجمة: سهير دسوم، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٦) أسامة الغزالى حرب، الكاتب الصحفي: هيئة كبار العلماء، صحيفة الأهرام، ١١ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ/٨ فبراير ٢٠١٧م.

٧) إلياس الأيوبي، المؤرخ: محمد علي سيرته وآثاره، عنيت بنشره إدارة الهلال بمصر، ١٩٢٣م.

٨) أنجلو سامَّاركو، المؤرخ: قناة السويس، تاريخها ومشكلاتها وفقاً للوثائق المصرية والأوروبية غير المنشورة، ترجمة: ولاء عفيفي عبد الصمد، هيثم كمال سلامة، هدى صالح عبد العاطي، المركز القومي للترجمة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٩) أنطون برتلمي كلوت، كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة: محمد مسعود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٠) إيلي ليفي أبو عسل، المؤرخ اليهودي: يقظة العالم اليهودي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، طبع بمطبعة النظام بمصر، ١٩٣٤م.

١١) جلال أمين، دكتور: قصة الاقتصاد المصري من محمد علي إلى مبارك، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢م

١٢) جورجي زيدان، الماسوني: تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى هذا اليوم، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، طبع يمطبعة المحروسة بمصر، سنة ١٨٨٩م.

١٣) جون مارلو، المؤرخ: تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطاني، ترجمة: دكتور عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

١٤) خالد فهمي، دكتور: كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٥) خالد محمد نعيم، دكتور: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، ١٧٦٥م-١٩٨٨م، دراسة وثائقية، كتاب المختار، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٦) دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط: الكتاب المقدس، أسفار التوراة وكتب الأنبياء، والأناجيل وأعمال الرسل، ١٩٩٥م.

١٧) دافيدز لاندز، المؤرخ: بنوك وباشوات، قصة الديون في عهد إسماعيل، ترجمة دكتور عبد العظيم أنيس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٨) رفاعة الطهطاوي، ناظر مدرسة الألسن: تخليص الإبريز في تلخيص باريس، في: دكتور محمد عمارة، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٩) رفاعة الطهطاوي، مقدمة تعريب القانون الفرنساوي، في: دكتور محمد عمارة، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، ج٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٠) رفعت السعيد، الكاتب الشيوعي: كتاب قديم للبابا شنودة، الأهرام، العدد ٤٥١٢٠، ٧ رجب ١٤٣١هـ/١٩ يونيو ٢٠١٠م،

٢١) رمزي زكي، دكتور: الليبرالية المستبدة، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٢) سعد الدين الشاذلي، الفريق: حرب أكتوبر، تم تنفيذ هذا الكتاب في مطابع لندن M. S ، ١٩٨٨م.

٢٣) سعد الدين الشاذلي، الفريق: مقدمة كتاب ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان، لقائد المقاومة الشعبية بالسويس الشيخ حافظ علي أحمد سلامة، يُطلب من مسجد الشهداء، السويس، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

٢٤) شاهين مكاريوس، الماسوني: فضائل الماسونية، طبعة ثانية، مطبعة المقطم، القاهرة، ١٩٠٠م.

٢٥) شيماء القرنشاوي، الصحفية: الإدارية العليا تُلزم الكنيسة باستخراج تصريح زواج للمسيحي المطلق، صحيفة المصري اليوم، ٢ مارس ٢٠٠٨م

٢٦) صحيفة الأهرام، الثلاثاء ١ من شعبان ١٤٣٩ هـ/١٧ أبريل ٢٠١٨م، السنة ١٤٢ العدد ٤٧٩٧٩.

٢٧) عاطف زايد، الصحفي: القوات المسلحة تحتفل بمرور ١٠٣ أعوام على المشاركة المصرية فى الحرب العالمية الأولى، صحيفة الأهرام، العدد ٤٧٨٢٤، الاثنين ٢٤ صفر ١٤٣٩هـ/١٣ نوفمبر ٢٠١٧م.

٢٨) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المؤرخ: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عن طبعة بولاق، تحقيق: دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٩) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، الجزء الأول، مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

٣٠) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣١) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: ثورة ١٩١٩م، تاريخ مصر القومي من ١٩١٤م إلى ١٩٢١م، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣٢) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، دار المعارف،الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٣٣) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: عصر إسماعيل، ج١، ج٢، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣٤) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: عصر محمد علي، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣٥) عبد الرحمن زكي، القائمقام ومدير المتحف الحربي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

٣٦) عبد العزيز الشناوي، دكتور: السخرة في حفر قناة السويس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

٣٧) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، المؤرخ: الكامل في التاريخ، ج١٠، راجعه وصححه: دكتور محمد علي الدقاق، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.

٣٨) علي مبارك، ناظر المعارف: الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة (الخطط التوفيقية)، جـ١٣، الطبعة الأولى، بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، القاهرة، ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م.

٣٩) عمر طوسون، الأمير: البعثات العلمية في عهد محمد علي، ثم في عهدي سعيد وإسماعيل، مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

٤٠) عمر طوسون، الأمير: الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤١) فيليب رينيه، المؤرخ: السان سيمونيين في مصر ١٨٣٣م-١٨٥١م، ترجمة: أمل الصبان وأنور مغيث وداليا الطوخي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

٤٢) قسطنطين بازيلي، المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في يافا: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م.

٤٣) قناة صدى البلد على اليوتيوب، برنامج نظرة، حلقة ٢٠١٦/١٢/١م، فيديو بعنوان: مفيد فوزى يسترجع ذكرياته، ويكشف تفاصيل لقائه بفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي.

٤٤) ماريا ألفي، الصحفية: البابا شنودة: "لا تستطيع أي جهة إرغامنا على شيء مخالف لعقيدتنا"، تقرير صحفي، الأقباط متحدون، العدد ٢٠٣٩، ٢٣ بشنس ١٧٢٦ قبطية/٣١ مايو ٢٠١٠م.

٤٥) محمد صبري السوربوني، المؤرخ: الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي، ترجمة: ناجي مضان عطيه، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م.

٤٦) محمد صبري السربوني، المؤرخ: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٢٦م.

٤٧) محمد عبده، الشيخ: آثار محمد علي في مصر، مجلة المنار، مجلد٥، ج٥، غرة ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م.

٤٨) محمود صالح منسي، دكتور: أتباع سان سيمون ونشاطهم في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع عشر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة،١٩٧٠م.

٤٩) مشيخة الأزهر الشريف: بيان من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بشأن الطلاق الشفوي، بوابة الأزهر، ٥ فبراير ٢٠١٧م.

٥٠) هـ.س. أرمسترونج، الكابتن: الذئب الأغبر مصطفى كمال، كتاب الهلال رقم: ١٦، دار الهلال، القاهرة، شوال ١٣٧١هـ/يوليو ١٩٥٢م.

٥١) هنري لورنس، المؤرخ: بونابرت والإسلام، بونابرت والدولة اليهودية، ترجمة: الأستاذ بشير السباعي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م

٥٢) هنري لورنس وآخرون، المؤرخ: الحملة الفرنسية في مصر، ترجمة: الأستاذ بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٥٣) هنري لورنس، المؤرخ: المملكة المستحيلة، فرنسا وتكوين العالم العربي الحديث، ترجمة: الأستاذ بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، دار الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٥٤) يعقوب لانداو، المؤرخ اليهودي: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ثانياً: الأجنبية:

1) Abbé Augastin Barual Barruel: Memoirs Illustrating The History Of Jacobism, Vol. I, Translated Into English By The Hon. Robert Clifford, Printed For The Translator By T. Burton No. 11, Gate Street, Lincolin's Inn Fields, London, 1798.

2) A. E. Croushley: The Economic Development Of Modern Eygypt, Longmans, Green & Co., London, New York, Toronto, Printed In Great Britain At The Burleigh Press, London, 1938.

2) Aimé Vingtrinier: Soliman Pacha, Colonel Sève Généralissime Des Armées Egyptiennes, Liberairie De Firmin Didot Et Cie., Impreurs De Institut, Paris, 1886.

3) Albert Mackey: Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, A New And Revised Edition, Vol. II, Puplished By The Masonic History Company, New York and London, 1914.

4) Albert MacKey: Encyclopaedia Of Freemasonry, Vol.3, Revised And Enlarged Edition, The Masonic History Company; 1929.

5) Albert Mackey: The Principles Of Masonic Law, Published At The Masonic Depot, New York, 1859.

6) Albert Pike: Morals And Dogma Of The Ancient And Accepted Scottish Rite Of Freemasonry, Published By The Authority Of The Supreme Council Of The Thirty Third Degree, Charleston, 1871.

7) Arthur Edward Waite: Devil Worship In France, Or The Question Of Lucifer, George Redway, London, 1896.

8) Arthur Edward Waite: The Secret Tradition In Freemasonry, Vol. I, P163, Rebman Ltd., London, 1911.

9) Arthur Goldschmidt: Biographical Dictionary Of Modern Egypt, Lynne Rienner Publishers, 2000.

10) Arthur John Booth: Saint Simon And Saint Simonism, A Chapter In The History Of Socialism In France, Longmans, Green, Reader, And Dyer, London, 1871.

11) Ben Weider: Napoleon And The Jews, Conference Given At International Congress Of The International Napoleonic Society Allessandria, Italy, June 21-26, 1997.

12) Bernhard Blumenkranz And David Weinberg: Lyon,The Encyclopaedia Judaica,Vo.XIII, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

13) Bloomberg News: Egypt Shows Off $8 Billion Suez Canal Expansion That The World May Not Need, August 4, 2015.

14) Carl Cavanagh Hodge, Editor: Encyclopedia Of The Age Of Imperialism,1800-1914, Greenwood Pub Group, Santa Barbara, California, 2007.

15) Cecil Roth: Venice, Jewish Communities Series, The Jewish Publication Society Of America, Pheladelphia, 1930.

16) Charles Rochfort Scott: Rambles In Egypt And Candia, With Details Of The Military Power And Resources Of Those Countries, And Observations On The Government, Policy, And Commercial System Of Mohammed Ali, Henry Colburn Publisher, London, 1837.

17) Christopher Knight and Alan Butler: The Hiram Key Revisited, Freemasonry: A Plan For A New World Order, Watkins Publishing, 1999.

18) Dimitrios Stergiopoulos: Tobacco Cultivation And Trade In Kavalla And The Ottoman Financial Policy, A Case Of Financial Growth In The Late Ottoman Empire, Journal Of Advances In Historical Studies, 2016, 5.

19) Edith Miller, Lady Queen Borough: Occult Theocracy, Published Posthumously For Private Circulation Only, Reprinted By The Christiam Book Club Of America, 1976.

20) Emile Dorkheim: Socialism And Saint Simon, Translated From French By: Charlotte Sattler, Routledge & Kegan Paul Ltd., London, 2009.

21) Fernand Braudel: Civilization And Capitalism,15th-18th Century, Vol. III, Perspective Of The World, Translated From The French By: Sian Reynolds, Collins Sons & Co. Ltd., London, 1984.

22) Fernand Braudel: The Identity Of France: Vol.I, History And Environment, Translated From French By: Sian Reynolds Harper & Row, NewYork, 1988.

23) François Malye: Les Français Du Sultan Soliman, Le Point, 20-12-2002.

24) Franz Kobler: Napoleon And The Jews, Schocken Books, Prague, 1976.

25) George Michael Bachtler: The Secret Warfare Of Freemasonry Against Churche And State, Translated From German, Burns, Oates And company, London, 1875.

26) Gérard Galtier: La Société Secrète Egyptienne De B. Drovetti, Cahiers De La Méditerranée, 72, 2006, P285-305.

27) Gertrude Coogan: Money Creators, Sound Money Press, Inc., Chicago, 1943.

28) Harold Frederic:Red Coats On The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation, The New York Times, May, 3, 1896.

29) Heinrich Graetz: History Of The Jews, Vol.5, Jewish Publication Society Of America, Philadelphia, 1895.

30) Henry Dodwell: The Founder Of Modern Egypt, Cambridge University Press, London, 1931.

31) Henry Wasserman: Tobbacco Trade And Industries: The Encyclopedia Judaica, Vol. XX, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

32) Hippolyte Adolphe Taine: Napoleon's Views Of Religion, The North American Review, Vol. 152, No. 414, May, P567-581, Published by: University of Northern Iowa, 1891.

33) https://osmtj.net/grand-masters/

34) International Monetary Fund. Middle East And Central Asia Dept., IMF Country Report No. 17/17, Arab Republic Of Egypt: Request For Extended Arrangement Under The Extended Fund Facility, Press Release; Staff Report; And Statement By The Executive Director For The Arab Republic Of Egypt, January 18, 2017.

35) James Anderson: The Constitutions Of The Freemasons, Containing The History, Charges, Regulations, & C. of That most Ancient And Right Worshipful Fraternity, Printed By William Hunter, For John Senex, At The Globe And John Hooke At The Flower De Luce Over-Against St., Dunstan' Church, In Fleet-street, London, In The Year of Masonry 5723, Anno Domini 1723.

36) J.E.S. Tuckett: Napoleon I And Freemasonry, A.R.C.Transactions Of Quatuor Coronati Lodge, Vol. 27, 1914.

37) Joanna Milstein: The Gondi, Family Strategy And Survival In Early Modern France, Ashgate Publishing Limited, England, 2014.

38) John Bowering: Repor On Egypt And Candia, Addressed To Hon, Lord Viscount Palmerston, Printed By: W. Clowes And Sons, Stamford Street, For Her Majesty' Stationary Office, London, 1840.

39) John Parsons: British Military Masonry, Nebraska College M.S.R.I.C.F, April 30, 2003.

40) John Reeves: The Rothschilds,The Financial Rulers Of Nations, A. C. McClueg & Co., Chicago, 1887.

41) Joseph Jacobs, Schulim Ochser: Sicily, The Jewish Encyclopedia, Vol. XI, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1906.

42) Lytton Strachey: Queen Victoria, Harcourt, Brace, And Company, New York, Copyright, 1921.

43) Michael Stephen Smith: The Emergence Of Modern Business Enterprise in France, Harvard Studies In Business History, Book 49, Harvard University Press, 2006.

44) Nahum Sokolow: History Of Zionism 1600-1918 , Longmans, Green & Co., New York, Calutta And Madras, 1919.

45) Nardo Bonomi: Jewish Genealogy In Sicily, http://www.italian-family-history.com/jewish/genealogy.html.

46) Niccolò Machiavelli: The Prince, Translated Into English By: Luigi Ricci, Humphery Milford, Oxford University Press, London, Glasgow, Edinburgh, New York, Toronto, 1921.

47) Pierre Des Essars: Banking In France, In: A History Of Banking In All The Leading Nations, Vol. III, Published BY The Journal Of Commerce And Commercial Bulletin, In 4 volumes, Beaver Street, New York, 1896.

48) Robert Freke Gould: History Of FreemasonryThroughout The World, Revised By Duddley Wright, Charles Scribner's Sons, New York, 1936.

49) Robert Henry Stephens: Nasser: A Political Biography, Simon And Schuster, New York, 1972.

50) Sander Gilman and Xun Zhou: Smoke, A Global History Of Smoking, Reaktion Books,November 4, 2004.

51) Sergio Joseph Sierra: Sicily, The Encyclopedia Judaica, Vol. XVIII, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

52) Shimon Rosenberg: From Perseution To The Pentgon, An Interview With Dr. Moshe Mizrachi, Zman Magazine, July 2013.

53) Simon Marcus And Yitzchak Kerem: Kavalla, The Encyclopedia Judaica, Vol. XII, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

54) Stanley Lane Poole: Saladin And The Fall Of The Kingdom Of Jerusalem, G.P. Putnam's Sons, New York ; London, 1898.

55) Suruk Ilicak: Jewish Socialism In Ottoman Salonica, Journal Of South East Europpean And Black Sea Studies,Vol.2,No.3, September, 2002.

56) The Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition: Enfantin, Barthélemy Prosper, Vol.IX, Cambridge England At The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.

57) Thierry Zarcone: Orientalism In Freemasonry, Ritual, Secrecy, And Civil Society, vol.2, Number 2, Winter 2014.

58) Werner Sombart: Jews And Modern Capitalism, Translated From German By: M. Epstein, E. P. Dutton & Company, New York, 1913.

59) Wikipedia, The Free Encyclopedia: Kavala .

60) Wikipedia, The Free Encyclopedia: Napoleon And The Jews.

61) Wikipedia, The Free Encyclopedia :Mohamed Sherif Pasha.

62) Wikipédia, L'Encyclopédie Libre Que Chacun peut Améliorer: Soliman Pacha.

63) William Denslow:10,000 Famous Freemasons, Vol. IV, Published By Macoy Publishing & Masonic Supply Co., Inc., Richmond, Virginia, 1957.

64) Youssef Cassis And Philip Cottrell: Private Banking In Europe: Rise, Retreat, And Resurgence, Oxford University Press, 2015.

65) Youssef Cassis And Philip Cottrell: The World Of Private Banking, Routledge Publishing, London, November 28, 2009.

فهرس الصور

الفهرس

دكتور بهاء الأمير

- **المؤلفات المطبوعة:**

١	كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.
٢	النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.
٣	المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.
٤	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.
٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.
٦	اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.
٧	اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.
٨	شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.
٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.
١٠	الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.
١١	تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٢	النازية واليهود والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٣	التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٤	ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٥	اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٦	بلاليص ستان ١، أول الآتين من الخلف، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٧	بلاليص ستان ٢، بذور المشروع اليهودي في الشام، مطبوع على نفقة المؤلف.

- **دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت(•):**

١	يهود الدونمة.
٢	اليهود والماسون في قضية الأرمن.
٣	حركة الجزويت اليسوعية.
٤	عن الإخوان والماسونية.
٥	معركة المادة الثانية من الدستور.

(•) **روابط الكتب والدراسات في مدونة صناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت.**

٦	قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧	عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨	نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩	نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠	حقيقة ما يحدث في مصر.
١١	فرعون بين التوراة والقرءان.
١٢	المسألة الإخناتونية.
١٣	معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤	الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥	الشميطاه واليوبيل.
١٦	القبالاه والموسيقى.
١٧	نقد نظرية الأكوان المتوازية.
١٨	البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩	حوار مع قادياني.
٢٠	قضية تحرير المرأة.
٢١	أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.
٢٢	رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء:١ ،٢ ، ٣.
٢٣	اليهود الأخفياء.
٢٤	رسم المصحف وكلمات القرآن.
٢٥	اليهود والاشتراكية.
٢٦	المملكة وأردوغان.
٢٧	حفظة الأكلشيهات.
٢٨	اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
٢٩	يهود الخزر.
٣٠	الأزمة في الجزائر وأزمة الشرعية في الدول العربية.
٣١	أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣٢	الأرض المسطحة.
٣٣	آل عثمان حماة مياه الإسلام.
٣٤	الإسلام والحركات الإسلامية والثورات

٣٥	حوار مع كائن فضائي.
٣٦	الخلافة والمُلك والدولة العثمانية وبلاليص ستان.
٣٧	جوته والإسلام والماسونية.
٣٨	نقد كتاب السامري الساحر المصري الذي أسس الماسونية.
٣٩	السلطان عبد الحميد وعبد الرحمن الكواكبي.
٤٠	القبالاه روح عصر النهضة والتنوير.
٤١	العراقيل أمام دراسة المسألة اليهودية في بلاليص ستان.
٤٢	حكماء صهيون وبروتوكولاتهم.
٤٣	اليهود والسُلطة وحكم العالم.
٤٤	الفرق بين المماليك والآتين من الخلف.
٤٥	السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل.
٤٦	بريطانيا واليهود.
٤٧	نابليون الماسوني واليهود.
٤٨	مستوطنة في سيناء.
٤٩	مقدمة وتعليقات على كتاب: المؤامرة الكونية، ليان فان هيلسنج، وترجمة: م/أحمد حمدي.
٥٠	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والمرور.
٥١	الترك وقتالهم.
٥٢	القسطنطينية وآخر الزمان.
٥٣	أخطاء الإسلاميين في الثورة.
٥٤	حكم قتل الكافر الحربي.
٥٥	كورونا.
٥٦	اليهود في الصين.
٥٧	نصيحة بخصوص تربية الأبناء.
٥٨	هارون الرشيد وشارلمان العظيم.

- **قصص قصيرة:**

١	جيفارا.
٢	مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣	علميها رمي الحجر.
٤	أبو خربان.

• **المرئيات(•):**

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١	بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.
٢	اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

ثانياً: مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١	الوحي ونقيضه.
٢	المسجد الأقصى القرءاني.
٣	خفايا شفرة دافنشي.
٤	ملائكة وشياطين.
٥	دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦	القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧	التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.
٨	البلدربرج حكومة العالم الخفية.
٩	الرمز المفقود.
١٠	لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.
١١	نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.
١٢	البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.
١٣	القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

ثالثاً: مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.
٢	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.
٣	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.
٤	الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.
٥	دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

(•) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية ، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

رابعاً : مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١	الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.
٢	مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.
٣	رمضان شهر القرءان.
٤	الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١	الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث :

١	من خلف الثورات.
٢	المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.
٣	من هي إسرائيل؟
٤	يهودية إسرائيل.
٥	حقيقة الماسونية

سابعاً: في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١	نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

ثامناً: في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١	عالم السر والخفاء.
٢	جولة في عالم السر والخفاء.
٣	بيان الإله.
٤	الوحي.
٥	الطلاسم.
٦	في الملأ الأعلى.
٧	خريطة الوجود.
٨	الأمم المتحدة.
٩	حقوق الإنسان.
١٠	تحرير المرأة.
١١	اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.
١٢	الهندوسية.

١٣	جمعية الحكمة الإلهية.
١٤	الحكيمة فوزية دريع.
١٥	حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.
١٦	الماسونية وبناتها.
١٧	الوحي ونقيضه.
١٨	أخوية فيثاغورس
١٩	المخطوط العبري.
٢٠	قلب الماسونية.
٢١	وسائل الانفصال الاجتماعي.

تاسعاً: مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١	بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.
٢	رد على نقد: أربعة مقاطع.
٣	الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.
٤	أخطاء الإسلاميين: مقطعان.
٥	نبوءات: أربعة مقاطع.
٦	المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.
٧	التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.
٨	الوحي ونقيضه.
٩	العقائد والسياسة.
١٠	الناس من غير الدين بهائم.
١١	نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.
١٢	الأناركية.
١٣	حوار مع معالج بالطاقة.
١٤	علميها رمي الحجر.

- **السمعيات :**

١	برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.
٢	برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.

أول الآتين من الخلف

- في كل مكان وصل إليه نابليون بجيوشه، كانت إحدى الرسائل التي تحملها تحرير اليهود من القيود التي تقيدهم بها الكنيسة، وكان أول عمل يقوم به بعد استيلائه على أي مدينة هو فتح الجيتو وتحرير اليهود ووضعهم تحت حمايته، وفي سنة ١٨٠٧م، وبدعوة منه وتحت رعايته، انعقد السنهدرين الأعظم، لأول مرة في التاريخ منذ سقوط الهيكل الثاني سنة ٧٠م.
- حملة نابليون والماسون هي الوصلة بين المسار اليهودي الماسوني في الغرب والمسار اليهودي الماسوني في الشرق، وبداية تفكيك الشرق وتحويله إلى محضن لليهود ودولتهم، وصناعة بلاليص ستان.
- **اقرأ في هذا الكتاب:**
- نابليون الماسوني، نابليون واليهود، حملة الماسون على مصر.
- خَوَنَة/قَبالاه.
- أول الآتين من الخلف.
- مذبحة القلعة.
- إزاحة الأزهر وأهل الحل والعقد.
- بعثات ماسونية.
- السان سيمونيين في مصر، مشروعات ومخلصة يهودية.
- قناة السويس ومصيدة الديون.
- وريث نابليون.
- صفحات من الخزي والعار.
- الماسونية في عهد أول الآتين من الخلف.

دكتور بهاء الأمير